

أمين مكي

الكتاب العربي في يد أئمة

الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م

الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تہامہ

جدة . المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر

الاهتداء

الحب ..

كل عَزِيَّةٍ بِسَاءٍ .. سَظَرٍ
وَلَسَ ظَرْفِي سَجْدَ الزَّمَنِ
بِحَدِّ الْعَرَبِيَّةِ

أَمِينٌ مَدَنِي

محتويات الكتاب

صفحة

١٣	تقديم
٢١	التاريخ بين الغموض والوضوح
٢٧	توطئة
٣٧	التاريخ ومعناه
٤٥	بداية الإنسان : آدم وخلفاؤه
٥١	قلب البلاد العربية المهد الأول للإنسان وحضارته
٦١	دول ما قبل التاريخ في الشرق وسنو حكمها
٧١	نهاية ما قبل التاريخ بداية التاريخ
٧٩	الحضارة هي السطر الأول في التاريخ
٨٥	الأديان في جزيرة العرب من قبل التاريخ
١١١	اللغة العربية هي الأصل للغات العالم العربي القديم
١٣٩	تاريخ الخطوط التي دونت بها اللغة العربية
١٤٥	الخط البابلي الآشوري
١٥٣	الخط الكنعاني - الفينيقي
١٦٣	الخط المسند وأبجديته
١٧٣	الخط الإرمي
١٨٣	الخطوط : اللحيانية والثمودية والصفوية
١٩٣	العبرية والجعزية وخطهما
٢٠١	الخطوط : التدمري والنبطي والسرياني
٢٠٩	الخط القرشي
٢٢٩	الشعر العربي عريق مثل لغته

صفحة

٢٤٣	معالم المجتمع والدولة في قلب الجزيرة العربية .
٢٧١	متى عرف العرب الملاحة ؟
٢٨٥	الكلمة الأخيرة عن التاريخ الحقيقي لقلب الجزيرة
٢٩١	التاريخ العربي في جنوبي الجزيرة العربية وشرقها
٢٩٧	إرم ذات العماد
٣١١	متى بدأ التاريخ العربي في جنوبي الجزيرة وشرقها
٣١٩	صراع الأديان جزء مهم في تاريخ جنوبي الجزيرة وشرقها
٣٢٥	الهلل الخصب في التاريخ العربي
٣٢٩	العراق عرف الحضارة من أقدم العصور
٣٣٥	التاريخ العربي في العراق
٣٤٣	الأديان في العراق
٣٤٩	التاريخ العربي في القسم الغربي من الهلال الخصيب.
٣٥٥	أعاصر الأديان في سورية لا تقل عن الأعاصر السياسية
٣٥٩	تاريخ العرب وحضارتهم في وادي النيل
٣٦٧	الآلهة في زمان الفراعنة
٣٧١	نهاية المطاف
٣٨١	الكشاف

مقدمة الطبعة الثانية

لا اخالني مبالغا ان قلت : ان مؤسسة تهامة قد اصبحت مع المقدمة التي اسهمت في النشاط الثقافي السعودي في عهده الذهبي الحديث - اقول في عهده الذهبي الحديث وانا اعنى ما اقول .

فلقلب الجزيرة ثلاثة عهود يعتز بها تاريخها الثقافي :

الاول : وهو الذي لا يأتي الزمن بمثيل له - عهد الذين اسسوا : الثقافة الاسلامية في فجر الاسلام .

الثاني : عهد الرشيد والمأمون الذي عرف في التاريخ بالعهد الذهبي .

الثالث : العهد الذي نعيشه - عهد التطور والانطلاق .

انا لا انكر : ما بذله ابناء قلب الجزيرة - من جهد في ابراز ثقافة عريقة في عروبتها بعيدة عن كل المؤثرات ، وانا لا انكر : ان الحرمين كانا في الدولتين التركية والهاشمية - حافلين بعلماء عباقرة - مثل البرزنجي والبرى في المدينة والياني والدحلان في مكة - ولقد نبغ في المدينة شعراء كبار - مثل الاسكوبى والعمرى وعشقى وبرادة - نظموا الروائع في السياسة والاجتماع وفي غيرها ، ولكننا اذا ما قارنا مانظم وما الف في النصف الاول من القرن الرابع عشر من الهجرة - بما نظم في النصف الاخير من هذا القرن نجد المقارنة تؤكد لنا الاسباب التي تجعلنا نقول : إن سنى النصف الاخير من هذا القرن تعتبر عهد اشراق وانطلاق .

ولعل حماس مؤسسة تهامة لنهضة المملكة الثقافية هو الذي جعلها تحسن الظن في مؤلفي : التاريخ العربى وبدايته - فتلح على في اعادة طبعه .

فانا عندما اشكر لهذه المؤسسة : حسن ظنها لا يفوتنى ان استرعى انتباه القراء الى ما يأتي :

إن الكثير من القراء كان يسألني عن الجزء الاول ليكمل به الجزء الثاني والثالث - اعتقادا منهم : أن مؤلف (العرب في احقاب التاريخ) سلسلة مرتبطة الحلقات اذا ما فقدت منها حلقة انفرط بضياعها تسلسل الاحداث . والواقع ان كتاب (العرب في احقاب التاريخ) مؤلف من اجزاء كل جزء منها قائم بذاته غير مرتبط بالآخر - فمثلا : « بداية التاريخ العربى » غير « مصادر التاريخ العربى » ، « ومصادر التاريخ العربى » غير « جغرافية التاريخ العربى » وكذلك بقية الاجزاء .

وملاحظة ثانية لا اكتمها - لقد فاجأتني المؤسسة بطلبها تصحيح وازافة ما قد يبدو لى ثم تحرير مقدمة للطبعة الثانية - فاجأتني بذلك فى الوقت الذى حددت لى فيه - جامعة الامام محمد بن سعود : وقتا لتقديم : البحث الذى طلبته منى لمؤتمرها المزمع انعقاده بعد رجب من هذه السنة . ألا وهو (الثقافة العربية وحواضرها) .

لذلك لم اجد الوقت الكافى لاعادة النظر فى كتاب صدر قبل ستة عشر عاما ، وانما وجدتني اختصر التقديم واختمه بهذا الاعتذار ، وارجو من المؤسسة : تنظيم فهرست للاعلام وفهرست للامكنة ليسهل على المراجع الوصول الى الموضوع الذى يريده - فلقد تداركت هذا النقص فيما طبعته بعد هذا الجزء .

اما غير ذلك فانتى ارجو من القارىء ان يتغاضى عما قد يبدو له .

والله الموفق

امين مدنى

المدينة المنورة فى ١٤٠٠/٣/١ هـ

تقديم

بقام فضيلة الأستاذ
محمد محمد المدني
الأستاذ بجامعة الأزهر
والعميد السابق بكلية الشريعة

صديقنا العلامة الأستاذ أمين مدني رجل بحثة بطبعه ، عرفته وعرفت فيه هذه الصفة - الى صفات أخرى سامية كثيرة - أيام كنا نلتقى على الموارد العذبة من العلم والأدب والشعر في « ندوة الأصفياء » التي كان يجمعنا اليها أخونا المجاهد في سبيل الله ، الذي رفع الى جوار ربه منذ أشهر معدودات : الأستاذ الشاعر الكاتب المغفور له محمد علي الحوماني ، طيب الله ثراه .

لقد كانت هذه الندوة بمثابة سوق من أسواق العرب التي كانت تعقد للعلم ، وللشعر ، وللخطابة ، والتي كان يتوارد عليها أئمة البيان وحكماء العرب وشعراؤهم قبيل الاسلام . حين كانت العقول تجد لها متنفساً في عكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، وحين كانت هذه الأسواق مواسم علم ، وبجالي أدب ، ومعارض فن ، ومؤتمرات تهوى اليها الأفئدة ، وتشد اليها الرحال .

كأنما كانت « ندوة الأصفياء » هذه هي عكاظ العروبة في مصر يجتمع اليها المصري واللبناني والحجازي والأردني والعراقي والسوري والشرقي والمغربى ، ويلتقى عليها الأحرار المجاهدون ، والعلماء المجددون ، والشعراء المجددون ، والقواد الذين صنعوا التاريخ ، وكسبوا المعارك ، والشيوخ المجربون الذين ذاقوا حلو الحياة ومرها ، وعاصروا أحداث العروبة فتفهموا عن كتب أسرارها .

لم يكن هؤلاء يسمرون كما يسمر الناس بلهو أو لعب ، ولا يجتمعون على قال وقيل ، ولكنهم كانوا يثيرون البحوث العميقة عن كل مشكلة من مشاكل العرب والمسلمين ،

فيرضون لتاريخها وتفاصيل حوادثها ، ودخائل أسرارها ، ويلقون عليها الأضواء في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، يضعون لها الحلول ويصفون الدواء ، كل ذلك في أسلوب من البحث الأصيل ، والنقاش الهادئ الجميل ، والتعاون على تجلية الحقائق ، وتصفيته من الشوائب ، توعية وتبصرة وشحذاً للهمم ، وتعبئة لكل قوة من قوى الجهاد والاستعداد .

لله تلك الليالي الحافلات ! ما كان أبعدا أثراً ، وأطيها ذكراً ، واكثرها عبراً !

كان الأستاذ أمين مدني أحد الزملاء في هذه الندوة « ندوة الأصفياء » وكنت أراه بينهم طويلاً الصمت ، عميق التدبر ، لا يميل الى مقاطعة أو مسارعة ، فإذا تكلم أجاد في الخطاب ، ونطق بالصواب ، واسترعى الأسباع والأبصار والقلوب ، كاشفاً عن حقيقة ، أو مبيناً لسر ، أو مفضياً برأى ، أو موجهاً لناحية هامة من نواحي الحديث ، كل ذلك في أدب جم ، وتواضع محمود ، وأداء هادئ رزين ، يستريح اليه من خالفه ، كما يستريح اليه من وافقه ، وقلما كان يخالفه احد ، لأنه ما كان يعتبر نفسه في وقت من الأوقات مناظراً يبتغى الغلب ، ولكن باحثاً يبتغى الحقيقة ، ويعين على الوصول اليها ، ولا يهجمه أن تظهر على لسانه أو على لسان سواه .

فكنت أغبطه على هذا الخلق الذي هو أجل ما يتحلى به أهل العلم ، كما كنت أدرك أنه سيتهدى على ضوئه الى عمل نافع يقدمه لأمته ، تتجلى فيه طبيعة الباحث الأصيل ، غير المتطفل ولا الدخيل ، فلما أنبأني بأنه مشغول باعداد بحث واف عن « العرب في أحقاب التاريخ » بدأت أتوقع تحقق فراستي ، ودعوت الله له بالتوفيق .

واجتمعنا ذات يوم فعرض على فكرته في بحثه ، ومنهجه الذي يسير عليه ، وتقسيم هذا البحث الى اقسامه التي يرى أنها ستستوعب خمسة أجزاء ، منها هذا الجزء الأول في « التاريخ العربي وبدايته » وأنه سيعالج كل موضوع من موضوعاته على شريطة الثبت قبل ابداء الرأي ، وعدم الانخداع بالظنون الجوفاء ، التي عسى أن تصادفه عن مستشرقين أو مستغربين ، أو التي يتخبط في أوديتها خطاب الليل من المؤرخين القدماء أو المحدثين ، وأنه سيعمل جاهداً على تصحيح الكثير مما أضيف الى تاريخ العرب قبل

الإسلام وبعده ، معتمداً على المصادر الصحيحة وفي مقدمتها كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مع الحذر كل الحذر من الروايات المصنوعة ، والآراء المدخولة التى لا دليل عليها ، وليس فى لفظ القرآن أو معناه أو إشارات ما يؤيدها .

وها هو ذا يبدأ فى تحقيق ما وعد به ، وهأنذا أقرأ الجزء الأول الذى أودعه ثمرات اجتهاده فى التعرف الى بداية التاريخ العربى ، قبل ان يقدمه للطبع حتى يعرف رأيي فيه كقارئ له ضلة بجوانبه الدينية ، وكأخ يرى فيه أخوه مرآة نفسه .

وما من شك فى أن تاريخ العرب القديم منطو على كثير من الغيايات والمجاهل التى ترهق السالكين ، وتحير المدللين ، وأنه قد توارد على الكتابة فى هذا التاريخ أصناف من الناس ، منهم الذين لا يرون فى العرب إلا أوزاعاً من الخلق كانوا فى قديم الزمان أصحاب اشعار وأوبار ، وسكان بواد وقفار ، تدور حياتهم بين حل وارتحال ، وليست لهم جامعة تجمعهم ، ولا أهداف تدفعهم ، وإنما همهم أن يحدوا ما يقيتهم ويعيشهم ولو كان فيما يصيدون من حيوان ، او يحرشون من ضب .

وأكثر هؤلاء من الذين انحازوا الى الشعبية الجائرة ، فجردوا العرب من كل مزية فكرية ، ولم يشتوا لهم من المواهب الا موهبة الشعر والخيال ، كالهائم التائه الذى يتعلق بالسراب والآل .

ومنهم الذين بعثهم الاستعمار رواداً له ، ومقدمات ثقافية بين يدي حملات صليبية أو استغلالية ، فكان أكبر همهم أن يصوروا العرب لأنفسهم أمة من القعدة العجزة الذين خلقوا ليقادوا ، ولا يصلح أمرهم الا بأن يساسوا .

وقليل أولئك الباحثون المنصفون الذين عرفوا فضل العرب ، وحاولوا ان ينفضوا عن تاريخهم ذلك الغبار الذرى المعنوى الخائق الذى نشره اعداؤهم وحسادهم ، ولكنهم كانوا فى كثير من الأحيان متحمسين أو ملقين للقول على عواهنه ، يدفعهم الحب لقومهم العرب على ان يتقبلوا كل ما يساق إليهم من ثناء عليهم ، وتصوير لبالغ عظمتهم .

ولذلك جاء بحث الأستاذ أمين مدنى هادفاً الى الحقيقة فى ذاتها ، لا يميل الى التعصب لأحد أو على أحد ، فنراه يقف وجهاً لوجه أمام الآراء المتصارعة ، ويناقشها فى

أسلوب العالم المنصف الذى لا سلطان لشيء عليه الا الحجة والمنطق ، فاذا هو كالدليل الماهر الذى يقود متبعيه الى الطريق المستقيم ، مانحاً اياهم الطمأنينة إليه ، بأسلوب فعلى مباشر دون طنطنة أو ادعاء .

وقد رأيت بعض الباحثين يستدل بآيات من القرآن الكريم على بعض ما يورد من قضايا وأحكام تاريخية ، ولكنه ينزلق الى الروايات التى تتصل بهذه الآيات ، فيعطيهما من الثقة ما يجعله يخرج عن النطاق القرآنى متوسعاً أو متضيقاً ، ومن حق القراء حين ذاك أن يتساءلوا : هل هذا المنهج مستقيم ؟

أما مؤلفنا « الأمين » فانه اذا عرض للاستدلال بآية من آيات الكتاب الكريم ، وقف عندها ، ولم يخرج عن نطاقها وما تدل عليه بنفسها ، فتراه يستوحى الحقائق ، ويستنبط الأنباء فى لباقة وحسن تناول ، وتراه يصدع بها مؤمناً بما تهدى اليه ، غير متشكك ولا متحير ، ولا مؤثر ما وراءها مما يعارضها أو يصادم حقائقها .

وبحثه عن « إرم ذات العماد » يتيح للقارىء مثالا واضحاً على منهجه فى دراسة تاريخها على ضوء ما جاء فى القرآن عن قوم عاد وفى حذر شديد مما أحاطته به الروايات التى اتصلت بذلك .

فهو ينقد ما أجاب به كعب الأحبار معاوية بن أبى سفيان حين سألته عن حقيقة ما يقوله ابن قلابة عن إرم ذات العماد ، ويبين ما فيه من ادعاء ظاهر ، ومن تظاهر بالعلم أمام معاوية ، ويزيف مارواه عن التوراة ، مبيناً أنه ليس فيها شيء عن شداد بن عاد ولا عن إرم ذات العماد . إلخ .

ثم يذكر حقيقة الأمر فى نطاق القرآن وآياته ودلالاته ، فيقرر حقاً أن قوم عاد برزوا فى الجزيرة ، وأنهم كانوا أصحاب قوة وبأس شديد ، اذا بطشوا بطشوا جبارين ، وأنهم كانوا أغنياء مترفين يبنون فى كل ريع آية ، وأن ذلك قد يشير الى أن نفوذهم امتد على كثير من ربوع البلاد العربية ، ولا يبعد معه أن يقيموا مدناً فى شمالى الحجاز ، وفى أطراف العراق ، وفى قلب اليمن ، وأن يضيفوا عليها مظاهر الأبهة .

ثم يعرض لبعض أقوال المؤرخين العرب الذين يفسرون العماد فى « ذات العماد » بأن المراد بها الأعمدة التى تحمل الخيام . وينقد هذا التفسير قائلاً : « إنه بعيد الاحتمال ،

فليس من المنطق أن يبنى قوم عاد قصوراً ضخمة لا يسكنونها ، إنما القريب من المنطق أن تكون العماد أعمدة القصور التي كان العاديون يبنونها ، فلقد أصبح من الحقائق التاريخية أن الأعمدة من فن البناء العربي القديم .

كما ينقد زعم الذين قالوا : إن إرم مدينة تدور في الأرض فتارة تكون في الشام ، وتارة في اليمن ، وتارة في الحجاز ، ويعتبره ضرباً من الخيال البليد أو الساذج ، ويقرر أن أصحابه قد اختلط عليهم الأمر دون أن يتنبهوا إلى ما جاء عن قوم عاد في القرآن الكريم : « أتنبون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، « ولو تنبهوا إلى ذلك ، وإلى الآثار المنتشرة في الجزيرة العربية منسوبة إلى عاد ، لقالوا إن لقوم عاد مدناً في الحجاز ، وفي الشام ، وفي اليمن ، بدلاً من قولهم : إن إرم ذات العماد تدور في الأرض فتكون تارة في الحجاز وتارة في الشام وتارة في اليمن ، وتارة في مصر ! » .

* * *

وللأستاذ مدني رأى في الخلاف الذي قام بين المؤرخين عن الترتيب الزمني بين معث هود وصالح وإبراهيم : فلا شك أن عاداً كانت قبل ثمود ، وأن نوحاً كان قبل هود ؛ فالقرآن الكريم نفسه يقول فيما رواه من قول هود لقومه : « وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة » ويقول فيما رواه من قول صالح لقومه : « وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض » .
فهذه حقيقة لا شك فيها .

ولكن ما موقع العهد الإبراهيمي من هاتين الرسالتين : رسالة هود إلى عاد ، ورسالة صالح إلى ثمود ؟ أهو بعدها أم قبلها ؟
يقول الأستاذ أمين مدني في الفصل الذي عقده عن « الأديان في جزيرة العرب قبل التاريخ » .

« إن المؤرخين الاسلاميين الذين يقولون ان العرب البائدة هم الذين سبقوا بنى إسماعيل ، وإن العرب البائدة هم الذين ورثوا الأرض بعد قوم نوح - عاد قوم هود ، وشمود قوم صالح - وإن عاداً وشمود ومن كان في عصرهم من دول وشعوب ، بادوا قبل هجرة إسماعيل ، يخالفون غيرهم الذين يقولون : إن إبراهيم رفع القواعد من البيت قبل أن

يستغيث وفد عاد عند البيت ، وقبل أن ينزل بعاد العذاب .

بهذا يصور الأستاذ أمين الخلاف بين الفريقين .

ونحن نعرف أن المشهور بين العلماء أن ابراهيم عليه السلام ، كان متأخراً عن كل من هود وصالح ، وقد جرت عادة القرآن بأن يذكر نوحاً ثم هوداً ثم صالحاً ثم لوطاً و ابراهيم .

ولكن الأستاذ أميناً يرجح الرأي المقابل ، ويستدل عليه بما ورد من دعاء وفد عاد عند البيت ، مع معرفتنا بأن الذى بنى البيت هو ابراهيم وابنه اسماعيل ، ثم يوفق توفيقاً طريفاً بين القولين فيقول .

« ونحن قبل أن نبدى ما ظهر من هذا الخلاف ، نلفت النظر إلى أن الإبادة ليس معناها الفناء الكامل في أيام معدودات ، وإلى أن في موضوع الإبادة بحثاً سيأتى في هذا الكتاب ، فلقد عاش الذين آمنوا من قوم هود ، والذين آمنوا من قوم صالح دهوراً طويلة مع أبناء عموماتهم العماليق والجرهميين وغيرهم من شعوب الطور العربى الأول الى ما بعد الميلاد .

إن قوم عاد و ثمود في وادى القرى شمالى الحجاز وفي اليمن ، والعماليق في مكة وفي شمالى الحجاز ، وفي فلسطين وسورية ، وجرهم في مكة وفي وادى القرى وشمالى اليمن - كل هذه أطلق عليها المؤرخون اسم العرب العاربة ، وكل هذه الأمم لم تنته حياتها السياسية ، ولم يتحطم كيائها القبل في فجر العصر الاسماعيلى ، وكل هذه الأمم عاشت طويلاً بعد إسماعيل ، بل هى عاشت الى ما قبل الميلاد .

فعلى ذلك لا نرى ثمة ما يوجب الخلاف : فقوم عاد الذين ورثوا الأرض بعد قوم نوح ، والذين زادهم الله في الخلق بسطة ، ومنحهم النعم التى ذكرها القرآن ، لهم تاريخ طويل في وادى القرى ، بل في كل أنحاء الجزيرة العربية .. وبعثة هود كانت في نهاية عاد الأولى حيث انتقل هود ومن آمن به الى الجنوب فورث الثموديون الأرض بعد قوم عاد .

فمن الممكن - مع هذا الاعتبار - الجمع بين القولين ، بأن قوم هود « عاد » هم الشعب الذى ساد بعد قوم نوح ، وأن هوداً بعث اليهم بعد ان هاجر إسماعيل الى مكة .. وعلى ذلك فان إبراهيم هو أول الأنبياء بعد نوح .. »

ومهما يكن رأى الأستاذ أمين مدنى ، فإنما هو اجتهاد من باحث تأمل طويلا ، وقرأ كثيرا ، ووازن بين المراجع التى قرأها ، واستنبط ما اهتدى اليه من ترجيح ، وهو من أجل ذلك رأى يستحق النظر وإن كان يقتضى مزيدا من التحقيق والتدليل حتى يصبح حكما قاطعا .

* * *

وهناك كثير من فصول الكتاب ومباحثه ، كان من الممكن أن نقف عنده ، ونبرز جهد الأستاذ أمين واجتهاده فيه :

هناك البحث الذى عقده لإثبات أن اللغة العربية هى الأصل للغات العالم العربى القديم ، هى الأصل للغات السامية التى تطورت مع الأوضاع فى العراق ، وفى سوريا ، وفى مصر ، وفى شمالى الحجاز وسواحله ، وفى اليمن ، وعمان ، والخليج العربى ، وأن هذا التطور أبعدا عن اللغة الأم المتمسكة بصفاتها الأصيلة فى قلب الجزيرة العربية ، تلك الصفات التى تظهر واضحة كلما بعدنا عن مناطق الاحتكاك بالعناصر غير العربية . وهناك البحوث التى عقدها عن تاريخ الخطوط التى دونت بها اللغة العربية وأبجديتها .

والبحوث التى عقدها لإثبات عراقية الشعر العربى كعراق لغته . ثم هناك البحث الممتع الرائع الذى عقده المؤلف لبيان معالم المجتمع العربى ، والدولة العربية ، فى قلب الجزيرة . والحديث عن صراع الأديان ، وأنه يؤلف جزءاً مهماً فى تاريخ الجنوب والشرق من شبه الجزيرة .

والحديث عن تاريخ العرب وحضارتهم فى وادى النيل ، وعن هذا التاريخ فى العراق ، وفى سورية ، وعن الهلال الخصيب فى التاريخ العربى .. الخ .. الخ . لقد كان من الممكن أن نقف عند هذا كله ، وعند كثير غيره ولقد قرأناه ، واستمتعنا بقراءته ، واستفدنا منه جديدا كثيرا .. ولكننا نؤثر أن نترك للقراء حقهم فى الاستمتاع بما استمتعنا به ، وفى أن يتدرجوا الى الحقائق مع الكتاب فصلا بعد فصل ، وبحثا بعد بحث ، وفى أن يحسوا بأنفسهم ، وبطريق مباشر بهذه الجهود الجبارة ، وبهذه النتائج

الرائعة التي حققها المؤلف الفاضل .
وإذا كان لنا أن نتوجه إلى المؤلف بكلمة تحية ، وتقدير ، فالتنا نؤثر أن نجعل هذه
التحية دعاء إلى الله جلت قدرته ، أن يجزيه أحسن الجزاء ، على ما بذل في سبيل أمته
وقوميته ، وأن يديم توفيقه ، ويبارك في حياته ، حتى تفوز المكتبة الإسلامية العتيدة
بالأجزاء الباقية من هذا البحث العظيم ، والله هو المستعان وهو ولي التوفيق .

محمد محمد المدني

الاستاذ بجامعة الأزهر

والعميد السابق لكلية الشريعة

القاهرة في : ٢٣ من رجب سنة ١٣٨٤ هـ (٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٦٤ م) ..

التاريخ ... بين الغموض والوضوح

رأى المؤرخ الكبير الأستاذ حبيب جاماتى
فى الجانب التاريخى

إنها مهمة صعبة حقا تلك التى باشر صديقى أمين مدنى الاضطلاع بها ، وإنه لعمل شاق ذلك الذى عاهد نفسه على إنجازه ، وأنجز بالفعل بعضه على أحسن ما يكون ، وإنها لخدمة قيمة يسديها إلى طلاب المعرفة فى دنيا العرب وخارجها ، وإنه لسفر جليل هذا الذى يضعه بين أيدي القراء ، بعد أن بذل فى إعدادة جهدا مرهقا ، يستحق من أجله التقدير والشكر والإعجاب ! فقد سد به فراغا فى المكتبة العربية ، وحقق به للمتقنين فى كل بلد أمنية عزيزة ، وأضاف به حلقة قيمة الى حلقات السلسلة التى صاغها الباحثون لاستكمال كتابة التاريخ العربى ، وتدوين التطورات التى مرّت بها جزيرة العرب ، وتسجيل المراحل التى تنقل فيها « العرب فى أحقاب التاريخ » .

والنهضة الحديثة ، التى تدفع فى تيارها الشعوب العربية والمستعربة ، من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا ، ومن البحر المتوسط شمالا الى سواحل المحيط الهندى وقلب القارة السمراء جنوبا ، هذه النهضة تتطلب ، من بين مستلزماتها الضرورية - الإلمام الكافى بالتاريخ العربى من جميع نواحيه ، وذلك بارتياذ مجاهله ، والغوص فى بحاره الشاسعة ، وطرق أبوابه كلها ، بغية استجلاء معمياته ، وتوضيح غوامضه ، وتبيان معالمه ، والافادة من عبره ودروسه !

فقد كان التاريخ ولا يزال ، بالنسبة إلى سالكى طريق المعرفة ، وإلى المتصدّرين لقيادة الوثبات القومية ، وإلى موجهى طلاب العلم فى شعاب دراساتهم المتعددة ، المعلم الأول ، والمرشد الصادق ، والناصح الأمين ، والينبوع المنعش المتدفّق الذى لا ينضب معينه ! وفى عبر الماضى ودروسه ما فيها من حوافز أو روادع ، يتأثر بها مسلك العاملين من أجل رفعة أوطانهم وإسعاد أقوامهم ، فى الحاضر والمستقبل .

والتاريخ العربى الفارق فى القدم ، غنىّ بحوادثه ، حافل بعظمائه مفعم بتلك العبر والدروس التى تتوق إليها الأمم الحية فى وثباتها وفوراتها ...

ولم يبعث فى مضمار البحث والتحقيق والتمحيص شك فى أن جزيرة العرب - شباها وقلها وجنوبها - منبت من منابت البشرية ، ومنبع من منابع الفكر ، ومصدر من مصادر اللغات والخطوط والعقائد . فعلى أرضها أنشئت من قديم الزمان دول وارتفعت عروش ، وفى كنفها عاشت أقوام وتجاورت تارة فى سلام وتارة فى خصام ، وتحت أجوائها ترعرعت حضارات وازدهرت مدنيت ، ومنها انطلقت غزوات وفتوحات ، وإليها اتجهت فتوحات وغزوات ...

ولكن ، إذا كان تاريخ جزيرة العرب واضح المعالم تماما منذ ظهور الدعوة المحمدية وانتشار الإسلام ، فان الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الأحقاب الأخرى . فمعالم التاريخ العربى يغشاها ظلال فى الفترة الممتدة من بدء التاريخ الميلادى إلى بدء التاريخ الهجرى . وتزداد الظلال كثافة فيتحول شيئا فشيئا ، فى الأجيال السابقة للميلاد ، إلى ظلام يصعب على الباحث بل يتعذر عليه أن يتبين من خلاله حقيقة الوقائع والحوادث .

تلك الأحقاب الغامضة من التاريخ ، والتى تمتد إلى ما قبل التاريخ ، هى التى يعالج أمين مدنى تطور الكيان العربى على مدار أجيالها ، فى هذا الجزء من المؤلف الضخم الشامل الذى يضعه عن « العرب فى أحقاب التاريخ » .

فمنذ البدء ، يواجه المؤلف أصعب ما فى المهمة الصعبة ، وأشق ما فى العمل الشاق !! فالمراجع التى يمكن الاعتماد عليها ، وإن تكن عديدة ، غير أنها متفاوتة القيمة ، متباينة متضاربة . واستطاعة الاعتماد عليها إما ضعيفة وإما محدودة ، وإما معدومة .

فما هى تلك المراجع ؟

- الكتب الدينية ، وأهمها التوراة والانجيل والقرآن ، وما نتج عنها من أحاديث وشروح وتعليقات .

- الخرافات والأساطير .

- النقوش المحفورة على الصخور وعلى بقايا الآثار القديمة ..

- الروايات المتداولة والقصص المتناقلة جيلا عن جيل والقصائد والأمثال .
- مؤلفات المؤرخين العرب ، الذين نقلوا ما سمعوه أو ما قرأوه ، أو ما رواه من قبلهم مؤلفون من غير العرب .
- أبحاث العلماء والمؤرخين والمستشرقين الغربيين ، الذين اعتمدوا من ناحيتهم على مراجع غير واضحة ، أو نقلوا بعضهم عن بعض .
- الآثار المكتوبة عند الشعوب غير العربية ، والتي قامت بينها وبين سكان جزيرة العرب علاقات وروابط ، من قديم الزمان إلى الآن .
- الأناشيد والأغاني والأهازيج وما جاء فيها عن أعمال البطولة عند الأقدمين .

ولا يوجد بين هذه المراجع كلها مرجع واحد يمكن الأخذ به قطعا ، والاعتماد عليه دون تحفظ ، واعتبار كل ما جاء فيه حقائق تاريخية أكيدة واقعة !

فهل كتب الدين كتب تاريخ ؟ وهل الناحية التوجيهية فيها ، والرموز والمواعظ والأمثال والحكم ، هل هذا كله قد جاء في تلك الكتب كدرس في التاريخ ؟ أو أن الحقيقة التاريخية فيه قد أهملت ، أو سُخِّرَتْ ، أو حُوِّرت في سبيل الهدف الدينى وحده ؟

والخرافات والأساطير ؟ هل كلها أوهام ، وكلها من نسج الخيال ؟ أو أنها كثيرا ما تكون خليطا من حقيقة وخيال ، وكما يقول المؤلف في نهاية مطافه : ليس التاريخ الأسطورى مجردا من كل حقيقة ، وليس التاريخ الحقيقى مجردا من كل أسطورة ؟

والنقوش والآثار الباقية في جزيرة العرب ، مما خلفه الأقدمون ، قليلة أو ناقصة أو مشوهة ، لا تتفق قيمتها العلمية والتاريخية مع ذلك الماضى السحيق الذى تضع معالمه في غياهب العصور السابقة للتاريخ !

والروايات والقصص والقصائد والأمثال ، كالأناشيد والأغاني والأهازيج ، كلها فيها أثر الحقيقة ، وكلها فيها أثر الخيال . فهى في الواقع تاريخ . وهى في الواقع أساطير .

بقيت المؤلفات المكتوبة ، القديم منها والحديث ، وهى في مجموعها لا تقبل على علائها ، ولا ترفض على علائها ، سواء أكانت لكتاب شرقيين أم لكتاب غربيين ، سواء

أكانت قديمة أم حديثة . فكل من تلك المؤلفات ذخيرة ثمينة من بعض الوجوه ، وكل منها موضع شك وريبة من وجوه أخرى .

وقد قامت بين المؤرخين الذين عالجوا تطور الجزيرة العربية منذ القدم ، مناقشات ، ومجادلات ، ومحاورات ، ملأت مجلدات يزداد عددها دائما مع الأعوام ! وما سبب ذلك غير الغموض الذى يكتنف حقب التاريخ الأولى ، بالنسبة إلى قيام الكيان العربى ، وما وقع من حوادث فى جزيرة العرب ، والتطور السياسى ، والقومى ، والاجتماعى ، والدينى . والتقافى ، الذى مرّت به الشعوب التى عاشت فى هذه البقعة المحدودة من بقاع الشرق .

آراء متعددة ، ووجهات نظر مختلفة ، واستنتاجات متعارضة ، وأحكام متفاوتة ، تعجّ بها مؤلفات المؤرخين الأجانب الذين عالجوا تاريخ جزيرة العرب بحيث يصعب على طالب الحقيقة أن يعثر عليها ، أو لا يعثر عليها إلا بعد جهد كبير ، بين دفتات المجلدات الضخمة التى تركها أشهر أولئك المؤرخين ، أمثال جومار ، وغستاف ليون ، وروكلو ، وكوسان دى برسفال ، ودفرجييه الفرنسيين - ونيبور وريشر الألمانين - وبورخارت السويسرى - ومانزوني الايطالى ، وغير هؤلاء ممن لا يتسع المجال هنا لسرد أسمائهم وأوصافهم .

وكثيرا ما يضطر القارىء إلى التساؤل ، وهو يطالع ما تركه الباحثون فى عالم التأليف : أين الحقيقة وأين الخطأ ؟ أين يبدأ التاريخ وأين تنتهى الأسطورة ؟ أين الفاصل بين الواقع والخيال ؟

والمؤرخ الذى يعالج اليوم ما عالج أولئك المؤرخون بالأمس ، لا ينجو من الاضطرار إلى مثل هذا التساؤل ، فى محاولته التفريق بين الخطأ والحقيقة ، والأسطورة والتاريخ ، والخيال والواقع !

وقد وجد أمين مدنى نفسه فى مثل هذا الموضع ، وهو يعود إلى المراجع التى ذكرناها ، ويتصفح الكتب ويتفحص الوثائق ، ويدوّن ويسجل ويقارن ، ثم يُقدّر ويزن ويخمن ويستنتج ، حتى يخرج من التجربة المثيرة برأى هو خلاصة ذلك كله : هو الحقيقة أو ما يقرب من الحقيقة حسب التفكير السليم المدعم بالأدلة والبراهين !

فقد حاول المؤلف أن يرفع الستار عن الغوامض ، ويمزّق النقاب عن الأسرار ، ويبدّد

الشك الحائم حول كثير من حوادث التاريخ العربى ، منذ أقدم العصور ، بطريقة تحليلية رائعة مبتكرة ، معتمدا على كل ما يتفق مع المعقول والمقبول ، من المراجع العديدة التى ذكرناها ووصفناها ، بما فيها من ميزات وعيوب . ولا يسعنا إلا الاعتراف له بأنه قام بمجهود غير عادى ، وتوصل إلى نتائج على جانب عظيم من الأهمية ، ووجه إلى تاريخ العرب فى حقباته الأولى ، أنوارا كاشفة بددت الظلمات عن كثير من وقائعه ، وبذل فى بلوغ هذا الهدف أقصى ما يمكن أن يتوفر لباحث مدقق من إمكانيات ومحاولات !

فمن الناحية التاريخية ، وفق أمين مدنى إلى إزالة الغموض عن طائفة من الحوادث والآراء ، والمعتقدات ، والأقوال المتناقضة ، بالنسبة الى تلك الحقب الأولى من كيان العروبة ، وجمع بين دفتى كتاب واحد ما لم يجمعه غيره قبله من مقارنات وموافقات ، بين ما قيل وما كتب وما نقل عن العرب ، منذ أن طاف ذكرهم على الألسنة .

هذا الكتاب قد وضع حلقات - كانت مفقودة من سلسلة الأبحاث التاريخية العربية - فى محلها ..

فى كل مكتبة عربية ، وفى كل معهد من معاهد العلم ، يجب أن يُعدّ مكان لهذا الكتاب : « العرب فى أحقاب التاريخ » .

وفق الله المؤلف إلى إعداد الأجزاء الآتية ، بقدر ما وفقه فى إنجاز هذا الجزء الأول ، الذى قلت ، وأكرر ، أن صديقى أمين مدنى يستحق من أجله التقدير والشكر والإعجاب !

القاهرة

حبيب جاماتى

توطئة

باسم الله أستعين ، وأصلى وأسلم على محمد وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، الذين حملوا رسالة الخير والحق والمبادئ البناءة ، فأشعلوا النور في ظلمات الماضي ، وخططوا الطريق المستقيم لكل أمة تريد أن تحمي وجودها في معركة الحياة التي بدأت منذ الأزل ، ومازالت واسعة المجال للذين كبرت نفوسهم فتطلعت آمالهم إلى ما وراء الأفق الكبير ، أفق دنيا هذا الانسان الذي خلقه الله ليتدبر خلق السموات والأرض - ربنا ما خلقت هذا باطلا !!

فياله من جهد جبار - جهد الإنسان الذي صعد بعقله من بطن الغاب إلى ما فوق أجواء الفضاء . وبها من مراحل طويلة ، مراحل تطوره وتجاربه من بداية عصره الحجري إلى عصره الذري الحافل بعظمة العقل البشري ومعجزاته .

وعظمة العقل الإنساني ومعجزاته اليوم لا تتحد جهود الماضين ، وماتكبدوه في سبيل التطور . فلتن أنزل الماضي ستاره على حياة أمم كان لها شأن في حضارات عفت بطول الزمن معالمها ، فلم تصل معارفنا إلى غير قليل تناقلت عنه الأجيال أنباء غامضة بعثت الإعجاب في المتقدمين فأطلقوا لتصوراتهم العنان ، وبعثت الشك والحذر في المتأخرين فتقيدوا بالظنون المترددة - إن تضحيات الإنسان القديم واضحة في هذا الشرق العربي .

أنا لا أنكر قيمة التحقيق المتأخر ، وما يفرضه الشك والحذر من حرص وتريث ، وفي الوقت نفسه أنا لا أعتقد أن بحوثنا التاريخية العربية القديمة كلها بحوث أسطورية تافهة لا وزن لها في معايير كتابة التاريخ في العصر الحاضر . فلو كنت أعتقد ذلك لما أقدمت على بذل ما استطعت في تتبع ما وصل إليه جهد رواد الباحثين عن تاريخ جزيرتنا الغالية الخالدة ، ولما أقدمت على تنقية ما جمعت من بطون مؤلفات التاريخ : الضخم منها والمختصر ، العربي منها والمغرب ، ومقابلة الظن الحديث بالرأى القديم ، وتحقيق ما أمكن تحقيقه من هذا وذاك .

ولما أقدمت على ترتيب ما انتقيته وقنعت به في هذا المؤلف « العرب في أحقاب التاريخ » الذى أضع الجزء الأول منه « التاريخ العربى وبدايته » بين يدى القراء ليطالعوا فيه ما يستحق المطالعة ، ولينقدوا منه ما يستحق النقد .

وكذلك أنا لا أعتقد أننى وفيت حق البحوث التى جمعتها وناقشتها على ضوء الأدلة التى حصلت عليها ، فأحداث الجزيرة أحداث تراكت عليها الدهور فطواها الغموض ، فهيهات أن يعرف ابن القرن العشرين بعد الميلاد كل شئ عن ابن القرن العشرين قبل الميلاد ؛ وأحداث الزمن : القديم منها والجديد ما فتئت ملونة بما اقتنع به المؤرخون ، أو بما فرض عليهم الاقتناع به .

فمن النادر جداً أن تجد عصراً من العصور مصوراً فى مؤلفات المؤرخين بريشة واحدة ، أو أن تجد حدثاً من الأحداث اتفقت كلمة المؤرخين فى تفسير أسرارها ، وتوحدت آراؤهم فى تعيين أسبابه ، فكيف بالباحث الذى اقتحم أغوار الماضى ليعرف شيئاً عن حياة العرب ، وحياة العرب واسعة الأطراف قديمة العهود ؟ وكيف بالباحث الذى يريد أن يعرف حقيقة التاريخ العربى الجاهلى ، والتاريخ العربى الجاهلى فى جزيرة العرب مشوش لاسياً أخبار أولئك الذين هاجروا بالقومية العربية إلى سهول الهلال الخصيب وجباله ، وإلى صحراء سيناء وضاف النيل ، فرسموا الحدود السياسية لشبه جزيرة العرب فملككت الأرض العربية على أثرهم دول عربية .

أجل ملكت الأرض العربية دول عربية عُرِفَتْ فى بحوث تاريخ العراق القديم بدول : « الكلدان » و « آشور » و « الحضر » ، وبدولة « اللخمين » . وعرفت فى تاريخ سورية بدول : « الكنعانيين » - « الفينيقيين » - و « العماليق » - جبايرة الشام - و « تدمر » ، وبدولة « الغساسنة » . وعرفت فى مصر بدولة : العماليق أو الهكسوس ، أو الشاسوا ، أو الرعاة - وعرفت فى شمال الحجاز ونجد : بدول « العاديين » و « الثموديين » و « المدنيين » و « اللحيانيين » و « طسم » و « جدیس » وعرفت فى مكة بدول : « جرهم الأولى - والعماليق » و « جرهم الثانية » و « خُزاعة » و « كنانة فقيش » . وعرفت فى الجنوب بدول « معين » و « قتيان » و « أوسان » و « سبأ » و « حمير » ، إلى غير هذه الدول مما سيأتى ذكرها فى الجزء الخاص بالتاريخ السياسى القديم .

والدول العربية الأولى التى قامت فى أنحاء الجزيرة العربية - لم تجد الطريق مفروشا بالزهور . بل كان عليها أن تضحي بالكثير فى سبيل وجودها . وكان عليها أن تناضل فى مختلف الميادين لتستطيع أن تحافظ على كيانها السياسى ، ويتاح لها أن تنشر عقائدها ، ولغاتها وحضارتها التى عرفت فى بحوث المستشرقين بالعقائد واللغات والحضارات السامية ..

الدول العربية فى جميع عصورها لم تسلم من خصوم ألداء حاquدين ناصبوا العداء للسافر ، ومن خصوم متقنعين يضمرون فى نفوسهم الحقد والكراهية والدس ، كانوا ومازالوا يحاولون إطفاء الشعلة العربية - الشعلة التى حملها العرب فأناروا السهل والجبال والأودية . - فمثلما اكتسحت دول شمالى الجزيرة غزوات الآريين فى الماضى والحاضر ، اندست بين الشعوب العربية عناصر يغيظها الانتصار العربى فلأنالو جهداً فى تشويه السمعة العربية والحط من مكانة العربى وجهاده ،

فلقد نغمت الشعوبية من الأمة العربية فى العراق ، فبذلت قصارى جهدها لتحطيم المجد العربى . ونغمت منها الشعوبية فى مصر فلم تدخر جهداً لوصم التاريخ العمليق بالبربرية الضارية وبكل صفاتها : دماراً ، وسفكاً ، وتخريباً .

فما أكثر ما جاء فى آثار الآشوريين عن انتصاراتهم على إمارات ودول عربية ، ولكنها مع كل مبالغاتها لم تستطع إخفاء مواقف جيوش العرب عبر العراق ، وفى سهول سورية ، وشمالى الحجاز ونجد ، وهى على جماها أمام جنود آشور الممتطين الجياد السريعة والمذججين بأحدث أسلحة ذلك العصر - عندما ذكرت انتصار الآشوريين - ولم تستطع إخفاء ثروة الدول العربية مما لا يتوافر وجوده إلا لدى الأمم المتمدينة - عندما ذكرت غنائم الجيوش الآشورية .

فالشعوبية فى العراق - ترجع فى رأى إلى العصر الآشورى - فمثلما تسلطت العناصر غير العربية على حكومة « بغداد » العباسية - كانت هناك عناصر غير عربية مُسلطة على حكومة « نينوى » الآشورية .

ثم جاء العهد الفارسى فى العراق . وأنانية الأكاسرة وعنجهيتهم واضحة فى أيام العرب

مع الفرس ، وفي مواقف « النعمان » وجدوده في مجالس « أنوشروان » وجدوده .
وكذلك دول الفراعنة في مصر لم تخل من العناصر غير العربية التي حصلت على
النفوذ والسيادة على وادى النيل ؛ فلقد حمل هؤلاء على « الهكسوس » - العماليق - وشوهوا
تاريخهم ، وأخفوا معالم حضارتهم ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يحوا من على أرض
النيل آثار العرب أو ينكروا انتشار أديان أرض الآلهة (جزيرة العرب) في وادى النيل ،
وتعبد المصريين للآلهة السامية ، أو ينكروا حاجة الفراعنة إلى بخور الجزيرة ومعادنها وكل
ما في أسواقها التجارية .

حقاً : لقد حملت التوراة على العماليق جبايرة سورية - ولكن ما هو الفرق بين
العماليق في فلسطين ، وبين القرشيين في مكة . أليس موقف العماليق في فلسطين من ذلك
الجمع الغفير الذى تبع موسى وجاء يريد القضاء على عقيدتهم وسلطانهم ، والتحكم في
أرضهم - هو موقف أقرب إلى المنطق من موقف قريش من الإسلام الذى سطع نوره من
« غار حراء » ودعا إليه من تعرف قريش صدقه
وأمانته واستقامته ؟ فهل كان القرشيون كلهم « أبا لهب » و « أبا جهل » و « النضر بن
الحارث » ؟ أولم يكن في قريش مثل : قصى بن كلاب ، وعبدالمطلب بن هشام ، وورقة
بن نوفل ؟

ولم يسلم التاريخ العربى من الدعاوى المغرضة فكانت الشعوبية في العصر
الإسلامى أكثر دسأً وتشويهاً لحقيقة التاريخ الجاهلى - فقد كان بين الشعوبيين علماء نابغون
وشعراء مجيدون ، اندسوا في صفوف العرب ودسوا في تاريخهم الشيء الكثير .
ولم تكن خصومة المسيحيين الذين أعلنوا الحرب الصليبية على العرب والإسلام بأقل
خطراً وأقل غرضاً من الشعوبية - فما فتئت كتابات المستشرقين عن الإسلام والتاريخ
العربى ، تسير وراء الدعاية التى شنتها القسطنطينية لإثارة الحماس الصليبي ضد العرب
والمسلمين .

وأخيراً الاستعمار الحديث - والاستعمار الحديث قام على حطام الحقائق فلم يدخر جهداً
في تبرير : الاستعمار ، والوصاية ، والانتداب . هذه الأنظمة التى تقنعت بها مطامع الغرب

فى الشرق . فبرز بها وجه الاستعمار بعد أن انجلى غبار الحروب التى شهدتها سورية ، والعراق ، ومصر ، والجزائر ، ومراكش ، وكل بلد عربى غلب على أمره ، ولم ينفعه وقوفه بجانب الحلفاء يبذل النفس والنفس .

فمن ذلك الماضى الغائم إلى هذا الحاضر الواضح ، وخصوم العرب من شعوبيين ومستعمرين - لم يبرحوا موقف التشهير بأبناء الجزيرة والحط من شأنهم .

أنا لأعتقد أننى وفيت بحوث هذا الكتاب « العرب فى أحقاب التاريخ » حقها إيضاحاً وتفصيلاً - وحقائق التاريخ العربى تغطيتها شكوك جمعتها أعاصير الدعاية المضللة ، وزادتها حلوكاً أساطير القصصين حتى خيل للكثير : أن الكلام عنها حديث خرافة .

فلولا ما جاء فى الكتب المنزلة ، ولولا ما جاء على الآثار المكتشفة ؛ لدفن تاريخ الجزيرة القديم إلى أبد الدهر - فالذين يؤمنون بالكتب المنزلة من السميع العليم ، لا يستطيعون أن يكذبوا بما جاء فيها من آيات بينات تدل على وجود أمم فى غابر هذه الجزيرة كانت تبنى فى كل ريع آية ، وكانت تنحت من الجبال بيوتاً ، وكانت إذا بطشت بطشت جبارة فتاكة ، وكانت السماء تمطرها مدراراً ، وكانت الأنهار تجرى فى أرضها فتمنحها الخصب والخير العميم - فعاش أبناؤها حيناً من الدهر فى جنات وارفة الظلال ، ونخل طلعتها هضيم . والذين اقتنعوا بالآثار الدفينة - لا يستطيعون أن ينكروا ذهب الجزيرة ، ونحاس الجزيرة ، وبخور الجزيرة ، وأسواق التجارة وقوافلها وطرقها فى الجزيرة ، ولا يستطيعون أن ينكروا آثار ثمود ، ومدين ، ومدن السبئيين ، والجرهميين ، والعنانيين ، وقصورهم المزخرفة بالذهب والفضة والأحجار الثمينة ، ولا يستطيعون أن ينكروا قدم البيت وطهره وقداسته منذ رفع إبراهيم قواعده وإسماعيل .

فما جمع فى هذا الكتاب من التاريخ الجاهلى القديم نقل أو اقتبس من عديد المؤلفات كلفنى جمعها فى خزانة خاصة جهداً متعباً ، وثمناً غالياً .

وما نقل فى هذا الكتاب عن التاريخ الجاهلى القديم نقل واضح المصدر المنقول عنه ، وواضحة نتيجته التى انتهى عندها البحث ، وواضحة أدلته التى انبنى عليها الاقتناع بما اعتمد عليه مما جاء فى مصادرنا العربية ، وما جاء فى تحقيقات المستشرقين . ولقد حرصت

على أن أقابل ماجاء في مؤلفات المستشرقين بما في مصادرنا العربية كلها وجدت لذلك سيلا .

والذى جمعته من مؤلفات المستشرقين هو المؤلفات العربىة . فمسؤولية ماوجدته فيها ترجع على العرب . ولأظن عربياً يجهل مسؤولية الترجمة ، أو لايقدر أمانة التعريب .

ولأقول : إن ماجمعته من مختلف المصادر وقابلته وحققته - يرسم صورة كاملة واضحة لعصور الجزيرة القديمة - وإنما هو في اعتقادى خطوط أولية ، وقد تجدد معلومات فى الغد تتم رسم الصورة وتظهر معالمها أكثر وضوحاً ، مثلما جددت معلومات لم يعرفها من مضى مع الأمس .

ولقد رأيت أن يقسم هذا الكتاب « العرب فى أحقاب التاريخ » إلى قسمين : القسم الأول - عصور ما قبل الإسلام - والقسم الثانى عصور ما بعد الإسلام . وبحمد الله قد انتهيت من تسويد القسم الأول مصنفأ فى خمسة أجزاء :

١ - الجزء الأول :

« التاريخ العربى وبدايته » وهو هذا الجزء الذى تم طبعه - وموضوعات هذا الجزء تجدها مفصلة فى بيانات بحوثه . ولقد بينت فى كل بحث الأسباب التى دعت للكلام عما جاء فيه - فالدين ، واللغة ، والخطوط ، والشعر ، والحضارة ، والنشاط الاقتصادى - كلها من علامات التاريخ ، فلا يمكن لأمة أن تبدأ تاريخها مالم تكن متمدينة ذات دين ومجتمع . فمتى بدأ التاريخ العربى ؟

٢ - الجزء الثانى :

« التاريخ العربى ومصادره »^(١) - وسيطبع قريباً إن شاء الله مع بقية الأجزاء . ومن موضوعاته : القصص ، والقصة ، والأمثال فى القرآن الكريم ، والتوراة وأخبارها ، والمصادر اليونانية ، ومن أين وصلت إليها أخبار العرب فى الجزيرة ؟ ومصادر التاريخ العربى فى العصر الجاهلى ، والآثار ، والمستشرقون ، وأقطاب التاريخ فى عصور ما بعد الإسلام .

(١) تم طبع الجزء الثانى - أو الحلقة الثانية - حيث أن كل حلقة من حلقات هذا المؤلف قائمة بذاتها - وقد تم طبع الجزء الثانى أو الحلقة الثانية فى مطابع دار المعارف عام ١٩٧١ م .

٣ - الجزء الثالث :

« التاريخ العربى وجغرافيته »^(١) ومن موضوعاته : حدود الجزيرة العربية . أقسام الجزيرة الطبيعية : الحجاز . نجد ، تهامة . اليمن . العروض . الهلال الخصيب . ومصر العملية - وهى : سيناء والصحراء الشرقية من مصر . عصور الجزيرة الجيولوجية . وكيف عرفت هذه الجزيرة باسم الجزيرة العربية ؟ وهل هنا فرق بين الاسمين : الجزيرة ، وشبه الجزيرة ، ومنها ثروات الجزيرة المعدنية والزراعية . وطرقها وثغورها التجارية - الى غير ذلك .

٤ - الجزء الرابع :

« التاريخ العربى وشعوبه » ومن موضوعاته : حقيقة أنساب القبائل العربية . والهجرات وعواملها . والأسماء التى جاءت فى المصادر الآشورية واليونانية . وكيف حملت القبائل العربية أكثر من اسم واحد . ومن هم الشعوب البائدة ؟ وما معنى الابداء ؟

٥ - الجزء الخامس :

« التاريخ العربى ودوله » ومن موضوعاته : دول الإرميين فى العراق ، وفى سورية . والعالمى فى مصر ، ودول قلب الجزيرة وجنوبها ، وصلات هذه الدول بعالم ذلك الزمن ، والحروب التى خاضتها الدول العربية ذوداً عن وطنها وحماية لمصالحها . وأنا عندما أذكر بعض موضوعات الأجزاء القادمة لا أقصد الاعلان عنها . وإنما

أذكرها مقدمة لايضاح الأسباب التى دفعتنى الى بذل هذا الجهد . إن لكل عمل - مهما كان بسيطاً أو خطيراً - دوافع وأسباباً . والدوافع لمناقشة هذه الموضوعات وتقديمها مصنفة فى هذه الأجزاء : كثيرة . فلقد كان من رحلاتى الى بعض الأقطار التى تعتر بتاريخها فى داخل المملكة السعودية وفى خارجها من البلاد العربية ، الى الهند وأوروبا وأمريكا خارج البلاد العربية - ما جعلنى أهتم بكل ما يقال عن ماضى الجزيرة العربية القديمة فى البحوث التاريخية . واهتمامى بما يقال عن الجزيرة جعلنى ألاحظ على المؤلفات الاسلامية ، عندما نتكلم عن الجاهلية والجاهليين : اتجاه أكثرها الى ناحية

(١) طبع هذا الجزء فى مطابع دار الكتاب سنة ١٩٧٦ م ويلاحظ أن أسماء الأجزاء التى تمّ طبعها بعد الطبعة الأولى لهذا الجزء الأول صححت اسماؤها هكذا التاريخ العربى ومصادره بدلا من مصادر التاريخ العربى والتاريخ العربى وجغرافيته بدلا من جغرافية الجزيرة العربية .

واحدة مما جاء في القرآن الكريم - ألا وهي ضلال قوم عاد وشمود ، والعذاب الذى حل بهم - واقتناع أكثرهم بما جاء في الأسفار عن العماليق جبابة الشام - فلقد شط بعضهم في حكمه على تلك الشعوب ، وفي فهمه تفسير ما جاء في القرآن الكريم - فظن : أن الله لم يبق من عاد وشمود باقية - وشط آخرون في وصفهم الحياة العربية من فجرها الى ظهور الاسلام - فتخيل العرب في تاريخهم الطويل ، وحوشاً مشردة في فيافي الجزيرة العربية .

ولقد لاحظت على المؤلفات العربية المتأخرة تعلقها بآراء المستشرقين فيما يخص التاريخ العربى القديم ومصادره التى ورثناها من بُحاثٍ كرسوا حياتهم في جمع الروايات وتسجيلها . فمن الباحثين المتأخرين من أخطأ في حكمه على أصدق المصادر العربية : القرآن الكريم - فقال عن القصص القرآنى ، كما قال المستشرقون : إنه قصص « بلغ من الأدب الرفيع مرتبة المعجزة - وهو ككل قصص لا يمكن أن يتضمن حقيقة تاريخية » - وما يقوله المستشرقون اليوم قاله بالأمس المكذبون من قريش : « إن هو إلا أساطير الأولين » وذلك كما نراه مفصلاً في الجزء الثانى : « التاريخ العربى ومصادره » .

والغريب في الأمر : أنك تجد الذين أعجبوا بالمنطق المستشرقى ، يعنون بشكوك المستشرقين أكثر مما يعنون برجعهم الى بعض الحقائق ، فقليل أولئك الذين اهتموا بما قاله « غوستاف ليبون » في كلامه عن حضارة العرب ، و« ديتلف نيلسن » في كتاب التاريخ العربى القديم وغيرها : عن المصادر العربية التى أظهرت صدق الكثير من أنبائها عن الجنوب العربى - البحوث الأثرية ؟

فعلى هذا النحو أهمل تاريخ قلب الجزيرة العربية في البحوث التى تعرضت للتاريخ

العربى القديم - فلم يعر الباحثون ما جاء في مصادرننا عن الماضى العربى كبير اهتمامهم - فضاعت بذلك حلقة هامة من حلقات التاريخ العربى القديم . وضياح هذه الحلقة الهامة سبب عدم ترابط تاريخ الجزيرة وتسلسل الأحداث العربية .

وعلى هذا أصبح جمع الأخبار المتناثرة في بطون المؤلفات ومقابلة الخبر القديم بالتحقيق الحديث ، والرواية العربية بالبحث المستشرقى ، والخروج بعد ذلك بنتائج تثير ، ولو بعض الشيء ، جوانب الماضى القديم - مهمة صعبة لا يغرى على تحملها الكسب المادى - وإنما

الذى يشجع عليها الواجب . واجب الذين ينتمون لهذه الجزيرة ، ويفخرون بمنعتها ، ويعتزون بماضيها ، ويعملون لمستقبلها ، واجب اولئك الذين رضوا بها وهى جرداء بلقع ، يعوى فى صحاريها الذئب وتصفر فى أوديتها الريح - حتى فجّر العلم من أعماقها ينابيع البترول ، وأخذت الأبحاث الجيولوجية تكتشف كنوزها المعدنية . فأشرقت شمس يوم جديد فى حياة الجزيرة الخالدة - الجزيرة التى أنجبت محمداً ﷺ وكفى به فخراً ، وعزة ، ومجداً .

إنه الواجب وحده هو الذى يشجع على تحمل هذا العبء الثقيل فى صبح هذا اليوم المشرق . فحرى بنا أن نعرف ماضيها لنقوم حاضرها ونبنى مستقبلنا - وحرى بتاريخنا ألا يكون قيد نظريات المستشرقين ووطنهم - نأخذه عنهم قضايا مسلماً بها دون الرجوع الى تراثنا - وحرى بتراثنا أن يحقق وينقى من الخيال الذى علق به - ومن مبالغات القدامى التى لا يقرها المنطق - فمن ذا الذى يصدق : أن الحميريين كانوا يعيشون مئات السنين ؟ ومن ذا الذى يصدق أن لقوم عاد أجساماً كالتى صورتها بعض الروايات العربية المتأثرة بالقصص الاسرائيلية والفارسية ؟

إن أحداث الجزيرة العربية لها شأنها الكبير فى تاريخ هذا الشرق وأمه من فجر الحياة - فلقد تحملت الجزيرة جزءاً كبيراً من مسؤولية التاريخ العربى منذ أذن إبراهيم بالحج بجانب البيت العتيق ، ولقد تحمل أبناء الجزيرة العبء جميعه ، منذ نزل القرآن بلسان عربى مبين - (وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً . أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس أسمعوا قولى وأعقلوه تعلمن : أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم - اللهم هل بلغت ؟)

أجل - لقد بلغ محمد ﷺ الرسالة وحمل المسلمين واجبها : فلا وثنية فى ربوع الجزيرة ، ولا صد عن البيت الحرام ، ولا طغيان ، ولا فساد ، ولا فرق بين عربى وأعجمى ، ولا فضل لهذا على ذاك إلا بإيمانه ، وتقواه ، وأدائه واجبه - وما أكبر واجب المسلمين نحو دينهم ونحو مجتمعهم ونحو تاريخهم .

وما أكبر ما قام به السلف الصالح من أبناء الجزيرة الذين حملوا الشعلة ، ودافعوا عنها . ورفعوا راية العدالة ، والحق ، والأخوة ، خفاقة عالية .

فما هذا المؤلف إلا دعوة عملية الى معرفة تاريخنا الكبير وكفاحنا الطويل الذى شهدته كل جزء من أجزاء عالمنا العربى الفخور بماضيه الجدير بما ينتظره فى مستقبله بفضل إيمان شعوبه وترباط دوله ، وخيرات بلاده .

وما هذا المؤلف على ما بذلت فيه من جهد غير دراسة أولية تنتظر من يوسع وما هذا المؤلف على ما بذلت فيه من جهد غير دراسة أولية تنتظر من يوسع نطاقها ويجد فى تحقيقاتها - ولعل الله يبعث همم المسؤولين عن تاريخنا فنتجه للبحث الأثرى فى أرجاء الحجاز ونجد ، مثلما اتجهت همم المسؤولين فى العراق ، وفى مصر ، وفى سوريا للبحث الأثرى .، فكانت تلك النتائج الضخمة التى زادت المعارف العربية . فلئن كانت الظروف القاسية التى مرت بقلب الجزيرة قد حالت فى الماضى بين المسؤولين وبين هذا الواجب العظيم - إن وضعنا اليوم أفضل من الأمس بكثير . فلدينا من الامكانيات ما يزيح العقبات عن طريق البحث والتنقيب .
والله أسأل أن يحقق الأمل الكبير .

أمين مكي

البحث الأول :

التاريخ ومعناه

من موضوعات البحث :

١ - كيف نشأ علم الفلك ؟ وأين نشأ ؟

٢ - كلمة (التاريخ) في الأصل معناها التوقيت ثم استعملت لتؤدى معنى تسجيل الأحداث .

٣ - تحديد الزمن من أعقد مشاكل التاريخ .

التأريخ ومعناه

التأريخ تعريف الوقت والتورخ مثله ^(١) وأصل اللفظ العربى (تأريخ) يرجع الى اصل سامى (ورخ) ^(٢) والتأريخ يعنى التوقيت فى المؤلفات العربية علم عرف من عهد إدريس عليه السلام ^(٣) . وإدريس فى التأريخ العربى ولد ببابل وانتقل إلى مصر ^(٤) ، قبل الطوفان بقرون طويلة .

١ - ودراسة الظواهر الفلكية فى مؤلفات اليونانيين علم تَمَخَصَّ عنه العقل الانسانى فى وادى الفرات . والعقل الانسانى فى وادى الفرات قال عنه (ديودوروس) و (هير ودوتس) و (سترابون) و (أرسطو) وكثير من فلاسفة اليونانيين ومؤرخيهم : [إن نمو العقل البشرى كان مترعرا كاملا فوق ضفاف الفرات قبل أن يولد ويظهر على ضفاف النيل] ^(٥) .

ففى سهول الفرات الفسيحة الأرجاء تطلع (الكلدانيون) - باستغراب ودهشة الى السماء الشديدة الزرقة تارة والموشاة بالسحب تارة أخرى ، وإلى الشمس التى تبرز من المشرق لتأفل فى المغرب ، وإلى النجوم البراقة ، وإلى القمر الذى يعود كما بدأ مثل العرجون القديم - وأخذوا يفكرون فى كل ذلك ، وأخذ التفكير يتطور من إعجاب ودهشة إلى تفهم ومعرفة . فكان مولد علم الفلك فى تلك المراصد الهرمية الصاعدة فى السماء بجانب القصور الملكية الكلدانية حيث قبع علماء (الكلدان) يدرسون الظواهر الفلكية من تلك المراصد ثم يرفعون نتيجة بحوثهم فى صورة تقارير للملك بابل .

ولقد وصل البحث والتنقيب إلى بعض تلك التقارير . ولقد استطاع خبراء الآثار

(١) اللسان مادة أرخ (٢) دائرة المعارف الاسلامية ٤ / ٤٧٣ (٣) قصص الأنبياء للنجار ص ٢٦

(٤) نفس المصدر ص ٢٥ (٥) حضارة بابل وأشور لغوستاف ليون ص ٥٢

قراءتها وقدموا لنا نماذج منها ، وهذه صورة من تلك التقارير : [في اليوم السابع والعشرين اختفى القمر ، ولقد ظللنا بعد ذلك إلى اليوم الثلاثين نبحث عن سبب اكتمهار الشمس من غير كسوف ، أما في اليوم الأول من الشهر (دوزو) يونيه فقد رأينا القمر يقطع السماء فوق (نابو) عطار الذي أرسلت إلى سيدى الملك فيما سلف خلاصة بحثى عنه ^(١) .

ويقول غوستاف ليون : [وما لا شك فيه أن الكلدانيين والإغريق من بعدهم يرتدون بأبحاثهم الفلكية إلى (٤٧٠,٠٠٠) عام قبل التاريخ ، ونحن لا يمكننا إلى الآن التسليم بهذا الرقم الخرافى . والتاريخ الوحيد الذى نعرفه يقينا هو تاريخ سرجون القديم الذى يرجع إلى سنة ٣٨٠٠ ق . م] ^(٢) .

فلقد كان البابليون يعلمون أن السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وربيع يوم ، ولكنهم فى أحوالهم المدنية كانوا يعمدون الى السنة المركبة من اثنى عشر شهرا قمريا حيث يكملونها فى أوقات ثابتة بشهر إضافي .

ومن بعد الشعب البابلي أخذت كل أمة تنظم توقيتها الزمنى مبتدئة تاريخها بأهم أحداثها . وما زال العرب داخل صحرائهم إلى ما فتى نجرة النبوة يؤرخون بأشهر الأحداث التى مرت بهم كعام الفيل وحرب الفجار .

وعلى أساس التوقيت البابلي أخذت الدراسات الفلكية تسير بعلم الفلك من مرحلة إلى أخرى حتى بلغت به إلى ما هو عليه اليوم وما زالت تسير فى طريق البحث والمعرفة .

٢ - ثم أصبحت كلمة (تاريخ) تعنى تسجيل الأحداث : سياسية واجتماعية واقتصادية إلى غير ذلك من نواحي الحياة البشرية ، وأصبحت المكتبات العلمية مليئة بالبحوث التاريخية التى عنى مؤلفوها بأحداث الزمن الطويل : تسجيلا ودراسة وتحقيقا ، فتقصى تسجيلهم ونقاشهم جوانب الحياة التى مرت بالإنسان منذ عهوده القديمة . ولقد حرص المتأخرون على ألا يتركوا خلفهم تراثا من المعلومات مشوشا مضطربا

(٢) نفس المصدر ص ٥٥ .

(١) بابل وأشور ص ٥٤ و ٥٥ .

كالتراث الذى ورثوه عن أسلافهم . وهذا هو التطور الذى يمثله اليوم :تحقيق التاريخ وتنقيته من الخرافة والمبالغة ومؤثرات ذوى النفوذ والسلطان ، وليت كل مؤرخ اليوم وغدا يقدر مسؤولية التاريخ ، فيحرص على أن يكون التاريخ الذى يقدمه للأجيال : سجلا سليما من تضليل الدعاية وتبرير الأغلاط والأغراض التى تسود عالمنا اليوم ، وبالذات العالم العربى الذى يتجاذبه التطرف والجمود .

فإن كان المؤرخ بمعناه المتداول بالأمس هو : المسجل للأحداث ، فقد أصبح اليوم المحقق الذى يهيم إبراز الأحداث على حقيقتها لا يشوبها الغرض والتهويز - وإن كان التاريخ بمعناه الكامل يعنى البحث فى مراحل الحياة التى اجتازتها عوالم هذه الأرض فى طريق تطورها ، وتحقيق الأحداث التى مرت بها الإنسانية عصرا بعد عصر ، فأقامت عوالم وأطاحت بآخرين ، وأنشأت حضارة على إثر حضارة ، فإن البحث فى الحياة البشرية وتطور الإنسان من عصره الحجري إلى عصره الذرى ، هو من أهم موضوعات التاريخ العام وأكثرها تعقداً ، وإذا كانت البلاد العربية التى تعددت مصادر تاريخها ، هى جزءاً من أرض الله الواسعة ، فإن هذا الجزء هو من أهم أجزاء الأرض وأقدمها تاريخاً وحضارة وأخطرها أحداثاً - ففيه أبنعت أولى حضارة الإنسان ، ومنه أشرقت المبادئ المصلحة التى كان لها الفضل فى تحديد الاتجاهات البشرية وتقويمها من بداية تطورها . وإذا كان هذا الجزء من الأرض فى عصرنا الحاضر مجالا واسعا للاقتصاد العالمى تخرع باب بحاره السفن التجارية ، ويصدر عن أرضه البترول ، فكذلك كان من قبل مجالا واسعا لاقتصاد عوالم العصور الغابرة تجوب فيافيه القوافل التجارية ، ويصدر من أرضه النحاس والذهب والبخور والأخشاب .

فبلاد هذه مكائنها المعنوية ، وهذه قيمتها الاقتصادية - لا بد أن يكون لها تاريخ حافل بكل ألوان الحياة وضروب الأحداث من أقدم الدهور . ولئن اختلفت أقوال المؤرخين فى بداية التاريخ العربى - فلقد اتفقت كلمتهم على تقسيم تاريخ العرب إلى قسمين : تاريخ أسطورى ، وتاريخ حقيقى . وإذا كان الخلاف

شمل قسماً كبيراً من التاريخ الحقيقى ، فإن الخلاف فى أنباء التاريخ الأسطورى أبعد مدى وأوسع مجالاً ولا سيما بعد أن تعددت مصادر التاريخ الأسطورى بما أظهره البحث عن الآثار وبما وصلت إليه دراسات علماء الجيولوجيا .

* * *

٣ - وإن من اعقد مسائل التاريخ الأسطورى تحديد الزمن ، فلقد كان التحديد الزمنى الذى يعتبر اليوم من أوليات المعلومات التى يعرفها الطفل الناشئ : من أصعب المسائل التى لم يصل إلى حلها الانسان إلا بعد جهد وطول تفكير . فلم يصل الانسان الى تحديد الزمن بهذه المواقيت التى تعين لنا الفواصل الزمنية بين الأجيال ، ونعرف بها كم مر من عمر الزمن الطويل ، الا بعد تفكير عميق وملاحظة دقيقة . فلم يصل الانسان إلى تحديد هذه المواقيت وتنظيم حسابها سنين وأشهر وأسابيع وساعات ودقائق وثوانى ، إلا بعد تجارب قامت على أساس نظريات تتبع التقلبات الجوية حسب مطالع الشمس ، وتتبع الشمس من مطلعها إلى مغربها ، وتتبع القمر كيف يبدو هلالاً ثم يعود كما بدأ . السنة الهجرية والسنة الميلادية يبلغ أحد عشر يوماً ، فقد يكون هناك فرق فى تحديد المواقيت بين الفلكيين فى عهد (حورابى) البابلى وبين الفلكيين فى عهد الإسكندر الأجيال والدول ، ومن الطبيعى أن يكون هناك اختلاف فى حساب المؤرخين يقل ويكثر تبعاً لاختلاف المقاييس التى يعتمد عليها كل واحد منهم . فنحن اليوم لا نزال نلمس فرقا بين التاريخ الإسلامى الهجرى وبين التاريخ المسيحى الميلادى - فإذا كان الفرق بين السنة الهجرية والسنة الميلادية يبلغ أحد عشر يوماً ، فقد يكون هناك فرق فى تحديد المواقيت بين الفلكيين فى عهد حورابى البابلى وبين الفلكيين فى عهد الإسكندر المقدونى . فإن تعدد التوقيت عند الكلدانيين حسب الأغراض التى حررت لها مواقيتها يرجح الظن فى وجود تفاوت فى تحديد الزمن عند الشعوب ^(١) .

لذلك فإن من لوازم البحث فى التاريخ العربى القديم إلقاء نظرة عابرة على عهود ما

(١) راجع فصل : دول ما قبل التاريخ فى الشرق العربى وسنو حكمهم ، فى هذا الجزء .

قبل التاريخ - لعلنا نعرف من أين بدأ التاريخ ؟ وكيف بدأ ؟ ومتى بدأ ؟ .

وعلى ذلك إن غلبنا أن نستعرض ما قيل عن آدم عليه السلام وعن خلفائه قبل الطوفان - فقد نجد فيما جمعه لنا المتقدمون ما ينير لنل بعضاً من جوانب ذلك الماضي المجللِ بالأساطير الخيالية ، ويكشف لنا شيئاً عن أممه وعصورهم . والله المستعان .



البحث الثانى :

بداية الإنسان، آدم وخلفاؤه

من موضوعات البحث :

- ١ - هل آدم أول من سكن الأرض ؟
- ٢ - أين هى جنة آدم ؟
- ٣ - حضارة ما قبل الطوفان فى المصادر العربية .
- ٤ - الآثار تؤكد حضارة ما قبل الطوفان .
- ٥ - اعتراف المستشرقين بقصة الطوفان .

بداية الإنسان، آدم وخلفاؤه

ليس من المستغرب أن تتباين الاستنتاجات في تاريخ غارق في القدم لم تتحدث عنه الكتب المقدسة إلا بقدر ما تدعو إليه الموعظة من حياة الأولين ، ولم تصل إلى كل آثاره معاول المنقبين التي ما زالت تبحث وتنقب .

١ - فمن الطبيعي : أن يختلف استنتاج الذين آمنوا بما جاء في الكتب المقدسة في بحوثهم عن بداية العالم الأرضي ، وهل كان آدم هو أول من سكن الأرض ؟ أو كان قبل آدم عالم يفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟ .. وفي الجنة التي هبط منها آدم بعد أن أكل هو وزوجه من الشجرة ليكونا ملكين أو يكونا من الخالدين : هل هي الفردوس الأرضي الذي لا خلد فيه ، ولذلك حرص آدم وزوجه على أن يأكلا من الشجرة ليكونا من الخالدين ؟ أم أنها جنة خلقها الله لآدم بين السماء والأرض حاولت الملكة الأسطورية (سميراميس)^(١) أن تضاهيها بجنتاتها المعلقة ؟ .. أو هي جنة الخلد قدر الله لآدم وزوجه ألا يخلدا فيها فأزلمها الشيطان ووسوست لها النفس فأكلا من الشجرة التي نهاها عنها ؟

٢ - لقد تفرقت الآراء بالباحثين فيما ورد عن آدم ، وزوجه ، وجنته ، فاعتق كل فريق رأياً من هذه الآراء التي مرت بنا . ولعل الذين يقولون بأن جنة آدم من جنات الدنيا : يفسرون الهبوط بأنه هبوط معنوي من الحياة الروحية الى الحياة المادية ، فبدت لها سواتها وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة^(٢) .

(١) يعتقد الكثير أن (سميراميس) وقصتها من نسج الخيال . ومن رأيي كما ترى في الفصول الآتية أن أكثر القصص التاريخية الخيالية لا بد أن يكون فيها شيء من الحقيقة - وقد بحثت في فصل القصص القرآني عن معنى الأساطير ، وأن الأساطير تؤدي معنى الخيال القصصي وتؤدي معنى ما سطر أي كتب .

(٢) راجع تفسير الطبري والنيسابوري وابن كثير في تفسير الآيات التي تحدثت عن آدم . فمن الذين يقولون : إن جنة آدم من جنات الدنيا : أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصفهاني . ويرى الأستاذ فريد وجدى أن الهبوط ليس معناه النزول من السماء الى الأرض ، ويستشهد بقوله تعالى (اهبطوا مصرأ) - دائرة المعارف مادة آدم - ولقد سردت دائرة المعارف الاسلامية ما قالته المصادر العربية والإسرائيلية وقالت أخيراً : وتتفق هذه الأخبار المختلفة مع ما ورد في القصص السريانية (مادة آدم .

ويرجح رأى الذين قالوا : إن جنة آدم هى من جنات الأرض التى حرم أهلها من الخلود ، حرص آدم على الأكل من الشجرة ليكون من الخالدين .

ومن الطبيعى : أن تختلف بحوث علماء الجيولوجيا ، ومحققى تاريخ الجنس البشرى ، تختلف نظرياتهم فى الانسان البدائى الذى لم يعرف كيف يستفيد من مواهبه الانسانية الا بعد مراحل طويلة وتجارب مريرة ، مثلما اختلف الذين آمنوا بالكتب المنزلة فى فهم ما جاء عن آدم ، وفى فهم ما وصل إليهم عن عالم ما قبل التاريخ . فلقد تفرقت النظريات المبنية على تطور العقلية والمعارف بهؤلاء كما تفرق الاجتهاد بمن سبقهم .

ولقد حاول البعض التوفيق بين آراء المفسرين والمؤرخين والجيولوجيين فقال : إن العالم الأرضى عندما أصبح صالحا لإنشاء الحضارة الانسانية خلق الله آدم خليفة فى الأرض يهذى الى الطريق القويم ، فافترض الملائكة فى آدم أن يكون كغيره من سكان الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء شأن الأقوياء فى الأدغال . فعلى ذلك إن آدم ليس هو أول من سكن الأرض بل هناك عوالم سبقتة إلى هذه الأرض لم يصل البحث إلى معرفة عنصرها ، فكل ما يعرف عنها : أنها ذات دماء تسفك ، وأن منها ذا خلق شرساً ظالماً شريراً .

٣ - ثم يأتى من بعد آدم وخلفاؤه قادة الانسانية الأولون ، وأبرزهم فى تاريخ الشرق الأدنى إدريس عليه السلام^(١) . ففى تاريخ إدريس تتوسع روايات المفسرين عن عصر إدريس والشريعة التى كان يدعوها ، وعن الحياة التى كان يعيشها ، وعن رحلته من بلاد ما بين النهرين - العراق - إلى بلاد النهر الكبير - مصر - فيروون قصصا عن العالم الذى عاش إدريس بين ظهرانیه ، وما وصل اليه من عمران يتمثل فى مائة وثلاثين مدينة أنشئت فى زمنه ، وما بلغه من ثقافة تتمثل فى اثنتين وسبعين لغة كانت أمم ما قبل الطوفان تتكلم بها^(٢) - من (بابليون) الى (بابل)^(٣) .

(١) إدريس هو تعريب (أخنوخ) الذى ذكر فى التوراة ويعزى اليه سفر لم تثبته الكنيسة الكاثوليكية بين الأسفار - راجع التاريخ السورى للدبس ١ / ٦١ (٢) بحثت دائرة المعارف الاسلامية فى الأقوال التى وردت عن إدريس والشكوك التى تحوم حول تلك الأقوال - راجع مادة إدريس (٣) بابل معناها النهر فى اللغة السريانية وبابليون اسم مركب فى السريانية من بابل النهر ويون الكبير أى النهر الكبير .

ويقول ياقوت الحموى : إن (نينوى) هى مدينة إدريس^(١) - وجاء فى تاريخ ابن خلدون : [وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ما وقع فى المصحف الكريم : وهو معروف بين الأئمة . واتفقوا على أن الأرض عمرت بنسله أجيالا بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل : (شيث)^(٢) و (إدريس) وملوك فى تلك الأجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل .. مثل الكلدانيين - ومعناه الموحدون ، ومثل السريانيين وهم المشركون . وزعموا أن أمم الصابئة منهم . وأنهم من ولد « صابئ بن ملك بن أخنوخ » إدريس - وكان نحلتهم فى الكواكب والقيام لها واستئزال روحانياتها . وأن من حزبهم الكلدانيين أى : الموحدين . وقد ألف (أبو إسحق الصابئ) الكاتب مقالة فى أنسابهم ونحلتهم . وذكر أخبارهم أيضا (داهر) مؤرخ السريانيين . و (البابا الصابئ) الحرانى - وذكروا استيلاءهم على العالم وجلا من نواميسهم وقد اندرسوا وانقطع أثرهم^(٣) .

٤ - ولقد أثبت البحث الأثرى الكثير مما اتفق عليه الأئمة ، واكد الكثير مما هو فى رأى ابن خلدون زعم لا أكثر ولا أقل - ففى كتاب قصة الحضارة بحث طريف يؤكد الأثريون فيه : أن أرض بابل حفلت بحضارة ذهبية فى عصور ما قبل الطوفان^(٤) . وكذلك مؤلف كتاب « بلاد ما بين النهرين » يؤكد : وجود حضارة قديمة فى العراق وسورية وشواطئ الخليج العربى ، وفى قلب الجزيرة - كما أكدها مؤلف كتاب قصة الحضارة . وسيأتى الكلام عن قدم الحضارة فى قلب البلاد العربية .

وكذلك أسهب الاخباريون وتحديث الأثريون فى قصة (نوح) عليه السلام وبحثوا عن عالم ما قبل الطوفان ، وعن مساكن قوم نوح على شواطئ الفرات ودجلة ، واختلاف سحن الذين كانوا يعيشون على سفوح الجبال عن سحن الذين كانوا يعيشون على ضفاف الأنهار ، وعما كان عليه قوم نوح من حضارة غالى بعضهم فى تقديرها فاستنتج مما قيل عن التنور وفورانه فقال إن : الانسان على عهد نوح استخدم السفن البخارية !!

(١) لم يأت ياقوت بدليل يثبت قوله ان نينوى مدينة إدريس . راجع المعجم (٢) اسم (شيث) معناه عطية الله (٣) راجع تاريخ ابن خلدون ١ / ٥ طبعة النهضة بمصر (٤) راجع الفصل الاول والثانى من الجزء الثانى من كتاب قصة الحضارة .

٥ - ثم تأتي قصة الطوفان . وقصة الطوفان بالأمس كانت كما يؤكد ابن خلدون غير معروفة في غير تاريخ الجزيرة العربية : [واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان بابل فقط]^(١) - أما اليوم فقصة الطوفان كما يؤكد (المطران الدبس) : تقول بها غالبية الأديان . فالهندوكيون يعتقدون : أن (مانو) هو نوح الذي نجت السمكة سفينته . والصينيون يعتقدون : أن (فحا) هو الذي نجا من الطوفان العظيم . ويعتقد الإيرانيون : أن (إيا) هو صاحب السفينة . وفي اعتقاد اليونانيين : أن (د كليون) هو نوح الذي لم يغرق في الطوفان^(٢) .

أجل ! لقد ظلت قصة الطوفان في رأى الكثير أسطورة من أساطير ما قبل التاريخ الخيالية إلى أن أخذت البحوث الجيولوجية من جهة والبحوث الأثرية من جهة أخرى تعترف بقصة الطوفان ، فأمن به أكثر من كان يساوره الشك فيه ، وانصرفت الأبحاث تهتم بما يقال عنه ، وهل هو أول طوفان سلطه الله على البشرية المتمردة ؟ أودهم البشرية أكثر من طوفان واحد ؟ فالبعض يتمسك بنظريات علماء الجيولوجيا التي تقول بأن طوفان نوح لم يكن أول طوفان منيت به البشرية ، والتي تستشهد بما وصل إليه التحقيق المبني على تحليل عظام حيوانات مائية عثر عليها في رؤوس الجبال ، وتؤكد : أن آثار طوفان وجدت في أمريكا .

والذى يهنا من قصة الطوفان في هذا البحث - هو : النتائج التي ترتبت على ذلك الطوفان ، فما لا شك فيه : أن طوفان نوح قد أثر بنوع خاص على البلاد العربية وقلب أوضاعها ، وأن عصر ما بعد الطوفان يعتبر بداية حياة جديدة استأنفها الانسان في البلاد العربية .

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٧ (٢) تاريخ سورية للدبس ١ / ٨٨ وراجع تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون ١ مجلد ٢ ص ٤٥ .

البحث الثالث :

قلب البلاد العربية المهد الأول للإنسان في حضارته

من موضوعات البحث :

- ١ - من هم شعوب الجزيرة العربية قبل الطوفان ؟
- ٢ - العنصرية لم تتبلور إلا بعد الطوفان .
- ٣ - الإنسان في قلب الجزيرة تجاوز الحياة البدائية من قبل الطوفان .
- ٤ - في قلب الجزيرة نشأت الحضارة الأولى .

قلب البلاد العربية المهد الأول للإنسان في حضارته

١ - تحدث المؤرخون القدامى عن عالم ما قبل الطوفان : عن بنى (شيث) وبنى (قابيل) وكيف اختلط العنصران ؟ وكيف كثر بنو قابيل فملكوا الأرض ؟ وكيف كفروا بأنعم الله فأغرقهم الله بالطوفان ؟ - وتحدث المؤرخون الذين جاءوا من بعدهم عن أنسابهم . ونقلوا ما قاله نسابو الفرس عن أجدادهم وأن آدم هو : (كيومرث) الذى إليه ينتهى نسب الفرس . وأن (أفريدون) الملك فى آبائهم هو : نوح ، وأنه بعث لازدهاق - وهو « الضحاك » فسلبه الملك وغلبه ^(١) . ونقلوا ما قاله نسابو العرب مما تجده مفصلاً فى الجزء الخاص بدول الجزيرة وشعوبها من هذه الموسوعة .

٢ - ويرى الطبرى : أن الجاهلية الأولى المعنية فى قوله تعالى : [ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى] هى : جاهلية ما قبل الطوفان . وجاهلية ما قبل الطوفان لم يعن بها غير قلة من المؤرخين لم تصل بهم بحوثهم القصيرة وتحقيقها المختصر فى أجناس قوم نوح ومن سبقهم - إلى غير اختلاف سحتهم ، وإلى أنهم من عنصرين شيشى وقابيلى . أما الأجناس البشرية فلم تحقق عنصريتها إلا بعد نوح . فبعد نوح عرفت السامية ، والحامية ، والآرية ، إلى غيرها من عناصر الشعوب . وفى الجزء الخاص بجغرافية البلاد العربية القديمة من هذا الكتاب - بحثان فى تاريخ كلمتى : عربى وسامى - الأول عن اسم العرب الذى عرفت به هذه الجزيرة أو شبه الجزيرة - والثانى : فى مدلول الكلمتين : سامى وعربى - وأنها اسم لأمة واحدة . وأن الفرق بينهما ينحصر فى هذه الحقيقة التى أثبتتها البحث هناك : أن كل سامى عربى بعنصره . وليس كل عربى سامياً بعنصره . حيث وجدت شعوب اعتبرت عربية بتقادم عهدها فى البلاد العربية . واختلاط دمائها بالعرب - فهى عربية جنساً لا عنصراً . وكذلك قد تكون شعوب عربية تجنست بغير

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٧

جنسيتها ، فأصبحت في عداد الأمم التي اختلطت بهم ، وأن السامية اصطلاح محدث أطلقه العالم (شلاستر سنة ١٧٨١ ب م) .

أما هنا فليس للبحث في كلمتي : السامية والعربية مكان .

٣ - ولقد ظلت الجاهلية الأولى - على رأى الطبرى - وحكايات ما قبل الطوفان في نظر محققى التاريخ القديم إلى منتصف القرن التاسع عشر - لا تعدو القصص الخيالية التى لا محل لها في دراسة التاريخ البشرى . ولقد ظلت أخبار ما قبل الطوفان مزاعم تحدث عنها ضعاف الإخباريين كما ألمح إلى ذلك ابن خلدون - إلى أن ظهرت في مجال البحوث التاريخية نتائج الكشف الأثرى ، ونظريات العلم الجيولوجى ، فأخذت كل من هذه وتلك تؤيد الكثير مما قاله المؤرخون المتقدمون من : يونانيين ، و فرس ، وإسرائيليين ، وعرب - عن عالم ما قبل الطوفان ، وتصحح كثيراً من الخيال الذى صور ذلك العالم خاضعاً للجن . فالجن كانوا في رأى أولئك المؤرخين يشاركون الإنس في كل شيء حفلت به الحياة . وأخذ محققو التاريخ منذ نهاية القرن التاسع عشر ينشرون الفينة بعد الفينة : بحثاً عن الماضى تتفق في أكثر من موضوع مع ما قاله المؤرخون السابقون . فلقد أثبتت البحوث التى عقدها « غوستاف ليبون » في كتابه « حضارة بابل وآشور » والبحوث التى عقدها « و . ل . ديورانت » في كتابه « قصة الحضارة » . والبحوث التى عقدها (ل . ديلا بورت) في كتابه « بلاد ما بين النهرين » أن سكان أرض الرافدين كانوا خليطاً من مجموعة عناصر لكل عنصر ملامحه التى تميزه عن غيره ، وأن من تلك الملامح ما يشبه سكان القوقاز ، ومنها ما يشبه سكان الخليج العربى . وهذا يشبه ما قاله المؤرخون العرب عن سكان العراق قبل الطوفان ، وعن اختلاف صور الجبلين عن صور السهليين - وعن الكلدانيين الموحدين والسرانيين المشركين وأنسابهم بعد الطوفان .

وكما بعدت أقوال أولئك المؤرخين القدامى بسكان العراق إلى ما قبل الطوفان ، إلى آدم وزوجه حواء وجنتها التى كانت بأرض بابل - في رأى البعض - وإلى أن أرض بابل هى وطن نوح كما يؤكد الكثيرون - كذلك تجاوزت ظنون هؤلاء المؤرخين المحدثين إلى عصور ما قبل الطوفان فمدوا تاريخ السوموريين إلى ما قبل الطوفان معتمدين على دراسة

(١) راجع موسوعة التاريخ العام ١ / ٥٣ وتاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢ .

الآثار التي ظهر عليها ما يشير إلى ملوك سوموريين يرجع تاريخهم إلى أسر ما قبل الطوفان . ولقد استل علماء الجيولوجيا بما وجدوه في أعماق أرض بابل من مخلفات العصور السحيقة ، على وجود حضارة قامت قبل الطوفان اعتبرت العصر الذهبي لتلك البلاد^(١) . وهذا يشبه ما قاله المؤرخون الإسلاميون عن مدن إدريس وحضارة قوم إدريس ، وإذا كانت البحوث الأثرية والبحوث الجيولوجية المتأخرة قد أثبتت حضارة في بابل قبل الطوفان ، وأثبتت حضارة في مصر قبل الميلاد بأكثر من أربعة آلاف عام ، فإن القرآن الكريم أشار إلى تلك الحضارة فيما قصه علينا عن عقلية قوم نوح ، وجدلهم الذي لا يصدر إلا عن فهم تجاوز طور السذاجة الفطرية والحياة البدائية ، ألزم أن يفكر في خلق السموات والأرض .

وفما قصه علينا عن حياة قوم نوح الذين استخدموا الحيوانات ، وطحنوا القمح وعجنوه وخبزوه في التنور .

[ألم تروا كيف خلق الله سبعَ سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً . وجعل الشمس سراجاً . والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يُعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً . والله جعل لكم الأرض بساطاً . لتسلكوا منها سُبُلًا فجاجاً]^(٢) .

٤ - وإذا كنا نجد في بحوث الأثرين ما يؤكد حضارة العراق ومصر في عصور ما قبل الطوفان - فإننا نجد كذلك بحوثاً تؤكد : أن قلب البلاد العربية وجنوبها كانا أسبق إلى الحضارة من العراق ومصر . فلقد أكد (شوينفرت) أن زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب وبلاد اليمن ومنها انتشرت إلى الفرات والنيل^(٣) . واستنبات الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة هي الخطوة الأولى في طريق الحضارة . ويقول « ديورانت »^(٤) : إن السوموريين كانوا يستوردون النحاس والأخشاب من البلاد العربية من اقدم العصور . واستخراج النحاس

(١) قصة الحضارة ص ١٦ / ٢ (٢) سورة نوح آية ١٥ وما بعدها . (٣) قصة الحضارة لمؤلفه (و . ل . ديورانت ٢ / ٤٣) (٤) يعرف الدكتور حسين مؤنس في هامش كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٥٧ : السوموريين بأنهم جس هندي أوروبي أقبل من قلب آسيا . والكثير غير الدكتور حسين مؤنس يرون : أن السوموريين هم أنفسهم لا يعرفون شيئا عن اصلهم ولا عن وطنهم الأول لأن انتقالهم من وطنهم الأول إلى العراق استغرق أجيالا طويلة أنستهم وطنهم وكل صلوة به .

من بطن الأرض ، والاتجار بالأخشاب لم يصل إليها الانسان إلا بعد عمر طويل قضاء في الحضارة .

وإذا كنا نرى المؤرخين اليوم : يذكرون بكثير من الاهتمام ما يقال عن القارة التي تنام في قاع المحيط الأطلسي من آيسلندا شمالا إلى القطب الجنوبي ، ويتخذون منه دليلا على المدينيات المفقودة ، فيبعثون من جديد نظرية أفلاطون التي تتحدث عن قارة محاطة بالماء بين أوروبا وآسيا ضاعت بين عشية وضحاها - فإننا نرى المؤرخين اليوم يذكرون كذلك بكثير من الاهتمام ما يقال عن أنهار قلب الجزيرة التي كانت تنساب في هذه الأودية الماحلة فتجعل منها مصدر خير وبركة - ويبعثون من جديد أقوال المؤرخين العرب الذين تحدثوا عن خصب الحجاز فقالوا : كان أكثر بلاد الله أشجارا وماء .

وإذا كنا نرى البحوث العلمية : قد أخذت طابع الجدية عندما تتكلم عن مدينيات ما قبل التاريخ في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر - فما نحن أولاء نرى كثيرا من البحوث الجدية تناولت التاريخ القديم في جنوب الجزيرة وشرقيها مستضيئة بما كشفتته حفريات الأثريين في اليمن ، وما عثر عليه الرواد في « نجد » و « العروض »^(١) من آثار الانسان في عصره الحجري ، وما عثروا عليه في « عمان » من آثار الحضارة في العصر النحاسي ، وما عثروا عليه في « وادي القرى » من آثار القصور التي شيدها قوم عاد في كل ريع ، ونحتها قوم ثمود في بطون الجبال في عصور النحت والبناء . فلقد جاء في كتاب روح الحضارة العربية : (أن اكتشاف « دوثي » بعض الأدوات المتخلفة من العصر الحجري الجديد في أقصى شمالي بلاد العرب . واكتشاف « برترام توبس » لأخرى غيرها من ذلك العصر نفسه في الجنوب - يدل على أن وجود الانسان ببلاد العرب منذ عهد متقدم جداً . وإن كان لا يعلم حتى الآن متى وجد ؟ وما مقدار المساحة التي استوطنتها ؟ وما هو نوع

حسين مؤنس يرون : أن السوموريين هم أنفسهم لا يعرفون شيئا عن اصلهم ولا عن وطنهم الأول لأن انتقالهم من وطنهم الأول إلى العراق استغرق أجيالا طويلة أنستهم وطنهم وكل صلة به .

(١) العروض الأرض الممتدة على الخليج العربي مثل تهامة الممتدة على البحر الأحمر . راجع الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة العربية القديمة من هذا الكتاب .

الحضارة التى أنشأها ؟ (١) .

ولا ينفرد « دوثى » و « برترام توبس » بهذه النتيجة التى تثبت : أن الإنسان عاش فى « نجد » وفى غير نجد من شبه الجزيرة منذ العصور الحجرية ، وأنه أشعل قبس الحضارة عندما كان الحجاز أكثر بلاد الله أشجاراً ، وعندما كانت الأنهار تُروى صحاريها فى تلك الأزمنة الجليدية التى جثم الجليد فيها على جنوبى أوروبا ، وعلى شمال الشرق الأدنى (٢) . فهناك من يقول : إن العربى فى قلب الجزيرة وجنوبها - كان السابق لأستببات الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة ، كما كان السابق لعبادة الله فى جوار بيت الله . فأرض الجزيرة هى بلاد الآلهة كما كان يقول قدماء المصريين . ومكة : أقدم معبد وأشرفه كما كان يؤكد قدامى اليونانيين من قبل الميلاد . ومن ارض الجزيرة كان يصدر النحاس ، والذهب ، والخشب ، والبخور - كما يؤكد ذلك الأثريون حديثاً وقدامى ، والمستشرقون خصوصاً للعرب والأديان وأصدقاء لهم ولها .

إذا كنا نرى كل ذلك ونسمعه فما الذى يدعونا لأن نتجاهل خصب الجزيرة العربية وثروتها الزراعية التى حدثنا عنها القرآن الكريم (٣) .

[ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا الساء عليهم مذراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين] .

وما لنا نذهب مع الشكوك فلا نذكر من تاريخ الجزيرة العربية القديم غير الجانب القاحل الفارق فى الجهل والفقر والوحشية ؟ .

إذا كنا نرى كل ذلك ونسمعه فما الذى يدعونا لأن نتجاهل حضارة البلاد العربية ، ونكذب ما قاله المؤرخون العرب عن ثروة الجزيرة وحضارتها ودولها ذات الأهمية والسلطان الكبير (٤) . ولا نكثر بما قيل عن البيت الحرام ، وعن قوم هود ، وقوم صالح ، وأصحاب

(١) روح الحضارة لمؤلفه - شيدر - ص ١٢٧ و ١٢٨ .

(٢) اراجع البحث فى حضارة قلب الجزيرة بعنوان : « معالم الدولة والمجتمع » فى هذا الجزء من هذا الكتاب .

(٣) سورة الأنعام : ٦ .

(٤) اراجع الجزء الخاص بدول شبه الجزيرة العربية وسياستها من هذا الكتاب .

مدين ، وما قيل عن إدريس ومن عاش في عصره ، ولا نهتم بما يقوله المؤرخون المتأخرون عن أسبقية قلب الجزيرة وجنوبها إلى زراعة الحبوب وتربية المواشى في قلب الجزيرة وجنوبها ، وعن قدم التعددين في عُمان وفي اليمامة ، وقدم الأسواق التجارية في كثير من البلدان العربية ؟ .

لماذا لا نأخذ بشيء من الاعتبار روايات المؤرخين الذين يقولون : إن آدم وضع أساس البيت الحرام ، وإن خلفاءه من بعده رفعوا على ذلك الأساس البناء . ويقولون : إن آدم سكن مكة وعبد الله عند بيته الحرام ؟ .. فمن هؤلاء الذين يقولون بذلك ؟ ابن عباس . ومن الذين أثبتوا هذه الروايات ؟ ابن جرير الطبرى^(١) . فآدم الذى علمه الله الأسماء كلها لا أظنه يجهل الوادى الذى اختاره الله لبيته ، ولا أظنه يفضل عليه واديا على وجه هذه الغبراء فيتخذها وطناً له .

فنحن إذا ما ربطنا ما جاء في كتاب قصة الحضارة عن سكان قلب الجزيرة وجنوبها ، وأنهم سبقوا سكان الوادين الفرات والنيل في استنبات الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة^(٢) - بما جاء في تفسير الطبرى : أن آدم أمر بحرث الأرض لاستنبات الحبوب^(٣) ، يطالعنا شيء من الحقائق المبنية عليها روايات المؤرخين القدامى .

ونحن وقد اخذنا بقول الذين يؤكدون : أن أرض الحجاز ونجد كانت في العصور الثلجية أطيب مناخا من الأرض التى تغطيها الثلوج ، ومن الأرض التى تجاورها جبال الثلوج - لا نستكثر على قلب الجزيرة الأسبقية إلى الحضارة . وإذا كان مؤلفو تاريخنا لم يقدموا الأدلة المادية التى تثبت شكهم وريبتهم . بل هم على العكس قد اعترفوا بخطئهم في كثير من شكوكهم . ولقد قال (ديتلف نيلسن) : (ولولا هذه الآثار ما استطعنا إدراك كنه ما جاءنا في المصادر العربية وما يحدثنا به العرب عن اليمن وحكامها ، أبراجها وقصورها)^(٤) .

(١) تاريخ الطبرى ١ / ٨٨ وتاريخ الاعلام باعلام البيت الحرام ص ٣٤ .

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٤٣ .

(٣) تفسير الطبرى ٨ / ٤٢ .

(٤) التاريخ العربى القديم ص ٣٠ .

والذين كانوا لا يصدقون بما جاء في القرآن الكريم عن عاد وثمود - لأن عاداً وثمود لم يذكر في التوراة ، ولم يذكر في المصادر اليونانية - عادوا أخيراً مصدقين بوجود قوم عاد وقوم ثمود وبحضاراتهم ، ومؤكدين باقتناع : أن وادي القرى واليامة وسواحل الخليج العربي قد كان كل بلد من هذه الأرض يزعم بحضارات قديمة كان بعضها في طليعة حضارات الماضي البعيد ، وأن بناء هذه الحضارة التي زهت في عصور ما بعد الطوفان هم الإرميون ، والعاليق ، والكنعانيون ، فهذه الشعوب هي التي أنشأت حضارات الساميين في العراق وفي سورية ولبنان وفي مصر . ولقد أكد مؤلف كتاب مصر من أقدم العصور^(١) : أن أول هجرة للساميين الذين جاءوا من البلاد العربية وانتشروا في أرض النيل شاليها وشرقيها - الدلتا والصحراء العربية - ونشروا اللغة السامية - كانت قبل التاريخ : [أما تاريخ الهجرة السامية الأولى فيرجع بلا مرأى إلى ما قبل العصور التاريخية المعروفة]^(٢) .

فمحال أن تكون تلك النقوش وذلك النحت الثمودي في مدائن صالح - أثراً لحضارة حديثة العهد بالنسبة لحضارات الماضي القديم . إن ذلك النحت دليل مادي يشهد بآثار حضارة قديمة بدأت من أقدم العصور السامية ، كما يسميها المستشرقون ، بدأت من عصر (عاد) التي ورثت الأرض بعد قوم نوح والتي شيدت في كل ربع آية .

وليس خطأ في اعتقادي : أن يصدق الباحثون بما يقال عن الإنسان العربي وسبقه للحضارة في هذه الجزيرة العربية التي كانت في العصور الجليدية تتمتع بمناخ معتدل خصب . وإنما الخطأ أن تتسلط على أفكارنا الشعوبية فتشوه لنا الصورة الرائعة التي تمثل الجزيرة العربية في عصور الأنهار الجارية والمطر المdrار .
فما أضخم تراثنا القديم وما أقل الذي نعرفه عنه .

(١) مصر من أقدم العصور ص ١٨

(٢) لقد أثبت المحققون : أن الساميين هم العرب ، وأن الساميين جميعهم انتقلوا من قلب الجزيرة العربية إلى أطرافها وإلى شرق أفريقية - الحبشة وما حوّلها - وفي بحوث هذا الجزء الأدلة التي تظهر هذه الحقيقة التي اعترف بها المستشرقون واقتنع بها كتاب التاريخ القديم في القرن العشرين الميلادي مثل جرجي زيدان وفيليب حتى وجواد على وغيرهم .

البحث الرابع :

دول ما قبل النابخ في الشرق العربي وسنوحكمها

من موضوعات البحث :

- ١ - كيف تأسست الدولة ؟
- ٢ - سنو ما قبل التاريخ في تقدير الكلدانيين أصح من تقديرها في المصادر الإسرائيلية .
- ٣ - عدد السنين في جداول النصوص القديمة لا يعنى الملوك وإنما يعنى الدول .
- ٤ - المجتمع العربي في قلب الجزيرة عرف الدولة من قبل التاريخ .

دول ما قبل النابح في الشرق العربي وسنوحكمها

١ - من المتفق عليه : أن الدولة فكرة سارت في طريق النشوء والارتقاء - بدأت باعتراف الأسرة بسلطة ربها الذي يعتبر أقوى أعضائها والمسؤول الأول عن حمايتها وعن تأمين ضرورياتها . ثم سارت خطوة أخرى فتضافر أرباب الأسر على دفع المخاطر عنهم . وتعاونوا على حل ما يقابلهم من مشاكل ، فبدأ بذلك عهد الجماعة الذي ما لبث أن تدرج إلى العرف القبلي - ولئن كفل العرف القبلي حقوق الفرد بعض الشيء فلقد عجز عن أن يحد من نزوات الأقوياء ، فتطور العرف إلى نظام ، وتطور الزعيم إلى ملك .

٢ - وفي الملخص التاريخي الذي نظمته (ل . ديلا بورت) في كتابه « بلاد ما بين النهرين » لتاريخ بابل قدر « ل . ديلا بورت » المدة التي استغرقها الإنسان في طريقه من الانفرادية إلى الدولة بنحو (٢٢٣,٢٠٠) سنة عنوانها بزمن الفوضى . ثم اضاف إليها نقلا عن (بروسوس) المؤرخ الكلداني الذي تحدث عن دول ما قبل التاريخ (٤٣٢,٠٠٠) سنة وضعها أمام عشرة ملوك حكموا قبل الطوفان . وحدد بعد الطوفان أزمته للأسر التي حكمت في (أكدا) و (سومير) و (عيلام) و (كيش) و (الفرات الأوسط) و (أورك) وقال عن هذه الدول : إنها تسمى أسر التاريخ الأسطوري . ووضع لكل دولة عددا من السنين ما عدا أسرتين : واحدة من دول كيش ، والأخرى من دول أورك - فكان مجموع السنين (٢٤,٨٢٤) ومن هذه الدول : أسرة لم تتجاوز سنوها أكثر من سبعة أعوام ، ومنها : أسرة بلغ عدد سني حكمها ٣٧٩٢ عاماً . وفي الاضافات والتصحيحات المذيل بها كتاب « ما بين النهرين » بحث عن وثيقتين محفوظتين في متحف (الأشموليان) توضح كل وثيقة اسم كل ملك من الملوك الذين حكموا قبل الطوفان . ومدة كل واحد منهم . ففي إحدى الوثيقتين ذكرت أسماء عشرة ملوك حكموا في ست مدن خلال مدة قدرها (٤٥٦,٠٠٠) سنة . وفي الوثيقة الثانية ذكر ثمانية ملوك حكموا في خمس

مدن ولم يتعد المجموع الاجمالى لسنى حكم الملوك الثمانية أكثر من (٢٤١,٢٠٠)^(١) ونظم جرجى زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام : جدولا بسنى الملوك العشرة الذين حكموا قبل الطوفان . وبسنى الدول التى سبقت العصر التاريخى حسب الرواية المنقولة عن (بروسوس) التى نقل عنها (ل . ديلا بورت) حسبما تقدم . وعلق جرجى على ذلك الجدول الذى نظمته نقلا عن بروسوس قائلا : إن رواية بروسوس كانت موضع نقد المؤرخين لما فيها من مبالغات عن عصور ما قبل الطوفان ، وإن ما يقال عن الدول التى سبقت دولة (مady) يعتبر خرافة^(٢) .

ودولة « مady » فى جدول جرجى زيدان تأتى بعد دول ما قبل الطوفان التى بلغ عدد ملوكها عشرة ملوك ، وبلغت مدة حكمها (٤٣٢,٠٠٠) . وبعد الدول التى قامت بعد الطوفان والتى يبلغ عدد ملوكها (٨٦) ملكاً وتبلغ مدة حكمها (٣٤٠٨٠) سنة . ودولة مady فى جدول جرجى زيدان سبقت دولة الكلدان بقرون ظهرت فى خلالها دول ضاعت أرقامها كما يقول جرجى زيدان . ودولة مady فى جدول جرجى زيدان حكمت ٢٢٤ سنة . وتأتى بعد دولة مady - دول أخرى قال عنها جرجى زيدان : لم يعرف عدد سنيها - ثم تأتى دولة الكلدان - وعدد سنى حكمها : ٤٥٨ - ثم تأتى دولة العرب - الحمورابية .

إن ما جاء فى كتاب بلاد ما بين النهرين ، وإن ما جاء فى كتاب العرب قبل الاسلام عن بروسوس وروايته ، وما جاء فى وثيقتى الأشمولىان - يلزمنا أن نقف قليلا عند رواية بروسوس التى تتفق كثيراً مع وثيقتى الاشموليان وما جاء فيها عن عدد السنين والملوك . فأولاً : إن بروسوس الذى توفى سنة ٣٠٠ ق . م . لم يكن أول مؤرخ عرفناه . فلقد سبقه (هيرودوتس) الذى توفى سنة ٤٠٦ ق . م . والذى عرف بأنه أبو التاريخ . و (ثيوفراست) الذى توفى سنة ٣١٢ ق . م . وإن بروسوس الذى عاصر الاسكندر - كان عالماً باللغة اليونانية فهو قد نقل تاريخ بلاده إليها . وإن بروسوس العليم باللغة اليونانية

(١) راجع كتاب بلاد ما بين النهرين ص ٧٢ ، ٢٣ والاضافات والتصحيحات المذيل بها الكتاب .

(٢) العرب قبل الاسلام لجرجى زيدان ص ٥٢ .

كانت له صلة بملوك ذلك العهد ، وكان معتزاً بتاريخه فهو في رأيه يستحق أن يكون هدية تُقدَّم إلى (أنطيوخوس) ملك سورية .

ومن المحتمل : أن بروسوس لم يعتمد على ما جاء في التوراة عن عالم ما قبل التاريخ . بل كانت لديه مصادر أخرى لم نعرف عنها شيئاً لأن كتابه قد ضاع ، فما عرف عنه عرف من نصوص نقلها عنه المؤرخون في القرن الأول قبل الميلاد . فلعل من مصادره مؤرخين سبقوه وآثاراً كانت بارزة في عهده . فما جاء به بروسوس عن سنى الدول يختلف عما جاء في التوراة عن عمر الإنسان في هذه الأرض .

ولقد تحمس الذين تمسكوا بالرواية الاسرائيلية التي تقول : إن عدد السنين التي تفصل بين آدم ونوح لا يزيد على بضعة وعشرين قرناً - وحاول بعضهم التوفيق بين رواية بروسوس ، وبين ما جاء في الأسفار - ومن هؤلاء : المطران الدبس الذي قال في كتابه تاريخ سورية : إن التقويم الزمني عند الكلدانيين كان على قاعدتين : ١ - حساب فلكي ٢ - حساب مدني . وإن الوحدة الزمنية عند الكلدانيين في كلا الحسايين المدني والفلكي كانت تسمى (سارا) . ويحسب الكلدانيون للسارا الفلكي : ثلاثة آلاف وستائة سنة ، ويحسبون للسارا المدني : ثمانية عشر سنة وستة شهور قمرية . فالمائة والعشرون ساراً تساوي - كما يقول الدبس (٢٢٢٢) سنة .

ويرى الدبس : أن المؤرخ بروسوس الكلداني بنى تقديره للمدة التي حكم فيها ملوك ما قبل الطوفان على أساس التقليد البابلي الذي كان يقسم تلك المدة إلى مائة وعشرين قسماً وإعتبار كل قسم من المائة والعشرين قسماً ساراً فلكياً - فيكون مجموع مدة حكم أولئك الملوك على هذا الاعتبار : ($١٢٠ \times ٣٦٠٠ = ٤٣٢,٠٠٠$) .

ويقول الدبس : لو أن بروسوس بنى حسابه على أساس السارا المدني لكانت النتيجة هي : (٢٢٢٢) سنة ولما كان هناك خلاف يذكر بين جدول بروسوس ، وبين الرواية الاسرائيلية^(١) .

ويستشهد الدبس في كلامه بما قاله (سويداس) اليوناني عن السار - وإنني هنا أزيد استشهاد الدبس تأكيداً بما قرأته في كتاب حضارة بابل وآشور لغوستاف ليون عن

(١) راجع تاريخ سورية للدبس ١ / ٦٧ .

حساب الزمن عند الكلدانيين - فهم^(١) . كانوا يعلمون : أن السنة الشمسية ($365\frac{1}{4}$) يوماً وربع اليوم ، ولكنهم في احوالهم المدنية كانوا يعمدون إلى السنة المركبة من اثني عشر شهراً قمرياً ، وأنهم كانوا يعتبرون الشهر أربعة أسابيع ، ويضيفون في أوقات ثابتة شهراً يتم عدد أيام السنة وأن تقاويمهم متنوعة : فمنها ما هو خاص بالعبادات والأعياد المدنية . ومنها ما كان خاصاً بسير الفصول وشروق الكواكب وغروبها . ومنها ما يرجع إليه لمعرفة التغيرات الجوية وحالة الحاصلات وما يعثرها من الجذب والخصب . فعلى ذلك فإن دورة الفصول بالنسبة لشهور السنة القمرية والسنة الشمسية تستغرق ثمانى عشرة سنة تقريباً .

ولكن مع كل ما في محاولة المطران الدبس للتوفيق بين رواية التوراة ، وبين ما نقل عن بروسوس - من ملحوظات مفيدة ، ومع ما قرأته في كتاب غوستاف ليون - بابل وأشور ، فإننى لا إخال بروسوس وهو المؤرخ الكلدانى يلتبس عليه الفرق بين الحساب الفلكى والحساب المدنى ، فيقع في مثل هذا الخطأ . فبروسوس - كما يظهر مما قيل عنه - مؤرخ مطلع خول له علمه باللغة اليونانية أن يضيف إلى مصادره ما وصلت إليه مدرسة أرسطو من معارف .

وإننى لا أرى : أن مصادر التاريخ في عصر بروسوس هى هذه المصادر التى بين أيدينا . فلا شك في أن مصادر عصور ما قبل التاريخ في زمن ما قبل الميلاد هى أكثر مما وصل إلى المطران الدبس - وقد تكون أصح . فلقد أثبت البحث الجيولوجى صحة ما جاء في رواية بروسوس - ففى عدد يوليو سنة ١٩٥٩ ، من مجلة المختار بحث تحت عنوان (تاريخنا بالكربون) منقول عن مجلة الجغرافية القومية بقلم (لمان برتجر) ما يؤكد : جدول بروسوس إلى حد بعيد ، فلقد جاء في هذا المقال : [ترى كم عمر الأرض - لقد كتب شكسبير في مسرحية (كما تريد) يقول : إن الأرض المسكينة عمرها حوالى (٦٠٠٠) ستة آلاف سنة ويبدو أن هذا الرأى كان يجد تأييداً من الجهات الدينية في تلك الأيام التى لم تدم طويلاً . ففى حوالى سنة ١٩٠٠ حسب العالم الأيرلندى (جولى) عمر الأرض عن طريق قياس كمية الملح في المحيطات فقال : إنه لا بد من حوالى مائة مليون سنة حتى تستطيع الأنهار والقنوات صب هذا الملح في المحيطات . ثم جاءت

(١) بابل وأشور ص ٥٦ .

الاكتشافات الجديدة الجيولوجية والنشاط الإشعاعي - فأخذ العلماء الجيولوجيون في عام ١٩٣٠ يضاعفون تقدير جولى عشرين مرة ، إذ أصبح الرأى السائد يؤكد : أن عمر الأرض حوالى الفى مليون سنة ، وفى وقت حديث قدر العلماء أكثر من ضعف هذا الرقم لعمر الأرض . ودلت التقديرات الجديدة التى عملت على أساس تأكل المواد المشعة فى الصخور على أن نظامنا الشمسى بما فيه الأرض يبلغ حوالى (٤,٥٠٠) مليون سنة « أربعة آلاف وخمسةائة مليون عام » !! أما الانسان نفسه فلم يظهر إلا فى نصف المليون عام الأخير من لزمن الجيولوجى [.

٣ - وكذلك أنا لا اعتقد : أن بروسوس قصد فى كلامه عن دول ما قبل الطوفان وملوكهم : أن عشرة ملوك حكموا (٤٣٢,٠٠٠) عام - فمعنى ذلك أن كل ملك من اولئك الملوك حكم (٤٣,٢٠٠) سنة ، فهذا ما يرفضه المنطق فى كل جيل من الأجيال . ولقد وقع فى مثل هذا الفهم كثير من مؤلفى التاريخ القديم . فنحن نسمع عن ملوك فى اليمن وملوك فى فارس حكم كل واحد منهم قرونا عديدة .

فأنا لا أستبعد أن يكون بروسوس ، وكل مصدر من مصادر التاريخ يشير الى الأسر الملكية . أو الى شعوب سادت مثل : الشعب العدناني ، والشعب القحطاني اللذين سادا فى جاهلية ما قبل الاسلام - لا إلى أفراد عاشوا هذا الدهر الطويل .

فلقد تتابعت الأدلة تؤكد وجود شعوب سادت فى عالم ما قبل الطوفان - فنحن إذا رجعنا إلى ما ورد فى القرآن الكريم عن دعاء نوح :

[وَلَا تَذَرْنِ وَاْءً وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَـُٔوْثَ وَيَـُٔوْقَ وَنَسْرًا] نجد الزمخشري يفسر هذه الآية بأن وَاْءً ، وسُوَاعًا ، ويَـُٔوْثَ ، ويعوق ، ونَسْرًا . هى : أسماء رجال صالحين من ولد آدم أغرى إبليس معشرهم بنحت صورهم تماثيل احتراماً لذكراهم ، ثم تطور الاحترام إلى الاعتقاد بأن عبادتهم تقرب إلى الله . ونجد ابن جرير الطبرى يقول عن قوم « نوح » ومن سبقه انهم اقاموا تماثيل لرجالاتهم البارزين عبدوها فيما بعد ونجد يوسف الدبس : ينقل لنا عن سفر التكوين : أن عهد إدريس كان بداية لتسمية المخلوقات آلهة ^(١) . ونجد (ل . ديلا بورت) فى كتابه بلاد ما بين النهرين يتحدث عن الأسطورة التى تحكى : أن

(١) تفسير الطبرى ٢٩ / ٦٢ .

(٢) تاريخ سورية ١ / ٥٩ .

أحد أمراء كيش (نسرا) البطل الآلهى رفع الى السماء ^(١) .
نحن اذا ما رجعنا إلى كل ذلك يظهر لنا : أن أسماء الزعماء الذين أسسوا الدول
كانت في الماضى القديم تظل حية تنتمى إليها دول وشعوب ، كما هو الحال في جاهلية ما
قبل الإسلام ، مثل : قحطان ، ونزار - وكما هو الحال بعد الاسلام مثل : أمية ، والعباس ،
وعثمان مؤسس دولة آل عثمان .

فعلى ذلك لا يستبعد عن الحقيقة - الرأى الذى يفترض : أن بروسوس قصد عدد
الأسر الحاكمة التى بلغ مؤسسوها من الشهرة مكانة جعلت هاتيك الأمم تنتسب إلى
مؤسسى دولتها كما انتسب الآشوريون إلى (اشور) . فأشور في رأى البعض هو اسم
إله . وفي رأى بعض آخر هو اسم بلد . وفي رأى آخرين هو اسم مؤسس دولة آشور . فعلى
كل هذه الآراء لم يكن آشور ملكا واحدا تربع على العرش الآشورى طيلة عصور
الآشوريين .

ولقد جاء في كتاب سنسى ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني عن دولة
(الفيشدادية) ^(٢) . أن عدد ملوكها تسعة ملوك . وأن سلطان هذه الدولة استمر ألفين
وأربعمئة وسبعين سنة . ولقد قسمت المصادر التى استند إليها الأصفهاني في كتابه -
الألفين والأربعمئة والسبعين عاما - على تسعة ملوك قسمة غير متناسبة ، فجعلت بعض
ملوك هذه الأسرة يحكم ألف عام . وبعضهم يحكم تسعة أعوام فقط . ولو طال الزمن بين
هذه الأسرة وبين المصادر التى رجع إليها الأصفهاني كما طال الزمن بين بروسوس وذلك
الرعيلى الأول من المؤرخين ، وبين الذين رجعوا إلى روايته لتطورت الرواية إلى مبالغة أكبر
مما هى عليه : ففهم منها : أن الفيشدادية اسم ملك أو ملكة حكم مدة ألفين وأربعمئة
وسبعين سنة . كما لو كان المصدر الذى رجع إليه الأصفهاني قريباً من عهده لتأكد
الأصفهاني مما قصده مراجعته في كلامها عن الملك الذى حكم ألف عام . فلعل أصحابها

(١) بلاد ما بين النهرين ص ٢٥ وتفسير الطبرى ٢٩ / ٩٩ .

(٢) راجع سنسى ملوك الأرض ص ١٦ طبعة مكتبة الحياة ببيروت ، والفيشدادية في كتاب حمزة الأصفهاني
هى أول أسرة فارسية حكمت .

كانوا يقصدون : أسرة - مثل أسرة (مروان) في العهد الأموي - لا ملكاً واحداً .
فالذي يتبين لنا على ضوء كل ما تقدم : أن رواية بروسوس صحيحة من حيث عدد
السنين . وأن الذي يفهم منطقياً من عدد الملوك الذي جاء في رواية بروسوس ، وفي وثيقتي
الأشموليان ، أن الأرقام (٨,١٠) تعنى كما يظهر من الشواهد والأدلة التي تقدمت : عدد
أسر تاريخية - لا أفراداً حكم كل واحد منهم ثلاثة وأربعين ألفاً ومائتى عام .

٤ - وكذلك أنا لا اعتقد : أن قوم نوح ومن سبقهم من شعوب وقبائل انحصرت
جموعهم في أرض الرافدين ، وأن الحجاز ونجداً وشواطئ الخليج الاسلامي^(١) والبحر
الأحمر وبلاد اليمن السعيدة وحضرموت - كل هذه البلاد عاشت طيلة عصور ما قبل
الطوفان خلاء ببقعاً لا تعرف الانسان .

أنا لا أعتقد ذلك بعد الذي قدمته في فصل (قلب البلاد العربية المهده الأول
للانسان وحضارته) .

وأنا لا أستبعد أن يكون ذلك العالم الذي عاش في قلب الجزيرة وجنوبيها : أسس
دولاً من اقدم الدهور ورثها الإرميون ، والعماليق ، والكنعانيون ، والجرهميون ، وغيرهم
من قال عنهم المؤرخون العرب : إنهم كانوا أصحاب دولة وحضارة .

فنحن إذا كنا نجد اليوم من يبحث عن دول ما قبل الطوفان في بلاد ما بين النهرين ،
ووجدنا خلافاً في سني حكمها - فإننا لا نجد من يبحث في دول قلب الجزيرة قبل
الطوفان ! فجميع البحوث التي وضعت في تاريخ قلب الجزيرة لا تتجاوز ما قيل عن هجرة
إسماعيل وبناء البيت الحرام ، وما يجر إليه البحث عندما يتكلم مؤلفو التاريخ في العصور
المتأخرة عن الآثار التي تظهر عفواً ، أو التي يكشف عنها التنقيب عن الثروات المعدنية في
منطقة الخليج الاسلامي ، وشرقي نجد ، وفي البصرة ، وشمال الحجاز ، وفي بلاد اليمن ،
وحضرموت .

وعلى ضالة المعلومات عن عالم ما قبل الطوفان في شبه الجزيرة العربية ، فإن الباحث
في التاريخ القديم لا يمكنه أن يتجاهل الآثار التي وجدت في داخل الجزيرة والتي يرجع

(١) ان تسمية الخليج الذي اطلق عليه غير العرب اسم الخليج الفارسي ، واطلق عليه العرب الخليج
العربي ، ان تسمية هذا الخليج بالخليج الاسلامي ينطبق على واقعه فكل سواحه إسلامية .

تاريخها إلى العصر الحجري ، ولا يمكنه أن يتجرد من الظنون التي ترجح له وجود دول عربية قامت قبل الطوفان داخل شبه الجزيرة العربية مسقط رأس الحضارة الانسانية . وترجح له : أن ودًا ، وسواعاً ، ويعُوث ، ويعُوق ، ونسراً ، شعوب انتشرت في طول البلاد العربية وعرضها ، وأسست هنا وهناك دولا كان لها شأنها في مقدرات هذا الشرق العربي ، سيما دول قلب الجزيرة - فمناخ هذا الجزء في العصور الثلجية هو افضل من غيره الغارق في الثلوج والمتعرض لعواصفها . وفيما سنقدمه لك في الجزء الخاص بدول البلاد العربية وسياستها ، الأدلة التي ترجح وجود الدولة في الجزيرة العربية من قبل التاريخ .



البحث الخامس :

نهاية ما قبل التاريخ بداية التاريخ

من موضوعات البحث :

- ١ - الإنسان استأنف حضارته بعد الطوفان .
- ٢ - تحديد بداية التاريخ لم يكن واقعياً إلا من منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد .
- ٣ - بداية تاريخ الأمم تتفاوت بتفاوت عصورها .
- ٤ - الحلقات المفقودة في تاريخ الأمم .
- ٥ - تاريخ الأقطار العربية لم يبدأ في عام واحد .
- ٦ - عصر التاريخ الحقيقي في البلاد العربية .
- ٧ - ليس التاريخ الحقيقي مجرداً من المبالغات .

نهاية ما قبل التاريخ بداية التاريخ

١ - كل ما قيل أو يمكن أن يقال عن عصر ما قبل الطوفان ، يقال أو يمكن أن يقال عن الفترة التي سبقت نشوء الدول بعد الطوفان ، فمن المفروض بعد تلك الكارثة أن تمر بالإنسان فترة من الزمن يستأنف في خلالها حياته الحضارية من جديد . وهذه الفترة التي بدأ الإنسان فيها حياته من جديد ، لا نعرف عنها غير الظنون والنظريات التي تحوم حول ما وجد في طبقات الأرض العميقة ، وتبلغ هذه الفترة في تقدير (بروسوس) أربعة وثلاثين ألفاً وثمانين عاماً (٣٤٠٨٠ سنة) وقد ألحق المؤرخون هذه الفترة بزمان ما قبل الطوفان ، ، واعتبروها من التاريخ الخرافي .

٢ - وفي موسوعة تاريخ العالم رأى جدير بالناية والاهتمام . فلقد وضع أصحاب هذا الرأي قاعدة صحيحة للفارق بين عصور ما قبل التاريخ وبين العصور التاريخية بالنسبة لكل بلد من بلدان العالم . فلقد جاء في الموسوعة : [ويختلف الوقت الذي ينتهي فيه عصر ما قبل التاريخ ليبدأ التاريخ ، اختلافاً واسعاً في جهات العالم المتعددة . وغالباً ما يمتد التاريخ بمعناه التقليدي إلى الحدود الفاصلة بين الأثنين . والتواريخ فيما قبل التاريخ مسألة تقديرية لم تبلغ أن تكون معالم رئيسية ثابتة كما هو الحال في التواريخ المكتوب]^(١) .

ومن رأى ويلسون : أن التاريخ لم يك واقعياً لا يخالطه الشك في الزيادة أو النقص إلا بعد عام ٥٠٠ ق . م - فمن غير الممكن قبل هذا التاريخ تحديد العصر التاريخي بالضبط^(٢) .

ونحن إذا استمسكنا بما جاء في الموسوعة ، وبما قاله « ويلسن » فعلينا : أن ندخل في حسابنا أن تعيين الزمن لبداية التاريخ هو مسألة تقديرية .

٣ - والرأى السائد يجزم بأن بداية التاريخ الحقيقي تتفاوت عصورها بتفاوت تقدم الأمم وتدرجها نحو الحضارة ، وتختلف باختلاف المعلومات التي وصلت إليها بحوث

(١) الموسوعة ١ / ٤ .

(٢) راجع كتاب الحضارة المصرية لجون ويلسن ص ٧ .

المحققين واكتشافات المنقبين ، فإذا كانت الآثار التي وصلت إليها أيدى المنقبين إلى هذا التاريخ تصعد بعصر الدولة في العراق ، وفي مصر إلى ما فوق الألف الثالثة قبل الميلاد ، فإن بلاد القوقاز لا يعرف شيء عنها إلا بعد الألف الأولى قبل الميلاد . ولا تزال بعض مناطق وسط أفريقيا لا تعرف بداية تاريخها ، ولعل بعضها لم يسجل تاريخه إلا بعد القرن التاسع عشر بعد الميلاد .

٤ - ثم لا يفوتنا أن ننبه الأذهان إلى الحقيقة التي تثبت : أن في تاريخ كثير من الأمم حلقات مفقودة ، وإلى أن كثيرا من الحلقات المفقودة وسع دهورا طويلة حجبها ظلام دامس ، فمن النادر ، أن نجد أمة من أمم الأرض العديدة ، أو بلداً من بلاد الله الواسعة - استمر تاريخها منذ بدايته مشرقاً واضحاً ، فكثير من الأمم وكثير من البلاد انطوت معالم تاريخها القديم في طيات الزمن . ثم هيأت لها الأقدار حياة جديدة غيرت كل شيء فيها ، وفرضت عليها أسماء جديدة عرفت بها دولها ، وعرفت بها بلادها . وإتنا لنجد الأمثلة على ذلك كثيرة إذا ما رجعنا إلى معاجم البلدان وقرأنا أسماء أرضين لا تعرف في غير المعاجم . بل أكثر من ذلك الأساء التي كشفت عنها البحوث الأثرية ، فهذه لا تعرف حتى في المعاجم . وكذلك نجد حال الشعوب والقبائل إذا ما رجعنا إلى معاجم أمم الجزيرة وقبائلها . فمن البلاد التي انقرض تاريخها القديم : سواحل الخليج الإسلامي . فلقد شهدت عمان والكويت والأحساء في أيامها الخوالي حضارة ذهبية ، ثم قضى الله عليها أن تعيش زمناً طويلاً في الزاوية المظلمة من التاريخ . وهذه هي في الوقت الحاضر تبعث فيها الحضارة من جديد فتسترعى انتباه العالم أجمع كما استرعت في العصور التي سبقت الميلاد بآلاف السنين . ومن القبائل التي عاشت على أرض الجزيرة بأكثر من اسم واحد : الكنعانيون ، والجرهميون ، وعاد ، وشمود ، والعماليق . وإنك لتجد بحثاً ضافياً عن هذه القبائل وغيرها في الجزء الخاص بشعوب البلاد العربية من هذا الكتاب .

فهل اعترافنا بالحلقات المفقودة يوجب علينا أن نتجاهل التاريخ القديم للأمم العربية ، ونعتبر العصور التي سبقت الحلقات المفقودة من العصور الخيالية ؟ إن ذلك ولا شك يتوقف على توافر المعلومات عما قبل الحلقات المفقودة ومبلغها من الصحة ، والمعلومات عن العصور القديمة لم يقفل بابها ، فليست المعارف التي وصلت إليها البحوث الأثرية

هى خاتمة المطاف . فقد تكتشف فى المستقبل آثار فى بلد ما تؤكد قدم حضارته ، وتوضح شيئاً من تاريخه القديم ، فيتبدل رأى المؤرخين فى بداية تاريخ ذلك البلد . كما حدث ذلك فى تحديد تاريخ اليمن . فلقد قال بعض المؤرخين : إن أقدم دولة يمنية هى دولة معين ، وإن أقدم عصر معيى لا يزيد على الألف عام قبل الميلاد - ثم عثر المنقبون على آثار جعلت بعض المؤرخين يقول : إن العصر المعينى فى اليمن يبدأ من قبل منتصف الألف الثانية للميلاد .

على أن المعلومات التى استجدت فى التاريخ ، وما ينتظره المؤرخون من جديد يكتشفه الأثريون ، لا تكفى فى نظر المؤرخ - فى العصر الحاضر - لربط تاريخ ما بعد الطوفان بتاريخ ما قبله ، فالحلقات المفقودة واسعة جداً ، وتاريخ ما قبل الطوفان ، وتاريخ الفترة التى أعقبت الطوفان يكادان يكونان مجهولين تماماً .

وعلى كل حال فإن التاريخ الحقيقى فى البلاد العربية جميعها لم يبدأ فى عام واحد . فإذا كانت سلسلة التاريخ فى اليمن ربطت التحقيقات التى قام بها المؤرخون على ضوء المصادر القديمة البحث ، وعلى ضوء الآثار الحديثة الظهور : حلقاتها من دولة (معين) و (سبأ) و (أوسان) و (قتيان) ثم (حمير) ثم (النجاشين) و (ابن ذى يزن) ثم الاستعمار الفارسى ، فلقد اعتبر كثير من المؤرخين : رفع إبراهيم القواعد من البيت - بداية التاريخ الحقيقى للحجاز . فمن عهد إسماعيل إلى عصر عبد المطلب عرفت الشعوب التى سادت فى مكة ، والشعوب التى سادت فى المدينة ، كما سنرى ذلك واضحاً فى الجزء الخاص بدول البلاد العربية وسياستها .

أما الأجيال التى سبقت بناء البيت فلم يتجاوز بحث المؤرخين عنها إلى أكثر مما قيل عن موضع البيت الحرام ، وأنه كان أكمة حمراء ، وعن العوالم التى كانت تحج إليه ، وإلى أكثر مما جاء فى بحث أنساب القبائل ومساكنها فى مكة ، وفى المدينة ، وفى الطائف ، وفى مدين ، وجنوب فلسطين . وأما قبائل : جرهم ، والعماليق التى كانت تعيش حول الوادى المبارك ، وفى وادى القرى ، والقوافل التجارية التى كانت تسير من الجنوب إلى الشمال - فلم نرم من المؤرخين من اهتم بمعرفة شئ من تاريخها حتى بدأ البحث الأثرى الذى كشف

لنا بعضاً من تاريخ تلك العصور . ولقد رفض ابن كثير الروايات التي تقول بأن البيت كان مبنياً قبل إبراهيم^(١) .

وعصر إبراهيم مختلف عليه . وتحقيق الخلاف على ضوء المصادر العربية يقتضى كثيراً من الفروض والتخمين . فالمصادر العربية لم تكن بتحقيق تاريخ العصور كما ينبغي - فليس أماناً في المصادر العربية طريق نصل منه الى عصر إبراهيم - فكل ما يمكن الاستدلال به هو ما قاله المؤرخون القدامى عن معد وابنه نزار - وأنها قاوما الغزو البختنصرى . والغزو البختنصرى كان بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ ق . م^(٢) . فعلى ذلك فإن الفأ ومائتين وسبعة وعشرين عاماً تفصل بين الغزو البختنصرى والهجرة النبوية .

ومعد هو الجد العشرون لعبد الله بن عبد المطلب^(٣) . ومعد هو ابن عدنان . وما بعد عدنان اختلف النسابون على عدد الجدود فبعضهم يقولون : إنهم أربعون جداً ، وبعضهم يقولون : إنهم عشرون جداً . وآخرون يقولون : إنهم خمسة عشر جداً^(٤) . وفى سيرة ابن هشام لم يتجاوز عددهم سبعة جدود^(٥) . وفى حديث ابن عباس : انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الى عدنان قال : [من ههنا كذب النسابون]^(٦) .

فعلى ذلك ليس اماناً غير ما وصل اليه تحقيق المتأخرين . وبعض المتأخرين لم يوضحوا الأدلة التى يبنون عليها رأيهم . فخرجى زيدان لم يذكر : على أى دليل اعتمد عندما قال : [وإسماعيل قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً] - بينما هو نفسه وفى نفس الكتاب يقول : [وفى اثناء الدولة الحمورابية ظهر إبراهيم]^(٧) .

والدولة الحمورابية هى أيضاً مختلف على عصرها - وسيأتى الكلام عن الخلاف على عصر حمورابى فى بحث (التاريخ العربى فى العراق) . والدولة الحمورابية فى تحقيق

(١) تاريخ ابن كثير ١ / ١٦٣ والاعلام باعلام البيت الحرام للقطبى ص ٣٥ .

(٢) العرب قبل الاسلام لجواد ٢ / ٣٣٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٢ .

(٤) العرب قبل الاسلام لجواد ١ / ٢٩٣ .

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٢ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ١ / ٣ .

(٧) العرب قبل الاسلام ص ١٧٦ و ص ٥٧ .

جرجى زيدان : يبدأ عصرها (فى سنة ٢٤١٦ وينتهى فى سنة ٢٠٨٢)^(١) .
فالمدة التى تفصل بين ظهور إبراهيم وتاريخ إسماعيل على رأى جرجى زيدان تبلغ قرنين تقريبا .

ولقد تحدث المطران الدبس عن اختلاف المحققين فى عصر إبراهيم ثم قال : ! وعلى كل الأقوال - فإن إبراهيم بلغ بلد كنعان حوالى (٢٠٠٠ ق . م)^(٢) .
فالذى يظهر من استقراء هذه الآراء : أن إبراهيم عليه السلام ظهر فى سورية والحجاز فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .
ولقد سبق الكلام فى بداية هذا البحث أن تحديد العصور القديمة لا يعدو التخمين والحدس .

وكذلك (نجد) و (اليمامة) و (شواطئ الخليج الاسلامى) ، فإن بداية التاريخ الحجرى التى عثرت عليها بعض شركات التعدين وبعض رواد الآثار فى نجد ، مثل : عبد الله فلبى ، وقبل اكتشاف آثار فى اليمامة وفى شواطئ الخليج الاسلامى . أما بعد تلك الله فلبى ، وقبل اكتشاف آثار فى اليمامة وفى شواطئ الخليج الاسلامى . أما بعد تلك الاكتشافات فقد أرجع المحققون عصر الفينيقيين الذين عاشوا فى شواطئ الخليج الاسلامى الى اكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

على ان ما تحدث عنه المؤرخون عندما تكلموا عن العرب البائدة ، وعن مساكنهم فى وادى القرى ، وفى شواطئ الخليج العربى الاسلامى ، وفى مكة والمدينة ، وفى جبل طىء بنجد - وما جاء فى تحقيق الرواد من الباحثين وتفسير النقاد من الأثرين عن نحاس الجزيرة ، وذهبها ، وأخشابها ، وبخورها ، وهو فى رأى غالبية محققى التاريخ إرهابا للتاريخ الحقيقى .

٧ - والتاريخ الحقيقى فى رأى الكثير ليس هو التاريخ المجرد من المبالغات - فالتاريخ لم يسلم من المبالغات فى وقت من الأوقات ، فنحن اليوم إذا طبقنا ما تنشره صحافة البلاد العربية ، وما فى الكتب التى تنشر للدعاية - على واقع البلاد العربية - نجد : الفرق شاسعاً بين الخيال الذى يغطى واقع الأمم العربية ، وبين الحقائق المشاهدة .

(١) العرب قبل الاسلام ص ٥٧ . (٢) تاريخ سورية ٤١ .

وبعد فنحن بعد أن تتبعنا الآراء التي انطلقت تبحث عن العصر التاريخي وبدايته ،
لا يمكننا أن نترك القارئ دون نتيجة تقربه من المرحلة الأولى للتاريخ العربي . ونحن إذا
أردنا أن نقرب القارئ إلى المرحلة الأولى للتاريخ العربي فعلياً أن نبث معه في التاريخ
الحضاري للشعوب العربية ، فلقد أثار فجر الحضارة في البلاد العربية الكثير من معالم
تاريخها القديم .



البحث السادس :

الحضارة هي أسطر الأولى في النتائج

من موضوعات البحث :

- ١ - الاستقرار والاستثمار هما دعامتا الحضارة والمجتمع .
- ٢ - قلب الجزيرة لم يتأخر عن موكب الحضارة القديمة .
- ٣ - الحدود الجغرافية لا تفصل الشعوب بعضها عن بعض .

الحضارة هي أسطر الأولى في التاريخ

١ - إن اختلفت الموازين التى قدر بها عمر الزمن الذى عاشه الانسان على هذه الأرض ، فإن قدم الإنسان فى هذه الدنيا العربية متفق عليه . وإن اختلفت وجهات النظر فى بداية التاريخ ، فإن الآراء متفقة على أن بداية التاريخ لأمة لا تصلح أن تكون دليلاً على تاريخ أمة أخرى وبدايته ، ما لم تكن هناك وشائج تربط بين الأمتين ، فلو أن الأمم جميعها على مستوى حضارى واحد ، أو كان تدرج البشرية متساوياً ، لما كنا نرى اليوم شعوباً شارفت القمة وشعوباً لا تزال فى بداية الطريق .

ولا يدل شئ على تاريخ الأمم أكثر من حضارتها ، فحضارة سورية ولبنان ، وفلسطين ، والعراق ، ومصر ، والخليج الإسلامى ، والحجاز ، ونجد ، واليمن هى التى تحدد لنا تاريخ هذه الأقطار العربية ، كما حددت حضارة مقدونية ، والهند ، والصين تاريخ هاتيك الأقطار . فالتاريخ الحقيقى لا بد أن يسبقه نضج حضارى يهيئ المجتمع ويرسم معالمه . فالاستقرار والاستثمار : زراعة وصناعة وتجارة ، يلزمان الفرد بمعرفة واجبه نحو المجتمع ، فيعرف ما له على المجتمع وما للمجتمع عليه . واعتراف الفرد بواجب المجتمع ، واعتراف المجتمع بحق الفرد يضعان الأمور فى نصابها . ووضع الأمور فى نصابها يتيح للأمة أن تثبت وجودها فى سجل الزمن .

وحضارة الجزيرة العربية انفسح مجال البحث فيها بسبب المصادر التى وفرتها الدراسات الأثرية التى تعمقت فى أغوار الماضى البعيد لتعود بجديد من المعلومات وتقابله بما تكتنزه المكتبات من روايات المؤرخين الذين سبقوا هذه الدراسات بعشرات القرون .

٢ - وما لا جدل فيه : أن بلاد الهلال الخصيب ، وأرض وادى النيل ، أكثر البلاد العربية مصادر يمكن الاعتماد عليها فى فهم تاريخها القديم بفضل جهود المنقبين التى انتزعت من أرض مصر والهلال الخصيب سرها الدفين .

وفي الأيام الأخيرة أخذت حُجب الماضي تنجاب عن اليمن بعد أن وصل إلى أيدي خبراء الآثار بعض من مخلفات الأمم التي عاشت على أرض اليمن في الزمن القديم ، وأخذ الباحثون يعيدون النظر في تاريخ جنوب البلاد العربية ، وشواطئ الخليج العربي الاسلامى بعد أن كانوا يعتبرون ما قاله المؤرخون العرب عن تلك البلاد نوعاً من الخيال الساذج .

أما قلب البلاد العربية فقد كان الرأى العام يجزم بأنه صحراء قاحلة تسكنه قبائل لم تعرف شيئاً عن الحضارة في عهود ما قبل الاسلام . وما زال هذا الرأى تعتقده الأغلبية إلى زمن قريب . فنادر من المؤرخين من كان يظن أن قلب البلاد العربية كان يسير في مقدمة ركب الحضارات القديمة .

لذلك فإن البحث عن الماضي البعيد للعراق وسورية ولبنان وفلسطين ومصر لا يُعوز الباحث أن يجرى وراء الآواء والنصوص ويتتبع البحوث ليجمع الخيوط ويوصل بعضها ببعض حتى يكمل نسيج البحث ، كما يُعوزه الأمر إلى كل ذلك إذا ما بحث في ماضى قلب الجزيرة .

فالشعوب العراقية والسورية والمصرية جمع شتات تاريخها الحضارى ، وحقق أكثره بحيث إنك تجد تاريخاً للآشوريين ، والكلدانيين ، والفراعنة ، والفينيقيين لا ينقص عن التاريخ الفارسى والرومانى - بينما لا يزال تاريخ الحضارة العربية في قلب الجزيرة العربية بدائياً يخيم عليه الظلام . ولا يزال تاريخ الثموديين ، والعاديين ، والجرهميين مجهولاً لا يعرف عنه الكثير .

فإذا كانت اللمحة الخاطفة على الحضارة العربية في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر تكفى بحثنا ، فإن الأمر على العكس من ذلك في موضوع الحضارة في قلب البلاد العربية . وإذا كان علينا أن نعرف بداية التاريخ في البلاد العربية . فإن الأمر يستدعى البحث عن الحضارة في كل لون من ألوانها . وفي كل ركن من أركان الجزيرة العربية . ولقد قال « غوستاف ليون » من قبل : [إن من الصعب أن نتعرف في التاريخ على أمة من الأمم ذات شأن كبير في التجارة من غير أن تكون متمدينة] ^(١) .

(١) حضارة العرب ص ٩٥ .

ولقد قال « استرابون » الذى عاش قبل الميلاد : [كل عربى سمسار أو تاجر]^(١)
٣ - وجدير بنا هنا أن نعرف أن الحدود الجغرافية لا تعنى انفصال كل قطر من أقطار
البلاد العربية عن القطر الآخر حضارياً أو ثقافياً كما هو الحال اليوم ، وأن التقسيم الجغرافى
القديم كان يعنى طبيعة الأرض - فمثلاً (نجد) هى الأرض المرتفعة ، و (تهامة) هى
الأرض المنخفضة ، و (الحجاز) هو الجبل الفاصل بين تهامة ونجد .

وفى التاريخ القديم نشأت دول ضمت أكثر من قسم من أقطار الجزيرة العربية .
فاختلطت حضارة الشعوب التى جمعتها دولة واحدة ، ولذلك نجد الباحثين عن الحضارات
العربية القديمة يذكرون آثاراً لعاد وثمود فى عدد من أقطار الجزيرة العربية . وهذا ما
نلاحظه اليوم واضحاً فى الآثار البارزة على وجه الأرض . ففى الحجاز آثار للمصريين ، وفى
مصر آثار للحجازيين من القديم .

ثم جاءت جاهلية ما قبل الاسلام بنعرتها القبلية ، والفوضى التى زادها عنفواناً
الجذب الذى منبت به غالبية أرض الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، وسواحل الخليج العربى
الاسلامى - فتضاءل النظام السياسى فى الجزيرة ، واستوحش المجتمع ، وأصبحت أغلبية
الدول العربية فى قلب الجزيرة العربية قبائل تفرقت فى البلاد تحتل كل قبيلة منها قسماً
من الأرض لا تُقَيِّده حدود سياسية وجغرافية معترف بها . فكل ما فى الأمر هو الأسم الذى
يطلق على تلك الأرض . فيقال : أرض بنى فلان أو ديار بنى فلان . وقد تكون ديار بنى
فلان تشمل جزءاً من الحجاز وجزءاً من نجد . ولا تزال القبائل العربية داخل الدولة على
هذا الوضع إلى يومنا هذا .

والبحث فى هذه الناحية تجده واضحاً فى الجزء الخاص بجغرافية البلاد العربية من هذا
الكتاب . أما هنا فالذى تهمنى الإشارة إليه - هو : معرفة السبب فى تقسيم البحث فى
الحضارات العربية على النحو الذى تراه . فلقد حرصت على أن يكون التقسيم على
أساس المعلومات التى توصلت إليها فى بحث الحضارات القديمة . فقبل البحث عن هاتيك
الحضارات ومعرفة ما وصلت إليه حضارة كل قسم من أقسام الجزيرة - يتعين علينا أن

(١) الاسلام والحضارة العربية - كرد على ص ١٢٠ جزء ١ .

نعرف شيئاً عن الأديان في بلاد العرب . فالأديان هي الخطوة الأولى في تنظيم المجتمع
الإنساني . وفي تعاون الجماعات على بناء الحياة الحضارية . ومن الأديان ورسالتها الهداة
عرفنا جانباً مهماً من جوانب التاريخ العربى القديم .



البحث السابع :

الأديان في جزيرة العرب من قبل النياخ

موضوعات البحث :

- ١ - العقل هو فضيلة الإنسان .
- ٢ - آدم هو المؤسس الأول للحضارة .
- ٣ - الأديان في قصص المفسرين .
- ٤ - بعض المستشرقين يشكون في إبراهيم ، موسى ، وعيسى .
- ٥ - النضج العقلي في مجتمع نوح وهود عليهما السلام .
- ٦ - البيت الحرام دليل قاطع على قدم الدين في قلب الجزيرة .
- ٧ - إبراهيم عليه السلام لم يُدِّين الشعوب العربية وإنما وجهها إلى النور والعزة .
- ٨ - الإنسان العربي سبق غيره إلى التدين .
- ٩ - التوحيد هو الدين الأول في الجزيرة العربية .
- ١٠ - شعوب عاد وثمود وجرهم عاشت قبل الاسماعيليين المستعربين واستمر أحفادها إلى عصر الميلاد .
- ١١ - إبراهيم عليه السلام هو أول المجاهدين من الأنبياء والرسل بعد الطوفان .
- ١٢ - إبراهيم عليه السلام أبرز شخصية عرفت قبل الإسلام .
- ١٣ - قصص الأنبياء أنارت جانباً كبيراً من ماضي الجزيرة .
- ١٤ - الوثنية خطأ متأخر أضل المؤمنين برب السماوات والأرض .
- ١٥ - فكرة الثلاث المقدس في أديان الجزيرة العربية قبل الميلاد .
- ١٦ - الوثنية في الحجاز .
- ١٧ - صراع الأديان في جزيرة العرب .

الأديان في جزيرة العرب من قبل الإسلام

١ - لم ينتقل الإنسان من طور البدائية ويخرج من احراج الغاب ليسكن أكواخاً تقيه وابل الأمطار ، وعاصف الرياح ، وهجمات الضواري إلا بفضل الموهبة التي ميزه الله بها عن غيره من سكان هذه الأرض ألا وهي : العقل - فالعقل هو الذي سار به من مرحلة إلى أخرى إلى أن اتجه به لمعرفة سر الحياة وسر وجوده فيها . فأخذ يبحث عن القوة التي تتحكم في كل ما في وجوده ، القوة التي لا يراها ولكنه يشعر بوجودها في كل شيء . يشعر بها في الأرض التي تقفه ، ويشعر بها في السماء التي تظله ، ويشعر بها في الهواء العليل ، وفي الجبال الشاخحة ، وفي البحر الهادر ، وفي الكواكب اللامعة ، وفي الشمس المشرقة ، بل يشعر بها في نفسه ، في قوته وأحلامه وآماله ، وفي ضعفه ويأسه وآلامه .

وما هذا الشعور بتلك القوة التي نظمت هذا الكون العظيم إلا نتيجة التفاعل الحضاري الذي تطور بعقله فكان من نتائجه الأولى البحث عن رب هذا الوجود .

وهذه هي إرادة الله التي أهلت الإنسان أن يتأمل في خلق السموات والأرض ، وينظر إلى الأبل كيف خلقت ؟ ! وإلى الأرض كيف سطحت ؟ ! ويبحث عن سر هذا الكون العظيم بالعقل الذي وهبه الله له .

فلقد وُجد الإنسان في هذه الحياة مجرداً من كل شيء ما عدا عقله الذي أخذ يتدرج به ويوسع له آفاق حياته . ولقد كانت أطوار نمو العقل الانساني تشبه الأطوار التي تمر بها حياة الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة . فكما بدأ الطفل يدرك حقيقة الأشياء باللمس فيعرف المؤذي الضار من المفيد النافع . كذلك بدأ الإنسان يتعرف بما يحيط بحياته ويميز النافع من الضار بالأدلة المادية . فلما شبَّ عن طوق الأدلة المادية - أخذ ينظر إلى الحياة على ضوء أدلتها المعنوية . فتفكير الإنسان في سر الحياة . وفي سر وجوده فيها هو الدليل القطعي على بداية نضج العقل الانساني .

٢ - وأنا لست مع الذين يؤمنون بنظرية (داروين) التى تقول بنشوء الانسان وارتقائه من شكل القرد والحياة الحيوانية إلى صورة الإنسان والحياة البشرية ، وإنما أنا مع الذين يقولون : إن الله خلق آدم وبعثه فى هذه الأرض يؤسس الحياة الإنسانية عندما أصبح هذا الوجود صالحاً لإنشاء الحضارة الإنسانية .

فآدم هو الانسان الأول الذى بدأ يسير فى طريق الحضارة ، لا يسفك الدماء ولا يفسد فى الأرض ، كما كان يفعل الذين سبقوه إلى هذا الوجود . وهو الإنسان الذى بدأ بتأسيس المجتمع والدعوة إلى الله . أما ما هو نوع عالم ما قبل آدم ؟ فهذا كان وما زال موضوع خلاف الباحثين . والخلاف فى نوعية عالم ما قبل آدم لا يهم بحثنا هذا ، وإنما معرفة المرحلة الأولى التى بدأ الانسان فيها يثبت إنسانيته ويؤسس حضارته هى التى تهتم البحث هنا كما أشرنا من قبل .

٣ - والبحث فى أديان الجزيرة العربية يرجع بنا إلى تلك القصص التى حدثنا بها المفسرون وتناقلتها البحوث المستندة إلى ما فى الأسفار ، وإلى ما فى تراث التاريخ الكلدانى واليونانى ، والتى تصور لنا الحضارة الأولى التى أشرقت أضواؤها فى عصر إدريس ، وتجبرنا كيف كانت بداية انتكاس الأديان بإقامة التماثيل ثم عبادتها من دون الله . فإن دلت هاتيك القصص على شئ فإنما تدل على أن الإنسان فى عهد ما قبل الطوفان بلغ من النضج : أن عرف الله تعالى ، وعرف كيف ينظم المجتمع على ضوء هذه المعرفة ، ومعرفة الله والتشريع للمجتمع الفاضل لم يصل إليهما الإنسان إلا بعد أن مر بمرحلة الانفرادية فى طريقه إلى الحياة الاجتماعية وما تتطلبه من تعارف ، وتعامل ، وخضوع للواجب ، واحترام للحقوق . ولا يتم كل ذلك فى مجتمع ما ، ما لم تربط الأفراد والجماعات فيه مبادئ يقدسها الجميع ويحترمون شعائرها ويخضعون لها .

فهذه القصص التى رواها لنا المفسرون ، وجاءت فى مصادر الإسرائيليين ، كانت جميعها ، وما زال بعضها فى بحوث المستشرقين ومن سار خلفهم ، حكايات خرافية على الرغم مما أظهره التنقيب فى طرفى الهلال الخصيب : العراق وفلسطين ، من آثار أثبتت أن عصور العراق قبل الطوفان كانت عصوراً ذهبية .

٤ - وقصص أنبياء ما قبل الطوفان ليست هى كما يقوله عنها المستشرقون ، وليس

من اصالة البحث إن نحن نظرنا إلى تاريخ الماضي البعيد من النافذة التي نظر منها المستشرقون وحدها . فنحن إن أخذنا بمنطق المستشرقين وظنونهم وآرائهم نمحو الكثير من تاريخ الشرق الأدنى ، فبعض المستشرقين لم ينكروا أنبياء ما قبل الطوفان فحسب ، بل من ذلك البعض من أنكر إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ،^(١) . فالمستشرقون في الفصول التي عقدها للتاريخ العربى القديم لم يخرجوا من صوامع شكوكهم فيما ينسب للتوراة وللانجيل . وفيما جاء في القصص القرآنى وتحدث به المؤرخون القدامى إلا بعد أن ظهرت آثار الماضين من أمم البلاد العربية ، مصدقة لما بين أيدينا من أسانيد المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن عصر إدريس ونوح وعالم ذلك الماضي البعيد .

٥ - وما جاء في تلك الأسانيد يؤكد لنا : أن مجتمع نوح وصل به التفاعل الحضارى إلى مستوى عال بالنسبة لحياة الإنسان البدائى . وإتنا لندرك المدى الذى بلغه مجتمع نوح من الجدل الذى دار بين نوح والذين كفروا برسالته : [فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بآوىِّ رأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرايتم إن كُنتُ على بَيِّنَةٍ من رَّبِّى وآتانى رَحْمَةً من عنده فعميتُ عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون]^(٢) . فهذه الرسالة بهذه الأدلة المنطقية لا توجه إلى مجتمع بدائى لا يزال في طور الأدلة المادية . وهذه الرسالة تدل على أن النكسة لم تنحدر بقوم نوح إلى المستوى الذى انحدر إليه قوم موسى في وادى النيل الذين لم يؤمنوا إلا بالدليل المادى الذى تمثل في الحية التى لقفت ما صنع السحرة أمام فرعون وملئه .

وكذلك نحن نجد في رسالة (هود) إلى قومه (عاد) دليلاً قوياً يؤكد ، أن قوم هود لهم تاريخ دينى قديم ، وأن الانتكاس الذى منيت به عقلية (عاد) قوم هود لم يتدحرج

(١) عبقرية المسيح للعقاد ص ٨٠ .

(٢) سورة هود آية ٢٧ وما بعدها .

بهم إلى مادية قوم موسى . ففي سورة الأعراف ، وهود والشعراء ، وفصلت ، والأحقاف ، والذاريات ، والقمر ، والحاقة ، والفجر : آيات بينات تدل على أن قوم عاد بلغ بهم التطور إلى حد هذا الجدل المنطقي : [أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] ^(١) ، [وما أسألكم عليه مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . . . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ . إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] ^(٢) .

٦ - وقصة إبراهيم وإسماعيل ورفع قواعد البيت الحرام في القرآن الكريم أكثر وضوحاً من قصة إدريس ونوح ، وقصة إبراهيم في كتب التفسير وإن كان فيها شيء من الغموض لم يحاول المفسرون إزاحته عن بحوثهم ، فهي على كل تدلنا على قدم التاريخ الديني في قلب الجزيرة العربية وتمركزه في الحجاز ، وتؤكد ما ذهبنا إليه في موضوع قوم هود وقوم صالح وانتشارهم في الوديان التي تحيط بمكة حيث البيت الذي عبد الله عنده آدم وخلفاؤه المصلحون . وإن مساكن قوم عاد الأولى كانت قريبة من مساكن قوم ثمود بوادي القرى ، حيث تجد ذلك مفصلاً في البحوث التي وضعت لقوم عاد وقوم ثمود ، في الجزأين : شعوب الجزيرة العربية ، والدول العربية وسياستها ، من هذا الكتاب .

٧ - فلقد جاء في قصة إبراهيم : أن مكان البيت أكمة حمراء . وقال بعض المفسرين : إن

(١) سورة الاعراف آية ٦٩ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٢٧ وما بعدها .

العرب كانوا يقصدون تلك الأكمة ويتبركون بها ويدعون الله عندها - ولقد سبق البحث في فصل (قلب البلاد العربية المهد الأول للإنسان وحضارته) فأشرنا إلى ما قيل عن مكة وعن البيت الحرام ، وإلى ما قيل عن قدم الإنسان في ذلك الوادى المبارك .
ومن قصة إبراهيم في فلسطين نعرف : أن إبراهيم وجد في فلسطين مجتمعاً منظماً له عقائده وله شرائعه ، ووجد دولا يترأسها زعماء وملوك ، كما وجد في الحجاز تجارياً مع ملته فلم يعارضه العالقي ، والجرهميون ، والإرميون وغيرهم الذين كانوا أهل الحجاز ، والذين كان منهم سكان مكة ، وسكان المدينة ، وسكان الطائف ، وسكان الحجر ووادى القرى جميعه .

ومن قصة إبراهيم في مصر وما قيل عن فرعونها العمليقي^(٢) نعرف : أن إبراهيم وجد في مصر حول فرعونها علماء على جانب من المعرفة ، ناظرهم إبراهيم وناظروه فكسب إبراهيم احترام فرعون ورفده ، واحترام فرعون لإبراهيم يدل على أن رسالة إبراهيم وجدت طريقها إلى ضمير فرعون . وعلى أن المجتمع المصرى الذى كان مهياً لقبول دعوة إبراهيم ، لم ينحدر الى المادية التى وصل إليها الفراعنة في زمن موسى .

٨ - ومن قصص الأنبياء : نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وهود ، وشعيب ، وصالح عليهم السلام ، نعرف أن الإنسان العربى سبق غيره إلى الأديان . ف (البوذية) الهندوكية لم تظهر إلا بعد أن استوطن الآريون الأقاليم الغربية في بلاد الهند حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م . والبوذية بمذاهبها التى شاعت في الصين ، وفي اليابان ، وفي التبت ، ونيبال ، وجاوة ، وسومطرة ، وبورما ، وسيلان ، لم تنتشر في هذه الأقطار إلا في غضون الألف عام قبل الميلاد ، وفي غضون الألف عام قبل الميلاد قطعت الأديان في البلاد العربية دهوراً طويلة .

فجهاد الأنبياء في الشرق العربى جهاد قديم ، جهاد استمر من قبل الطوفان ومن بعد الطوفان ، ولقد بدأ بعد الطوفان بملة إبراهيم الحنيف في بداية الألف الثانية قبل الميلاد . ففى كل صقع من أصقاع البلاد العربية بعث الله الأنبياء والرسل يوقظون الوعى ويرفعون المشاعل كلما تبدلت حال الأمم من جهاد وبناء وعمل نافع الى ميوعة وترف وترد

(١) محمد صلى الله عليه وسلم لحسين هيكل ص ٨٥ .

في المذات . إلى أن بعث خاتم الأنبياء فترك للعالم جميعه القرآن الكريم والسنة المحمدية
يكفلان الهدى الى الطريق المستقيم .

٩ - ولقد وصل بحث (ويليم شמיד)^(١) وغيره من العلماء الغربيين الذين درسوا
تاريخ الأديان في جزيرة العرب الى أن العرب جميعهم كانوا في الأصل موحدين ثم حادوا
عن التوحيد . وعلى ذلك قامت النظرية التي أطلقوا عليها : التوحيد القديم .
وهذا الذى قاله العلماء الغربيون : يشبه ما قاله المؤرخون الإسلاميون عندما تكلموا
عن الكلدانيين والسريانيين .

إن المؤرخين الإسلاميين الذين يقولون : إن الجاهلية الأولى هي جاهلية قوم نوح ،
يؤكدون : أن الجاهلية الثانية هي الجاهلية التي استمرت المعركة بينها وبين الأنبياء
والرسل : إبراهيم ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان ،
والمسيح صلوات الله عليهم - إلى أن أشرقت شمس الإسلام فلم تجد الجاهلية بعد محمد
صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية ركناً مظلماً تكمن فيه .

١٠ - وإن المؤرخين الاسلاميين الذين يقولون : إن العرب البائدة هم الذين سبقوا
بنى إسماعيل ، وإن العرب البائدة هم الذين ورثوا الأرض بعد قوم نوح ، عاد قوم هود ،
وتمود قوم صالح ، وإن عاداً وتمدود ومن كان في عصرهم من دول وشعوب ، ، بادوا قبل
هجرة إسماعيل ، يخالفون غيرهم الذين يقولون : إن إبراهيم رفع القواعد من البيت قبل
أن يستغيث وفد عاد عند البيت وقبل أن ينزل بقوم عاد العذاب .

ونحن قبل أن تبدي ما ظهر لنا من هذا الخلاف نلفت النظر إلى أن الإبادة ليس
معناها الفناء الكامل في أيام معدودات ، وإلى أن في موضوع الإبادة بحثاً سيأتى في هذا
الكتاب^(٢) فلقد عاش الذين آمنوا من قوم هود ، والذين آمنوا من قوم صالح دهوراً طويلة
مع أبناء عمومتهم العماليق ، والجرهميين وغيرهم من شعوب الطور العربى الأول إلى ما بعد
الميلاد .

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ٥ / ٧٦ .

(٢) راجع الجزء الخاص بالشعوب العربية من هذا الكتاب .

إن قوم عاد وشمود في وادي القرى شمالى الحجاز ، وفي اليمن ، والعماليق في مكة ، وفي شمال الحجاز ، وفي فلسطين وسورية ، وجرهم في مكة ، وفي وادي القرى وشمالى اليمن - كل هذه الأمم أطلق عليها المؤرخون اسم : العرب العاربة . وكل هذه الأمم لم تنته حياتها السياسية ولم يتحطم كيانها القبلى في فجر العصر الإسماعيلى . وكل هذه الأمم عاشت طويلا بعد إسماعيل ، بل هى عاشت إلى ما بعد الميلاد .

فعلى ذلك لا نرى ثمة ما يوجب الخلاف - فقوم عاد الذين ورثوا الأرض بعد قوم نوح والذين زادهم الله فى الخلق بسطة ومنحهم النعم التى ذكرها القرآن ، لهم تاريخ طويل فى وادي القرى ، بل فى كل أنحاء الجزيرة العربية كما سيأتى البحث فى ذلك عندما نبحث فى دول البلاد العربية ، وبعثة هود كانت فى نهاية عاد الأولى حيث انتقل هود ومن آمن به إلى الجنوب فورث الثموديون الأرض بعد قوم عاد .

فمن الممكن - مع هذا الاعتبار - الجمع بين القولين : بأن قوم هود (عاد) هم الشعب الذى ساد بعد قوم نوح . وأن هوداً بعث إليهم بعد أن هاجر إسماعيل إلى مكة . وعلى ذلك يكون العالم العربى فى داخل الجزيرة لبث يؤمن بالوحدانية التى دعا إليها نوح ونادى بها إبراهيم إلى ما بعد الألف الثانية قبل الميلاد ، حيث بدأ الظلام يخيم من جديد وبدأت مشاعل الأنبياء ترفع فى أنحاء الجزيرة .

١١ - وعلى ذلك فإن إبراهيم هو أول الأنبياء بعد نوح ، وهو الذى بدأ جهاد الأنبياء بتحطيم أصنام آزر وقوم آزر ، وإن إبراهيم كما يقول فريد وجدى : (يعتبر هذا الرسول الكريم فى تاريخ الأديان العامة من كبار أولى العزم . فيعتبره اليهود كراس شعبهم المختار ، ويعتبره النصارى على قدر العلاقة الموجودة بين المسيحية وبين تاريخ العبرانيين ، ويعتبره المسلمون جدا للعرب الذين منهم خاتم النبيين - وقد نص الكتاب الكريم على أنه أول من سباهم المسلمين)^(١) .

(١) دائرة معارف وجدى ، مادة إبراهيم . والأدلة التى استندنا إليها فى ترجيح تقدم عهد إبراهيم على عهد هود وصالح هى :

١٢ - حقاً : إن إبراهيم من كبار أولى العزم وأفذاذ الهداة المصلحين ، وإن قصة إبراهيم ، وجهاد إبراهيم ، ودعوة إبراهيم ، كل ذلك كان موضوع نقاش ومصدر عبر في الماضي والحاضر ، ولقد كنت أؤثر أن أجد النقد الموجه لقصاص الأنبياء التي جمعها الأستاذ عبد الوهاب النجار لا يحتكره موضوع (سارة) زوج إبراهيم ، وهل يعتبر قول إبراهيم في مصر : إن سارة اخته ، كذباً ؟ وكيف طابت نفس إبراهيم بذلك الزعم الذي يزج بسارة وزوجه في مأزق حرج ؟

فتناقش العلماء الأزهرين ، وإن كان مفيداً إلى حد بعيد ، فهو لم يخرج بالتحقيق والنقد إلى البحث عما كان يستهدفه إبراهيم في ربط الحوادث بعضها ببعض ، ويصل بالقارىء الى الغاية التي من أجلها أخذ إبراهيم يتنقل من العراق إلى فلسطين ومنها إلى مصر وإلى الحجاز .

ما كان إبراهيم جباناً عندما حطم الأصنام في (أور) ؛ وما كان إبراهيم رعيدياً عندما جادل قومه وطاغيتهم في الأصنام التي يعبدونها ، وعندما أعلن أنه هو الذي حطمها !! حتى يخاف من بطش فرعون وزبانيته فيتعمد الكذب الرخيص ، ويعرض شريكة حياته الى ما يندى له الجنين .

- (أ) أن ما جاء في قصة عاد عن وفد السقيا يدل على أن البيت كان معروفاً .
(ب) فلو كان مكان البيت معروفاً في فترة ما بعد الطوفان ، لما استغربت القبائل التي كانت حول الحرم ، والقوافل التي كانت تمر من حوله ، حينما رأت الطير لزوم التحليق في سماء الحرم فقالت : ما لزوم الطير التحليق إلا أن في الوادي ماء ، فمعنى ذلك أنها كانت تجهل الوادي وهل فيه ماء أم لا ؟
(ج) ولو كان مكان البيت معروفاً بعد الطوفان لاستدل عليه إبراهيم من العرب الذين مر بهم في طريقه الى الأكمة الحمراء في الوادي الحرام ، أو استدل عليه من العرب الذين كانوا في ظاهر مكة .
(د) أن الذي أذن بالحج فلبى الناس الآذان هو إبراهيم (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) وفي الحديث النبوى عن وادى عسفان : أن هوداً وصالحاً كانا يبران به يلبيان ويحجان البيت العتيق .
(هـ) أما ترتيب ذكر نوح وهود وصالح وإبراهيم في القرآن الكريم فليس المقصود من الترتيب هو ترتيب عهودهم ، فلقد جاء ذكر قوم ثمود بعد قوم نوح في سورة (المؤمنون) .
(و) أما ما جاء في بحوث الأنساب عن جدود إبراهيم وجدود هود وأن جدود إبراهيم أكثر عدداً من جدود هود فلا يصلح أن يتخذ دليلاً فمن بعد « عدنان » كذب النسابون .
هذا ونلفت نظر القارىء الى أننا لا نجادل في قدم عصر قوم عاد وإنما البحث في عصر إبراهيم وهود . وإلى أن لهذا الموضوع بحثاً في الجزء الخاص بالدول العربية وسياستها من هذا الكتاب .

لا شك في أن إبراهيم يحمل رسالة عظيمة أعده الله للأضطلاع بأعبائها ومواجهة أخطارها . ولا شك في أن حكمة الله التي اختارت خاتم الرسل من صميم قريش زعماء الوثنية في قلب الجزيرة ، وأن حكمة الله التي أدخلت يوسف وموسى في حياة فراعنة مصر - هي حكمة الله التي اختارت إبراهيم بن تارح صانع الأصنام أو سادنها : نبياً يدعو لتحطيم الأصنام ، وأوجدت المناسبة التي كفلت لإبراهيم الوصول الى فرعون مكلوئاً بالآية التي أيقظت ضمير فرعون في خلوته مع سارة^(١) ، وهيات لإبراهيم الأسباب لينظر حكماء فرعون ويصل الى الغرض الكبير الذي من أجله هبط مصر ، فيعترف حكماء مصر بعبقريّة إبراهيم ، ويقدر سيدهم المبادئ التي يحملها إبراهيم ، فيعود إبراهيم من مصر موفور الكرامة محملاً بكل ما ينشده ، وبكل ما يساعده على توطيد الصلات بين الشعوب التي بعث إليها .

والذي يلفت النظر فيما قيل عن إبراهيم الصور المختلفة لسيرة إبراهيم . فالأقوال التي تنوالت عن هجرة إبراهيم تصوره لنا إنساناً عادياً يسير مع أسرة متوسطة الحال أخذت طريقها مع قوافل الأموريين المهاجرين إلى بلاد كنعان . والأقوال التي تحدثت عن إبراهيم في فلسطين تصوره لنا زعيماً تحتفى به الجماهير ، يملك المدن وينشئ المذابح ، وقائداً يجر الجيوش يتعقب (كدر لا عومر) الذي انتصر على حلف فلسطين وأوشك أن يحطمه ، ويعقد الاتفاق السياسي مع (مليكصادق)^(٢) .

والأقوال التي نبأتنا عن إبراهيم وتركه زوجه (هاجر) وابنه (إسحاق) في وادي مكة ، تصور لنا إبراهيم شيخاً يسير في الفيافي والقفار ومن ورائه زوجه هاجر محتضنة وحيدها الرضيع صامته لا تحاول معرفة ما يبحث عنه إبراهيم عندما تراه يتلفت ذات اليمين وذات الشمال كأنما هو يبحث عن ضالة لم يهتد إليها إلا في ذلك الوادي الذي تسوره الجبال ، وبجانب تلك الربوة الحمراء المباركة التي لا ماء حولها ولا ناس ، فيترك زوجه وابنه ثم ينقلب راجعاً وهو مطمئن القلب بأن هذا الوادي سوف يحتفظ بأفئدة من الناس وسوف تمتلئ أسواقه من كل الثمرات ، وبأنه سوف يعود ليمر رسالة ربه ويبني

(١) راجع الفصل الخاص بجغرافية مصر يوسف العربية في الجزء الثالث من هذا الكتاب فيه جمعت الأدلة والنصوص التي تثبت اجتماع إبراهيم بفرعون مصر .

(٢) راجع الجزء الخاص بالدول العربية وسياسة دولها .

البيت الحرام .

ويعتبر (شبرنجر) : أول من لاحظ أن شخصية إبراهيم مرت بأطوار^(١) .

أجل !! أليست هذه المعانى التى تعبر عنها تلك الصور التى مرت بنا تلوح لنا بتاريخ طويل حافل بالجهاد والتضحية والسير وراء الاهداف السامية مهما كانت التضحية ، وبحياة حافلة بالعمل على جمع الكلمة وإثارة الطريق للجميع مهما كانت العقبات والمتاعب ؟

أليست تشير إلى ذلك التطور الكبير الذى شمل البلاد العربية فى الألف الثانية قبل الميلاد ؟ ... أو لم نر المؤرخين فيما تقدم يكادون يجمعون على أن هجرة إبراهيم كانت فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد^(٢) ؟ .. ولقد أوشك المؤرخون أن يجمعوا أيضا على أن ذلك العصر كان عصر قوة ونشاط بالنسبة لشعوب الجزيرة العربية ودولها . وأوشكوا أن يجمعوا على أن التاريخ الحقيقى لقلب البلاد العربية أخذ يظهر فى صورة واضحة وإن لم تكن كاملة من ذلك التاريخ حيث بدأت الأمم العربية تتجمع حول البيت الحرام وتعدّد مؤتمراتها فى حج كل عام .

أجل ! إن إبراهيم - أبا الأنبياء - هو المؤسس الأول للعقيدة الحقّة والمبادئ السامية التى قاربت بين أهداف العرب فتفاهمت القلوب وتوحدت الآمال وسارت الأكثرية فى طريق العزّة والمجد .

وإن شريعة إبراهيم أبى الأنبياء وتعاليمه ، احترمها الأنبياء بعده والرسل ودعوا لها وحاربوا كل ما يشذ عنها فى حياة الأجيال التى بعثوا لها . فالأديان الكبرى التى شاء الله لها الانتشار والبقاء طويلا هى : يهودية موسى وخلفائه من بنى إسرائيل ومسيحية عيسى بن مريم والأسباط من بعده - فلقد جاءت اليهودية والنصرانية تؤيدان ملة إبراهيم ، وتحترمان البيت الذى أقام إبراهيم قواعده إلى أن ظهر الاسلام ، فلم يرض المسلمون أن تدنس المسجد الحرام أصنام الوثنيين الذين يجعلون لله أندادا كما رضى من قبلهم اليهود والنصارى .

(١) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٢ / ٢٧ .

(٢) سبق أن تعرضنا لتاريخ هجرة إبراهيم التى أكد تاريخها المطران الدبس فى تاريخ سورية بقوله : وعلى

كل الأقوال بلغ إبراهيم بلاد كنعان حول سنة ٢٠٠٠ ق . م جزء ١ / ٤ .

بيد أن ذلك النضج العقلي الذى ارتفع بالبلاد العربية الى مستوى جد عال بالنسبة لعالم القرن العشرين قبل الميلاد ، والذى قال عنه جرجى زيدان : (فهى نهضة عربية منذ نيف وأربعة آلاف سنة تشبه نهضة العرب فى صدر الإسلام ، ولأهم أدوار تشب فيها وتغلب)^(١) - لم يكن بكاف لأن تتحمل الشعوب العربية مسؤولية تاريخها ، وتقدم للعالم ثروة حضارية خالدة ، كما تحملت مسؤولية التاريخ فيما بعد وقدمت للعالم حضارة ما زال العالم أجمع ينظر إليها بعين الإعجاب والتقدير . فلئن بعث إبراهيم الوعى الروحى فى أرجاء البلاد العربية ربحاً من الزمن ، ولئن أقام إبراهيم كعبة الاسلام لتجتمع حولها القلوب المسلمة وتتعارف وتتفاهم ، فإن الوثنية لم تلبث بعد ابراهيم أن عادت أكثر مما كانت عليه فوضى وخرافة ، وأقوى مما كانت عليه نفوذاً وسلطاناً .

ولم تكن دعوة الأنبياء والمصلحين بعد إبراهيم إلا انتفاضات للوعى الخلقى يهذى الله بها من يشاء من عباده ثم لا تلبث أن تتصرف بها الأهواء وتحرفها الضلالة وتبدل الكلم النافع والتشريع الصالح إلى أن أنبلج نور محمد « صلى الله عليه وسلم » فأنزل الله الذكر وحفظه من التحريف والتبديل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »^(٢) .

١٣ - أجل ! إن قصص الأنبياء أنارت جانباً كبيراً من ماضى الجزيرة قبل الطوفان وبعده . فعندما يتحدث المؤرخون عن الأنبياء قبل الطوفان ، لا يألون جهداً فى جمع ما قيل عن آدم وكيف أسس الحياة الإنسانية ، وما قيل عن ابنه هايل وقابيل ، وكيف أسس بنو قابيل وبنو شيث الأسرة الاجتماعية فى جبال الجزيرة وسهولها ، وما قيل عن إدريس الذى تقول عنه الأكثرية : إنه من أنبياء ما قبل الطوفان ، وكيف أسس الحضارة فى الشرق الأدنى ، وما قيل عن نوح وكيف وجد قومه قد ضلوا سواء السبيل فى عبادة الله وإقامة تعاليمه .

وهذه هى مراحل التطور التى قطعها الإنسان فى زمنه الطويل قبل الطوفان : ومجال هذا التطور فى حديث المؤرخين لم ينتقل من شألى الجزيرة العربية إلى قلبها وجنوبها

(١) العرب قبل الاسلام ص ٧٠ .

(٢) سورة الحجر آية ٦ .

إلا بعد الطوفان ، وعذر المؤرخين في قصر الحديث على هذه الشخصيات وعنها ، وجعله في هذا النطاق الضيق ، يبرره أن ما جاء في القرآن الكريم عن العالم القديم ، وما نسب إلى الأسفار لم ينوه بغير هذه الشخصيات ، ولم يفسح لها مجالاً أكبر من هذا النطاق . وأكثر من هذا : أن التوراة لم تذكر هوداً ولا قومه ، ولم تذكر صالحاً ولا قومه ، وهم من عالم ما بعد الطوفان .

والذى يتدبر القرآن الكريم يحده لا يذكر من أسماء الماضين غير الأسماء المعروفة ، ولا يتحدث عن عبر الماضي بغير الأحداث التى ما زال صداها تردده الأجيال ، لأن الغرض الأول من ذكر أحداث الماضي هو الموعظة والعبرة . فالقرآن يتحدث عن آدم وهايل وقابيل ، وإدريس ، ونوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، ولقمان ، وغير هؤلاء من الأنبياء والرسل والحكماء الذين كانت فى حياة كل واحد منهم موعظة تناقلت الأجيال شيئاً من أخبارها .

ولما كان القرآن الكريم لم ينزل لأمة دون أخرى نراه يشير إلى بعض الأحداث غير العربية . ولما كانت أحداث الجزيرة العربية ، أرض الأنبياء والرسل ، منها ما هو مجهول عند غير العرب كأحداث عاد وثمود ، ومنها ما هو مختلف عليه مثل أصحاب الأخدود ، ومنها ما اشتبه فيه مثل ما قيل عن داود وسليمان إلى غير ذلك ، نجد القصص القرآنى يتحدث بشيء من التفصيل عن قوم عاد وقوتهم وحضارتهم ، وعن قوم صالح ونحتهم من الجبال بيوتاً ، وعن قصة داود وسليمان ، وعن حادثة الأخدود والنار ذات الوقود .

أما التوراة والمصادر الإسرائيلية ، وأما مؤرخو الكلدان والمصادر اليونانية ، فهذه جميعها قد عنت بالأحداث المتصلة بالهلال الخصيب التى خاض غمارها أنبياء بنى إسرائيل وملوك بابل وآشور . وأباطرة مقدونية . فلذلك لم يأت ذكر فى التوراة عن قوم عاد ونبههم هود ، وعن قوم ثمود ونبههم صالح . وأكثر من هذا أن المصادر اليونانية المعاصرة للمسيح لم تذكر المسيح كما كان ينتظر منها . فما هو موقف التحقيق الذى لا يأخذ إلا بما جاء بأقوال المستشرقين ؟

فهل معنى ذلك : أن هوداً وقومه ، وصالحاً وشعبه ، والمسيح بن مريم لم يكن لهم وجود

في هذه الحياة ، لأن المصادر اليونانية لم تذكرهم ولأن بعض المستشرقين شك في وجودهم^(١) ؟ إن النصوص التي لا شك فيها تؤكد : أن هودا وصالحاً وعيسى أنبياء لا ريب في حقيقتهم ، وهل معنى ذلك : أن العرب في قلب الجزيرة العربية من عهد آدم الى عصر إبراهيم أهملوا دون تشريع ينظم حياتهم تقوم على أساسه الأسرة وبنين عليه التعامل والتعاون ، ويربط بين الزوج وزوجه وبين الفرد ومجتمعه ! ؟ لعل (ديتلف نيلسن) هو من القلائل الذين يؤكدون : (أن الدين العربى القديم هو الخطوة السابقة للدين البابلى الآشورى المعقد)^(٢) .

حقاً إن في المصادر العربية والاسرائيلية أنباء غامضة ولكنها على غموضها تلوح منها أدلة تثبت : أن مشاعل المبادئ قد أضاءت قلب الجزيرة من اقدم عصوره . ولقد سقت في بحث (قلب البلاد العربية المهد الأول للإنسان وحضارته) الأدلة التي رأينا فيها ما يوضح جزءاً من تلك الأنباء الغامضة .

وإن ما في بعض هذه الأنباء الغامضة ، وما في قصص الأنبياء من مواعظ وعبر ، قد أضاء لنا ولا شك جانباً كبيراً من تاريخ العرب القديم ، وإن هذا الجانب الواضح في قصص الأنبياء أكدت قسماً كبيراً منه تحقيقات الأثرين في الجنوب وفي الشمال .

١٤ - فنحن إذا ما رجعنا إلى تلك الانبياء الغامضة التى نجدها في المصادر الاسرائيلية ، وفي المصادر العربية مبشرة حسبما تقتضى المناسبة التى تدعو الى ذكرها ، والتى تحدثنا عن عصر إدريس الذى أنجب من المصلحين أفذاذاً بلغ احترام الجماهير لهم النهاية المفروضة لكل احترام يغالى فيه بالأسلوب الذى يتسلط على عقلية العامة ، نجد تلك الأنبياء تؤكد لنا : أن الدين الأول هو التوحيد ، وأن الوثنية على قدمها ظهرت متأخرة ، وأنها - كما تجمع المصادر اليهودية والمصادر العربية - نتيجة احترام تماثيل العظاء المصلحين الذين برزوا في عصور ما قبل الطوفان .

(١) عبقرية المسيح للعقاد ص ٨٠ و ٨١ ، في الجزء الخاص بمصادر التاريخ العربى تحقيق في هذا الموضوع ، وأما ضرورة البحث هى التى جعلتنا نسبق ذلك التحقيق بهذه الإشارة .

ونحن إذا ما رجعنا الى قصة نوح نجد في الجدل الذي دار بين نوح والذين كفروا من قومه ما يوضح لنا عقلية ذلك الجيل ، وأنه كان لا يجهل الإله الأعظم الذي عنده خزائن لا تتفد والذي من خلقه الملائكة المقربون : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] ، [وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ]^(١) .

ونحن بعد هذا الذي نجده لا يخامرنا شك في أن النتيجة التي وصل إليها (ويليم شמיד) في العصور المتأخرة والتي وضحها (ديتلف نيلسن) عندما قال : [أما تعدد الآلهة الذي طرأ فيما بعد فهو خروج على الدين الأصلي التوحيدي القديم]^(٢) ، قد سبقه إليها المفسرون ورواة أخبار الماضى القديم الذين قالوا : إن قوم نوح جيل سبقته أجيال عبدت الله وحده وأجيال جاءت بعدها ضلت الطريق إلى الله تعالى كما ضلت الأجيال بعد نوح ، يعد أن تطاول العهد ونسى الناس دعوة نوح .

ولقد جاء في بحث (جواد على) في الأديان السامية القديمة : [ويتبين من دراسة الأساطير السامية وجود شكل من اشكال التوحيد عند القبائل السامية البدائية]^(٣) . وجاء في بحث (ديتلف نيلسن) وتحقيقه في الديانة العربية القديمة : [وتتفق الآلهة الشمالية مع الآلهة الجنوبية في وجود إله مسيطر]^(٤) .

إذن فالوثنية على قدمها لم تكن البداية في تاريخ الأديان في جزيرة العرب ، والوثنية

(١) سورة هود آية ٢٥ وما بعدها وآية ٣١ .

(٢) التاريخ العربى القديم ص ١٧٦ .

(٣) تاريخ العرب لجواد ٥ / ٢٨ .

(٤) التاريخ العربى القديم ص ١٧٦ وما بعدها و ١٨٦ .

في جزيرة العرب هي انحراف تمثله تلك الأصنام التي اتخذها الوثنيون وسطاء بينهم وبين الله الذي ملأ الوجود كله ، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، والذي يسمع ويحيب دعوة الداعي إذا دعاه دون وسيط .

وكذلك وثنية ما بعد الطوفان لا تنفي وجود الله . وإنما هي تجعل له أنداداً شركاء .. ولم تكن عقلية الوثنيين بعد الطوفان أوسع أفقا من عقلية الوثنيين قبل الطوفان . فمثلا جادل نوحاً قومه جادل هوداً قومه : [قالوا أَجِئْتَنَا لنُعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما نعدنا إن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ]^(١) .

ولقد جاء في تفسير الطبري : أن (وَدًّا) و (سواعاً) و (يغوث) و (يعوق) و (نسرًا) آلهة كان يعبدها قوم نوح ، ثم عبدتها العرب بعد ذلك فكان ود لكلب بدومة الجندل ، وكان سواع لهذيل برهاط ، وكان يغوث لبنى غطيف من مراد بالجرف من سبأ ، وكان يعوق لهمدان بيلخع ، وكان نسر لذي كلاع من حمير^(٢) .

ولقد كانت نزار تقول إذا ما أهلت : (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك) .

ولقد تعثرت الصابئة بفكرة تأليه النجوم وتفرقت بهم هذه العقيدة الى ملل يشير إليها القرآن الكريم^(٣) فيما قصه عن إبراهيم :

[فلما جنَّ عليه اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ]^(٤) .

(١) سورة الاعراف آية ٧٠ .

(٢) تفسير الطبري ٢٩ / ٦٢ ، وسيرة ابن هشام ص ٧٨ جزء ١ .

(٣) في بحث القصص القرآني رد على نقد المستشرقين موضوع تكرار الآيات والقصص فراجع في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) سورة الأنعام آية ٧٦ وما بعدها .

وينقل الأستاذ البتونى عن (رولنسون)^(١) : أنه كان يوجد فى بابل هيكل يسمونه برج نمرود ، وكان مبنياً من سبع طبقات ارتفاعها اثنان وخمسون ياردة ، كل طبقة ذات لون خاص يرمز الى كوكب من الكواكب السبعة .

ولم تكن عبادة الكواكب محصورة فى (بابل) و (أور)^(٢) بل هى قد انتشرت مع الوثنية فى جميع البلاد العربية - فالكواكب الإلهية فى مصر لها الصدارة بين الآلهة المصرية فالشمس كانت تسمى الإلهة (آمون - أو - أزوريس) والقمر الإله (إيزيس) كما كان لها شأن فى سورية وفى اليمن .

ويعتقد الكثير : أن عبادة الكواكب انتقلت من بابل الى مصر عن طريق سورية التى أقامت للإلهة الشمس التى أسمتها (بعل) هيكلًا أسمته (بك) . ولا تزال مدينة بعلبك اللبنانية تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .

١٥ - وعبادة الكواكب وإقامة التماثيل لها ، قديمة فى الجنوب فالشمس والقمر والزهراء من آلهة الشعوب اليمنية ، وعندما تحدث (ديتلف نيلسن) عن عبادة الكواكب فى جنوب الجزيرة ذكر الثالوث الكوكبى : الأب ويمثله القمر والأم وتمثلها الشمس والابن وتمثله الزهراء .

وكأنما ديتلف نيلسن عندما قال : [أما تعدد الآلهة الذى طرأ فيما بعد ، فهو خروج عن الدين الأصلى التوحيدي فى القديم] كان يعنى وجهة نظر المؤرخين الإسلاميين ولكنه على كل حال لم يخرج عما قاله (ويليم شמיד) : إن العرب كانوا فى الأصل موحدين .

ولئن استغرب (ديتلف نيلسن) من إهمال القرآن الوثنية القديمة ، ومن عدم اهتمامه بذكر آلهة كثيرة كانت لها شهرة كبيرة فى جاهلية العرب [ومن ثم فالآلهة التى ذكرت هى عادة آلهة عصر الاضمحلال والتدهور الذى سبق الاسلام .

(١) راجع الرحلة الحجازية للبتونى ص ١١٠ .

(٢) جاء فى دائرة المعارف الاسلامية فى مادة (الرها) مجلد ٩ / ٢٦٦ : أن الرها هى (أروقة) ويعتقد بعض المؤرخين : أن (أور) هى أروقة ، وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن الرها فيما قبل المسيح كانت مركزا لعبادة الكواكب شأنها شأن حران ، وفى بعض الروايات يقال : إن (حران) هى بلد إبراهيم وحران اشتهرت بصفة خاصة بأنها قصبة الصابئة .

أما فيما يتعلق بعصرها الذهبي فالمصادر العربية الإسلامية تجهلها جهلاً تاماً كما تجهل العصر العربي الذهبي الجاهلي (١) فإننى لا أستغرب معه من ذلك ، وإننى قد أدليت بما وصلت إليه في القصص القرآنى والغرض منه في الفصل الخاص بالقصص القرآنى في الجزء الثانى (مصادر التاريخ العربى) من هذا الكتاب .

١٦ - فالوثنية على مختلف أنواعها ، ومتعدد صورها ، ومتفاوت عصورها ، لم تكن بداية التدين في بلاد العرب ، وإنما كانت انحرافاً عن الطريق القويم لعبادة الله . وإن ظهور الوثنية في البلاد العربية سبق التاريخ الحقيقى بدهور طويلة . فلقد بدأ الصراع بين الرسل وبين الوثنية من فجر الحياة العربية . وما فجر الحياة العربية منا بقریب ، إنه يرجع إلى آلاف السنين قبل الميلاد .

والوثنية في الحجاز لم تذكر إلا بعد إبراهيم . ولم يكن لها مكان في مكة إلا بعد عمرو بن لحي . وزمن عمرو بن لحي يعتبر من أواخر جاهلية ما قبل الاسلام . فمع العهد الخزاعى في مكة ظهرت الوثنية في حرمها . أما قبل ذلك فلم نسمع أن إبراهيم حطم أصناماً في (أم القرى) مثلاً حطم أصناماً في (أور) ، ولم نسمع أن سكان الحجاز ناوؤوا إبراهيم وإسماعيل في رفع القواعد من البيت ، ولم نسمع أصواتاً عارضت إبراهيم عندما أذن في الناس بالحج ، أو عن وثنيين صدوا الذين لبوا النداء فأقبلوا يهللون ويكبرون . فكل ما جاء في المصادر الإسلامية عن الوثنية قبل عصر خزاعة محصور في قصص عاد ، وثمود ، وأصحاب مدين - في وادى القرى وأرض مدين - ولقد سبق في البحث عن - حور إبراهيم ، وهود ، وصالح أننا مقتنعون برأى الذين يقولون : إن إبراهيم سبق عصره عصر هود وصالح .

والبحث في وثنية ابن لحي يسوقنا الى شمال الحجاز ، الى (الحجر) عاصمة ثمود لنعلم : أن آلهة الثموديين تشارك آلهة قريش في اسمائها ، ولنعلم : أن من آلهة ثمود صنم اسمه (ودّ) ، و (ودّ) من الأصنام القديمة التى عاصرت نوحاً ، أوهى من قبل نوح ، و (ودّ) اسم اطلق على اصنام يمنية (٢) ، ونحن إذا علمنا كل ذلك يظهر لنا أن الوثنية

(١) التاريخ العربى القديم ص ١٧٧ .

(٢) راجع التاريخ العربى القديم ص ٤٣ و ٤٤ والجزء الأول من سيرة ابن هشام ص ٣٧ .

انتشرت حول مكة دهوراً طويلة ولكنها لم تدخل الحرم المكي إلا في عهد عمرو بن لحي .
والبحث في قصة عمرو بن لحي يؤكد : أن ابن لحي نقل الوثنية من (مآب) . من
أعمال البلقاء ، إذن فإن الوثنية التي جاء بها عمرو بن لحي الى مكة هي سليله وثنية
ثمود . فحديث الأثريين عن الثموديين يؤكد انتشارهم في شمال الحجاز وجنوبى سورية
وصحراء سيناء ، وهذه المناطق في عهدها القديمة سكنها الإرميون الذين جاءوا من العراق
بعد أن عمروه وأقاموا فيه حضارة انصهرت فيها حضارة الشعوب التي كانت تعيش في
العراق من قبل التاريخ ، مثل : « الشعب المعينى » الذى سكن شمالى الحجاز حقبة من
الدهر ثم استوطن اليمن^(١) .

فعلى ذلك تكون وثنية الثموديين قد تأثرت بوثنية بلاد ما بين النهرين منذ وصل
المعينيون الى وادى القرى .

ولقد وصل بحث (ديتلف نيلسن) فى أديان الشعوب العربية القديمة المستند إلى
النصوص الأثرية إلى : [أن الثالوث الإلهى عند المعينيين الذين سكنوا (دادان) -
الاسم القديم للعلا - المكون من (عشت) و (ود) و (نكرح) - الشمس والقمر
والزهرء - هو نفس الثالوث الإلهى عند الجاهليين فى اليمن^(٢)] .

والوثنية التي جاء بها ابن لحي الى مكة لم تتل من مكانة الكعبة فى نفوس العرب وغير
العرب ولا من شرف مكة القديم الذى نوه به المؤرخ الرومانى (سيسلاسى^(٣)) الذى
عاش قبل الميلاد بخمسين عاما بقوله : (ان مكة أشرف معابد الشرق وأقدمها) .
ويقول المؤرخون : إن مما ساعد على انتشار الوثنية فى قلب الجزيرة ، حرص بنى
اسماعيل على تعظيم البيت الحرام والتبرك به والتعبد عنده . فهم كانوا شديدى التعلق به
والتعبد عنده والتبرك بحجارته . فإذا ما اضطرتهم الظروف على البعد عنه حملوا معهم

(١) راجع بحث معين فى الجزء الخاص بشعوب الجزيرة العربية من هذا الكتاب ولقد عثر الأثريون بين
أخبار زمام سين سنة ٣٧٥٠ ق . م على نصب عليه نقوش مسبارية جاء فيها أن « زمام سين » حمل على
(معان) - وجاء ذكر هذه الأمة أمة مالىق فى آثار بابل سنة ٣٥٠٠ ق . م . العرب قبل الإسلام لمرجى
زيدان ص ١٣٣ .

(٢) التاريخ العربى القديم ص ٤٢ وما بعدها .

(٣) قوافل العروبة ومواكبها ليهم ص ٣٢ جزء ١ .

حجراً من حجارة الحرم . فحيثما نزلوا وضعوا الحجر وطافوا به كطوافهم بالكعبة . فمن هنا وجدت فكرة الوثنية طريقها إليهم . فلم يلق ابن لحي معارضة عندما أتى بالأصنام من البلقاء وأقامها حول البيت .

فعلى هذا لم تدخل الوثنية إلى مكة إلا بعد إبراهيم بأجيال . وبدخول الوثنية إلى مكة ساد نفوذها على الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، فانتشرت بيوت الأصنام في الأحياء العربية الحجازية وفي نجد واليامة .

وكان من جراء هذا الانتكاس أن تردت عقيدة العربي في حضيض من سخافات نقدها الكثير من عقلاء العرب الجاهليين مثل (قس بن ساعدة) و (ورقة بن نوفل) و (عبد الله بن جحش) و (عثان بن الحارث) و (أمية بن الصلت) - بل هزأ منها الأعرابي في صحرائه وسخر من خرافاتها بصورة تتجلى في هذا النقد اللاذع :

وهل سعد إلا صخرة بتنوفه من الأرض لا يدعو لغى ولا رشد ؟
أربُ يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب !
ويحدثنا الشهرستاني عن تبليد العقيدة العربية فيقول : [إن العرب أصناف .

فمنهم معطلة ، ومنهم محصلة نوع تحصيل . ومعطلة العرب أصناف منهم : من أنكر الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدمر المميت وإليه أشار القرآن : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)^(١) ، ومنهم : من أقر بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكر البعث والإعادة وهم الذين أشار إليهم القرآن : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبَّيْ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)^(٢) ، ومنهم من أقر بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة ، وأنكر الرسل ، وعبد الأصنام وزعم أنهم شفعاء عند الله في الآخرة ، وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا لها بالمناسك والمشاعر ، وحلّلوا وحرّموا . وهم الدهماء من العرب . ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول : (إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً) (هامة) فيرجع إلى رأس

(١) سورة الجاثية آية ٢٤ .

(٢) سورة يس آية ٧٨ .

القبر كل مائة سنة) . ويؤكد الشهرستاني : أن من العرب من كان يميل إلى النصرانية ومنهم من يصبو إلى الملائكة فيعبدونهم . ومنهم من كان يعبد الجن ويعتقد أنهم بنات الله .

ويفتح أبو إسحاق إبراهيم النجيمي رسالته « إيمان العرب في الجاهلية » بقوله : [وكانت العرب في الجاهلية على مذاهب ، فكان معظمهم يدين لله تعالى ذكره ويتمسك بإرث من ملة إبراهيم ، ويحج ، ويتأله ، ويعظم الحرم والأشهر الحرم ، ويضع أوزار الحرب ، وإن ظفر بعده فيها لم يمسه بسوء . وكانوا أخفافاً . فكان منهم : من يستحل في الحرم المحرم ، ومنهم من يحرم المحل والمحرم ، ومنهم من يحل عن المحرم ويحرم عن المحلل] .

ولقد جاء في كلام صاحب المستطرف عن انتشار الأديان في جزيرة العرب : [فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض من قضاة . وكانت اليهودية في نجد وكنانة وبنى الحارث بن كعب ، وكانت المجوسية في تميم] .

١٧ - فمجموعة هذه العقائد والنحل التي تحدث عنها الشهرستاني والنجيمي والأبشيهي وغيرهم إن دلت على شيء فإنما تدل أولاً على صراع الأديان في أرض الأنبياء - ذلك الصراع القديم الذي شهدته هذه الأرض منذ عصورها الأولى . ومن المفروض أن تختلف فلسفة المعتقدات حسب تطور الحياة العربية وملابس العصور . وذلك ما نراه واضحاً في البحوث التي تعمقت في معرفة العقائد التي كان لها تأثيرها على عوالم الماضي البعيد . وفي البحوث التي تحدثت عن وثنية ابن الحى .

والخلق بالإشارة إليه هنا : هو ما يلاحظ على سكان قلب الجزيرة العربية . فهم على الرغم من صراع العقائد العنيف الذي كان على أشده عشية ظهور الاسلام ، وعلى الرغم من الهجرات اليهودية واحتوائها بسلطان التبابعة في الجنوب ، وبأهداف المطامع الكسروية في الشرق وعلى الرغم من انتشار النصرانية في الشمال واعتزازها بإمبراطورية الروم التي تدين بها على الرغم من كل ذلك ، فلقد كانت الأكثرية في قلب الجزيرة العربية متمسكة بإرث من ملة إبراهيم ، تحج وتتأله وتعظم الحرم والأشهر الحرم وتضع أوزار الحرب وإن ظفر بعضهم ببعض فيها لم يمسه بسوء .

فلقد نزحت اليهودية من فلسطين إلى الحجاز ، فاستوطن اليهود في (تياء) ،
(المدينة) ، و (خيبر) ، و (فدك) ، و (وادي القرى) . ومن المدينة رحلت
اليهودية إلى اليمن مع « تُع » الذي كسا الكعبة استجابة لاقتراح أحبار اليهود الذين عاد
بهم من المدينة إلى اليمن^(١) . ولقد كثرت هجرة النصارى إلى بلاد العرب فانتشرت
النسطورية في (الحيرة) ، وانتشرت اليعقوبية في غسان وسائر قبائل الشام ووصلت إلى
(نجران) ، ولقد كانت المجوسية دين الدولة ذات السيادة على العراق - الفارسية .
ولقد كان لهذه الأديان شأنها في مقدرات البلاد العربية السياسية إبان الصراع الذي
استمر طويلا بين فارس والروم .

ومع هذا كله فإن اليهودية التي وجدت طريقها إلى داخل شبه الجزيرة ، والتي كان
الأكاسرة يتخذون منها عوناً لدعائهم ضد الروم - لم تستطع أن تحل محل ملة إبراهيم كما
كان ينتظر لها ولا سيما أنها ديانة تقوم على توحيد الخالق . بل هي لم تؤثر على الأوس
والخزرج الذين جاوهم اليهود واختلطت مصالحهم بمصالح اليهود التأثير المنتظر منها في
المدينة ، ولم يستطع اليهود أن يلفتوا نظر قريش إلى اليهودية ، في الوقت الذي كان اليهود
يتعبدون عند البيت ويحترمون الكعبة ويقدمون حرمها^(٢) . وكذلك لم يكن للنصرانية
التأثير المنتظر بالنسبة لقوة أنصارها وأحزابها ، وبالنظر إلى أن عقيدة الثالوث المقدس
عقيدة قديمة انتشرت في شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، وبالنسبة لنشاط المبشرين بها ،
فلقد جاء في تاريخ الطبري : أنه وجد نقش على قبر في قمة الجباء - جبل في المدينة
المنورة - قرأه بعض الذين يعرفون الخط المسند من الفرس ، فإذا هو : هذا قبر رسول
رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه البلاد^(٣) .

أما المجوسية وأسوأها مذهب المزدكية - فلا غرو إن كان تأثيرها على القبائل العربية
ضئيلاً جداً . فالمجوسية دين الأكاسرة لم يكن لها من المكانة بحيث تستطيع أن تقف أمام

(١) سيرة ابن هشام ٢٠/١ مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٥ .

(٢) الرحلة الحجازية للبنتوني ص ١١٣ وما بعدها .

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٧/١ .

نصرانية الروم ، وذلك ما دعا الأكاسرة أن يتخذوا من اليهودية نصيراً إزاء المسيحية .
وإذا كانت مكة تشرفت بالبيت الحرام ، وإذا كانت جبالها رددت صدى نداء إبراهيم ، فكذلك قد شهدت مدنٌ حجازية غير مكة جهاد الأنبياء والرسل . فلقد شهدت الأحقاف بعثة (هود) وشهدت الحجر دعوة (صالح) وشهدت مدين رسالة (شعيب) وشهدت فلسطين كفاح أنبياء بنى إسرائيل - وغيرهم من دعاة الإصلاح والخلق الفاضل .

وهذا الذى شهدته أودية الجزيرة العربية وجبالها ورمالها - دليل محسوس يؤكد بصراحة لا غبار عليها وبمنطق لا لبس فيه : أن العقلية العربية ، صقلتها من أقدم عصور الانسان تشريعات الأنبياء ، فعرفت الحياة وواجب الانسان فيها ، وعرفت كيف تنظم المجتمع الفاضل ، وكيف تؤسس الحياة العزيزة .

وإذا كانت الأوضاع العربية لا سياً في قلب الجزيرة قد تدهورت أخيراً متأثرة بأحداث الزمن الطويل . وبما أحاط بعالمها من شرور الأقطاع السياسية - فالبلاد العربية كما تعرضت لكوارث الطبيعة التى قدرها الله لها ، كذلك كانت هدفاً لأطباع كل من حلم بالسؤدد والنفوذ على الشرق الأدنى ، فهى من ذلك كله ذاقت حلول الحياة ومرها . فبعد أن كانت تسود هذا الشرق العربى جميعه من الفرات إلى النيل ، أصبحت تدافع عن حياضها فى عقردارها فى « ذى قار » وفى « مكة » ، وبعد أن كانت مشاغل الأنبياء تضىء أرضها ، أمست فى ظلام دامس من الفوضى والجهل واختلاف الكلمة ، إلى أن تداركها الله برسول العالم محمد « صلى الله عليه وسلم » فأشرق النور ، ووضح الطريق ، وتجلت الفضيلة ، فكان لهذه الأمة العربية فضل الجهاد فى سبيل الحق والنور . وكان لقلب الجزيرة فضل القيادة الرشيدة العادلة .

وإذا كان هناك من لا يصدق بهذه الحقيقة البينة ما لم ير الدليل المادى فليرجع إلى التاريخ العربى الاسلامى ويقارن ما بين عصر السلف العزيز بإيمانه ، القوى بتآزره ، الوثاب باخلاصه وصدقه وتفانيه ؛ وبين عصور من خلفهم ممن أضاع كل ما يفخر به التاريخ العربى .

وإذا كان لنا أن نستشهد بما يؤكد قدم الحضارة في قلب الجزيرة ، فإن قدم الأديان في
مهابط الوحي أوضح شاهد يؤكد لنا : سبق هذا الجزء للحضارة ، وقدم مجتمعاته في
التاريخ ، كما أن تراثنا الثقافي لغة وشعراً أنار لنا جانباً آخر من جوانب الحضارة العربية في
هذه الربوع .



البحث الثامن:

اللغة العربية هي الأصل للغات العالم العربي القديم

لسان جرهم وعاد هو لسان مضر وإياد

من موضوعات البحث :

- ١ - البحث عن أم اللغات السامية سار في طريق البحث عن الأرومة السامية .
- ٢ - الجزيرة العربية هي مهد الساميين .
- ٣ - قدامى المستشرقين يؤكدون : أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية ، والمتأخرون يرفضون البحث في أم اللغات السامية !!
- ٤ - آراء جرجى زيدان وولفنسون وجواد على في أم اللغات السامية .
- ٥ - أم اللغات المفقودة هي الأصل الذى تفرعت عنه أم اللغات السامية .
- ٦ - وجهة البحث في أم اللغات السامية .
- ٧ - الحقيقة فيما يقال عن اللغة العبرية وأنها الأصل للغات السامية .
- ٨ - أخطأ الذين ظنوا أن اللغة العربية الأولى بادت مع العرب العاربة .
- ٩ - تطور اللغة العربية حقيقة لا ريب فيها .
- ١٠ - لغة الشعوب العربية في الوقت الحاضر .
- ١١ - اللغة العربية في الماضى القديم تأثرت بلغة الأمم التى جاورتها .
- ١٢ - لم يكن للغة العربية حصن غير قلب الجزيرة .
- ١٣ - لقد كانت هناك لهجات عامية في الماضى القديم مثل ما في الحاضر من لهجات يختص بكل واحدة منها قطر من الأقطار العربية .
- ١٤ - الخطوط القديمة وأبجدياتها عامل مهم من عوامل اختلاف اللغة العربية في أقطارها العربية .
- ١٥ - إن التطور لم يخرج اللغة العربية عن أصلها .

اللغة العربية هي الأصل للغات العالم العربي القديم

لسان جرهم وعاد هو لسان مضر وإياد

١ - لقد سار البحث عن أرومة اللغات التي كانت تتكلم بها أمم من العرب في الزمن القديم - أطلق عليها المستشرقون في القرن الثامن عشر الميلادي اسم^(١) : الأمم السامية - في الطريق الذي سار فيه البحث عن الأرومة العنصرية لهايتك الأمم العربية^(٢) فكما أن البحث عن الأرومة السامية سار في طريق التردد والشكوك طويلا قبل أن يصل إلى الحقيقة التي تؤكد : أن الأمم السامية هي أمم عربية من عنصر عربي ، وأن مهدها الأول هو الجزء الذي يحده الهلال الخصيب شمالا من جزيرة العرب ، كذلك سار البحث عن أرومة اللغات السامية في طريق التردد والشكوك قبل أن يصل إلى الحقيقة التي تؤكد : أن اللغات السامية تفرعت من اللغة العربية .

٢ - فاستقصاء الحقائق التاريخية أثبت : أن الكلدانيين ، والآشوريين ، والآراميين ، والفينيقيين ، والهكسوس - كل هؤلاء شعوب عربية انتقلت من أواسط الجزيرة العربية إلى شاليها . فأسست في العراق ، وفي سورية ولبنان وفلسطين . وفي مصر قومية عربية ولغة عربية ، وأثبتت بعد ذلك : أن الأمم العربية قبل الإسلام لم تستطع أن تحافظ على قوميتها وعلى لغتها . فكثيرة هي الكوارث التي حطمت قوميتها ، وكثيرة هي الأزمنة التي طغت فيها على لغتها صفات ولهجات من لغات العناصر التي احتكت بها في أنهار ومدن الهلال الخصيب ، وفي دلتا النيل والشواطئ العربية ، فجعلت كل واحدة منها تكاد تكون مستقلة عن الأخرى ، من حيث الأبجدية ومن حيث النطق ، ومن حيث القواعد والخصائص .

واستقصاء الحقائق التاريخية أثبت : أن اللغة التي كان يتكلم بها الساميون في مهدهم الأول - هي : اللغة السامية الوحيدة التي احتفظت بصفاتها الأصلية لأنها عاشت داخل الجزيرة . وداخل الجزيرة هو البلد الوحيد الذي لم يشارك الساميين فيه غيرهم من عوالم

(١) لقد اعتبرنا الاسمين (سامي وعربي) مترادفين فلم نتقيد بواحد منها في بحوث هذا الكتاب .

(٢) قد دخل في الامم السامية امم اصبحت ذات عنصر خاص بها مثل الاسرائيلين راجع بحث السامية والعربية في الجزء الثالث من هذا الكتاب الذي صدر بعنوان التاريخ العربي وجغرافيته .

الماضى التى اكتظت بها ضفاف الأنهار ، وسواحل البحار ، ومدن الطرق التجارية ، فقلْبُ الجزيرة هو البلد الذى تمتع الساميون فيه بالاستقلال الكامل فى كل عصر من عصورهم ، وفى كل لونٍ من ألوان حياتهم ، فلم يدخله عليهم غاز إلا وفشل ، ولم تجاورهم فيه أمة من الأمم إلا واستعربت ، كاليهود الذين استعربوا فى المدينة « يَثْرِبُ » وفى « خيبر » وفى « وادى القرى » ولم يحتفظوا بغير عقيدتهم ، وبغير الغريزة الاقتصادية ، وبغير المكر اليهودى السيء .

٣ - فمما جاء فى كتاب تاريخ اللغات السامية لولفنسون ، وفى كتاب العرب قبل الاسلام لمرجى زيدان ، وتاريخ العرب لجواد على وفى غيرها من المؤلفات التى اعتمدت فى بحثها على الآراء التى سارت فى طريق الشكوك : تظهر لنا صورة التردد الذى سبق الاطمئنان إلى الحقيقة القائلة بأن الجزيرة العربية هى مهد الساميين ، وأن اللسان العربى هو الأصل للغات السامية . فلقد قال « ولفنسون » فى مقدمة كتابه تاريخ اللغات السامية ([بقيت هناك مشكلة أخرى لها خطرها فى هذا الموضوع وهى : أى لغة من اللغات السامية أقرب صلة وأقوى شَبْهاً باللغة السامية الأصلية ؟ وهذه لم تحل أيضاً حتى الآن بل اختلفت فيها أقوال الباحثين أيضاً واضطربت آراؤهم . فقد كان أحبار اليهود فى العصور القديمة يعتقدون : أن اللغة العبرية هى أقدم لغة فى العالم . وسرت هذه العقيدة من اليهود إلى غيرهم من الساميين حتى إن العرب فى القرون الوسطى كانوا يعتقدونها ، ثم جاء المستشرقون بعد ذلك فذهبوا مذاهب شتى ، فالعالم « أولهوزن » يقول : إن العربية هى أقرب لغات الساميين القديمة ، وأيد رأيه هذا بجملة أدلة ارتاح لها الكثيرون من علماء الإفرنج . وأما المستشرقون الحديثون ، فينظرون إلى هذه المشكلة بعين غير التى كان ينظر بها سابقوهم فهم يرون : أن من العبث أن يبحث المرء فى لغات الساميين عن أقربها من السامية الأصلية [(١)] .

ثم قال أخيراً مقتنعاً بالحقيقة التى تؤكد : [أن من مميزات اللغة العربية : أنها تشتمل على عناصر قديمة جداً من اللغات السامية الأصلية . وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة فى مهد اللغات السامية ، أو فى ناحية قريبة منها ، أو أن العناصر التى

(١) تاريخ اللغات لولفنسون ص ٧ .

نزحت إلى البلاد العربية كانت من أقدم الأمم السامية [(١)] .

أما المستشرقون المتأخرون الذين قال عنهم ولفنسون : إنهم يرون أنه من العبث البحث عن أم اللغات السامية ، فهؤلاء عندما يبحثون عن لغة من اللغات وصلاتها بأخواتها الساميات - يرجحون : أن هذه اللغات أمٌ وطنها « الجزيرة العربية » فلقد جاء في كلام (هومل) : [فمن المحقق الآن أن القرابة قوية جداً بين أبجدية النقوش العربية الجنوبية وبين الأبجدية الفينيقية ، لكن الخلاف حول درجة هذه القرابة ونوعها . فإما أن الأبجديتين نشأتا من أبجدية واحدة ، أو أن إحداها تفرعت عن الثانية ، ولكن إلى جانب هذه الاحتمالات وتلك الآراء يجب أن تذكر الظروف المحلية التي قد تزيد المسألة صعوبة ، فعلىنا قبل كل شيء أن نسلم بوجود حلقة اتصال مفقودة . ووطن الأبجدية الأصلية سواء كانت هذه الأبجدية فينيقية أو عربية جنوبية ، مثلاً هل هذا الوطن هو شرقي بلاد العرب أو أرض كنعان أو بلاد العرب الجنوبية ؟] (٢) .

ومن رأى (هومل) : الاهتمام بالعلاقة الموجودة بين الكتابة المصرية القديمة ، وبين الأبجديتين القديمتين أو إحداها : [كما أنه توجد اعتبارات أخرى جديرة بالاهتمام كالعلاقة بين تلك الأبجدية السامية والأبجدية المصرية القديمة التي عرفت حوالى عام (٤٠٠٠) ق . م .] (٣) .

فهذه الظنون التي انطلقت تبحث عن وطن اللغة الأم ، لم تذهب إلى غير داخل الجزيرة العربية . فأرض كنعان الأولى هي : اليمامة وسواحل الخليج الإسلامى . وأرض كنعان الثانية هي : سورية ولبنان وفلسطين « سورية الكبرى » . ولم يقل أحد : إن سورية هي الوطن الأول للغات السامية ، لأن الكنعانيين هاجروا من وطنهم الأول بكثير من حضارتهم وفنهم في الملاحه ، وحرصوا على أن يطلقوا على بعض مدنها في سورية ولبنان أسماء مدنها في الخليج الإسلامى فمن غير المحتمل ان يكون هؤلاء الكنعانيون تركوا لغتهم في الخليج ليتخذوا لغة جديدة في لبنان . والعربية الجنوبية لا يتجاوز تاريخها في

(١) نفس المصدر ص ١٦٨ .

(٢) التاريخ العربى القديم ص ٦٠ و ٦١ .

(٣) التاريخ العربى القديم ص ٦١ .

الجنوب إلى أكثر من القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، بينما الأبجديات السامية يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد بكثير .

إن الأبجدية السامية دخلت إلى وادي النيل قبل عصر الأسرات كما أثبت ذلك (بريستند) في كتابه « مصر من أقدم العصور »^(١) ، ولذلك قال هومل : يجب الاهتمام بالعلاقة بين الأبجدية السامية والمصرية القديمة التي عرفت حوالى عام (٤٠٠٠) ق . م .

ثم جاء بعد « هومل » و « لفنسون » - جواد على ، يفند بعض الآراء التى تذهب إلى أن أفريقية الشرقية هى مهد الساميين ، وبذلك تكون لغتها هى أم اللغات السامية ، فقال : [وهذه نظرية غُضتْ الطرف عن الاعتبارات التاريخية . فمن الممكن إرجاع ما لاحظته علماء اللغات من وجود صلات لغوية بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة إلى عوامل الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية ، وعن طريق سيناء إلى أفريقية مثل هجرات الهكسوس ، وهم من أصل سامى جاؤوا إلى مصر من بلاد العرب ، وإذا سوغ علماء النظرية الأفريقية لأنفسهم الاستدلال على أفريقية الساميين من وجود القرابة اللغوية بين اللغة المصرية مثلاً واللغات السامية ، فإن من الممكن إرجاع هذه القرابة إلى أثر تلك الهجرات السامية فى اللغة المصرية . وأما تقارب الحبشة من اللهجات العربية الجنوبية ، وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند ، فلا يكون دليلاً على هجرة الساميين من أفريقية عن طريق الحبشة إلى جزيرة العرب ، إذ يجوز العكس ، وقديماً هاجر الساميون من العربية الجنوبية إلى الحبشة ، والساميون هم الذين كونوا دولة أكسوم التى كانت تتكلم باللغة الجعزية]^(٢) .

وجاء جواد على يقول عن الأقلام : المسند والتمودى والليحاني والصفوى [يتبين من انتشارها فى منطقة واسعة خاصة فى الأرضين التى تسكنها قبائل عربية خالصة بعيدة عن مؤثرات « بنى إرم » ومن تقاربها من المسند ، أنها تفرعت من « أبجدية » واحدة ، كانت الأبجدية الراجحة فى بلاد العرب قبل الميلاد وبعده]^(٣) .

(١) مصر من أقدم العصور ص ١٧ . (٢) جواد ١ / ١٥٥ و ١٥٦ . (٣) جواد ٣ / ٤٢٥ .

ونحن إذا تعمقنا مع الآراء المستشرقة التي جمعها جواد على ولخصها كما يأتي :
(وكان من جملة العوامل التي ألهبت نار الحماسة في نفوس علماء التوراة والساميات
البحث عن اللغة السامية الأولى ، أو أقرب لغة سامية إليها ، القصص الواردة في التوراة
عن سام ، وعن لغات البشر ، والطوفان وما شاكل ذلك . ثم وجد المستشرقون المعاصرون
أن البحث في هذا الموضوع ضرب من العبث . لأن هذه اللغات السامية الباقية حتى الآن
هي : محصول سلسلة من التطورات والتقلبات لا تحصى مرت بها حتى وصلت إلى مرحلتها
الحاضرة ، كما أنها حاصل لغات ولهجات منقرضة ، واللغة السامية القديمة لم تكن إلا لغة
محكية زالت من الوجود دون أن تترك أثراً)^(١) .

نجد جواد على يكرر ما قاله ولفنسون عن المستشرقين المحدثين وأنهم يرون : من
العبث البحث عن أم اللغات السامية ، ويزيد عليه السبب الذي من أجله كره
المستشرقون البحث فيها ، وأنه يرجع إلى عدم اقتناعهم بما في بحوث علماء التوراة .
وكذلك جرجى زيدان يرى : (أما أم اللغات السامية فلا وجود لها الآن ، وقد ظن
بعض فلاسفة اللغة أنها العبرانية ، وزعم غيرهم أنها العربية ، وغيرهم أنها البابلية ،
ولا تخرج أقوالهم عن حد التخمين)^(٢) . لأنه يعتقد : (أما مسألة مهد الساميين فلا تزال
من المسائل الغامضة التي يجب تركها حتى تتسع معارفنا بما يكشفونه من الآثار العربية)^(٣)
والآشورية والبابلية) .

فهو يربط البحث في أم اللغات بالبحث في مهد الساميين ، لأنه يقول بالحقيقة التي
لا ينكرها باحث : (فإن الأمم التي تفرقت منه « مهد الساميين » كانت تتكلم عند تفرقها
لغة واحدة هي اللغة السامية الأصلية)^(٤) فعلى ذلك فإن أم اللغات السامية لا تعرف في
رأى جرجى مالم يعرف مهد الساميين .

٤ - فأراء هؤلاء الأعلام الذين عنوا بالتاريخ العربى القديم : جرجى زيدان ،

(١) جواد ١ / ١٦٧ .

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٤١ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٢ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٢ .

إسرائيل ولفنسون ، جواد على ، هي كما جاءت في مؤلفاتهم :
أولا : جرجى زيدان - إنه يربط البحث في أم اللغات السامية بالبحث في مهد
الساميين . وهذا هو المعقول .

ولكن البحث في مهد الساميين كما رأينا في رد جواد على ، على الذين يقولون : إن
السامية والساميين هم في الأصل من أفريقيا ، قد انتهى إلى أن جزيرة العرب هي منطلق
الهجرات السامية^(١) ، وجرجى زيدان نفسه عندما بحث في عنصرية البابليين وفي
عنصرية الكنعانيين ، وفي عنصرية « الإرميين » و « الأنباط » و « التدمريين » . وفي
عنصرية « الهكسوس » أكد : أن هذه الشعوب ترجع إلى الأرومة العربية وأنها هاجرت من
داخل الجزيرة العربية إلى أطرافها^(٢) .

إذن : جرجى زيدان الذى قال أولا بضرورة ترك البحث في أم اللغات السامية لأن
الأقوال التى قيلت في هذا الصدد لا تخرج عن حد التخمين ، والذى يرى : أن أم اللغات
السامية هي اللغة التى كانت تتكلم بها الشعوب السامية في مهدها ، قد رجع إلى الحقيقة
التي تثبت أن اللغة العربية هي أم للغات : البابليين ، والكنعانيين ، والإرميين ،
والهكسوس ، والتدمريين ، والنبط ، وبطيعة الحال هي أم لغة « المعينيين » ،
و « السبئيين » ، و « الثموديين » ، و « اللحيانيين » في أطراف الحجاز وأقصى اليمن ،
لأن هذه الشعوب جميعها شعوب عربية أفلتها جبال الجزيرة وأوديتها وهضابها ، وأول
ما تحركت ألسنتها تحركت بلغة هذه الجزيرة وطن « الإرميين » و « الكنعانيين »
و « العماليق » الأولين .

ثانياً : « إسرائيل ولفنسون » - وإسرائيل ولفنسون رجع عن ترده عندما قال : إن
اللغة العربية إما أن تكون موجودة في مهد اللغات السامية ، أو في ناحية قريبة منها ، أو
أن العناصر التى نزحت إلى البلاد العربية كانت من أقدم الأمم السامية . وما جاء في
بحث ولفنسون عن لغتي : البابليين ، والكنعانيين : (وكما أننا لانعرف بالضبط الموطن
الأصلى في بلاد العرب للجموع السامية التى فتحت العراق ، وكذلك لانعلم بالضبط

(١) عناصر شعوب الجزيرة العربية في الجزء الرابع من هذا الكتاب العرب في أحقاب التاريخ .

(٢) أكد جرجى زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام : عروبة هذه الشعوب .

الموطن الأصلي للكنعانيين والآراميين من هذه الجزيرة . لكن الذى نرجحه أن نزوحهم من هذه الجزيرة حدث قبل (٢٥٠٠ عام ق . م) حين جرت سيول القبائل الكنعانية إلى بلاد سورية وفلسطين (١) .

فإسرائيل ولفنسون هنا متفق مع جرجى زيدان فى أن الجزيرة هى مهد الساميين ، وإنما الذى يشك فيه هو الجزء الذى هاجر منه الساميون ، أهو « نجد » وماجاوره ؟ أم هو « الحجاز » وماجاوره ؟ أم هو « اليمن » وماجاوره ؟

ثالثاً : جواد على - وجواد على أخذ بقول ولفنسون عن إهمال المستشرقين المتأخرين البحث فى أم اللغات . وفسر ذلك الإهمال بأنه نتيجة الشك فيما جاء فى المصادر الإسرائيلية ، وهذا وحده لا يبرر الإهمال ولا يجعل الباحث يتعلق بأقوال هؤلاء المتأخرين من المستشرقين ، لأنهم لم ينقضوا تحقيق المستشرقين المتقدمين مثل (أولهوزن) بتحقيق يقنع الباحث ، فإرسال الشكوك وحدها دون أدلة تثبتها لا يكفى لإلغاء تحقیقات ذات حیثیات وشواهد .

٥ - على أننا إذا مارجعنا إلى ماجاء فى المصادر الإسرائيلية عن عالم مابعد الطوفان وعن عوالم ما قبل الطوفان ، نجد البحوث الأثرية تثبت الكثير مما قاله الإسرائيليون وغير الإسرائيليین من الباحثين القدامى . فما جاء فى كتاب « قصة الحضارة » ، وكتاب « بلاد ما بين النهرين » ، وكتاب « حضارة العرب » لغوستاف ليبون ، وكتاب « التاريخ العربى القديم » ، وغيرها من المؤلفات المستشرقة يؤكد ما قاله المؤرخون القدماء عن عوالم الماضى البعيد .

ثم لیکن ماجاء فى المصادر الإسرائيلية فيه مبالغة كبيرة ، وفيه خيال بعيد الاحتمال ، فإن مما لاشك فيه : أن الأجيال التى سبقت الساميين وعاشت فى الشرق العربى قبل الطوفان هم سلف لخلفهم الساميين ، فإن تكن هناك سلسلة من التطورات فإن عوالم ما قبل الطوفان هى التى مرت بها سلسلة تلك التطورات والتقلبات التى لاتحصى حتى وصلت لغتها إلى المرحلة التى وجدها الساميون فيها ، فالحقيقة المنطقية إذن تقرر : أن اللغة الأم للغات السامية هى فرع من أصل ، وهذا الأصل يرجع إلى أم لغات عالم ما قبل الطوفان .

(١) تاريخ اللغات لولفنسون ص ٥٤ .

فما من أحد يقول : إن الساميين هم الجيل الإنساني الأول حتى يقال : إنهم هم الذين صنعوا اللغة الأم ، وإن هذه الأم السامية طواها الزمن فلاعين لها ولاأثر . فالساميون في المصادر العربية والإسرائيلية هم أبناء « سام بن نوح » وسام بن نوح ، ونوح من قبله ، هما شخصيتان كريمتان تاريخيتان عاشتا في عصر سبقته عصور زخرت بعوالم وحضارات ، والساميون في البحوث المستشرقة هم الشعوب التي هاجرت من داخل الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب وإلى مصر في أزمنة مابعد الطوفان . فإذا كانت هناك أم للغات لم تعرف فهي : اللغة الأصل التي تفرعت منها أم اللغات السامية .

فبناء على ذلك فإن ما قاله جواد على عن سلسلة التطورات التي لاحتصى ، وعن اللغة السامية القديمة وأنها كانت لغة محكية زالت من الوجود ، لاينطبق على اللغة السامية الأصلية التي كان الساميون يتكلمون بها في مهدهم الذي هاجروا منه إلى العراق وسورية ومصر ، وإنما ينطبق على الأم التي تفرعت اللغة الأصل للغات العراقيين والسوريين والمصريين من الشعوب السامية القديمة .

فنحن إذا قابلنا رأى جواد على : (أن هذه اللغات السامية الباقية حتى الآن هي محصول سلسلة من التطورات والتقلبات لاحتصى مرت بها حتى وصلت إلى مرحلتها الحاضرة ، كما أنها حاصل لغات ولهجات منقرضة ، واللغة السامية القديمة لم تكن إلا لغة محكية زالت من الوجود دون أن تترك أثراً)^(١) ورأى ولفنسون : (ومن مميزات اللغة العربية أنها تشتمل على عناصر قديمة جداً من اللغات السامية الأصلية)^(٢) إلى آخر ما جاء في كلامه الذي نقلنا نصه آنفاً - بما قاله المحققون العرب القدماء : (إن اللغات الواقعة بين أظهرنا هل ، هي : بالاصطلاح ، أوالتوقيف ؟ إن التوقيف وقع في الابتداء على لغة واحدة ، وماسواها من اللغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى في أولاد « نوح » حين تفرقوا في أقطار الأرض ، وإذا حصل التوقيف على لغة واحدة جاز أن يكون مابعداها من اللغات اصطلاحاً ، واختلفوا في لغة العرب ، فمن زعم أن اللغات كلها

(١) جواد ١ / ١٦٧ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٦٨ .

اصطلاح . فكذا قوله في لغة العرب . ومنهم من قال : هي أول اللغات ، وكل لغة سواها حدثت بعدها إما توقيفاً أو اصطلاحاً ، وقال بعضهم : إن اللسان الأول الذى نزل به آدم من الجنة عربى إلى أن بعد العهد وطال ثم حرف وصار سريانياً ^(١) .
وقال الإمام الرازى عندما بحث في أصل اللغات : (لم لا يجوز أن تكون هذه الألفاظ وضعها قوم آخرون قبل آدم) ^(٢) .

نحن إذا قابلنا هذه الظنون بعضها ببعض نجدها تدور في فلك واحد ، وحول نتيجة واحدة على ما بينها من تفاوت في العقائد والمنطق . فالحقيقة التى تواجه الباحث سواء سار مع الذين يؤمنون بالطوفان وقصة نوح عليه السلام ، أو سار مع الذين يؤمنون بالنظريات الجيولوجية ، فإذا هو سار مع المؤمنين بنوح والطوفان ، برزت هذه الحقيقة أمامه تؤكد له : أن نوحاً والذين نجوا معه كانوا يتكلمون بلغة يرجع أصلها إلى أم لغات ما قبل الطوفان ، وإذا هو سار مع الذين قسموا الماضى القديم إلى عصور : أوهل العصر الحجرى ، ثم العصر النحاسى إلخ ، فإن الساميين في بحوث هؤلاء ليسوا من الأجيال الحجرية ، وإن الحقيقة التى وصل إليها هؤلاء تؤكد له : أن الساميين ورثوا من الأجيال التى تقدمتهم لغة تفرعت عن أصل قديم .

وإذا كان هناك من يقول : إن الأمم التى ورثت الجزيرة العربية من الأجيال الحجرية تناست لغة أجدادها ، ووضعت لغة لا أثر فيها للغة الآباء والأجداد فإن ذلك يحتاج إلى سبب من الأسباب التى تستلزم أن تترك الأمة لسانها القديم كلياً ، ولم يثبت التاريخ سبباً يستلزم أمة من الأمم في الشرق الأدنى أن تترك لغتها كلياً مادام لها وجود وكيان . وعلى فرض احتمال ذلك ، فإن العرب في جزيرتهم قبل هجراتهم كانت لهم لغة يتكلمون بها ، سواء كانت تلك اللغة هي لغة جدودهم القدماء ، أو كانت لغة لا أثر فيها للغة جدودهم القدامى ، وإن هذه اللغة التى تكلم بها العرب في جزيرتهم قبل هجراتهم هي : اللغة الأم التى تفرعت عنها لغة المهاجرين إلى بابل ، وأشور ، وإلى سورية ، ولبنان ، وفلسطين ، وإلى طور سيناء ، ودلتا النيل ، والصحراء العربية على ضفاف النيل الشرقية .

(١) الزهر ١ / ٢٧ و ٢٨ و ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥ .

إن جميع مصادر التاريخ العربى القديم أثبتت : أن الشعوب السامية هاجرت من داخل الجزيرة إلى أطرافها ، وأكدت أن هذه الشعوب التى عرفت باسم : « البابليين » ، و « الكنعانيين » قطعت مرحلة طويلة فى الحضارة قبل أن تهاجر . وأنها كانت ذات أديان وعقائد ، وذات سفن وخبرة بالملاحة ، وأنها كانت تملك مناجم ، وذات علم بالتعدين - فشعوب بلغت هذا المستوى من الحضارة لا يمكن أن تعيش دون لغة ، ولا يمكن أن تجهل الكتابة والقراءة ، فلا تكون لها لغة ولا تكون لها أبجدية ولا يكون لها خط .

وإن جميع مصادر التاريخ العربى القديم أثبتت : أن العوامل التى أخضعت لغات الساميين فى العراق ، وفى سورية ، وفى مصر ، لمؤثرات العناصر غير السامية ، لم يكن واحد منها موجوداً فى قلب الجزيرة ، فالنتيجة المنطقية إذن : أن لغة الساميين فى قلب الجزيرة التى توارثها الأبناء عن الآباء هى اللغة الأصل للغات الساميين ، واللغة التى توارثها الأبناء عن الآباء فى قلب الجزيرة ، هى اللغة العربية .

٦ - وهنا وبعد هذا الحديث الطويل جدير بنا أن نحدد وجهة البحث فى هذا النقاش : إننا نعى بأم اللغات السامية ، اللغة التى تفرعت عنها هذه اللغات : العدنانية والبابلية ، والآشورية ، والكنعانية ، والإرامية وأخواتها الشالية ، والمعينية ، وأخواتها الجنوبية ، وكذلك الشمودية ، وأخواتها اللحيانية ، والصفوية ، وكذلك التدمرية ، والنبطية ، وإننا لانفى : أن هذه اللغة الأصل للغات السامية قد تفرعت من أصل قديم لا يوجد له اليوم أى أثر ، وقد تظهر البحوث فى المستقبل القريب أو البعيد أثراً لهذه اللغة ، يتمنى رؤيته الباحثون ، وقد تظل جميع آثارها مقبورة إلى يوم يعثون ، وإن نقول : إننا مقتنعون بالأدلة التى تؤكد : أن اللغة العربية هى الأصل للغات السامية التى تطورت مع الأوضاع فى العراق ، وفى سورية ، وفى مصر ، وفى شبالى الحجاز وسواحله ، وفى اليمن ، وعمان ، والخليج الإسلامى . وأن هذا التطور أبعداها عن اللغة الأم المتمسكة بصفات الأصيلية فى قلب الجزيرة العربية ، تلك الصفات التى تظهر واضحة كلما بعدنا عن مناطق الاحتكاك بالعناصر غير العربية ، وما زال يبعدها كما يقول « سيديو » : (وداوم سكان البرارى على

التكلم بلغة الحجاز ونجد التى هى لغة العرب العاربة ، وكان أهل اليمن يتكلمون بلغة حمير (١) .

٧ - ومن الجدير بالبحث بعد أن حددنا اتجاهه فى موضوع أم اللغات السامية أن يظهر ما أخفاه قول ولفنسون ومن اقتنع معه : بأن اليهود والعرب كانوا مقتنعين بأن العبرية هى أم اللغات السامية .

فأولاً : إن كان من اليهود القدامى من اقتنع بأن العبرية هى أم اللغات السامية وحاول أن يقنع العرب الذين كانوا فى وقت ما يشقون بكل ما يعزى للتوراة ؛ فإن اليهود المتأخرين أخفقوا فى وضع اللغة العبرية فى مرتبة اللغة الكنعانية ، ولم يجدوا دليلاً يثبت سامية اللغة العبرية غير افتراض عروبة العبرية فى الأصل ، وأنها اشتقت من اللغة التى اشتقت منها لغة الكنعانيين ، كما نجد ذلك واضحاً فى بحث العبرية والجعزية الآتى فى هذا الجزء .

ثانياً : إن ماجاء فى تاريخ الطبرى عن العرب البائدة - يؤكد : أن لغة الرعيل الأول من أبناء سام كانوا يتكلمون اللسان المضرى (٢) ، وما جاء فيه عن لغة المستعربة (ويقولون لبنى إسماعيل العرب المستعربة ، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم) . ويؤكد أن لغة العرب البائدة انتقلت إلى العرب المستعربة قبل أن يهاجر يعقوب إلى مصر وقبل أن يهاجر موسى بنى إسرائيل من مصر - وأن ماجاء فى تاريخ الطبرى من روايات تتحدث عن تبلبل الألسنة فى العراق وقدم السريانية ، فهو لا يعدو ما قيل عن الخط القرشى وصلته بالسريانية ، وما هذا الارتجاج الذى نشاهده فى بعض الروايات العربية إلا من تأثير الخيال الإسرائيلى الذى تسلط على بعض الروايات التى اعتمدت على المصادر اليهودية دون أن تدرك ما فى بعضها من أنانية أضاعت قيمة الكثير مما تحمله الأسفار من حقائق تاريخية .

وقد يكون من تأثير الروايات الإسرائيلية اقتناع محمد بن سلام الجمحى الذى كان يعتقد : أن لغة العرب الذين نزل فيهم القرآن هى لغة إسماعيل ، وأن لغة إسماعيل هى لغة غير لغة العرب العاربة لأن لغة العرب البائدة - على رأيه - قد بادت معهم (٣) .

(١) تاريخ العرب العام لسيدى ص ٣٢ . (٢) تاريخ الطبرى ١ / ١٤٠ و ١٤١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء للجمحى ص ١٠ .

٨ - فكثير من الباحثين في اللغة العربية يعتقد : أن شعوب « عاد » ، و « ثمود » ، و « طسم » ، و « جديس » ، و « جرهم » الأولى ، و « العماليق » قد بادت ولم تترك خلفاً يرثها ولا تراثاً ثقافياً يشير إلى وجودها . فعلى هذا الاعتقاد لم يتجاوز هؤلاء بتاريخ اللغة العربية إلى ما قبل القرن الخامس للميلاد . وقد أخذ هذا الاعتقاد يؤثر على بحوث بعض المتأخرين مثل الدكتور « عبدالواحد » الذي قال في كتابه فقه اللغة : (وعلى ضوء ماوصل إلينا من آثارها - اللغة العربية - يمكن تقسيمها إلى قسمين : (١) العربية البائدة ، (٢) العربية الباقية - فالبائدة تطلق على لهجات شمالي الحجاز من حدود « الإرمين » وفي داخل هذه الحدود ، والباقية نشأت ببلاد نجد والحجاز وانتشبت منها اللهجات التي نتكلم بها في العصر الحاضر في البلاد العربية وقد وصلت إلينا العربية الباقية عن طريق آثار العصر الجاهلي . والقرآن والحديث ، وآثار العصور الإسلامية المختلفة ، وأقدم ماوصل إلينا من آثار العربية البائدة لا يكاد يتجاوز القرن الأول للميلاد ، وأقدم ماوصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد)^(١) .

أليس من الغريب أن يعتقد أحد : أن الأرض ابتلعت الشعوب العربية الأولى بكل مقومات حضارتها فأمسّت كأن لم تكن بالأمس ؟! أو ليس من الغريب أن يصدر الحكم بالإبادة على لغة الرعيل الأول من العرب ، وأن يحدد تاريخ اللغة العربية بهذه السهولة دون التعرض بالنفي أو الإثبات إلى ما قاله المؤرخون العرب الثقات عن اللغة التي كانت تتكلم بها الشعوب التي عرفت في التاريخ العربي بالعرب البائدة ، ودون الأخذ بالنصوص الأثرية التي تؤكد : أن لغة شمالي الحجاز رغم احتكاكها بعناصر أجنبية مازالت إلى ما بعد الميلاد محتفظة بكثير من عربيّتها - أو رفضها وتفنيدها وإثبات أخطائها ؟! فإذا كانت تلك حال لغة الشمال فكيف بلغة المدينة ومكة والحجاز ؟!

إن النقوش الثمودية واللحيانية التي ظهرت بعيدة في تركيب جملها عن اللغة العربية - برغم اشتغالها على حروف عربية - يرجع تاريخها إلى عصور متأخرة ، وفي العصور المتأخرة .

(١) فقه اللغة للدكتور عبد الواحد ص ٧٥ .

ازدحمت المناطق الشمالية بالعناصر غير العربية : اسرائيلية ، يونانية ، ورومانية ، وفارسية ، أما النقوش المعينية الشمالية التى يرجع تاريخها الى ما قبل منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . فقد قال عنها « هومل » : [ويعتقد أيضاً أن لغة هذه النقوش المعينية قريبة جداً الى العربية القديمة يعنى عربية الشعر الجاهلى إلا أنها أقرب إلى الحبشية ^(١)] وقرب النقوش المعينية من الحبشية لا يستغرب بعد الذى عرفناه عن الهجرات السامية إلى الحبشة ومنها ، فاللهجات الأفريقية استوطنت جنوب الجزيرة منذ عصورها القديمة .

ولقد جاء فى بحث « ولفنسون » فى لغة الإرميين بعد احتكاكهم بالعبرين واليونانيين والرومانيين : أن لغة الإرميين أصبحت رطانة فى مجموعها عبارة عن الآرامية ، والعبرية ، واليونانية ، والرومانية .

لا شك فى أن الأحداث الخطيرة التى اقتحمت الحياة العربية فى الهلال الخصيب كان لها أثرها على لغة العرب الذين أسسوا المجتمع العربى فى العراق ، وفى سورية ، فلقد تابعت الدول : البابلية ، الحثية ، الآشورية ، الفرعونية ، الفارسية ، اليونانية ، والرومانية ، والكسروية الساسانية - وهذه الدول كما تراها مختلفة العناصر ، ومختلفة الحضارات واللغة والثقافة ، واختلاف العنصر والحضارة واللغة لا بد أن يؤثر فى اللهجات وفى الخطوط ، وهذا ما حدث بالفعل فى السنين التى أخذ النفوذ العربى فيها ينكمش الى داخل الجزيرة ، وأخذ المجتمع العربى يعود إلى النظام القبلى . وأخذت الدولة البيزنطية تمد نفوذها من سورية الى شمال الحجاز ، وأخذت الدولة الساسانية تمد نفوذها على ساحل الخليج العربى مهددة « نجداً » وزاحقة إلى « اليمن » تراحم الأحباش عليه .

فهذه الأحداث وما خالطها من تطورات ، تبين لنا العوامل التى باعدت بين اللغة العربية الأم فى داخل الجزيرة ، وبين لغات الشعوب التى تركزت فى العراق وفى سورية وسيناء والصحراء العربية الكبرى - تلك الأحداث التى تفاقمت آخر الأمر فحطمت القومية العربية فى الهلال الخصيب ، فانعزل العراق وانعزلت سورية بصحرائها عن الجزيرة العربية ، وأصبحت اللغة العربية فى اليمن فى عداد اللغات غير العربية كما قال ابن

(١) التاريخ العربى القديم ص ٦٢ .

العلاء : ما لغة حمير وأقاصى اليمن بلغتنا . فضاق نطاق القومية العربية وباتت جزيرة العرب فى رأى البعض لا تتجاوز الحجاز ونجداً واليامة وبعضاً من تهامة .

فنحن كلما توغلنا فى عصور التاريخ العربى وجدنا اللغة العربية فى شألى الحجاز ووجدنا شبيها بلغة الشعر الجاهلى يزيد ، وكذلك نحن إذا ما بعدنا عن المدن التجارية والموانئ البحرية نجد اللغة العربية قليلة التأثير بغيرها ، ولكن مع هذا كله لا يمكننا أن نقول : إن لغة عاد ، وجُرهم الأولى ، وشمود والعمالقة هى مثل لغة « حسان بن ثابت » ، وشاعر البردة « كعب بن زهير بن أبى سلمى » . فalcرون الطويلة التى تفصل بين قرىش والأوس والخزرج ، وبين جرهم والعمالق ، لا بد أن تحدث فرقاً فى نطق الكلمات ومعانيها ، وفى الأسلوب والتركيب والاصطلاح ، ومن قبل فرقوا بين العرب العاربة ، وبين العرب المستعربة . ولكن الفرق بين لغة العاربة ، ولغة المستعربين ، لم يبلغ إلى حيث يقال : إن لغة العرب العاربة غير لغة العرب المستعربة ، والدليل على ذلك لغة النقوش المعينية الشمالية التى سبقت الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، وما قيل عن الشبه بين لغتها ولغة الشعر الجاهلى رغم وجودها فى منطقة ازدحت فيها العناصر ولهجاتها .

ومما يسترعى الانتباه ما جاء فى المصادر العربية عن العرب المستعربة . فلقد جاء فى تاريخ ابن خلدون : [وإنما سُمى أهل هذه الطبقة بهذا الاسم العرب المستعربة لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم من قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا من حال لم يكن عليها أهل نسبهم ، وهى اللغة العربية التى تكلموا بها ، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجملى ، واستحجر الطين ، وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم جيلاً كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة]^(١) .

ولقد شط بعض الباحثين العرب فى تصوره تطور اللغة العربية فى عصر العرب المستعربة ، فقال عمرو بن سلام الجمحى فى تفسيره ما يروى عن محمد بن على بن

(١) تاريخ ابن خلدون ص ٧٠ .

الحسين بن علي بن أبي طالب : [أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه - إسماعيل بن إبراهيم ، ولكن العربية التي عنى محمد بن علي : اللسان الذي نزل به القرآن الكريم وتلك لغة العرب العاربة على ما يبدو من حديثه - عربية أخرى غير كلامنا هذا] (١) .

فإذا كانت لغة إسماعيل غير لغة العرب العاربة « على رأى الجمحي » فمن أين تعلمها ومع من كان يتكلم بها ؟؟ إن ابن كثير يؤكد لنا : [أن إسماعيل تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد اخذها من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم] (٢) .

إن مما لا شك فيه : أن الوضع العربي في الحجاز تطور بعد إقامة البيت الحرام والدعوة للحج إليه ، فلقد توافدت الأمم من كل فج في هذا الشرق العربي لتؤدى مناسك الحج وتشهد منافع لها ، فكان على الحجازيين ولا سيما أهل مكة وما جاورها أن يستقبلوا وفود الحجاج وأن يحتلطوا بهم ويتحدثوا إليهم ، فمن هنا وجدت الألفاظ والأشياء غير العربية طريقها إلى اللغة العربية ، بيد أن العرب كما قلت حرصوا على أن يعربوا ما جد على لغتهم ويخضعوه لمقاييسها ، زد على ذلك التطور العام ، وانسحاب كثير من القبائل العربية من سورية والعراق إلى أطراف الحجاز ونجد ، وهجرات غير العرب إلى البلاد العربية مثل : اليهود في المدينة وخيبر وفي وادي القرى ، ومثل بقايا الفرس في جزيرة العرب .

٩ - لا شك في أن اللغة العربية ، تطورت وتهذبت واتسعت ولا تزال تتسع ، وأنها في تطورها سايرت الأحداث والبيئات ، فتطورها واتساعها في العراق غير تطورها واتساعها في داخل « نجد » و « الحجاز » . فإذا كان للأحداث والبيئة العراقية شأن في هزّ قواعدها وتحريف لفظ حروفها ، فإن للأحداث العربية داخل الجزيرة وبيئة قلب العروبة شأنًا في صياغة مقوماتها وقواعدها وخصائصها ونطقها - عن التحريف والتغيير .

أما التطور الطبيعي ، فمن الحقائق المسلم بها : أن مفردات اللغة منها الذي يحافظ على وجوده كأسماء الأعلام والكلمات التي لا غنى عنها لحياة الإنسان العامة ، ومنها ما

(١) طبقات محمد بن سلام الجمحي ص ١٠ .

(٢) تاريخ ابن كثير ١٢١ .

يبلى ، ويقدم كأسماء مستحدثات الأجيال والكلمات التى تخص حياة قبيلة دون أخرى .
فما من لغة تقيدت بمفرداتها ومصطلحاتها فى كل عصورها بما وضعت من اجله فى الأصل ،
فلا بد للمفردات أن تزاد كلما ازدادت الحياة سعة ، ولا بد لقواعدها أن تراعى فى
المستحدثات : القياس والمصطلحات ، ولا بد للهجتها ومعانيها أن تتطور بتطور البيئات ،
ولا بد لها فى كل أطوارها من أن تحمل معانى مستحدثة ، وتنقل بالاستعارة والاصطلاح :
كثيراً من الكلمات من معنى الى آخر ، ولا بد وان تنسق منها اسماء ، ولا بد وأن يقاس
الجديد منها على القديم ، ولا بد لأدائها أن تحلق مع أخيلة الأجيال - ولكن تطور اللغة
شئ ، وموت اللغة شئ آخر .

١٠ - إن تطور اللغة العربية لم يقف عند حد زيادة المفردات وضبطها بالمقاييس
اللغوية ، وإخضاع الكلمات المأخوذة عن اللغات غير العربية ، لقواعد اللغة ومقاييسها ،
بل تجاوزته إلى استخدام مفردات اللغة وتجديد أسلوها وتراكيبها . فنحن اليوم نستخدم
كثيراً من المفردات فى معان بعيدة الصلة بها ، لم يستخدمها العرب فى صدر الاسلام لأداء
هذه المعانى ، وتؤلف حديثاً من كلمات هذه اللغة بأسلوبنا الحاضر على غير ما ألفها
أسلوب الماضين ولكن كل هذا لم يخرج اللغة العربية عن أصلها العربى .

ولا شك أيضاً فى أن أولئك العرب القدامى الذين انتقلوا من رمال اليمامة ، وهضاب
نجد ، وجبال الحجاز ، وأودية تهامة - إلى العراق وسورية ، قد تأقلموا هناك بطبيعة الأرض
التي انتقلوا اليها ، وخضعوا فيها لناموس التطور ، فمن الحقائق التي لا ريب فيها : أن
العرب لم يستطيعوا أن يثبتوا القومية العربية بكل مقوماتها فى العراق ، وفى سورية ، وفى
مصر إلا بعد الفتح الإسلامى . فبعد الفتح الإسلامى انتصرت القومية العربية نهائياً
وضمنت البقاء والخلود فى أطراف الجزيرة وانتصرت اللغة العربية لغة القرآن والحديث والفقه الإسلامى .
على أننا نجد اللغة العربية بعد الإسلام وبعد كل تلك الجهود الجبارة التي بذلت
لخدمتها ، والتي بدأها « أبو الأسود الدؤلى » بوضع نواة القواعد العربية وبعد كل ذلك
الاهتمام الكبير الذى تمثل فى حماس الدول الإسلامية العربية للغة العربية وأدائها ، ولتعريب
الإدارة الدولية والعلوم والفنون اليونانية والفارسية ، نجدها مع كل ذلك خضعت لقاعدة
المقايضة : خذ وهات . فإذا كانت الشواهد التاريخية أثبتت أن الأمة الغالبة تفرض

عقائدها ، وتقاليدها ، ولغتها على الأمة المغلوبة . فالناس كما يقولون على دين ملوكهم - فإن مما ليس منه بد أن الأخذ مما للمغلوبين من طقوس مذهبية ، وتقاليد اجتماعية ، ومفردات ومصطلحات لغوية ، واقع - رضى الغالبون بذلك أم لم يرضوا .

فإذا كانت هذه الحال بعد الإسلام فكيف تكون الحال قبل الإسلام . أيام هاجر العرب إلى بابل و« آشور » وإلى « سورية » و« سيناء » و« مصر » وهم لا يعتزون بمثل هذا الدين الإسلامى ، وهم لا يحفظون كتاباً مثل القرآن العربى ؟ ! .

فلا عجب إذا ما غشى اللغة العربية ما غشيها في العراق ، وفي سورية ، إبان العهد الحورابى في سواد العراق ، والعهد الكنعانى في سورية الكبرى ، فظهرت لغة نقوشهم بصورة بعيدة الشبه عن اللغة العربية الأم ، فالساميون الذين أخضعوا السوموريين لحكمهم لم يستطيعوا القضاء نهائياً على الدين والحضارة واللغة ، فكان من ذلك أن تأثر الساميون في العراق بدين المغلوبين ، واقتبسوا خطهم وشوّهت لغتهم السامية بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من المغلوبين^(١) . فلا عجب أن تطورت اللغة العربية في قلب الجزيرة أسلوباً وخطاً وسعة في عصورها الجاهلية ، وأن تطورت أسلوباً وخطاً وسعة في عصورها الإسلامية .

١٠ - ولماذا نذهب إلى الماضى : البعيد منه أو القريب ، وفي الحاضر الأمثلة الكثيرة ؟ ! فالمجتمع العربى اليوم برغم وعيه وانطلاقه ، وزغم اهتمام الدول العربية بالقومية العربية ، وإنشاء المجامع اللغوية التى اهتمت وما زالت تهتم بشؤون اللغة وتعريب ما يجد من مصطلحات ومستحدثات ، إما بالاستفادة من الكلمات النائمة في بطون القواميس ، وإما بإخضاع الجديد من المستحدثات لقواعد اللغة وصرفها - وبرغم أجهزة الاعلام التى تملكها الدول العربية : صحافة ، وإذاعة ، ونشرات ثقافية ، وبرغم تقارب المناهج الدراسية إلى غير ذلك مما قفز بالثقافة العربية من الخصوصية القطرية إلى العمومية القومية^(٢) - برغم كل ذلك نرى الفرد في هذا المجتمع يتكلم بلغة نصفها عربى ونصفها

(١) تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢٣ .

(٢) لقد نشرت كلمة لى تحت عنوان حول المجمع اللغوى المقترح في جريدة البلاد الصادرة بعدد ١٦٤٣ في ٢٠ صفر سنة ١٣٨٤ الموافق ٣٠ يونيه سنة ١٩٦٤ بينت فيه تطور اللغة العربية .

خليط من مفردات ومصطلحات غير عربية ، فما أكثر الكلمات غير العربية واللهجات الدخيلة في لغة الشوارع والأسواق التجارية ، وفي لغة الصناعة والزراعة والطب والسياسة ، وما أكثر الفوارق بين لغة المجتمعات العربية ! .

ولكن مع هذا هل يمكننا أن نقول : إن لغة امرئ القيس ، وعنترة قد بادت لأن كثيراً من مفرداتها لا يعرفها إلا الراسخون في اللغة ، ولأن كثيراً من الكلمات جدت على اللغة العربية ، وكثيراً من الكلمات استخدمت اليوم في معان لم تستخدمها فيه الأمم العربية في جاهلية ما قبل الإسلام وفي صدر الإسلام ؟؟ . إن دهشة العربى قبيل الاسلام ، وفي صدر الاسلام - لوقرأ مثل هذه الرسالة التى هى مألوفة فى العصر الحاضر : [أبرق الميكانيكى المختص بالخط الحديدى يطلب تقوية الطاقة الكهربائية ليتمكن استخدامها فى لحام الأكسجين] لا تنقص عن استغراب العربى اليوم عندما يقرأ وصف (أم غيلان) موقف ضرار بن الخطاب بن مرادس الشاعر ودفاعه عن نفسه : [ما رأيت نشرة أفكل أقرب إلى حسن جلاد منه] فالميكانيكى والأكسجين كلمتان أضيفتا الى اللغة العربية كما أضيف من قبل الإستيرق وغيره .

لا شك أن للزمن والبيئة وتطور الحياة أثراً كبيراً فى لغة الأجيال العربية القديمة منها والحديثة ، وإنما هذا الأثر يقل ويكثر بقدر ما يقل الاحتكاك ويكثر . فذلك كانت اللغة العربية فى (تدمر) متأثرة بلغات العبرانيين ، واليونانيين ، والرومانيين أكثر مما تأثرت بهذه اللغات فى (بطرا) .

١١ - فاللغة العربية غلبت على نطقها ، وعلى كثير من خصائصها فى شامى الهلال الخصيب ، وحافظت على كثير من صفاتها فى شامى الحجاز ونجد ، وتغلبت على غيرها فى جبال الحجاز وفى داخل نجد ، فالعبرية مثلاً لم تجد مجالا فى « وادى القرى » ، وفى « يثرب » ، و « خيبر » مثل ذلك المجال الذى وجدته فى فلسطين .

فعن سلامة لغة القبائل التى تعيش داخل الجزيرة العربية من الألفاظ الدخيلة ومن الاختلاف فى مخارج الحروف يقول (بروكلمان) : [أما أهل شامى تهامة وهضبة نجد فإنهم وإن تقدموا منذ زمن طويل قبل الميلاد نحو سورية وبلاد ما بين النهرين ، فقد

احتفظوا بطابع سلالتهم الأصلى على مستوى انقى . وإن كانت بذرتهم الأولى تتألف من العرب الرحل ، وتؤيد لنا ذلك أيضا لغة شعرهم التى يسهم فيها (العباد)^(١) من نصارى الحيرة ، بمثل رعاة الغنم الوثنيين من قبيلة هذيل فى جبال الحجاز^(٢) . وعن تأثر لغة العرب الذين جاورتهم جاليات أجنبية بألفاظ ومخارج الكلمات ولهجات تلك الجاليات ، ينقل لنا جواد على عن كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) الذى عاش مؤلفه فى القرن الأول للميلاد : [إن سكان سواحل البحر الأحمر الذين كانوا يقيمون بين مدينة (لويكة كومة) وبين (مخا)^(٣) على الساحل الحجازى يتكلمون بلهجات مختلفة ولغات متباينة ، قل منهم من يفهمها عن الثانى ، فبعضها بعيد عن بعض بعداً كبيراً]^(٤) .

١٢ - فقلب البلاد العربية هو الأرض التى ظلت العروبة فيها غير مشوبة بما خالط الحياة العربية فى أطراف الجزيرة شالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وسكان قلب الجزيرة العربية هم الذين استطاعوا أن يحتفظوا بالصفة العربية لغة وخلقاً وحرية ، فكل دخيل وصل إليهم انصهر فى البوتقة العربية وانطبع بالطابع العربى ، فبعد أن قام العرب بهجراتهم التى تكلمنا عن أسبابها فى البحث الخاص بالهجرات العربية فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ، وبعد أن التقوا فى مهاجرهم بشعوب آسيا الوسطى وشواطئ البحر الأبيض ، وشرقى الخليج الإسلامى كما التقى بهم المهاجرون إلى أرضهم ، فى سورية ، وفى العراق . وفى سواحل الخليج الإسلامى من الجزيرة . وشواطئ البحر الأحمر ، وفى اليمن وحضرموت ، وبعد أن اختلطت اللغات والتقاليد والعقائد فى تلك المجتمعات بالمزيج من العناصر : أصبحت اللغة فى سورية رطانة قوامها مجموعة من اللغات واللهجات ، وانتابها فى السواحل تبلبل جعل الجار لا يفهم لغة جاره كما قال صاحب (الطواف حول البحر الأريتري) .

(١) العباد اسم أطلق على نصارى الحيرة .

(٢) تاريخ الأدب العربى ١ / ٤١ .

(٣) حقق موضع هاتين المدينتين فى الجزء الثالث جغرافية الجزيرة العربية القديمة .

(٤) تاريخ العرب لجواد ١ / ٢١٢ .

ومن الثابت : أن الاتصال بين سكان الهلال الخصيب وبين سكان الأجزاء الأخرى من الجزيرة لم ينقطع . فكما كانت جماعات عربية تنتقل من الحجاز ونجد ومن اليمن إلى الشمال ، كانت جماعات من الشمال تنتقل إلى داخل الجزيرة . فمع العائدين من أرض الفرات والنيل وسورية : عماليق وإرميين ، دخلت بعض اللهجات وبعض الألفاظ غير العربية فتولاها المجتمع العربى فى قلب البلاد العربية ، أو إن شئت فقل : المجمع اللغوى الفطرى - بالتعريب وفرض قواعد اللغة العربية عليها ، فها نحن نرى الكلمات الأعجمية التى وردت فى القرآن الكريم ، وفى اشعار العرب : اتخذت الصفة العربية ، ولولا الرجوع إلى القواميس والبحث عن أصلها لما عرفت أعجميتها ، وهذا ما جعل المؤرخين العرب يسمون عرب الطور الجاهلى الثانى : العرب المستعربة ، ولا يبعد أن يكون هذا من أسباب اختلاف اللهجات العربية ، واختلاف بعض الكلمات فى الشمال عنها فى الجنوب ، وأن يكون من ذلك الاختلاف - الاختلاف الذى نلاحظه بين لغات القبائل العربية مثل : هذه البرذو حفرت وذو طويت أى التى حفرت والتى طويت . ومثل : هل من أم برام صيام فى أم سفر؟ أى هل من البر الصيام فى السفر؟
فعما لا شك فيه : أن الصلات التى استمرت فى اليمن بين الأحباش وبين الحميريين زادت فى مسافة الفرق بين لغة حمير ولغة مضر .

فإذا كانت لغة اليمنيين فى الجنوب تختلف عن لغة الحجازيين فى الشمال اختلافاً جعل (ابن العلاء) لا يرى الاستشهاد بلغة اليمن فى قواعد اللغة العربية ويقول : [ليست لغة حمير بلغتنا ولا لسانها بلساننا] فإن هذا الاختلاف لم يكن إلا بعد أن احتك اليمنيون بالأحباش ، وإن فى بقاء اللهجة (الأمهرية)^(١) فى المناطق المتطرفة من بلاد اليمن إلى هذا القرن الذى نعيش فيه ، دليلاً ناطقاً على أن اللغة العربية فى اليمن : قد تأثرت بلهجة الشعوب القاطنة فى السواحل الغربية من أفريقيا ، فكما انتقلت مع المهاجرين اللغة السامية من الجزيرة العربية إلى أفريقية من قديم الزمن ، كذلك انتقلت مع المهاجرين من

(١) جاء فى ملحوظات (اتولتان) على كتاب تاريخ اللغات السامية لولفنسون : لغة مهري وشعر ومسقط
هى لغات مستقل بعضها عن بعض وهى وسط بين اللهجات العربية الجنوبية القديمة والاثيوبية تاريخ
اللغات ص ٢٧٩ .

أفريقية هذه اللهجات التي تلاحظ في لغة اليمنيين .

١٣ - ولا شك في أن هذا الذي يلاحظ على لغة الجنوبيين وتأثرها بمختلف اللهجات هو نتيجة حتمية للاختلاط ، فمن المفروض أن يتأثر العرب في تلك المجتمعات المؤلفة من عناصر عديدة بلغات غيرهم كما يتأثر غيرهم بلغتهم ، وأن يجد الكثير من الكلمات الأعجمية طريقه إلى داخل البلاد العربية كما وجد الكثير من الكلمات العربية طريقه إلى خارج الجزيرة ، وأن تختلف مخارج كثير من الكلمات العربية . فلقد استعربت كلمات أعجمية نطق بها العرب بالأحرف العربية وبمخارجها وبلهجتها ، واستعجمت كلمات عربية فنطق العجم بها بالأحرف الأعجمية وبمخارجها وبلهجتها - ولقد كان من نتيجة الاختلاط أن تفرعت من اللغة العربية لغات عامية تمتاز كل واحدة منها بلهجة فان امتزجت بها كلمات أجنبية فرضتها على اللغة الأصلية العناصر التي احتك بها العرب ، وقد تكون الفوارق بين هذه اللغات العامية في الماضي اعمق من فوارق اليوم بالنسبة لصلات الشعوب ببعضها ، فلقد كانت هذه الصلات شيئاً لا يذكر إذا ما قيسَت بوسائل اليوم . فمما لا مراء فيه : أن الصلات الوشيعة التي تربط شعوب اليوم قللت من الفوارق اللغوية ، ولكنها لم تمحها . فإننا ما زلنا نجد فوارق كبيرة بين لغة العامة في مصر وبين لغة العامة في العراق .

فإننا اليوم إذا ما استعرضنا لغة العامة في العراق نجد لهجتها وكثيراً من مفرداتها : مزيجاً من الفارسية والتركية والانكليزية - وإذا ما بحثنا عن الكلمات العربية في لغة الجزائريين نجد نسبتها جد ضئيلة . ونجد الكلمات العربية عند الجزائريين أكثرها بعيد عن لغة قریش ، وقريب من لغة الفرنسيين .

وها نحن الحجازيين ، لا تزال في لغة سكان المدن منا بعض الكلمات واللهجات الأعجمية ، فلا تزال النسبة التركية مستعملة عندنا فنقول : « القهوجى ، والجزمى » ، ولا تزال نسمى غرفة الاستقبال « سلام لك » إلى غير ذلك من الأسماء والاصطلاحات التركية التي حملها إلينا النفوذ العثماني ، كما هو الحال في مصر وفي سورية ، بينما لا تزال

قبائل هذيل تتكلم لغة الشعر والأدب العربى التى نتعب فى دراستها وفهم قواعدها .
فإلى وقت قريب كانت اللهجة التركية والأسماء التركية شائعة فى رسائلنا وفى وثائقنا
الشرعية وفى معاملتنا الرسمية .

فهذه الفوارق التى نشاهدها اليوم بين لهجات الشعوب العربية فى « مكة » و
« المدينة » ، وفى « الرياض » و « حائل » ، وفى « الأحساء » و « القطيف » ، وفى
« دمشق » و « بيروت » ، وفى بغداد و « الموصل » ، وفى « الكويت » و « عمان » ، وفى
« صنعاء » و « حضرموت » ، وفى « الخرطوم » و « القاهرة » و « تونس » و « الجزائر »
و « مراكش » - لا بد أن يجد الباحثون فى اللغة العربية القديمة مثلها وأكثر منها فى
« مكة » و « المدينة » و « مدين » ، وفى « اليمامة » و « عمان » ، وفى « سبأ » و « معين »
و « حضرموت » ؛ وفى « مصر » و « سيناء » ، و « القدس » و « صيدا » ، و « بابل »
و « آشور » - ولا بد أن يجدوا فوارق فى النقوش التى تتفاوت إمكانتها وتتفاوت أزمنتها
ويتفاوت علم وتفكير الذين سجلوا ذكرياتهم وأخبارهم باللغة العربية .

فبالله عليك تخيل معى مجلسا يضم واحداً من عرب الجزائر وواحداً من عرب نجد
وواحداً من عرب عمان وفكر معى كيف يستطيع أن يتفاهم هؤلاء ؟؟

١٤ - ثم الخطوط التى استخدمت فى تدوين اللسان العربى : « المسارى » و
« المسند » و « الفينيقى » و « الكلدانى » و « الإرمى » .. الخ ، وأخيراً « النبطى »
الذى تطور - كما يقول أكثر علماء الآثار وخطوطها - إلى الخط العربى ، هل كانت جميعها
متقاربة بشكل لا يمكن معه وجود فرق فى مخارج الحروف ؟ - وهل كانت جميعها فى مكان
واحد ، وفى زمن واحد ، فتكون الفوارق فى المقومات ، والخصائص ، والأصوات ،
والقواعد ، وأصول المفردات ، نتيجة لاختلاف كلى بين لغة الثموديين فى وادى القرى ،
وبين لغة الحموريين فى وادى الفرات ؟ أم أن تلك الفوارق نتيجة لتفاوت العصور
واختلاف الأجناس التى احتك بها البابليون فى العراق واحتك بها الحجيريون فى الحجاز ؟؟
نحن إذا ما رجعنا إلى ما قيل عن الخط « المسارى » - وأنه سومورى الأصل وأن

الإيريين « الحمورايين » استخدموه في تدوين لسانهم وزادوا فيه حروفاً لم تكن في السومورية^(١) ، لا نستبعد أن يكون تدوين اللغة الإرامية بالقلم المساري السوموري قد أضاع بعض حروفها وأثر على مخارجها ، لا سيما إذا قرأها غير العربي الأرمي بعد آلاف السنين . إن مثل ذلك كمثل الأحرف الفارسية فيما لو اتخذناها لكتابة اللغة العربية ، وها نحن نرى الأسماء العربية التي دوت باللغة الإنجليزية ثم أعيدت إلى اللغة العربية ، تعود لنا محرفة النطق ، فنحن نقرأ اسم (قطبان) الدولة اليمنية في بعض المؤلفات التاريخية كذا (قطبان) إلى غير ذلك مما حرفه الناقلون عن المستشرقين ، كما أننا نحن العرب قد حرفنا كثيراً من الأسماء الأعجمية ، بل حرفنا بعض الكلمات العربية واستخدمنا بعضها في معان لم يستعملها فيها العرب الجاهليون ، ولقد هجرنا بعض الكلمات فأصبحت غريبة في مجتمعا ، وأحيينا كلمات أكل الدهر عليها وشرب . فمما لا شك فيه أن الكلمات العربية التي نستعملها اليوم ، وأن الكلمات العربية التي كان العرب يستعملونها في جاهليتهم هي في اللغة العربية سواء ، وأن الفرق بين لغة القواميس وبين لغة الصحف ، نشأ من استعمال بعض الكلمات وهجر البعض الآخر ، وبالنسبة للمعاني التي اتخذت لها مفردات اللغة العربية في الماضي ومعانيها في الحاضر .

١٥ - أجل ! لا بد من أن تكون فوارق بين لغة الحجاز ونجد قبل الميلاد بألف عام وبين لغة الحجاز ونجد بعد الميلاد بخمسمائة عام ، مثل الفوارق التي نجدها إذا ما قابلنا بين اللغة العربية في الحجاز ونجد في صدر الاسلام ، وبين اللغة العربية فيها في أواخر العهد العثماني ، ولكن تلك الفوارق لا تحمل على الاعتقاد بأن لغة العرب البائدة : « عاد » و « ثمود » و « العماليق » و « جرهم الأولى » إلخ .. قد بادت وأن اللغة العربية في أزمنة ما قبل الميلاد لا تمت بصلة الى اللغة العربية في أزمنة ما بعد الميلاد .

ولا بد أن تكون فوارق بين لغة العرب في قلب الجزيرة ، وبين لغة العرب في أطرافها ، ولا بد لهذه الفوارق من الظهور على نقوش الآثار . ولا نستبعد أن تكون ترجمة المستشرقين لها وترجمتها من لغاتهم الى اللغة العربية قد زادت في تلك الفوارق ولكن تلك الفوارق لا

(١) العرب قبل الاسلام لجرى زيدان ص ٥٨ .

تعمل على الاعتقاد بأن اللغة العربية لا تصلح لأن تكون الأم للغات السامية .

فكثير من المستشرقين يصرّ على أن لغة النقوش الميعنية القديمة هي القنطرة الى البابلية والمصرية القديمة ، وهى قريبة جداً الى العربية القديمة عربية الشعر الجاهلى . إلا أنها أقرب ميلا الى الحبشية ، فالقراية قوية جداً بين النقوش العربية الجنوبية وبين الأبجدية الفينيقية لكن الخلاف فى درجة القرابة ونوعها^(١) .

فهذا التحقيق المستشرقى أثبت لنا : صحة ما استعرضناه من قبل وأكد لنا : تأثير الاحتكاك على اللغة ، فالشعب الميعنى الذى احتك بالبابليين ، واحتك بالمصريين ، واحتك بالأحباش ، تأثرت نقوشه بلهجات ونقوش تلك الشعوب ، وبذلك أقيمت القناطر التى عبرت بها اللغات واللهجات من مكان إلى آخر .

فمهما طال البحث فى أصل اللغة العربية وأبجدياتها وحروفها ، ومهما جمع البحث من الآراء والنتائج التى وصلت إليها ، فإنّ من المرجح جداً أن اللغة العربية القديمة فى قلب الجزيرة هى لغة العرب التى لم يشبها ما خالط لغة أبناء عموماتهم الذين نزحوا الى المناطق المزدحمة بالعناصر غير العربية والذين عرفوا فى البحوث المتأخرة بالساميين .

ومن المرجح جداً : أن اللغة العربية هى أم اللغات السامية ، ولقد سبقت الأدلة التى تؤكد : ان اللغة التى كان الساميون يتكلمون بها فى مهدهم الأول هى : الأم ، وأن هذه الأم قد احتفظت بصفاتھا الأصلية فى البلد الذى لم يشارك الساميين فيه غيرهم من عوالم الماضى التى اكتظت بها ضفاف الأنهار وسواحل البحار ، ولم يكن هناك بلاد تمتع الساميون فيها بالاستقلال الكامل فى كل ناحية من حياتهم غير قلب الجزيرة العربية ، ولغة قلب الجزيرة العربية تتفق المصادر العربية على أنها اللغة العربية .

ومن المؤكد : أن اللغة العربية التى كانت تتحدث بها الشعوب التى عرفت فى التاريخ العربى بالعرب البائدة عاد ، ثمود ، طسم ، جديس ، العماليق ، جرهم الأولى إلخ ، هى

(١) التاريخ العربى القديم ص ٦٠ و ٦٢ ويقول فرتزهومل فى ص ٦٠ عن القرابة بين الأبجديتين فيما أن الأبجديتين نشأتا عن أبجدية واحدة وهى بمثابة الأم لهما وأن هذه الأبجدية الأم كانت موجودة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وإما أن الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت عن الأبجدية الكتعانية مع تغيير بسيط أو العكس هو الصحيح أغنى أن الأبجدية الكتعانية هى التى تفرعت .

اللغة التي كانت تتحدث بها « قريش » و « الخزرج » و « غطفان » و « هوازن » .. إلخ ، وأن ما دفن وتطور من الكلمات التي كانت مستعملة في عصور العرب البائدة والتي قد تظهر على النقوش الأثرية هو مثل ما دفن من الكلمات التي كانت تستعمل في جاهلية ما قبل الإسلام ، والتي نجدها في بطون قواميسنا العربية .

فلقد أكد الطبري بكثير من روايات المؤرخين^(١) : أن ولد إرم بن سام بن نوح ، « غاثر » و « عاد » و « عبيل » و « ثمود » و « جدیس » . كانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضرى فكانت العرب تقول لهذه الأمم العرب العاربة لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه .

ولقد جاء في كلام (بروكلمان) عن لغة الشعر العربي : [وقد استوعبت لغة الشعر هذا كل خصائص الأصل اللغوي السامي أكمل استيعاب ، وإن لم تحتفظ في جميع نواحيها بأقدم الصيغ والقوالب ولم تضارعها لغة من نسبها السامي في مرونتها ودقتها في التعبير عن العلاقات التركيبية]^(٢) .

ولقد مر بنا ما جاء في تحقيق (فرتز هومل) عن اللغة المعينية وقربها جداً إلى العربية القديمة عربية الشعر الجاهلي - ولقد أكد هذا الرأي (أولسهوزن) فقال :

[إن اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة]^(٣) .

ولقد أثبت التحقيق العلمي : أن كثيراً من الكلمات العربية باقية على أصلها القديم يستعملها العرب إلى ما بعد الإسلام مثل : (اليم) بمعنى البحر والماء . و (العم) بمعنى الخلق الكثير و (أرخ) بمعنى وقت إلى غير هذه الكلمات التي نجدها في البحوث اللغوية .

هذا ولا يستبعد أن نجد أدلة غير هذه إذا ما بحثنا عن الخطوط القديمة التي دونت بها اللغة العربية .

(١) تاريخ الطبري ١ / ١٤٠ وما بعدها .

(٢) تاريخ الأدب العربي ١ / ٤٢ .

(٣) تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٧ .

البحث التاسع

فناجى النخطوط التي دُونَتْ بها اللغة العربية وأبجديتها

من موضوعات البحث :

- ١ - ظنون المستشرقين تخطيء وتصيب
- ٢ - أين كان مولد الأبجدية الأم ؟
- ٣ - لم تكن اللغة العربية - إبان الهجرات القديمة - اللغة الوحيدة في الشرق العربي

نائج النخطوط التي دُونَتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَبْجِدِيَّتُهَا

حق علينا أن نعترف بأن الفضل في معرفة النخطوط القديمة التي دونت بها اللغة العربية يرجع إلى النصوص التي اكتشفها الباحثون عن الآثار ، وأن الفضل في اتساع دائرة التحقيق في النخطوط الأثرية يرجع إلى المستشرقين الذين بذلوا مجهوداً كبيراً في دراسة الآثار وتحقيق تواريقها .

١ - وحق علينا ونحن نعترف بفضل الآثار وبجهد المستشرقين : ألا ننسى أن كثيراً من الآراء المستشرقة في كثير من بحوث اللغات السامية وأبجديتها ونخطوطها ، لا تعدو الظنون التي قامت على الاجتهاد ، وأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب ، زد على ذلك اختلاف الآراء وتعارضها وما يترتب على هذا الاختلاف من ضرورة التقصى للأخذ بالأصح وترك السقيم ، فمن أمثلة هذا الاختلاف ، رأى الدكتور (ديتلف نيلسن) الذي يؤكد : [أن الشبه بين العربية الجنوبية والسامية الشمالية الآرامية والكنعانية ضعيف جداً ولو أنها ترجع جميعها إلى عصر واحد] ^(١) فهذا الرأي يتعارض مع رأى الدكتور (فرتز هومل) : [فمن المحقق الآن أن القرابة قوية جداً بين أبجدية النقوش العربية الجنوبية ، وبين الأبجدية الفينيقية ، لكن الخلاف حول درجة القرابة ونوعها ، فيما أن الأبجديتين نشأتا عن أبجدية واحدة هي بمثابة الأم لهما ، وأن هذه الأبجدية الأم كانت موجودة حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . وإما أن تكون إحدى الأبجديتين متفرعة عن الثانية] ^(٢) .

ويرى « ديتلف نيلسن » : أن الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية هاجروا من جزيرة العرب إلى الشمال فسكنوا في منطقة الصفاة : [فالصفويون إذن كما يرى « ديسو » في بحثه عن هذه القبائل لم يكونوا أول ، أو آخر من سار في هذا الطريق إلى البلاد الموعودة . بل هم أول من خلف آثاراً في هذا الطريق - فالصفويون هم الوحيدون الذين

(١) التاريخ العربي القديم ص ٢٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٠ .

نعرف شيئاً عنهم قبل أن يمتزجوا في الشعوب السامية [، وقد علق « جواد على » على هذا الرأي قال : [إن كلمة الصفويين لا تعنى شعباً معيناً أو قبيلة معينة وإنما هي اصطلاح أوجده (هاليقي) ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة - لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد في بحثنا هذا جماعة خاصة أو قبيلة خاصة] ^(١) .

فعلى الذي يريد أن يستخلص نتيجة مرتبطة الحلقات تلقى الضوء ولو قليلا على أصل الأبجديات والخطوط التي دونت بها اللغة العربية في مختلف أقطار الجزيرة العربية ، أن يتذرع بالصبر والأناة في بحثه عن الأدلة التي تبين كيف تطورت الأبجدية العربية وخطوطها الى الصورة التي هي عليها اليوم ، وأن يدور مع الآراء والظنون يinquطة وانتباه وحذر .

٢ - وأول نقطة يبدأ منها الدوران هي : معرفة أين كان مولد أم الأبجديات السامية ؟ في رأى البعض أن الإشارة هي الأولى التي خاطب بها الانسان أخاه الانسان ثم أخذت الإشارة تتطور إلى رسوم يعبر بها الانسان عن غرضه ، ومن هنا بدأت الأبجدية تتكون ، وبدأت حروفها تتبلور إلى أن وصلت إلى الشكل الذي وجدها عليه الأثريون .

وفي ظنون القدامى من المؤرخين العرب : أن محاكاة الأصوات هي الخطوة الأولى التي حاول فيها الانسان أن يعبر بلسانه عما يحول في خاطره . فأصل اللغة في رأى هؤلاء [إنما هو من الأصوات المسموعة كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشجيج الحبار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك] ^(٢)

على أنه مهما كان أصل الأبجدية ، ومهما كان أصل اللغة فإن الشعوب السامية : « البابلية » و « الآشورية » و « الكنعانية » و « الآرامية » و « الهكسوس » - انتقلت من الجزيرة العربية إلى أطرافها بعد أن قطعت مرحلة طويلة في الحضارة والثقافة ، واجتازت

(١) جواد ٤٣٦ / ٣ والتاريخ العربي القديم ص ٤٧ .

(٢) المزهر ١ / ١٥ .

مرحلة الاشارة ومحاكاة الأصوات - فتاريخ المعابد في داخل الجزيرة العربية ، وتاريخ استخراج النحاس في عُمان ، وتاريخ الملاحة في شواطئ الخليج الإسلامى . أقدم من تاريخ الهجرات السامية ، ومما لا يقبل الشك فيه : أن هذه الشعوب انتقلت إلى مهاجرها قارئة كاتبة بأبجدية وسعت ما يستلزم العبادة من أدعية وصلوات ، وما يستلزم التجارة بالنحاس ، والذهب ، والبخور ، والأخشاب - من اعتمادات وعقود ، وما يستلزم النقل البحرى من اتفاقيات ومستندات ، وإن كانت بدائية فهى على كل لا بد أن تكون مستندات وعقوداً تضمن الحقوق .

فلقد افترض (جواد على) في كلامه عن الكتابات : « المسندية » و « اللحيانية » و « الثمودية » و « الصفوية » : أنها متفرعة من أصل واحد [والأقلام المذكورة - حاشا : النبطى المتأخر ، متقاربة بعضها من بعض متشابهة في رسم الحروف ، تفرعت على ما يظهر من أصل واحد . وهو على الجملة أقدم عهداً من القلم النبطى المتأخر ، يتبين لنا من انتشارها في منطقة واسعة خاصة في الأرضين التى تسكنها قبائل عربية خالصة بعيدة عن مؤثرات (بنى إرم) ومن تقاربها من المسند أنها تفرعت من أبجدية واحدة كانت الأبجدية الراجحة في بلاد العرب قبل الميلاد وبعده [(١) .

فهذا الذى يفترضه (جواد على) في القرون الأخيرة التى سبقت الميلاد - والقرون الأخيرة التى سبقت الخط القرشى بعد الميلاد - افترض في أبجديات العصور المتقدمة « الكنعانية » و « المعينية » ، فحول هذا الافتراض حام جرجى زيدان عندما قال : [وبسبب ناموس التدرج تشعبت لغة بدو الآراميين إلى اللغات : البابلية والإرامية والسبائية أو الحميرية ولغات عرب الحجاز وغيرها ومن جملتها لغة صدر الإسلام] (٢) وعن الأبجديتين الكنعانية والمعينية قالوا : إن القرابة بينها قوية جداً فلا يبعد أن تكون الواحدة مشتقة من الثانية إذا لم تكن أرومتها واحدة ، ووطن هذه الأرومة إما أن يكون أرض كنعان أو بلاد العرب الجنوبية (٣) .

(١) جواد ٣ / ٤٢٥ .

(٢) العرب قبل الاسلام ص ٩٦

(٣) التاريخ العربى القديم ص ٦٠ .

٣ - على أن هذا لا يعنى أن الأبجدية العربية وأن اللغة العربية إبان الهجرات السامية الأولى هى اللغة الوحيدة التى سادت منطقة الهلال الخصيب من الجزيرة العربية ، وأن الأبجدية العربية هى الأبجدية الأولى التى عرفها سكان العراق وسورية ومصر .
فلقد أثبت البحث : أن البابليين دونوا لغتهم بالأبجدية السومورية المسارية ، وأنهم زادوا على هذه الأبجدية بعضاً من حروف أبجديتهم ، واستغنوا عن بعضها بما فى المسارية من حروف تؤدى معناها (١) .

ولقد اختلف المستشرقون فى أى الأبجديتين الصورييتين أقدم ؟ هل هى أبجدية وادى النيل الهيروغليفية ؟ أو هى أبجدية أرض الفرات المسارية ؟ ، فمن العلماء من رأى أن الأبجدية الأولى هى التى ظهرت فى العراق فى (كلديا) بتأثير عبادة النجوم ، ومن تلك الرموز التى وضعها الكهنة للنجوم أخذت الأبجدية الأولى : « الألف با » التى صارت أمماً لمجموعة من الأبجديات . ومن القائلين بهذه النظرية والمدافعين عنها - هومل - الذى أنكر أن تكون مصر هى المهد الأول للكتابة (٢) .

وبعد فالذى يتبين لنا من هذه الأدلة التى استعرضناها : أن الأبجدية الأم هى أبجدية مهد الساميين - الجزيرة العربية - الأبجدية التى تنتمى إليها أبجدية الكنعانيين التى عاصرت الأبجديتين الصورييتين : السومورية ، والفرعونية - والتى صانها الكنعانيون عما أصاب أبجدية البابليين فى العراق .

والذى علينا بعد هذه الأدلة التى تقدمت هو : البحث فى الخطوط السامية وأبجدياتها التى دونت بها اللغات السامية فى الجزيرة العربية ، لتكون على بينة من هذه الخطوط .
ففى معرفة الخطوط وتواريخها وتطوراتها الكثير مما ينير بعض الجوانب من التاريخ العربى القديم .

(١) العرب قبل الاسلام ص ٥٨ .

(٢) جواد ١ / ٢٠٢ وجاء فى تحقيق « ديورانت » : أن الكتابة التصويرية التى كان المصريون يستخدمونها قبل عصر الأسر الحاكمة قد انتقلت إلى مصر من بلاد السوموريين : قصة الحضارة ٢ / ٤٤ .

البحث العاشر

الخط البسابلي الآشوري

من موضوعات البحث :

- ١ - التدوين بالخط المسهاري أثر على اللغة العربية
- ٢ - كيف حرّفت اللغة العربية في بابل ؟
- ٣ - انتشار الخط المسهاري
- ٤ - اختلاف الرأي في رسم الخط المسهاري
- ٥ - لم دون البابليون بالخط المسهاري ؟

الخط البسابلي الآشوري

من التكرار الذي لا لزوم له إعادة الكلام عن الساميين في العراق ، وأنهم من الأرومة العربية ، وأنهم نزحوا من مكان ما في الجزيرة العربية إلى شاليها وتسموا هنالك بأسماء أُخْتُلِفَ في أصلها ، فقال بعضهم : إنها في الأصل أسماء للأرضين التي حلوا بها مثل : آشور وعيلام ، وبابل . فأشور في اعتقاد البعض اسم أرض أو بلد في شالي العراق ، وعيلم في اللغة العربية الماء الذي علته الأرض ^(١) ، وقال بعض النساين : إن آشور وعيلم اسمان لابنين من أبناء سام .

١ - فمنذ استطاع العرب بقيادة (سرجون) الأول إعادة العراق الجزء الطبيعي من الجزيرة العربية إلى عرويته سياسياً وحضارياً ، بدأوا يدنون لغتهم بالخط المساري السوموري ، وأخذوا يضيفون إليه حروفاً من لغتهم في الوقت الذي أضاعوا فيه بعضاً من حروف لغتهم ، مثل حروف التضخيم والتفخيم العربية : (الطاء والظاء والضاد) ومن حروف الحلق (الحاء والعين والغين والهاء) ^(٢) .

واختلاط الأبجديتين العربية والسومورية ، واتخاذ الخط المساري للتدوين هو صورة من صور الحضارة العربية التي قامت في العراق . فلقد نشب في العراق منذ القدم صراع عنصري بين العرب والعناصر الأخرى . فبالانتصار العربي الذي أحرزه (سرجون الأول) انتصرت الحضارة العربية التي لم ترفض ما وجدته مفيداً لها من الحضارة السومورية ولكنها حرصت على أن تطبعه بالطابع العربي ، ما استطاعت ، وبذلك أتيح للعرب أن يقضوا على كل ما هو سوموري فلم تقم للسومورية بعد ذلك الانتصار العربي قائمة ولم يعد اسم السوموريين في العراق إلى الوجود مرة ثانية . واختفت اللغة السومورية

(١) تاج العروس مادة علم .

(٢) تاريخ اللغات السامية لولفسون ص ٣٩ .

ولم تعد باقية إلا في الطقوس الدينية ^(١) .

ولكن العرب مع ذلك الانتصار ، أضعوا كثيراً من الصفات العربية بتأثير البيئة والعناصر التي كانت تعيش في العراق قبل الفتح العربي . ففي مقدمة هذه الصفات التي لم يستطيعوا الحفاظ عليها : اللغة . إذ كان من العسير على السوموريين وغير السوموريين أن ينطقوا باللغة العربية مثلما كان ينطق بها العرب ، فكان مثل اللغة العربية في بابل مثل اللغة العربية في البربر . كما يقول ولفنسون : [بعد أن تغلب العرب على البرابرة فقد أخذت اللغة العربية تتغير شيئاً فشيئاً بسبب اختلاط العرب بالبربر وجعلت تتأثر باللغة البربرية تأثراً ظاهراً حتى تكونت من النطق المشترك لهجة جديدة بعيدة عن اللهجة العربية الصرفة] ^(٢) .

٢ - ويوضح لنا ولفنسون اتساع الفجوة بين اللغة العربية وبين لغة الآثار البابلية عندما صحح اسم (حورابى) الملك العربى الذى أطلق اسمه على أبرز الدول العربية القديمة في العراق ، فلقد افترض أن هذا الاسم مركب مزجى وأن أصله بالنسبة للغة العبرية (عمو) اسم إله من أقدم آلهة الساميين و (ربى) بمعنى ربى فيكون الاسم في الأصل (عمو ربى) أى (الله ربى) ^(٣) .

وفي رأبى : أن هذا الاسم بالنسبة للغة العربية هو في أصله ومعناه العربى : (رب الشعب) أو (سيد الشعب) فإن هذا الاسم اقرب إلى مركز حورابى في الشعب البابلى وفي العقائد البابلية - فكلمة (عامو) في اللغات السامية معناها الشعب ^(٤) وحرف الواو (و) يزداد في اللغة البابلية في آخر كثير من الكلمات علامة للرفع ^(٥) مثل (عام - عامو ، أمة - امتو ، وبرق برقو إلخ) . وفي اللغة العربية (العم) جماعة من الناس كما في الصحاح وقيل من الحمى وزاد بعضهم : (أن العم الخلق الكثير) وهذا ما عناه الشاعر عندما قال :

(١) بلاد ما بين النهرين ص ٢٠ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ولفنسون ص ٣٩ .

(٣) ولفنسون ص ٢٦ .

(٤) العرب قبل الاسلام لجرى زيدان ص ١ و ٦٧ .

(٥) جرى زيدان نفس المصدر ص ٧٤ ولفنسون ص ٢٨٣ وما بعدها .

« يريغ إليه العم حاجة واحد فأبنا بحاجات وليس بذى مال »^(١)
 فاللغة العربية كما تقدم هي أصل للغة البابلية وفي اللغة العربية كثير من الكلمات
 التي مازالت حية منذ آلاف السنين مثل (اليم . أرخ . أم . أخ . أمة .. إلخ) .
 على أنه مهما تكن صحة اسم حمورابى . فإن البحث الذى أثاره ولفنسون فى تفسير
 هذا الاسم يدلنا على اتساع الفجوة بين اللغة العربية وبين اللغة البابلية ، كما جاءت فى
 الكتابات الأثرية ، ولقد زاد فى اتساع هذه الفجوة : أن الذين قرأوا نقوش الآثار البابلية
 لا يعرفون اللغة العربية كما يعرفها مؤلفا « تاج العروس » و« لسان العرب » ، وأن الذين
 قرأوا هذه الخطوط ليسوا من أولئك الذين عاشوا فى العراق قبل أربعة آلاف سنة ، فكم
 حرف المستشرقون الأساء والكلمات العربية القريبة العهد منا ، فكيف بالأساء والكلمات
 القديمة العهد ؟؟ . إنهم حرفوا اسم (أبى على بن سينا) فقالوا عنه : (أفيستا) واسم
 ابن رشد فقالوا عنه (أفيروس) واسم ابن الهيثم فقالوا عنه (الهايزيم) وأبو القاسم
 فقالوا عنه (البوكاسيس)^(٢) .

٣ - والخط المسهارى الذى عاش فى بابل ثلاثة آلاف عام أى إلى القرن الأخير الذى
 سبق الميلاد والذى انتشر فى : عيلم ، والفرس . وإرمينيا ، وفلسطين . والذى كان
 الفرعون المصرى (حوتب) الرابع يرأسل به أمراء فلسطين ، هو فى بحث ولفنسون أوسع
 الخطوط القديمة انتشاراً ، ولكن ما اقتنع به ولفنسون فى بحثه الذى جاء فيه : [ويمكننا أن
 نقول إن انتشار هذا الخط لم يكن له نظير فى العصور القديمة ، ولم يعرف لخط من الخطوط
 انتشار واسع كهذا إلا بعد انتشار الخط اللاتينى والعربى]^(٣) . لم يقتنع به جواد على
 الذى يقول : [وبذلك ثبت علمياً أن الخط المسند كان معروفاً قبل الإسلام فى كل شبه
 جزيرة العرب ، وربما كان القلم العام للعرب قبل المسيح]^(٤) فالخط المسند فى رأى جواد
 فى زمنه أعم من الخط المسهارى .

(١) تاج العروس مادة عم .

(٢) التاريخ الجغرافى القديم المقدمة ص م .

(٣) تاريخ اللغات السامية ص ٤٠ .

(٤) جواد ١ / ١٩٤ .

٤ - وكذلك يختلف ولفنسون مع جرجى زيدان في شكل الخط المسهارى - فجرجى زيدان يثبت بمصادره أن الخط المسهارى سورى مثل الهير وغلغيفى المصرى فهو يقول : [وكان القلم المسهارى فى أصل وضعه سورياً مثل الهير وغلغيفى المصرى ثم تشوه شكله بالاستعمال وباستخدام المسامير فى طبعه على الطين] ^(١) بينما يقول ولفنسون : [وليس يجرى الخط المسهارى على نظام الخط الهير وغلغيفى الذى يعتمد على الصور ، ولا على النهج الكنعانى الذى يعتمد على الحروف بل له نظام خاص ليس بصورى وليس بحرفى ، وقد نشأ على نظامه هذا فى أحواله الخاصة وتدرج فيه تدريجاً طبيعياً محضاً] ^(٢) .

بيد أن ولفنسون تراجع أخيراً فلم يذهب بعيداً عما قاله جرجى زيدان عندما قال : [ويستعمل الخط المسهارى على نوعين من العلامات ، ويشتمل النوع الأول منها على علامات تعبر عن معنى كلمات كاملة كانت فى بادئ أمرها صوراً كالخطوط الهير وغلغيفية ، ولكنها بعد استعمال القلم المسهارى انقلب شكلها وصارت خطوطاً لا علاقة بينها وبين الصورة الأصلية التى تعبر عنها] ^(٣) .

فالذى يظهر مما جاء فى كلام ولفنسون عن انتشار الخط المسهارى أولاً ، وما جاء فيه عن اختلاف الخط الكنعانى - الحرفى - ثانياً ، أنه يقصد بما جاء فى كلامه عن انتشار الخط المسهارى فى الهلال الخصيب ووصوله إلى مصر أن هذا الخط كان معروفاً وشائعاً فى كثير من البلاد العربية ، لا أنه كان خط الشعوب العربية مدى ثلاثة آلاف عام ، وهذا هو المعقول ، وهذا الذى أكدته ولفنسون نفسه عندما قال عن الخط المسهارى : [ولا على النهج الكنعانى الذى يعتمد على الحروف] فالخط الكنعانى معاصر للخط المسهارى ، والخط الكنعانى كما سيأتى هو إما أن يكون الأصل للخطوط العربية جميعها ما عدا البابلى المسهارى ، والمصرى الهير وغلغيفى ، أو من الأرومة التى تفرعت عنها هذه الخطوط . وذلك

(١) جرجى العرب قبل الاسلام ٥٨ .

(٢) تاريخ اللغات لولفنسون ص ٣٤ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٥ يوضح ولفنسون النوع الثانى بالحروف فى الجداول التى أشتها فى كتابه . وحيث إن المهم هو التراجع الذى ظهر فى كلامه عن النوع الأول . نكتفى بهذا القدر من كلامه .

ما سيظهر لنا واضحاً في البحث الآتي : الخط الفينيقي وأبجديته .
والذى يظهر أيضاً : أن الخط المسارى كان في بدايته سورياً ، وأنه خرج عن
صورته للأسباب التى ذكرت ، مثلما كانت اللغة البابلية التى دوت به عربية وأنها
خرجت عن عربيتها بتأثير أبجدية هذا الخط وتأثير نطق العناصر التى كانت تتكلم بها .
والذى لا شبهة فيه أن الخط المسارى هو من أقدم الخطوط التى دوت بها اللغة
العربية ومن أشهرها ومن أكثرها شيوعاً .

٥ - وإنما السؤال الذى يقتضى البحث : الجواب عنه - هو : لم ترك البابليون
أبجديتهم وخطها ودونوا لغتهم بالمسارية ؟ ولم لم يفعلوا كما فعل أبناء عمومتهم
الفينيقيون ؟

وبما يلاحظ أن العرب الذين هاجروا إلى سورية - استطاعوا الحفاظ على لغتهم أكثر
مما حافظ عليها البابليون ، لأن العرب في سورية لم يواجههم وضعٌ كالذى واجه العرب في
العراق . فلقد حفل العراق بحضارة السوموريين التى اعتبرت أقدم وأعرق من الحضارة
المصرية . فكان على العرب وقد تم لهم النصر السياسى : أن يحرصوا على الاستفادة من
حضارة العراق لإقامة دعائم الحضارة العربية . فalcضاء على الأبجدية السومورية معناه
القضاء على ثقافة غنية بموادها ، فلذلك نراهم قد اتخذوا الخط السومورى خطأً للغتهم مع
إضافة الحروف التى لا بد من إضافتها - تاركين لنشوء الحضارة العربية في ربوع العراق
وارتقائها تعريب الخط السومورى . وفعلاً أخذ هذا الخط يفقد صورته بفعل النقش بالمسار
كما علله المستشرقون ، أو بعوامل بابلية كما هو المنتظر من الحضارة التى قضت على كل
ما هو سومورى في العراق . ولقد رأينا كيف اختلف جرجى زيدان ، وولفنسون في حقيقة
الخط المسارى : أهو سورى مثل الهيروغليفى ؟ أم لا ؟ ولقد رأينا كيف ساد الخط الإرمى
أخيراً في العراق .

الخط الكنعاني . الفينيقي

من موضوعات البحث :

- ١ - كنعان وفينيقي اسمان أطلقا على شعب واحد
- ٢ - الشبه بين لغة الساميين في الهلال الخصيب مثل الشبه بين لغة الساميين في الجنوب .
- ٣ - ليست الأبجدية الفينيقية مشتقة من الهيروغليفية المصرية
- ٤ - لم يأخذ الفينيقيون الاختزال من المصريين
- ٥ - اللغة العبرية وخطها مشتقان من اللغة الكنعانية وخطها
- ٦ - اليمينيون ينكرون اشتقاق القلم المسند من القلم الكنعاني
- ٧ - اللغتان : الكنعانية والبابلية صنوان
- ٨ - الخط الكنعاني أصل للإرمي
- ٩ - إن التغيير الذى يلاحظ على اللغة الفينيقية وخطها المتأخر هو : تطور لا بد عنه .

الخط الكنعاني . الفينيقي

١ - لافرق بين الاسمين (الكنعاني) و (الفينيقي) . فاسم (كنعان) الذي أطلق على سورية - فلسطين - أصله في تحقيق الدكتور فيليب حتى : (حورى) ومعناه (الأرجوان) ، والأرجوان في اللغة الكنعانية يسمى (كنع) ، وعلى أساس ذلك نسبت تلك القبائل التي عرفت الأرجوان وتاجرت به بالكنعانية - أى الأرجوانية - واسم (فينيقي) أصله إغريقي ومعناه أيضاً (الأرجوان) وقد أطلقه الإغريق على القبائل الكنعانية ، فالفينيقية في اللغة الإغريقية معناها الأرجوانية كما أن الكنعانية في اللغة الحورية معناها الأرجوانية ، ثم أصبح اسم فينيقي في أوائل القرن الثاني عشر مرادفاً لاسم كنعاني^(١) .

أما في غير تحقيق (فيليب حتى) فاسم كنعان أصله سامى ومعناه الأرض المنخفضة ، وأما عند النساين فكنعان اسم الجد الأول للشعوب الكنعانية ، وذلك جرياً على القاعدة التى سار عليها النسابون في إرجاع كل أمة من أمم الماضى إلى جد واحد أسموه بالاسم الذى عرفت به تلك الأمة مثل : (آشور) و (قحطان) و (سبأ) إلخ .

ومن الثابت في تحقيق المؤرخين عرباً ومستشرقين : أن الشعوب العربية التى انتقلت من الجزيرة العربية إلى شاليها في سورية في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد لم تكن هى تلك الشعوب التى انتقلت من منخفض الساحل الشرقى للخليج الاسلامى وعرفت في المصادر الإسرائيلية باسم كنعان فحسب ، بل منها العماليق ، ومنها شعوب ذكرتها التوراة بهذه الأسماء : اليبوسى ، والأمورى ، والفريرى ، والحبوبى ، والجرجاشى^(٢) ، وأن هذه الهجرات الكبيرة سبقتها هجرات التجار وطلاب المرامى من البادية .

(١) لبنان في التاريخ ص ٨٢

(٢) ولفنسون ص ٥٦ وتاريخ القدس لعارف باشا ص ١١ وما بعدها .

٢ - وفي رأى بعض المستشرقين : أنه كان بين اللغة الكنعانية واللغة البابلية شبه كبير اعتمد عليه ذلك البعض فاعتبر اللغتين كتلة لغوية واحدة تماثل الكتلة اللغوية الجنوبية المكونة من اللغات السامية في جنوب الجزيرة والحبشة ، واستنتج ولفسنون من ذلك : (أن كل تلك القبائل السامية التي نزحت إلى العراق وسورية وأسست فيها الحضارة ، كانت قبل نزوحها في منطقة واحدة تتكلم بلغة سامية ذات لهجات متقاربة)^(١) .

٣ - وفي رأى بعض آخر من المستشرقين : أن الأبجدية الفينيقية مشتقة من الهيروغليفية على أساس أن الهيروغليفية أقدم الأبجديات ، وقد عارض (هومل) هذا الرأى منكرأ أن تكون مصر هى المهد الأول للكتابة ، وذهب مع الذين يقولون : (إن الأبجدية الأولى ولدت في العراق في (كلديا) بتأثير النجوم)^(٢) .

ولقد اتخذ أنصار الرأى القائل بأن (الهيروغليفية) هى أم (الفينيقية) ، من الكتابة (الطورسينائية) التي عثر عليها مؤخراً في شبه جزيرة سيناء ، والتي يعود تاريخها إلى سنة ١٨٥٠ ق . م ، دليلاً يرجح رأيهم . فقالوا عن هذه الكتابة : إنها الحلقة المفقودة التي تربط بين الفينيقية والهيروغليفية .

والذى يبدو من تعارض هذه الآراء : أن الفينيقيين الذين نزحوا من شرقي الجزيرة العربية والذين يمثلون الأغلبية في سورية ولبنان كانوا من الثقافة والحضارة في مستوى جعلهم في موقف الند من الحضارتين المعاصرتين السومورية والفرعونية ، وجعل لهم السبق في ملاحه البحر الأبيض المتوسط .

وإذا نحن لاحظنا : أن هؤلاء الفينيقيين لم يتخذوا أحد الخططين : السومورى ، والمصرى خطأ لهم ، نجد أنفسنا أمام افتراض قمين بالاهتمام - يشجعنا على أن نرجح أن الفينيقيين حملوا من وطنهم الأول خطأ حرفياً قد يكون في مرتبة الهيروغليفى نضجاً أو أكثر ، حرصوا على الاحتفاظ به في وطنهم الثانى ، مثلما حملوا معهم صناعة السفن وفن الملاحة وتقدموا بصناعتهم فأنتجوا (القزاز) وبعض الصناعات التي يعتر بقدمها لبنان .

(١) تاريخ اللغات السامية لولفسون ص ٥١

(٢) جواد ١ / ٢٠٢

٤ - ونحن إذا ما اعترفنا بكل هذه الحقائق التي قدمتها لنا آثار الفينيقيين ، نقف مترددين فيما قاله بعض المستشرقين عن الفينيقيين ، وأنهم أخذوا قاعدة الاختزال من الفراعنة ، لاسيما إذا ما نحن اقتنعنا ولو ببعض ما قاله (ديورانت) في كتابه قصة الحضارة عن الكتابة التصويرية التي كان المصريون يستخدمونها قبل عصر الأسر الحاكمة ، وأنها قد انتقلت إلى مصر من بلاد السوموريين^(١) ، وبما قاله (بريستد) في كتابه مصر من أقدم العصور : (والمعروف أن أقواماً ساميين من عرب آسيا غزوا وادى النيل وعمموا فيه لغتهم فصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة)^(٢) وبما قاله ولفنسون : (فالكنعانيون هم الذين اخترعوا السفينة واهتدوا إلى عمل الزجاج ووضعوا نظام الحساب ، وهم الذين اخترعوا أبجدية الكتابة المختزلة بالنسبة للخط المساري والهيروغليفي)^(٣) .

والاعتراف بهذه الحقائق يبعث الشك في نقله جواد على عن بعض العلماء الذين يرون : أن الأبجدية الأولى هي وليدة الهيروغليفية ، وأن الأبجدية الفينيقية مشتقة من الهيروغليفية ، ويذهبون إلى أن الفينيقيين الذين كانوا أول من عمم طريقة الكتابة بالحروف الهجائية قد أخذوا أصولها من مصادر مصرية^(٤) . لأن الهوة كما يقول جواد على بين الكتابتين كبيرة ، وإذا كانت نقوش طور سيناء التي يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد هي دليل أصحاب الرأي القائل : إن عمال مناجم طور سيناء اهتدوا إلى التدوين بالحروف الأبجدية من الفكرة المصرية في التدوين ، فإن العكس يمكن أن يفترض أيضاً - فيكون العمال قد اهتدوا إلى هذه الأبجدية من الفكرة الفينيقية ، فإن طور سيناء من منازل الساميين منذ القرن الأربعين قبل الميلاد كما جاء في تحقيق جرجي زيدان وفيليب حتى^(٥) ، وأن العلاقات بين سكان بلاد العرب الجنوبية والشرقية وبين

(١) قصة الحضارة ٢ / ٤٤ (٢) مصر من أقدم العصور ص ١٧

(٣) ولفنسون ص ٥٢ (٤) جواد ١ / ٢٠٣

(٥) العرب قبل الإسلام ص ١٣٤ ، ويقول حتى في تاريخ العرب (٤١/٤٠) : قد سلك طريق سيناء مهاجرون ساميون حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد . ويرجع جواد على : أن مواطن العماليق تقع بين كنعان ومصر في برية سيناء وتيه بنى إسرائيل وأن العماليق كانوا يسكنون في أواسط فلسطين ويظن أن المعينيين الذين حاربهم (حزقيال) سنة ٧٢٦ وسنة ٦٩٧ ق. م قد يكونون من المعينيين الذين في الشمال وقد تكون لهم صلة بموضع معين المصرية تاريخ العرب لجواد ٢/ ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٦١

سكان الجزيرة العربية في الشمال العربي كانت قوية ، ويقول عنها (هومل) : (وهذه الحقيقة لم يتنبه إليها احد من قبل ، وهذه الصلة القوية لم تقدر حق قدرها عندما نعى بدراسة الفترة السابقة لتاريخ المعينيين ، فمن المحقق الآن أن القرابة قوية جداً بين أبجدية النقوش العربية الجنوبية وبين الأبجدية الفينيقية ، فلما أن تكون إحداها تفرعت عن الثانية أو أنها تفرعتا من أبجدية كانت موجودة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م)^(١) .

فادلة هذه الشكوك هي التي لاتجعلنا نجزم برأى في أى الأبجديتين الصورييتين - السومورية أو المصرية - كانت هي الأقدم ؟ وإن كنا نرجح أن الحضارة في بلاد ما بين النهرين هي أقدم من الحضارة المصرية ، تؤكد لنا : أن الأبجدية الكنعانية ليست من الأصل الفرعوني ولا من الأصل السومورى ، إنها كنعانية من أصل عربى تطورت كما هو المفروض بعد طول إقامتها في سورية ، وتجعلنا كذلك - كما سيأتى في البحوث القادمة في هذا الجزء - لانجزم برأى في أى الخطين أخذ الاختزال عن الآخر : الخط الفينيقي أو الخط المصرى ، وإن كنا نرجح : أن الخط الفينيقي سبق الخط المصرى إلى منطقة خليج السويس وصحراء سيناء ، لأن الساميين احتلوا هذه المنطقة وانتشروا في أراضي الدلتا والصحراء العربية ونشروا لغتهم فيها وصبغوها بالصبغة السامية قبل أن يتسع النفوذ السياسى المصرى ، وذلك ما أكدته بريستد في كتابه مصر من أقدم العصور ، وقال به جرجى زيدان .

٥ - ونحن إذا كنا نرى ولفنسون متحمساً في دفاعه عن اللغة العبرية لحد افتراض ما لايفترض ولزوم ما لايلزم ، فهو لايرضى بأن تكون اللغة العبرية مقتبسة من اللغة الكنعانية^(٢) ، وهو تارة يجعل الآرامية والعبرية صنوين للكنعانية فيقول : (إذ كيف يعقل أن تكون الكنعانية أصلاً والعبرية فرعاً حين ثبت أن الكنعانية والعبرية والآرامية إنما هي فروع لأصل واحد مشترك بينهم)^(٣) وتارة أخرى يجعل اللغة الكنعانية هي بعينها العبرية : (وأما من جهة اشتقاق الكلمات فإن الكنعانية هي بعينها العبرية)^(٤) . فإننا لانتحمس معه ، لأننا رأيناه عندما يتكلم عن الخط المسند وصلته بالجزيرة يقرر : أن الخط

(٢) ولفنسون ص ٥٥

(١) التاريخ العربى القديم ص ٦٠

(٤) نفس المصدر ص ٦١

(٣) نفس المصدر ص ٥٥

العبرى مشتق من الكنعانى : مثلما اشتق منه الإرمى والمسند (وكما أن الأقلام الآرامية والعبرية مشتقة من الكنعانية فإن أقلام المسند مشتقة أيضاً منها)^(١) .

وإننا سوف نتعرض لهذا الموضوع بايضاح أكثر فى بحث اللغة العبرية والجعزية الآتى فى هذا الجزء .

٦ - وكذلك نحن نرى اليمينيين ينكرون : أن المسند مشتق من الخط الكنعانى . ففى رأيهم أن الكتابات اليمينية أقدم زمناً من أقدم الكتابات المعينية ، ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى رأى (هومل) فى القرابة بين الأبجديتين : الأبجدية المعينية الجنوبية والأبجدية الفينيقية الشمالية ، ولقد وضع جواد على الفرق بين الأبجديتين وذكر الحروف التى تشتركان فيها ، والحروف التى تختص بها كل واحدة منهما - ثم قال : (وليس بمستبعد أن تكون الأبجديتان قد تفرعتا من أصل واحد)^(٢) .

ويتبع المصدر الذى اعتمد عليه جواد على فى رأيه هذا نجده يشير إلى الصفحة ٢٤٢ من تاريخ اللغات السامية لولفنسون - وبالرجوع إلى ماجاء فى كتاب ولفنسون نجده يقابل بين رأى (هومل) الذى نقله كالآتى : (لكن العالم هومل قد قال : إن الخط المسند هو الأصل الذى اشتق منه الخط الكنعانى ، ودليله على ذلك : أن نماذج من الكتابات المعينية التى وصلت إلينا أقدم من النماذج الكنعانية) - وبين رأى العالم (ليتسيرسكى) الذى نقله كالآتى : (ينكر صحة هذا الرأى ويقول : إن وجود نماذج معينية أقدم من الكنعانية لا يثبت أن الخط الكنعانى مشتق من المعينى ، لأن الكتابات المعينية تستعمل حروفاً يظهر أنها قد انتقلت من حالة بدوية إلى حالة حضرية راقية ، أما الكتابات الكنعانية القديمة التى وصلت إلينا مع أنها متأخرة عن المعينية فهى أقرب إلى الأصل وذلك لأنها حروف بسيطة فى الرسم ولا أثر فيها للتطور والانتقال من حالة إلى أخرى)^(٣) .

فلعل جواد على - اعتمد فى رأيه على ماجاء فى كتاب (التاريخ العربى القديم) عن

(١) نفس المصدر ص ٢٤٢

(٢) جواد ١ / ٢١٠

(٣) نفس المصدر ص ٢٤٣

الأبجدية المعينية^(١) . فقد كان رأى (هومل) هناك : إما أن يكون الخط المسند مشتقاً من الكتعانى وإما أن يكون الخط الكتعانى مشتقاً من المسند أو أن يكونا مشتقين من أصل واحد .

٧ - ومهما يكن المصدر الذى اعتمد عليه جواد على ، فإن اشتقاق الخطين من أصل واحد هو الرأى المرجح ، فكل الأدلة تشير إلى وجود أصل للخط الحرفى غارق فى القدم ، وكل الأدلة تشير إلى أن ذلك الأصل القديم يمثل اللغة الأم للغات السامية ، وكل الأدلة تشير إلى أن اللغة الأم التى مازالت موضع البحث والتحقيق فيها حتى اليوم هى : لغة الوطن الأول للساميين ، وكل الأدلة تشير إلى أن الوطن الأول للساميين يقع فى المنطقة الممتدة من الخليج الإسلامى الى البحر الأحمر جنوبى الهلال الخصيب من الجزيرة العربية . وكل هذه الأدلة تؤكد أخيراً : أن اللغة العربية هى الأم وأن أبجديتها هى الأصل .

إذن فلا غرابة : أن كان هناك تشابه بين الخط الفينيقى ، والخط المسند ، والخط الإرمى ، والخط اللحيانى ، والخط الشمودى ، والخط الصفوى ، والخط النبطى ، وأخيراً الخط القرشى - فإن الأصل واحد . وإن العوامل التى جعلت للجنوبيين : المعينيين ، والسبثيين ، والحميريين كياناً مستقلاً ، وجعلت للشمالين : الكلدانيين ، والآشوريين ، والفينيقيين ، والإرميين ، ومن خلفهم كياناً مستقلاً ، هى نفس العوامل التى جعلت لهذه الخطوط أشكالاً تميز الواحدة عن الأخرى .

٨ - وإذن فلا غرو : إن اعتبر الكثيرون : الخط (الكتعانى) وأبجديته أصلاً للخطوط (الإرمية) التى ظهرت بعدها ، وإن اعتبر الخط الإرمى أصلاً للخط التدمرى و (السريانى) و (النبطى) وبعض خطوط النقوش الشمودية ، واللحيانية ونقوش البارة التى كتبها اللخميون على قبر امرئ القيس عاهل الحيرة - فإن الخط الكتعانى وأبجديته هو أقدم خط حافظ بعض الشيء على أصله العربى ، وإن سكان سورية وشمالى الحجاز كانوا كما يقول ولفنسون : حريصين على لغتهم أكثر من البابليين فلذلك نجدهم لم يتخذوا

(١) التاريخ العربى القديم ص ٦٠

أحد الخططين : المسارى السومورى والهريوغليفى المصرى خطأ لهم .
وعن الخط الكنعانى يقول ولفنسون : (فلاغرو أن أصبح الخط الكنعانى أساساً
لجميع خطوط العالم المتمدنين فى الشرق والغرب)^(١) .

٩ - وأخيراً لابد لنا أن نوضح شيئاً عن اللغة الفينيقية بالنسبة للغة الكنعانية وهى اللغتان : الكنعانية والفينيقية كالاسمين : كنعان وفينيق يرجعان إلى أصل واحد لافرق بينهما ؟ فنحن بعد أن تحدثنا عن الاسم الكنعانى والفينيقى ، أخذنا نتكلم تحت هذا العنوان (الخط الكنعانى - الفينيقى) ، عن الخط الكنعانى والفينيقى على أساس أنها شئ واحد ، ولم نشر إلى الفرق الذى ظهر بينهما أخيراً - فلقد جاء فى تحقيق المطران الدبس : (وتفرع الكنعانية إلى فرعين : العبرية والفينيقية ، فالفينيقيون وإن كانوا من ولد كنعان فقد كانت لهم لغة مخصوصة قريبة من اللغة العبرانية لكن بين الفرعين فروقاً تجعل كلا منهما فرعاً ممتازاً عن الآخر - فيظهر أن العبرانية كانت لغة الكنعانيين سكان الجبال فى فلسطين ، والفينيقية لغة السواحل . وقد دلتنا آثار هذه اللغة على أنها كانت ثلاث لهجات أو فروع : فرع (جبيل) وهو الأقرب إلى العبرانية ، وفرع (صيدا) وهو الأهم والأكثر انتشاراً ويمكن اعتباره مثلاً لهذه اللغة ، ثم الفرع (البونى) وهو لغة الفينيقيين الذين هاجروا إلى قرطاجنة)^(٢) .

والذى يظهر من كلام المطران الدبس : أن اللغة الكنعانية فى آخر أمرها ككل لغة تأثرت بالعناصر التى خالطت الكنعانيين وخالطها الكنعانيون ، فتفرعت إلى فروع منها ما عرف بالفينيقى - وأخذ كل فرع يستقل عن الأصل حتى أصبحت اللغة الفينيقية فى رأى جواد على كما رأيت لغة قائمة بذاتها لاتذكر إذا ما ذكرت اللغة الكنعانية .
ولقد بحث الدكتور وافي فى اللغة الكنعانية ، فجعل فى كتابه (فقه اللغة) عنواناً خاصاً بها كما جعل عنواناً خاصاً باللغة الفينيقية ، ولكنه مع ذلك لم يفصل هذه عن تلك فلم يخرج القارىء من بحثه بغير النتيجة التى تؤكد : أن اللغة الفينيقية المتأخرة هى طور من أطوار اللغة الكنعانية فى الأرضين التى ذكرها المطران الدبس .

(٢) تاريخ سورية للدبس ١٤٢/١ ، ١٤٣ .

(١) تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٥٢

البحث الثاني عشر

الخط المسند وأبجديته

من موضوعات البحث :

- ١ - الأبجدية الجنوبية وخطها المسند هما في الأصل شاليان
- ٢ - الرواية العربية تتفق مع آراء المستشرقين على أن المعينين والسبئيين سكنوا شمالي الحجاز قبل أن يؤسسوا دولهم في الجنوب
- ٣ - القرابة بين الخط المسند وأبجديته وبين الخط الكنعاني وأبجديته توشجت أواصرها في الشمال
- ٤ - لماذا انعدم الشبه بين الخط المسند والخط الإرمي ؟

الخط المسند وأبجدية

١ - لقد أصبح من الحقائق الثابتة : أن الأبجدية الجنوبية وخطها المسند كانا من الأبجديات الشمالية وخطوطها ، وأن الخط المسند الذى ولد فى الشمال نما وترعرع واشتد فى الجنوب ، فأول الكتاتين بالخط المسند هم المعينيون كما يسميهم المستشرقون ، والمعينيون كما يرجح هم قوم عاد الذين تحدث عنهم المصادر العربية ، وأصبح من الحقائق الثابتة : أن المعينيين ليسوا من الشعوب القحطانية^(١) ، وكذلك السبئيون لأن المعينيين فى الجنوب أقدم من القحطانيين ، ولأن المعينيين والسبئيين عاشوا طويلاً فى الشمال قبل أن ينتقلوا الى الجنوب . ويقول جرجى زيدان : (وقد جاء ذكر المعينيين فى سفر الأخبار الثانى ٢٦ عدد ٧ - واعانه الله « عزيّا » على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار « بعل » وعلى « المعونيين » ويظهر أنهم أقدم من ذلك بكثير لأنهم عثروا على أمة بهذا الاسم ذكرت فى أقدم آثار بابل بين أخبار نرام سين سنة ٣٧٥٠ ق . م ، وقد يتبادر إلى الذهن أنهم المرادون بقول المصريين القدماء « من » أو « معن » ويريدون بها أمة من الشاسو عمالقة مصر فى أثناء استيلائهم على وادى النيل كما ظن « جلازر » ولكننا نستدل مما وقفنا عليه من أحوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية ومن أساء رجالهم وأهنتهم - أن أصلهم من عمالقة العراق بدو الآراميين الذين كانوا فى أعالي جزيرة العرب قبل ظهور دولة حمورابى بعدة قرون)^(٢) .

وفى تاريخ العرب لجواد على أخبار متناثرة ذكرها جواد فى مناسبات مختلفة . فمما جاء فى تاريخه : أن الكتابة المعينية قد استخرجت من (الجوف) ومن (ديدان) أيضاً حيث كانت من أهم مواطن المعينيين^(٣) - و (ديدان) يقول عنها ياقوت الحموى : إنها مدينة

(١) جرجى زيدان ص ١٣٢

(٢) جرجى زيدان « العرب قبل الإسلام » ص ١٣٢ و ١٣٣

(٣) جواد ١/٣٨٤

حسنة في طريق اللقاء من ناحية الحجاز .

ومما قاله جواد : وفي وادي القرى مواضع قديمة منها « العلا » وتقع على مقربة من خرائب (ديدان - دادان) التي كانت مقر المعينيين في الشمال ، والتي أشير إليها في العهد القديم^(١) ومما قاله : و (يثرب) من المواضع التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد ، وهي يثرب في الكتابات المعينية وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات معين ثم صارت إلى السبئيين بعد زوال مملكة معين^(٢) .

وجاء في تحقيق ولفنسون عن الخط الثمودي والنبطي : [من رأى « جلازر » أن لفظ - معين مصران - الذي ورد في كتابات مصرية ، إنما يدل على بطون معينة وجدت في مصر - هي الشاسو]^(٣) .

ورأى (جلازر) لم يرض به جرجي زيدان كما رأيت ، لأن من رأيه : أن المعينيين هم من عمالة العراق . وذهب (هومل) إلى أن المعينيين أقاموا حصوناً تحمي الطريق التجاري المار بمكة والمدينة والعلا فقال :^(٤) [واستتبع هذا النظام خلق المستعمرات المعينية التي نجدها في « العلا » شمال « المدينة » ففي ذلك المكان اكتشف (أوتينج) خمساً وعشرين قطعة من نقوش معينة دونت في زمن لن يكون أحدث من منتصف الألف الأولى قبل الميلاد ، وكما يستنتج أيضاً من أسماء بعض الملوك الواردة في تلك النقوش : أن تلك المستعمرة عمرت في الشمال حوالي قرنين] .

أما تاريخ المعينيين في الجنوب ، فإن الظنون التي اختلفت في تحديد بدايته لم يتعد بعضها الألف الأخيرة التي سبقت الميلاد بينما ذهب آخرون إلى أن في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، كانت بداية عهد المعينيين في الجنوب - إن هذه الظنون لم تختلف كثيراً في نهايته ، فهي تكاد تجمع على أن القرن السابع قبل الميلاد كان نهاية سلطان المعينيين ، وبداية السلطان السبئي .

فالسبئيون كما خلفوا المعينيين في الشمال خلفوهم في الجنوب . ولقد جاء في دائرة

(١) جواد ١٧٨/٤

(٢) جواد ١٨١/٤

(٣) ولفنسون ١٧٦/١٧٥

(٤) التاريخ العربي القديم ص ٤٢ و ٤٣

المعارف الاسلامية عن سبأ : [وأقدم ما نعرف عن سبأ هو : الإشارة السامية التي وردت في النقوش المسارية ، ويرجع تاريخ أقدم الاشارات الى القرن الثامن قبل الميلاد في حين أن الوثائق التاريخية ، المستمدة من بلاد الجزيرة ، ترجع بعصر السبئيين إلى سنة ٢٥٠٠ ق . م . ويرى (هومل) أن السبئيين كانوا سكنة الجوف الشمالى وأنهم دخلوا جنوب بلاد العرب أول ما دخلوا من الجوف الشمالى في القرن الثامن ق . م]^(١) .

٢ - والمؤرخون العرب في مؤلفاتهم لم يذهبوا بعيداً عندما تكلموا عن سكان شمالى الجزيرة وجنوبيها ، عما جاء في النصوص التي اعتمدها المستشرقون . فلقد جاء في تاريخ الطبرى : [فعمليق أبو العالقة كلهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق ، وأهل عُمان ، وأهل الحجاز ، وأهل الشام ، وأهل مصر منهم ، ومنهم جابرة الشام الذين يقال لهم الكنعانيون]^(٢) .

وإلى إرم تنسب المصادر العربية الشعب العادى ، والشعب الثمودى ، والشعب النبطى ، وعاد في المؤلفات العربية بلغ ملكها مصر والشام والعراق وامتدت سيادتها الى نجد وإلى الحجاز ، ويقول المؤرخون : إن عاداً الثانية كانت باليمن ، وإن ثمود انتشرت من وراء مدائن صالح شمالاً إلى جبال صنعاء جنوباً ، ولقد جاء في معجم^(٣) ياقوت : (قرح) هو سوق وادى القرى . وقيل بهذه القرية مهلك عاد . وبين قرح وبين الحجر - حجر ثمود - ثمانية عشر ميلاً ، وجاء في نهاية الأرب للقلقشندي عن بادية الشام : [ومن بادية الشام مدين وكانت منازل العاربة من عاد وطسم وجديس وأميم وجرهم]^(٤) .

أما سبأ فينص القرآن على أنها عاصرت سليمان بن داود ، ويرجع تاريخ سليمان إلى الألف الأخيرة قبل الميلاد ، وحيث إن سبأ لم تنتقل إلى اليمن إلا في القرن الثامن قبل الميلاد رجح الكثيرون : أن مملكة سبأ كانت في عهد سليمان في شمالى الحجاز^(٥) .

(١) الدائرة ١٦٨/١١ و ١٧١

(٢) تاريخ الطبرى ١٤٠/١

(٣) مادة قرح المعجم و ١٦١/٨ تفسير الطبرى

(٤) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٧

(٥) جواد ٢/٣٥٤

فأقوال هؤلاء الباحثين في تاريخ الشعوب العربية القديم كما تراها تجمع على نتيجة واحدة تثبت : أن كتبة الخط المسند وأصحاب الأبجدية الجنوبية الأولين هم من الشعوب العربية التي انتقلت من وطنهم الأول في وسط الجزيرة إلى شاليها في العصور الغارقة في القدم ، وكذلك كتبة الخط الكنعاني وأصحاب الأبجدية الشالية انتقلوا من وطنهم الأول في جزيرة العرب إلى الشمال في أزمنة ما قبل التاريخ .

٣ - فمن المعقول : أن تنشأ من القرابة العنصرية ومن الجوار ومن المعاصرة - القرابة الأبجدية التي لاحظها (هومل) - بين الأبجديتين الفينيقية والمعينية ، ومن المنتظر أن يحدث الالتباس في أى الأبجديتين هي الأصل والثانية هي الفرع ؟ فكلا الشعبين : « المعيني » و « الكنعاني » من الشعوب العربية القديمة التي تنقلت في شمال الحجاز وفي سورية وفي باديتها . وليس بمستنكر إن رجحت الظنون : وجود أبجدية تعتبر أما للأبجديتين الفينيقية - الكنعانية - والمعينية عرفها الشعبان في وطنهم الأول . فكلا الشعبين هاجر من الجزيرة العربية . والمصادر العربية تؤكد : أن أبناء إرم - وأبناء عمليق كانوا يتكلمون بهذا اللسان المضري^(١) ، والمصادر المستشرقية تؤكد : أن لغة مهد الساميين هي أم اللغات السامية وأبجديتها هي الأصل للأبجديات السامية .

فمن الظنون التي أصبحت في مرتبة اليقين : أن الأبجدية والخطوط الأولى للمعنيين والسبئيين الذين تنقلوا في الهلال الخصيب وفي مصر واستوطنوا شالي الحجاز ، وعاشوا في « وادي القرى » وفي « يثرب » قروناً قبل أن ينتقلوا إلى الجنوب ويكون لهم اليمن وطناً ، هما من أبجديات وخطوط الشاليين ، فما جاء في كلام جواد على عن الخطوط العربية [أما المسند فقد رأى كثير من العلماء أنه اشتق من الأبجديات السامية الشالية]^(٢) .

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن التحقيق يرجح : أن الكنعانية الشالية والمعينية الجنوبية إن لم تكن إحداها مشتقة من الثانية فإنها من أصل واحد ، ومن المفروض أن يتطور الخط المسند والأبجدية المسندية في الجنوب بعد أن استوطن المعينيون ومن بعدهم السبئيون اليمن ، وأسسوا إمبراطورية كان لها شأن لا يستهان به في سياسة البلاد العربية

(١) تاريخ الطبرى ١/١٤١

(٢) جواد ١/٢٠٩

وثقافتها وحضارتها ، مثلما تطورت الخطوط الشمالية بفعل الأحداث السياسية والعناصر الأجنبية التي تدفقت على سورية وبإديتها وعلى شألى الحجاز وسواحه . ومن المتوقع أن يحدث التطور هنا وهناك فواصل بين لغة الجنوبيين وأبجديتها وخطوطها ، وبين لغة الشماليين وأبجديتها وخطوطها .

٤ - ولكن الذى يلفت النظر هو : لماذا يجمع الباحثون على أن الخط الإرمى بعيد كل البعد عن الخط المسند ما دام الخطان مشتقين من الخط الكنعانى ؟

وبينا التحقيق أثبت : أن ثمود والنبط تجمعهم العنصرية ، فقد كان يقال لقوم عاد في دهرهم : عاد إرم - فلما هلكوا قيل لثمود : ثمود إرم فلما هلكت قيل لسائر بنى إرم أرمأن فهم النبط^(١) . والشعوب التي تجمعت في سورية وفلسطين وبادية الشام تحت اسم (إرم - أرمأن) منهم الإرمى نسباً ومنهم العمليقى والجرهمى - وأثبت أيضاً : أن الثموديين عاشوا على مقربة من منازل النبط . فما حققه (دوشى) : [أن الحجرهى موضع (الخريبة) في الوقت الحاضر لا مدائن صالح التي هى في نظره حجر النبط والتي تقع على مسافة عشرة أميال من موضع الخريبة]^(٢) .

فواحد من هذه العوامل : وحدة العنصر ، ووحدة التاريخ ، والوحدة الجغرافية ، يكفى لأن يجعل بين الشعبين صلات لغوية وخطية ، ولكن مع كل هذه العوامل لم تتبين للباحثين صلة بين الخط « الإرمى » و « النبطى » الحديث وبين هذه الخطوط - فقالوا : إن الخط المسند واللحيانى والثمودى والصفوى من أرومة واحدة . وإن الخط الإرمى والنبطى من أرومة واحدة .

إننى لم أجد تعليلاً لذلك فيما اطلعت عليه من بحوث المحققين في الأبجديات السامية وخطوطها . وإننى بما وصلت إليه في بحثى بين المصادر المختلفة يتبين لى أن الإرميين في غربى الهلال الخصيب امتزجت بهم عناصر كان لها نفوذها في سورية مثل : الإسرائيليين الذين استطاعوا أن يؤسسوا ديانة ودولة في زمن أنبيائهم ، ومثل الرومانيين الذين احتضنوا (أذينة) و (الزباء) زمناً ثم أطاحوا بالدولة العربية التدمرية . ولقد سبق السلطان الرومانى الغزوالاسكندرى ، والغزوالفارسى ، وغزوات الآشوريين الذين كانت سياستهم

تقوم على الفتك وتشتيت العدو واحلال الموالين مكانه ، والحروب التى كانت سجلا بين العراقيين والمصريين والتى كانت سورية ميدانها الدامى . فكل هذه الأحداث جعلت اللغة الإرمية فى هذا الصقع من الجزيرة تنموغواً ليس من صالحها ، فكانت كما قيل عنها : رطانة تخالطها كلمات يونانية وكلمات رومانية .

وكل هذه الأحداث جعلت لغة وخطوط الإرميين المتوغلين فى شالى العراق تنموغواً أصح من لغة الإرميين السوريين ، ولكنها فى تقدمها المطرد أخذت تبتعد شيئاً فشيئاً - لا عن الخط المسند ولغة الجنوبيين فحسب ، بل عن خطوط ولغة : اللحيانيين ، والشموديين وغيرهم من شعوب شالى الحجاز - فأتساع الفجوة بين الخطين اللذين سار كل منهما فى واد ، محا كل شبه بينهما ، فلقد تطور الخط الإرمى الى الخط السريانى ، وأخذت لغة الإرميين تستوعب أخيلة الشعراء ، وفلسفة اليونان ، فى الوقت الذى أخذت اللغة الجنوبية وخطوطها تعتز بامبراطورية المعينيين والسبثيين - اللذين أخذوا يعنون بلغتهم ويخطهم ويحرصون على أن يكون له ولها صفات ممتازة حتى قيل : إن الحميريين كانوا لا يسمحون بتعلم الخط المسند إلا لمن يحظى بإذن منهم .

فإذا كان انتقال المعينيين والسبثيين إلى جنوب الجزيرة أنشأ فوارق بين الخط المسند ، وبين الخط الشمودى واللحيانى ، برغم الصلات السياسية والاقتصادية التى تربط بينهم الى العصور المتأخرة ، فحرى بتوغل الإرميين فى الشمال ، وتوغل المعينيين والسبثيين فى الجنوب ، بأن يحدثا مثل ذلك الاختلاف بين الخطين .

ولذلك بقى الشبه واضحاً بين الأبجدية الكنعانية الشالية والأبجدية المعينية الجنوبية ، وانعدم بين الإرمية التى توغلت فى الشمال ، وبين المعينية التى توغلت فى الجنوب ، فإن أحداثاً وأجناساً طورت تاريخ الإرميين ولغتهم وخطهم فى الشمال كما طورت أحداث وأجناس تاريخ الجنوبيين ولغتهم وخطهم فى اليمن وما حوله .

إن الحقيقة التى تستشف من الأقوال التى جمعناها من مختلف المصادر تؤكد لنا : أن الخط المسند هو فى الأصل خط شالى تفرع من أصل الخطوط الشمودية واللحيانية والكنعانية ، ثم بنزوح المعينيين إلى اليمن أخذ الخط المعينى يتطور ببطء فى زمن المعينيين ،

وبسرعة في زمن السبئيين ، فلما جاء الحميريون تم تطوّره وزخرفه^(١) ، وتؤكد لنا كذلك : أن الخط الذي تحمس لتطويره وتحسينه عواهل اليمن ، عاد متطوراً مع قوافل معين وسبأ وحمير ، ومع حاميات الحصون التي أقامتها الامبراطوريات اليمنية على الطريق التجاري ، فزادت صلته بالخطوط : الثمودية ، واللحيانية ، والصفوية التي هي بدورها تطورت بعد أن نزع المعينيون ومن بعدهم السبئيون إلى الجنوب ، أما الخط الإرمي الذي اختلط بالعبرية والرومانية واليونانية في غرب الهلال الخصيب والذي توغل في الشمال الشرقي من الهلال الخصيب - فقد كان بعيداً عن كل مؤثر جنوبي .



البحث الثالث عشر

النخط الآرامي

من موضوعات البحث :

- ١- هل هناك فرق بين الاسمين : « إرمي » و « آرامي » ؟
- ٢ - من متاعب البحث في لغة الآرميين اضطراب التحقيق في عنصرية الآرميين واصل لغتهم
- ٣ - اللغة الآرمية تغلبت على اللغة العبرية منذ القرن الثاني قبل الميلاد
- ٤ - الآرميون عرب في بعض التحقيقات وغير عرب في تحقيقات أخرى !!

الخط الآري

١ - لم يعتمد جرجى زيدان في تحقيق اسم « إرم » إلا على المصادر غير العربية فقال : (كان الساميون في أعلى جزيرة العرب قد خيم بعضهم في البادية بين العراق والشام ، وكان سكان المدن يسمون أهل تلك البادية (آراميين) أى أهل الجبال ، وأهل ما بين النهرين يسمونهم (عمورو) أى أهل الغرب ، ثم إن اسم عمورو تطور الى اسم عرب^(١)) .

ولو رجع جرجى زيدان الى المصادر العربية لوجد في معاجم اللغة : أن (آرام - كسحاب « جبل » و « ماء » ، بديار جذام بأطراف الشام) وأن الفيروزابادى قال : (والصحيح أنه جبل فيه ماء) وأن ياقوت ضبط اسم هذا الجبل فقال : (إنه - إرم - اسم جبل من جبال حسمى من ديار جذام بين أيلة وتيه بنى إسرائيل) ولوجد أيضاً : أن إرما اسم ابن من أبناء سام إليه تنسب القبائل الآرامية ، ولا يعارض الفيروزابادى الذين يقولون : إن إرما اسم بلد الآريين أو قبيلتهم^(٢) .

فعلى ذلك : إن اسم إرم يطلق على سكان بادية الشام جميعهم ، سواء كانوا من أبناء إرم أو من العماليق أو من غيرهم . فهو كما قال الفيروزابادى : اسم بلد أو قبيلة ، وأن اسم إرم يطلق في غير بادية الشام على الذين هم من نسل إرم كما يقول النسابون ، فقبل لعاد إرم عاد ، ثم قيل لثمود إرم ثمود ، ثم قيل للنبط أرمان^(٣) وعلى ذلك : إن الفرق بين اسم (إرم) و (آرام) : أن اسم إرم وأرام بمعنى واحد يطلقان على سكان البادية من أرض الشام ، وأن (إرم) وحده يطلق على القبائل التى انتسبت الى إرم في أنحاء الجزيرة العربية .

(١) العرب قبل الاسلام ص ٤٣ .

(٢) مادة (إرم) تاج العروس ومعجم ياقوت .

(٣) تاريخ الطبرى ص ١٤٣ جزء ١ .

ولو رجع جرجى زيدان الى المصادر العربية لوجد : أن العرب بينا هم يدخلون الهلال الخصيب والصحراء العربية المصرية في حدود جزيرة العرب ، ويؤكدون : أن قبائل عربية هي : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، والعماليق ، وجُرهم ، قد نزحت من قديم الزمان الى الهلال الخصيب . والى الصحراء العربية الممتدة من البحر الأبيض الى ما بعد أسوان ، ويؤكدون : عروبة دول تدمر ، وبطرا ، والقدس ، ودمشق ، اذا هم بعد ذلك يقولون . إن الجزيرة العربية هي : الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ويختصر بعضهم جزيرة العرب على الحجاز ونجد ويخرجون اليمن لأن لغة اليمن قد خالطتها لغات أفريقية^(١) .

وكذلك فعل المستشرقون - فهم في الوقت الذى يؤكدون فيه : أن الساميين هم قبائل عربية نزحت إلى العراق ، وإلى سورية وباديتها ، وإلى مصر ، من أواسط الجزيرة العربية - يجعلون العرب في الهلال الخصيب : أمة ، ويجعلون العرب في باقى الجزيرة العربية : أمة ثانية تفصل الواحدة عن الثانية ، الفواصل التى تفصل بين الروم والفرس والعرب . فاختلاط الإرميين بالعناصر غير العربية جعل لهم وللغتهم صفة خاصة لا تنطبق على الصفة العربية ولا على لغتها ، فكان لزاماً على المحقق أن يفصل بين العرب الخالص وبين الإرميين الخليط ، وما يقال عن الإرميين يقال : عن البابليين ، وعن الكنعانيين ، وعن الهكسوس ، وهذا ما حدث ويحدث في كل العصور العربية .

٢ - فالحقيقة الأولى التى تظهر من دراسة هذا التناقض ، تتضح فيما قيل عن الإرميين وأنهم كغيرهم شعب من الشعوب العربية التى هاجرت الى أطراف الجزيرة ولم تستطع أن تحافظ على قوميتها العربية وتفرضها على العناصر التى كان لها في كثير من الأوقات الغلبة في الهلال الخصيب . والحقيقة الثانية التى لا غبار عليها هي : أن القومية العربية لم تستطع أن تحافظ على كل صفاتها في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر إلا بعد الفتح الاسلامي ، وأن اللغة العربية لم تتمكن من السيادة الكاملة في المناطق العربية إلا بفضل القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين .

(١) راجع مقدمة معجم ما استعجم للبكرى وراجع الجزء الثالث « التاريخ العربى وجغرافيته » من هذا الكتاب ففيه النصوص التى تثبت أن الصحراء العربية والهلال الخصيب هما من أقطار الجزيرة العربية .

وهذا التناقض الذى تجده فى أقوال الذين حققوا عناصر الأمم السامية تجد مثله فى أقوال الذين حققوا لغاتها : والتناقض فى أقوال محققى لغات الساميين يوجه الانتباه الى ما فى تحقيق الخط الإرمى من صعوبة بالنسبة لاختلاف الآراء فيه كاختلافها فى العنصر الإرمى . فبينما ترى الباحثين فى اللغة الارمية يؤكدون : أن اللغة السامية فى سورية حافظت على ساميتها أكثر مما حافظت عليها اللغة السامية فى العراق ، نراهم مرة ثانية يتحدثون عن اللغة الإرمية ، وعن خطوطها على أساس أنها لغة لا تمت الى لغة مهد الساميين - البلاد العربية - بسبب .

فأنت اذا ما رجعت الى ما جاء فى تاريخ اللغات السامية ، وجدت ولفنسون يسير فى ركب الذين يؤكدون : أن الإرميين هم من القبائل العربية التى هاجرت من الجزيرة ، وأن منازل الإرميين فى سورية هى أقرب من غيرها الى قلب الجزيرة ، فلذلك استطاعت اللغة الارمية أن تحافظ على مقوماتها الأصلية أكثر من البابلية . ويقول : (ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة ، أن اللغة البابلية أضاعت كثيراً من الألفاظ السامية والتوت ألسنتها عن النطق السامى لبعض الحروف ، وذلك لخضوعها للتنفوذ السومورى ، فى حين حافظت القبائل السامية التى هاجرت الى فلسطين وسورية على المادة الأصلية ، والنطق الصحيح للغة السامية ، وذلك لأن الهجرات السامية الآتية من الصحراء متجهة نحو البلاد المأهولة لم تنقطع عن هذه البلاد فى زمن من الأزمان . فكان الساميون دائمي الاتصال بأبناء عنصرهم البدوين فاستطاعوا أن يحافظوا على لغتهم السامية ، وأن يمنعوا عنها عوادى التغيير والتحريف) (١) .

وقد أكد ولفنسون بعد هذا (٢) : أن الخطوط الآرامية تفرعت عن الخط الكنعانى وأن بعضها قريب من الأصل ، والبعض نحا نحواً جديداً الى أن تغير تغيراً ظاهراً ، وأكد الصلة التى تربط بين الخط الارمى القديم ، والخط الإرمى التدمرى ، والخط الإرمى النبطى ، بمصور وضع أشكال هذه الخطوط .

٣ - وقال عما آلت اليه اللغة الارمية : (وفى القرن الثانى ق . م . أخذت اللغة الإرمية تغلب شيئاً فشيئاً على عقلية اليهود حتى عمت كل بلاد فلسطين ، وتكونت فيها

(١) تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٤٢

(٢) نفس المرجع ص ١١٩ .

لهجات آرامية جديدة غير اللهجة التي كان يتكلم بها أجدادهم في العصور التي نزلت فيها أسفار العهد القديم ، وصار لهذه اللهجة من القوة والنفوذ ما لم يكن للهجة الأولى ، فقد بسطت سلطانها في جميع أقسام البلاد وأصبحت أقوى من اللغة العبرية الأصيلة ، وقد كانت هذه الرطانة في مجموعها عبارة عن الآرامية والعبرية . وقد أخذت الكلمات الآرامية صبغة عبرية في الوضع والنطق ، وكانت تلك الرطانة مشوبة بألفاظ يونانية ورومانية ^(١) . ويقول ولفنسون : (وأما في شمالي العراق فقد نمت اللغة الآرامية منذ أقدم الأزمنة التاريخية وأنتجت ثماراً كثيرة في أنواع المعارف الانسانية من علم وأدب ودين وكان مركزها في مدينة (حران) ونواحيها ، وقد ارتفعت هذه المدينة بعد أن اتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة وكانت الديانة فيها خلاصة من الديانات الشرقية الوثنية) ^(٢)

٤ - فهذا الذي نجده في تاريخ اللغات السامية والذي يعبر عن آراء المستشرقين يفهم منه : أن الإرميين عرب ، وأن هؤلاء العرب قد حافظوا على لغتهم من عوادي التحريف والتغيير ، حيناً من الزمن ، وأن اللغة الإرامية عندما خالطتها اللغة العبرية تأثرت بها - بالعبرية - في الوضع والنطق ، كما خالطتها ألفاظ يونانية ورومانية ، فأصبحت الإرامية رطانة مشوبة بألفاظ يونانية ورومانية وعبرية ، وأن اللغة الإرامية في غرب الهلال الخصيب التي أصيبت بالعبرية قد حرمت من التقدم والتطور المركز الذي ظهر واضحاً في اللغة الإرامية في شرقي الهلال الخصيب الشمالي ، فقد نمت هناك وأنتجت ثماراً كثيرة .

وهذا الذي يؤكد ولفنسون مع المستشرقين لا يخرج الإرميين عن عنصرهم ، ولا يخرج اللغة الإرامية عن عروبته ، فهي لغة عربية خالطتها العبرية وانضمت إليها كثرة من الألفاظ اليونانية والرومانية . فأصبحت على ما أصبحت عليه اللغة المعينية والسبئية في اليمن بعد أن خالطتها الأمهرية وأضيفت إليها كثرة من ألفاظ اللغات الأفريقية .

ولكن إذا ما رجعت الى ما جاء في تاريخ العرب لجواد على تجده يقول ^(٣) : (لا يمكن

(١) ولفنسون ص ١٢٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٥ .

(٣) جواد ١٠/٣ .

أن يقال : إن جميع من كتب بلغة الإرميين وقلمهم هم منهم ، لأن الإرمية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون ، تغلبت على العبرانية مثلاً وزاومتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والعوام إلى نهاية القرن السابع بعد الميلاد - فلا عجب إذن إذا ما دون النبط أو غيرهم من العرب بالإرمية لغة الفكر والثقافة وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان ، وقد كان الأعاجم في الاسلام يتكلمون بالسنّة أعجمية ويدونون باللسان العربى لسان العلم والفكر والقرآن) .

فيسترعى انتباهك فيما جاء في كلام جواد - اعتباره الإرمية أمة غير عربية . فعلى رأيه أن العرب الذين كتبوا بالإرمية ليسوا إرميين ، إنهم كالفرس الذين كتبوا بالعربية وهم ليسوا عرباً .

فلعل جواد على يقصد بالعرب القبائل العربية التي تسكن أرضاً عربية لا تشوب عربيتها شائبة . فلقد قال عن الأتلام التي انتشرت في الجزيرة العربية : (تبين من انتشارها في منطقة واسعة خاصة في الأرضين التي تسكنها قبائل عربية خالصة بعيدة عن مؤثرات بنى إرم)^(١) . فهو لذلك فصل العرب عن الإرميين كما فصل بعض العرب من قبل : اليمنيين عن العرب عندما أوشكت لغتهم أن تستعجم - فان الإرميين في سورية ، وإن كانوا في طليعة الشعوب العربية التي حافظت على لغتها ومنعت عنها عوادي التغيير والتحريف^(٢) - كما قال ولفنسون - فان اللغة الإرمية كغيرها من اللغات العربية خضعت أخيراً للتغيير والتحريف حتى أصبحت باعتراف ولفنسون نفسه الذي قال مرة ثانية عن اللغة الإرمية في سورية : (وقد كانت هذه الرطانة في مجموعها عبارة عن الآرامية والعبرية وقد أخذت الكلمات الآرامية صبغة عبرية في الوضع والنطق وكانت تلك الرطانة)^(٣) .

على أن جواد على الذي جاء بعد ولفنسون لا يقر كما رأيت انحدار اللغة الإرمية الى مستوى الرطانة ، فهو يؤكد : أن تطوراً حدث في لغة الإرميين الغربيين وأن هذا التطور لم

(١) جواد ٤٣٥/٣ .

(٢) تاريخ اللغات ولفنسون ص ٤٢ .

(٣) نفس المصدر ص ١٢٥ .

يهبط بها الى مستوى العبرية آنذاك فقد كانت في تحقيقه في مستوى أرقى من العبرية جعل الكثير من المتكلمين بالعبرية من الخواص والعوام يفضلونها على العبرية^(١) .

والذى يلاحظ على ما جاء في تحقيق جواد على : أنه في الوقت الذى يسمح فيه الى أن الأبجدية الكنعانية وأبجدية المسند المعينية تفرعتا من أصل واحد^(٢) يجعل أبجدية وخط الإرميين والنبطيين في جانب ، وأبجدية وخط المسند والشمودى واللحياني والصفوى في جانب آخر^(٣) . لأنه جعل الكنعانية شينا والفينيقية شينا آخر عندما أخذ يقارن بين أبجدية المسند وبين أبجديات الشمال^(٤) - فهو بناء على ذلك مقتنع بأن الإرمية لا تمت بصلة الى الكنعانية وبذلك انقطعت في بحثه الصلة بين الإرمية والنبطية ، وبين المسند والشمودى ، واللحياني ، والصفوى^(٥) .

بيد أن التحقيق أثبت : أن الكنعانيين هم الفينيقيون - فاسم فينيقى أطلق على الساميين في سوربة جميعهم وفيهم الكنعانيون كما مر بنا . ولقد سبق أن تحدثنا عن اسم كنعان وفينيق ، وعن اللغة الكنعانية والخط الكنعاني واللغة الفينيقية والخط الفينيقي^(٦) .

وأنا لا أريد أن أكرر الكلام في الخط المسند لأن الخط المسند له موضوع خاص سبق هذا البحث (الخط الإرمي) - وإنما الذى أريد أن أقوله هنا : إن الأبجدية الإرمية ذات صلة وثيقة بالأبجدية الكنعانية التى تقدمتها وهى بصلتها هذه تمت بقرابة الى الأبجدية الجنوبية التى اختلفت الآراء فى صلتها بالكنعانية . أهى فرع من الكنعانية ؟ أم الكنعانية فرع منها ؟ أم هما فرعان من أصل واحد ؟ وإلى أن الخطوط الشمودية ، واللحيانية والصفوية المتأثرة بالخط المسند تمت بصلة الى الإرمية مادامت الكنعانية هى أم الإرمية وصنو المسند إذا لم تكن أصلا له كما قال ولفنسون : (وكما أن الأقلام الآرامية والعبرية مشتقة

(١) جواد ١٠/٣ .

(٢) جواد ٢١٠/١ .

(٣) جواد ٤٢٥/٣ .

(٤) جواد ٢١٠/١ .

(٥) جواد ٤٢٥/٣ .

(٦) راجع بحث الخط الكنعاني - الفينيقي المتقدم في هذا الجزء .

من الكنعانية فان أقلام المسند مشتقة ايضاً منها ^(١) ، فكل هذه الخطوط كانت متجاورة في شالي الحجاز وجنوبى سورية ، وكل هذه الخطوط وأبجديتها ولغتها ترجع الى أصل واحد نشأ في قلب الجزيرة العربية . ولقد تطورت الأبجديات وخطوطها بتأثير الزمن وطوله ، والبيئات وتطورها ، والأحداث السياسية والاقتصادية ونتائجها - فكل ذلك فرض على شعوب شالي الحجاز ونجد وجنوبى سورية ، أن تحتك بالأمم التى توافدت عليها من الشمال ، ومن الغرب ، ومن الشرق ، مهاجرة ، أو غازية ، أو مارة مع قوافلها الى سواحل البحار .

والاحتكاك معها كان سببه لابد أن يكون له أثر في اللغة والتقاليد - وإننا لنرى صورة ذلك الأثر فيما قيل عن اللغة الإرمية ، وأنها أخذت في سورية تحول بتأثير البيئة والأجناس التى خالطتها الى رطانة . بينما كانت في شالي العراق تتقدم باطراد مستفيدة من الثقافة اليونانية وفلسفتها حتى أصبحت لغة العلم والأدب والتدوين .

وكما استطاع الإرميون في شالي العراق أن يصلوا بأبجديتهم وخطهم الى مستوى أرفع مما كان عليه المستوى اللغوى في سورية - استطاع النبط أن يعودوا بالإرمية الى حافة القاعدة العربية على ما صادفته اللغة الإرمية في « تدمر » من تحول نحو اليونانية والرومانية .

وإننا لنجد أثر ذلك التقارب الواضح في تداخل خطوط الثموديين مع خطوط النبطيين وبتعلق الحيريين بالخطوط النبطية الإرمية - عندما نبحت في الخط النبطى والخطوط الثمودية والليمانية والصفوية .

(١) ولفسون ص ٢٤٣ .

البحث الرابع عشر :

الخطوط : اللحيانية . الثمودية . الصفوية

من موضوعات البحث :

- ١ - أصل هذه الخطوط .
- ٢ - أصحح ما يقال : إن الخط الثمودي القديم هو أصل الخطوط السامية الجنوبية ؟
- ٣ - نتائج البحث في أرومة هذه الخطوط الثلاثة .
- ٤ - الحجاز سوق ثقافية قديمة .

الخطوط ، اللحيانية . الثمودية . الصفوية

١ - هذه الخطوط الثلاثة - من الخطوط التي انتشرت في اماكن كثيرة من البلاد العربية . ولكنها في تاريخ الجزيرة لا تعتبر من الخطوط الشمالية « خطوط الهلال الخصيب » لأنها من فصيلة الخطوط الجنوبية ، ولا تعتبر من الخطوط الجنوبية « خطوط الجنوب العربي » لأن مناطقها من أقسام الجزيرة العربية الشمالية . ولقد جاء في تعليق « مراد كامل » على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان - اعتماداً على تقسيم جماعة علم اللغات بباريس : [واللغات السامية الجنوبية تنقسم بدورها إلى شمالية وجنوبية . والشمالية هي : الصفوية ، والتمودية ، واللحيانية ، والعربية الفصحى - والجنوبية لغات نقوش بلاد اليمن : المعينية ، والسبئية ، والحضرية ، والقبتانية ، والأوسانية ثم لغات الحبشة الجعزية والأمهرية والخ]^(١) .

فعلى ذلك تكون هذه الخطوط جنوبية بالنسبة للفصيلة التي تنتمي إليها ، وشمالية بالنسبة لمناطقها التي ظهرت فيها . ولقد جاء في كلام جواد على : أن اللحيانية ، والتمودية والصفوية تشتمل على كلمات وصيغ مخصوصة لا تختلف عن اللغة العربية التي نكتب بها . ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نعدّها عربية شمالية أو عربية جنوبية^(٢) .

وهذه الخطوط في رأى الباحثين - تفرعت من الأرومة التي تفرع منها الخط المسند ، ولكنها ليست من الخط المسند ، بل هي خطوط مستقلة لها صفاتها ومميزاتها . وفيما سبق بحثنا في الآراء التي تقول : إن خطوط شمالى الحجاز - حاشا الخط النبطى المتأخر - متقاربة ومتأثرة بالخط المسند . ولقد ذهب بنا البحث مع الذين يقولون : ما دام أن الخط المسند منقول عن الخط الكنعانى مثلاً كان الخط الإرمي منقولاً عنه ، فإن الأصل للخطين واحد ، ويقولون : ما دام أن هذه الخطوط الثلاثة التي ظهرت متأثرة بالخط المسند ، منبثقة من الأصل الذى انبثق منه المسند ، فإن الأصل لخطوط جنوبى الجزيرة وشمالها واحد .

(١) الفلسفة اللغوية ص ٣٦ .

(٢) جواد ٧١ / ٢١ .

فالذى يستثنى من خطوط الجزيرة هو : الخط المسارى السومورى ، والخط الهير وغلبيى
الفرعونى . فإنها خطان اعتمادا على الصورة يرجع الكثير من المحققين أنها من اصل
واحد .

ولما كان لكل من : الكنعانيين ، والمعينيين ، والآريمين ، والسبثيين ، واللحيانيين ،
والشموديين وغيرهم من شعوب الجزيرة - دول جمعها الزمن تارة وفرقها أخرى - كان لا بد
مما كان ، حدوث هذه الفوارق بين الخطوط . والفوارق التى يحدثها الزمن الطويل لا بد أن
تتفاوت حسب الأسباب التى فرقت بين هاتيك الأمم واستمرارها واتساع الفرقة وما
يكتنفها من عوامل ومؤثرات .

فهكذا تطورت الخطوط . فأخذ كل واحد منها يختص بشكل وخصائص . منها ما هو
متشابه ، ومنها ما هو غير متشابه . فمن الخطوط المتشابهة : المسند ، واللحيانى .
والشمودى ، والصفوى - فحول هذا التشابه حامت الظنون . فبعضها اقتنع بأن اصل هذه
الخطوط واحد ، ، وأن الزمن هو الذى فرق بينها . وبعضها ذهب الى أن هذه الخطوط متأثرة
بالخط المسند للصلات التى تربط بين هذه الدول وشعوبها وبين المسنديين . ويرى
(هوبرت كريمة) : أن الخط الشمودى القديم هو أصل الخطوط السامية الجنوبية^(١) .

٢ - ورأى - هوبرت كريمة - على انفراد له وجاهته ، فثمود عاصرت قوم عاد وورثت
الأرض بعدها . ومنازل ثمود الأولى هى بإجماع الأغلبية من المستشرقين والعرب فى وادى
القرى على مقربة من منازل عاد الأولى . فلقد جاء فى معجم ياقوت عن « قَرَح » : « وقَرَح
(سوق وادى القرى وقيل بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود) »^(٢) . وبين « قرح » وبين
(حجر ثمود) ثمانية عشر ميلا^(٣) - ولقد جاء فى كلام جواد على^(٤) : [أن بطليموس عين
موضع عاد وجعلهم غربى شبه جزيرة العرب على مقربة من ثمود وكلاهما كان يسكن اعلى
الحجاز . والذى ذكره بطليموس أقرب الى الصواب . فمنطقة حسمى هى أقرب إلى هذا
الوصف من مناطق الرمال ، ولم يعين القرآن موضع الأحقاف وإنما عينه المفسرون] .

(١) جواد ١ / ٢٥١ .

(٢) المعجم مادة قرح .

(٣) تفسير الطبرى ٨ / ١٥٩ .

(٤) جواد على ١ / ٢٤٨ و ١ / ٢٣٤ .

فعلى ذلك لا يبعد أن يكون الخط الثمودى القديم هو نفس الخط الذى كان يكتب به قوم عاد ، ولا يبعد أن يكون خط قوم عاد وأبجديته هو الأصل لخطوط الجزيرة ، فلقد فسر قوله تعالى : [واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح] - اى ساكنى الأرض بعد قوم نوح ^(١) ، فعاد ورثت الأرض بعد قوم نوح ، وثمود ورثت الأرض بعد عاد .

بيد أن هذه الأدلة كما نراها لا تقطع بأن المعينين - الشعب الأول الذى كتب بالخط المسند - هم قوم عاد . وانما هى ترجح ذلك ، لذلك لا يمكننا أن نصر على أن خط المعينين هو خط قوم عاد ولكننا لا نستبعد أن يكون خطهم وخط الكنعانيين من أصل عربى قديم ، يرجح أن يكون ذلك الأصل هو الذى عرفه العاديون والثموديون ومن فى طبقتهم من شعوب شمال الحجاز .

فعلى ذلك يكون المسند المتطور فى اليمن هو من الأرومة الثمودية أو من الأصل الذى تفرع منه القلم الثمودى .

ورأى « هوبرت » هو على النقيض من رأى جواد على - ورأى « جواد على » فى موضوع أصل هذه الخطوط غير مستقر فهو يقول هنا : [ويرى العلماء : أن الأقلام الثلاثة المذكورة وهى : الثمودى والصفوى واللحيانى ، قد اشتقت من المسند ، فإن التشابه فى تعدد أشكال الحرف الواحد عن المسند - والظاهر أنها تفرعت منه فى القرون الأخيرة قبل الميلاد بعد تزعزع كيان الحكومات المركزية فى اليمن وظهور حكومات مستقلة فى الأرضين التى كانت خاضعة لحكم معين وسبأ] ^(٢) .

ثم يقول مرة ثانية فى بحثه عن صلة هذه الخطوط بالخط الإزمى : [والأقلام المذكورة - حاشا القلم النبطى المتأخر - متقاربة بعضها من بعض متشابهة فى رسم الحروف ، تفرعت على ما يظهر من أصل واحد] ^(٣) .

(١) تفسير الطبرى ٨ / ١٥٢ .

(٢) جواد ١ / ٢٠١ .

(٣) جواد ٣ / ٤٢٥ - والرأى الذى أبداه جواد على أولا بنى - كما يبدو - على ما جاء فى كلام ولغفون : =

فالفارق بين قول جواد على أولا ، وقوله ثانيا : واضح ، والفارق بين القولين يظهر لنا عدم استقرار رأيه وتردده .

وأخيراً نجد جواد على : اقتنع بأن المسند وهذه الخطوط الثلاثة تفرعت من الأرومة التي كانت رائجة في بلاد العرب حيث يقول : [إن الكتابات التي صنفها المستشرقون : المعينية واللحيانية والشمودية والصفوية ، والكتابات التي دونت بالمسند وعشر عليها في الكويت وفي الأحساء ، وكتابات دونت بالقلم النبطي المتأخر : هي أقدم ما وصل إلينا بلهجة تقارب لهجة القرآن . والأقلام المذكورة - حاشا النبطي المتأخر - متقاربة بعضها من بعض متشابهة في رسم الحروف - يتبين من انتشارها في الأراضين التي تسكنها قبائل عربية خالصة بعيدة عن مؤثرات « بنى إرم » ومن تقاربها من المسند أنها تفرعت من أبجدية واحدة كانت الأبجدية الرائجة في بلاد العرب قبل الميلاد وبعده أيضاً ^(١) ، فجواد على في تحقيقه الأخير - على ما يبدو - يعنى بالكتابة المعينية مخلفات المعينيين الذين سكنوا أعالي الحجاز خاصة « العلا » وعاشوا هناك قبل الميلاد ^(٢) ، وتحقيق جواد على الأخير - على ما يظهر - لا يبعد عن رأى « هوبرت » .

هذا ونحن لا ننكر جهد جواد على ، فقد نشر لنا في أجزاء كتابه « العرب قبل الاسلام » ما وصل إليه الباحثون عن هذه الخطوط ، فلقد جاء في مؤلفه عن اللحيانيين : [وقد عثر على أكثر الكتابات اللحيانية في موضع يسمى اليوم « خربة » و « الخريبة » وهو خرائب تقع على مسافة « كيلومتر » واحد إلى الشمال من « العلا » يظهر أنها بقايا مدينة قديمة ^(٣) ، وجاء عن القلم اللحياني : [أنه مثل القلمين الشمودي والصفوي قريب من

== (وهذا القلم الشمودي مشتق من القلم المسند - ويحتمل أنه جاء إليهم عن طريق قبائل معين التي استوطنت في الحجاز - تاريخ اللغات السامية ص ١٨٠) والقلم الشمودي الذي يتكلم عنه ولفنسون : قلم متأخر لا يتجاوز أقدم نقش منه سنة ١٠٦ م - اللغات ص ١٧٨ - ففي هذا التاريخ لم يبق لدولة معين ولا لدولة سبأ وجود حيث قامت دولة الحميريين في سنة ١١٥ ق . م - « جرجي زيدان » - العرب قبل الاسلام ص ١٤١ . فلا بد أن ولفنسون كان يقصد الخط المسند الحميري الذي رجع إلى شمال الحجاز مع قوافل اليمانيين - ناضجا ومزخرفا . فكان له بعض المؤثرات على خطوط شمال الحجاز .

(١) جواد ٣ / ٤٢٥ .

(٢) نفس المصدر ٣ / ٤٢٥ .

(٣) جواد ٣ / ٤٢٧ .

المسند ، وأما لغة الكتابة فلغة عربية شمالية على اصطلاح المستشرقين ولكنها قريبة ايضا من اللهجات العربية الجنوبية [(١)] ، والقلم اللحياني عثر عليه في الحجاز ويوجد فيه حروف « الذال » و « الثاء » و « الغين » و « الضاد » و « افعل التفضيل » وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للغة العربية . ويقول عن تاريخها : إن الخلاف فيه كبير [فمنهم من يرفعه الى القرن الخامس او السادس قبل الميلاد في أقل تقدير ، ومنهم من ينزله الى ما بعد الميلاد] (٢) . ويقول عن القلم الثمودي وأبجديته : [وحروف الصفوية والشمودية كحروف العربية الشمالية عددا (٣) . وأبجدية الثموديين في رأى (ليتان) وسط بين الصفوية والمسند العربى الجنوبى - وكتابات الثموديين عليها فى الغالب صور حيوانات] (٤) . وقال عن القلم الصفوى : [عثر عليه فى منطقة الصفاء شرقى الشام وفى بادية الشام - وخطوطه قريبة من كتابة لحيان وثمود (٥) ، وقريبة من خط المسند ، وتتألف الأبجدية الصفوية من ثمانية وعشرين حرفا (٦) - وتاريخ الكتابة الصفوية ترجع الى سنة ١٠٦ بعد الميلاد ، وفى هذه السنة كانت الحرب قائمة بين النبط والرومان - (٧) وفى هذه الكتابات ظهر حرفا الجر (من) و (مع) العريان وأضيفت صيغة المنعوت الى النعت كما فى العبرانية المتأخرة] (٨) .

٣- فكل هذه الأقوال التى جمعها جواد على من مصادره تصل بنا إلى أن هناك أصلا عربيا قديماً تفرعت منه الخطوط والأبجدية الجنوبية والشمالية - وأن هذه الخطوط تنقلت بلغتها مع الشعوب العربية من شمال الحجاز . ومن نجد واليامة الى جنوبى الجزيرة وشمالها . ومن البحر الأحمر الى الخليج الاسلامى - ثم تلاقت فى منتصف الألف الأخيرة

(١) جواد ٣ / ٤٢٦ و ١ / ٢٠٠ .

(٢) جواد ٣ / ٤٢٧ .

(٣) جواد ٣ / ٤٢٧ و ١ / ٢٠٠ .

(٤) جواد ٣ / ٤٣٠ .

(٥) نفس المصدر ١ / ٢٠٠ .

(٦) نفس المصدر ٣ / ٤٣١ .

(٧) نفس المصدر ٣ / ٤٣٢ .

(٨) نفس المصدر ٣ ص ٤٣٢ . ويلاحظ أن « مع » ظرف لا حرف جر .

قبل الميلاد في شمالى الحجاز متطورة متأثرة بما خالطها في مهاجرها : في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر ، وفي اليمن وفي سواحل الجزيرة - وإننا لنلمس هذا التطور وهذا التأثير فيما لاحظته المحققون على الخطوط الثمودية بالنسبة لأخواتها اللحيانية والصفوية . فلقد قالوا : إن الخط الثمودى متأثر بالمسند الجنوبي ، وإن حروف الخط الثمودى والخط الصفوى بحروف العربية الشمالية عددا وقالوا : إن أغلب الكتابات الثمودية عليها صور حيوانات ، وإن الأبجدية الثمودية وسط بين الصفوية والمسند العربى الجنوبى - فعلى ذلك فإن الخط الثمودى المتأخر تطور بتأثير الاحتكاك الى خط تأثر بالخط المسند فشابهه ، وتأثر بأبجدية الشماليين فكانت حروفه كحروف العربية الشمالية عدداً ، وتأثر بالخطوط الصورية : المسامرى والهيري وغليفى - فرسمت على أغلب كلماته صور الحيوانات .

ثم لما تألق الخط الإرمى وانتشر بواسطة النبط الذين تزعموا القضية العربية - في شمالى الحجاز وجنوبى سورية - تداخلت الخطوط النبطية والثمودية بالشكل الذى يشير اليه جواد على : [وهناك عدد من النصوص الثمودية يعود عهدها إلى العهد النبطى ويشغل حيزا من الزمن حوالى مئتى سنة قبل الميلاد وثلاثمائة سنة بعده . وتمتزج في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها من النصوص الثمودية]^(١) .

٤ - والذى يظهر من هذا كله أن شمالى الحجاز كان ملتقى الثقافات وكان مجالا لصراع لغوى أبجدى بين المسند والإرمى . فلقد تزاخم الخطان في هذه المنطقة : المسند - الخط الذى حظى بعناية واهتمام تبابعة اليمن ، والإرمى - الخط الذى تسامت به لغة الإرميين في الشمال الغربى من العراق إلى مستوى ثقافى خلب الأنظار فحرصت شعوب شمالى الحجاز على أن تدون به وثائقها وآثارها ، وإن كانت لم تتخل عن لهجتها وخطها الشعبى في شؤونها الخاصة فكانت الغلبة في آخر الأمر له .

والذى يبدو أن الخط الإرمى من بداية الجولة لم يقنع بأن تكون له مؤثرات على الخطوط التى كانت في منطقة نفوذه فحسب مثلاً قنع الخط المسند . فلذلك برزت صفاته كاملة في الآثار التى دونت به . فكل ما حدث من اختلاف ما هو إلا نتيجة التطور ونتيجة التفاوت

(١) جواد ١ / ٢٥١ .

فى الثقافة ، وفى إجادة ودقة الكاتبين - فلقد جاء فى حءىث (لىتمان) عن بعض النقوش التمودىة : [أن كاتبه ما كان يعرف اللغة الآرامىة معرفة صءىحة لأنه أراد أن يستعمل الفاظاً آرامىة فءانه الجهل بها واضطر الى أن يضعها فى قالب عربى وأن يستعمل معها بعض الكلمات العربىة]^(١) .

وىبدو أىضا أن اللغة الإرمىة تطورت مع الخط الإرمى برغم حرص الإرميين على لغتهم الأصلية فتءرفت كلماتها فكانت لها صفة جعلت الباحثين يعءبرونها لغة قائمة بذاتها فىقولون : كانت العرب تكتب باللغة الإرمىة وتتكلّم فى منازها لغة اللسان - العربى - كما كان الفرس يفعلون ذلك بعد الإسلام يكتبون بالخط العربى وباللغة العربىة وىتكلمون فى دورهم باللسان الفارسى .



(١) ولفنون ص ١٧٨ .

العبرية والجمزية وخطهما

من موضوعات البحث :

- ١ - الدكتور ولفنسون يبحث عن دليل يثبت قدم اللغة العبرية .
- ٢ - الحيرة التي وقع فيها ولفنسون وقع فيها من قبل عشرين قرناً يوسف اليهودي .
- لقد وجد الإسرائيليون في فلسطين أمماً متمدينة منذ زمن طويل .
- ٣ - العنصر الإسرائيلي أقلية ضئيلة في جموع المهاجرين مع موسى عليه السلام
- ٤ - العبرية فرع من الكنعانية امتزج بالإرمية وأخذ الكثير من العربية
- ٥ - ولفنسون يعترف أخيراً بأن اللغة العبرية وخطوطها مشتقة من الكنعانية .
- ٦ - اللغة الجمزية وقلمها .

العبرية والجزيرية وخطهما

١ - أنا لا أقلل من أهمية تحقيق الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه تاريخ اللغات السامية . فلقد أصبح هذا الكتاب مرجعاً لبعض الباحثين في اللغات السامية . وأنا عندما رجعت إلى كتاب تاريخ اللغات السامية أبحث فيما جاء فيه عن اللغة العبرية وجدت الدكتور ولفنسون يتلمس الأدلة التي تثبت : أن اليهود قبائل عربية هاجرت من شبه الجزيرة إلى فلسطين كما هاجر إليها العماليق والإرميون والكنعانيون وغيرهم من القبائل العربية - عندما قال : [ولأن بنى إسرائيل جاءوا بلغتهم العبرية من الجزيرة العربية - كانت مميزات الحياة الصحراوية بارزة في هذه اللغة وقد توارث الإسرائيليون هذه المميزات إلى أن استوطنوا فلسطين ، فلم يكونوا يستنكرون على الأديب أن يستعمل التشبيهات الصحراوية والخيال البدوي]^(١) .

فالدكتور ولفنسون لم يجد دليلاً غير مميزات الحياة الصحراوية يؤكد : أن اللغة العبرية جاءت من الجزيرة العربية مثل بقية اللغات السامية ، ولما لم يجد ما يوضح الناحية التي جاءت منها هذه اللغة العبرية قال : [إذن فترجيح أن بنى إسرائيل نزحوا من اليمن أمر لا يمكن الاطمئنان إليه - لأن الشعوب العبرية لم توجد في كل العصور التاريخية إلا في شمال الجزيرة على أطراف فلسطين . وأما ما كان في العصور المظلمة التي سبقت التاريخ فمن العبث المحض أن يبحث فيه لأنه لا دليل ولا شبه دليل ينير الطريق أمام الباحث]^(٢) .

ومن أين يجد الدكتور ولفنسون دليلاً أو شبه دليل يعتمد عليه في إقناع القارئ بأن اللغة العبرية هي في مصاف اللغات السامية القديمة ؟ - إنه ترك النصوص اليهودية وراء ظهره لأنه ليس فيها ما يؤكد : أن اللغة العبرية هي في مرتبة اللغة الكنعانية التي انتشرت في سورية وفلسطين قبل أن يهاجر إبراهيم عليه السلام ، وأخذ يبحث بين ظنون

(٢) ولفنسون ص ٨١ .

(١) ولفنسون ص ٨٨ .

المستشرقين فلم يجد دليلاً سوى مميزات حياة الصحراء - ومميزات حياة الصحراء في بحوث المستشرقين ، يصفها لنا غوستاف ليون : [وبقى بنو إسرائيل حتى في عهد ملوكهم بدويين أفاقيين مفاجئين مغيرين سفاكين مولعين بقطاعهم مندفعين في الخصام الوحشي . فإذا ما بلغ الجهد منهم ركنوا إلى خيال رخيص تائهة أبصارهم في الفضاء كسالى خاملين من الفكر كأنعامهم التي يحرسونها]^(١) .

وفي الواقع أن الباحث اليهودي المتعصب ليهوديته يقع في حيرة إذا ما أراد أن يجعل للإسرائيليين تاريخاً عريقاً ، فلقد جاء في كلام (جون ويلسن) عن الهكسوس وما كتبه عنهم في العهد القديم (يوسفوس) يوسف اليهودي : [وهذه القصة ، قصة مفترضة لأن يوسفوس كان يريد أن يثبت أن الهكسوس هم بنو إسرائيل]^(٢) .

٢ - فما أشبه الليلة بالبارحة ، فالخيرة التي وقع فيها إسرائيل ولفنسون وقع فيها من قبل يوسف اليهودي منذ عشرين قرناً . فمثلاً حاول يوسف أن يجعل بنى إسرائيل في مرتبة الأم السامية ذات التاريخ القديم ، حاول ولفنسون أن يجعل اللغة العبرية في مرتبة اللغات السامية ذات التاريخ القديم ، فلم يجد أمامه غير الحياة البدوية فتعلق بها . وأخذ يبحث في ظنون المستشرقين عن هذه الحياة البدوية ولكنه لم يتعرض لما جاء في كتاب اليهود في تاريخ الحضارات لغوستاف ليون - الذي قال عن بنى إسرائيل - : [وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمم أم قوية متمدينة منذ زمن طويل]^(٣) .

٣ - وكذلك هو لم يبحث في المصادر الإسرائيلية - لأن تاريخ بنى إسرائيل في المصادر الإسرائيلية واضح ووضوحه في المصادر العربية ، فالأسرة النبوية الكريمة أسرة يعقوب « عليه السلام » لها كل المميزات التي تحلى بها إبراهيم جدّها الأعلى : نضج التفكير ، سمو المبادئ ، ثقافة دينية عالية - ولكن ليس بنو إسرائيل كلهم هم من الأسرة الكريمة ، فلقد قال ابن خلدون ، في مقدمته : [فالنبي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة

(١) اليهود ص ٣٠ .

(٢) الحضارة المصرية ص ٢٦٦ .

(٣) اليهود ص ٢٠ .

آباء على مآذره المحققون ، والمدة بينها على مآنقله المسعودى الذى قال : [دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً ، وكان مقامهم في مصر إلى أن خرجوا مع موسى إلى التيه ، مائتين وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة . ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد من سبعين فقط إلى ستائة ألف أو يزيد]^(١) .

فهذه هى الحقيقة في تاريخ الأسرة الكريمة التى هاجرت إلى مصر بكاملها . ثم عادت مع موسى وهارون يتبعها الذين وجدوا في شريعة موسى العدالة والحرية والمساواة التى لا تفرها الفرعونية المصرية آنذاك - هذه هى الحقيقة التى جاءت في المصادر الإسرائيلية والعربية والتى أكدتها تحقيقات المستشرقين : [ولحق بني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين]^(٢) .

وبعد أن وصلت هذه الجموع الغفيرة إلى الشاطئ الشرقى من البحر الأحمر ، جنت أن تخوض المعركة بجانب موسى ضد جبابرة فلسطين : [قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُؤْخَذُ مِنْهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ]^(٣) ، هنالك دعا موسى ربه [قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] * قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]^(٤) .

٤ - ففى تلك الأرض التى تاهوا فيها أربعين سنة أخذت أخيلتهم تتأثر بطبيعة الصحراء وأخذت شمس التيه تبخر من نفوسهم طبيعة الخنوع والخور ، إلى أن فنى ذلك الجيل الرعدي في الأربعين عاماً ، ونشأ بعده جيل صحراوى استطاع أن يدخل فلسطين تحت راية آل إسرائيل ، فوجد نفسه أمل أمم متمدينة منذ زمن طويل ، ووجد نفسه مضطراً إلى أن يأخذ مقومات لغته وخصائصها من الكنعانية ، ويتخذ الإرمية وخطوطها لتدوين أحداثه - ثم يطول الزمن ، ويظهر دولة أنبياء بني إسرائيل وباحتكاك اليهود بالشعوب

(١) المقدمة تحقيق عبد الواحد ١ / ٢٢١ .

(٢) اليهود ص ٣٣ .

(٣) سورة المائدة آية ٢٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٢٥ وما بعدها .

العربية ، أخذت لغتهم تستقل بصفات وخصائص لم تخل من الصفات الإرامية ومن الكلمات العربية ، فمثلاً كان لاختلاط اليهود بالعرب في الحجاز ، وفي نجد ، وفي اليمن تأثيره على حياتهم فتشعبوا قبائل وبطوناً تخلقت ببعض الأخلاق القبلية العربية ، كان له تأثير على لغتهم التي انزوت في آطامهم عندما لم تجد القدرة على الظهور بجانب العربية التي انطلقت بها ألسنة اليهود من غير العرب في جنوبي فلسطين وعلى سواحل البحر الأحمر^(١) - كذلك تأثر اليهود في العراق وفي سورية بحياة العرب الإراميين الذين تطورت بهم بيئة الهلال الخصيب ، وتطوروا بها إلى ماوصلت إليه الثقافة الإرامية واللغة الإرامية والخط الإرمي . وإنك لتجد في الكثير من تحقيقات المستشرقين التي جمعها محمود كامل في كتابه (الدولة العربية الكبرى) - أقوالاً تبين مدى تأثر اليهود ولغتهم بالإراميين ولغتهم .

ولقد حاول الدكتور ولفنسون أن ينفي تفرع اللغة العبرية من الكنعانية ، فقال : [إن بعض المستشرقين كانوا يطلقون على العبرية والآرامية هذا الاصطلاح : لهجتى اللغة الكنعانية - وهو اصطلاح يتسرب إلى الذهن منه أن هاتين اللغتين مشتقتان من الكنعانية وهو خطأ صريح لا أصل له من الصحة . لأن العبريين من بني إسرائيل وغيرهم قد جاءوا بلغتهم من موطنهم الأصلي ولم يقتبسوها من الكنعانيين بعد اتصالهم بهم . فليس يصح إذن أن يقال عن اللغة العبرية إنها فرع من الكنعانية أو إنها لهجة كنعانية ، وكل ما يمكن أن يقال في هذا الشأن إنما هو : أن اللغة العبرية واللغة الكنعانية كانت لغة واحدة لهجت بها تلك الأمم التي سكنت فلسطين وطورسينا في مدى قرون معينة ، فلما تفرقت تلك الأمم وتباعدت اختلفت لهجاتها وتميزت فكانت إحداها العبرية وكانت الأخرى الكنعانية وذلك سبب التشابه بين هاتين اللغتين]^(٢) .

فحيرة الدكتور ولفنسون جعلته يفهم الحقيقة على غير واقعها فيتصور العبرية صنواً للكنعانية ويقرر للإسرائيليين تاريخاً قديماً بدأ في فلسطين مع التاريخ الكنعاني في فلسطين

(١) في الجزء الخاص بشعوب البلاد العربية من هذا الكتاب وفي بحث اليهودية واليهود في البلاد العربية تعرض البحث لحقيقة اليهود في الجزيرة العربية .

(٢) ولفنسون ص ٧٩ .

وسورية - والحقيقة أن تاريخ الكنعانية في سورية يرجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، أما تاريخ العبرية فلا يتجاوز القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وجعلته يتناسى أن الإسرائيليين لم يختلطوا بالكنعانيين في سورية وفلسطين إلا بعد هجرة موسى - ويتناسى ما قاله أولاً : [لأن الشعوب العبرية لم توجد في كل العصور التاريخية إلا في شمال الجزيرة على أطراف فلسطين] .

فلقد كان عليه أن يثبت أن اللغة العبرية أقدم من هذه الهجرة . كان عليه أن يثبت أن العبرية هي لغة (أور) في زمن إبراهيم وأن العبرية هي لغة يعقوب وبنيه قبل هجرتهم إلى مصر . وأن يثبت أن العبرية كانت لغة بني إسرائيل في مصر لاسيما أنه قد أتاحت له وظيفة تدريس بعض اللغات السامية بالجامعة المصرية فرصة لا إخاله قد ضيعها - فهو قد بحث في الآثار المصرية عن كل ما يتعلق باللغات السامية وقال عن العبرية : [ينقسم تاريخ اللغة العبرية منذ نشأتها عند بني إسرائيل إلى طورين مختلفين : يشتمل الأول منها على التوراة وبقية أسفار العهد القديم المعروفة ، ويشتمل الطور الثاني على سائر المصنفات الإسرائيلية التي ظهرت بعد ختم العهد القديم]^(١) - ثم تغلبت عليه غريزة المحقق فقال : [ومن المحتمل أن يكون اليهود قد أخذوا نظام الأبجدية عن الكنعانية لأن هذا نظام موجود من زمن بعيد في الآداب الإسرائيلية بدليل أن بعض المزامير وجد مكتوباً به]^(٢) - ثم اعترف أخيراً بأن القلم العبري مشتق من الكنعاني بصريح هذه العبارة : [كان من السهل حل رموز حروف المسند على المستشرقين لشدة تشابهها مع الكتابة الكنعانية القديمة - وكما أن الأقلام الآرامية والعبرية مشتقة من الكنعانية فإن أقلام المسند مشتقة منه]^(٣) .

٥ - فلقد رجع الدكتور عن اعتراضه على الذين قالوا : إن العبرية فرع من الكنعانية عندما اعترف بأن نظام الأبجدية العبرية أخذ من نظام الأبجدية الكنعانية ، واعترف بأن الخط العبري مشتق من الخط الكنعاني - وكذلك اعترف بأن العبرية منذ نشأتها عند بني

(١) ولفنسون ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) ولفنسون ص ١٠٢ .

(٣) ولفنسون ص ٢٤٢ .

إسرائيل انقسمت إلى طورين - اشتمل الأول منها على التوراة - فتاريخ التوراة حديث بالنسبة لتاريخ الكنعانية - واعترف بأن شعوب بنى إسرائيل لم توجد إلا في أطراف فلسطين في كل عصور تاريخهم وعصور بنى إسرائيل في فلسطين بدأت مع إسرائيل - فكل هذه الاعترافات تثبت مانقاه الدكتور ولفنسون أولاً [وهو اصطلاح يتسرب إلى الذهن منه أن هاتين اللغتين مشتقتان من الكنعانية وهو خطأ صريح لا أصل له إلخ ..] .

٦ - أما اللغة الجعزية وخطها - فهي أعرق من العبرية في ساميتها ، فالساميون هم الذين نقلوها من الجزيرة العربية إلى أفريقية - بينما العبرية لم تدخل في جامعة اللغات السامية إلا بعد أن هاجر موسى ومن اتبعه واستظل بعدالة شريعته إلى فلسطين .

ولقد جاء في تاريخ العرب لجواد على : [وقديماً هاجر الساميون من العربية الجنوبية إلى الحبشة وكونوا دولة « أكسم » التي كانت تتكلم باللغة الجعزية ، وهي لغة سامية ، كما أن قلمها الذي يشبه القلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي وأن الأجازة أصحاب اللغة أقدم من هاجر من اليمن إلى الحبشة] ^(١) .

إن الصلات السياسية والاقتصادية والثقافية التي توشجت بين اليمن وبين الحبشة بفعل تبادل الهجرات ، قديمة وعريقة . ولقد خيل لليونانيين أن الحبشة تمتد من أفريقيا إلى شواطئ الخليج الإسلامى فأطلقوا اسم إثيوبيا على المنطقة الممتدة من الحبشة إلى عمان . وإن البحث في صلات الحبشة باليمن ، وفي اسم إثيوبيا في المؤلفات اليونانية له موضعه في الجزء الثالث : « التاريخ العربى وجغرافيته » من هذا الكتاب . ولذلك فإننى لا أرى ضرورة لامتداد البحث عن الجعزية وعنصرية المتكلمين بها إلى أكثر من الخلاصة التى نقلناها عن « جواد على » والتى عرفنا منها ما هى الجعزية ؟ ومن هم المتكلمون بها ؟ وما هو قلمها ؟

(١) جواد ١/١٥٦ .

الخطوط : الندمري . النبطي . السرياني

من موضوعات البحث :

- ١ - تدمير بين شقى المطامع الاستعمارية : الفارسية والرومانية
- ٢ - لمْ يفد بروز الدولة العربية في تدمير - اللغة الإرمية وخطها
- ٣ - ظهور الدولة النبطية
- ٤ - لماذا اتخذ النبط الخط الإرمي ؟
- ٥ - في شمالي العراق ظهر الخط السرياني
- ٦ - نهاية الخط النبطي هي بداية الخط القرشي - جد الخطوط العربية بعد الإسلام

المخطوط: التدمري. النبطي. السرياني

١ - كان نجاح تدمير الساسي - أكبر نجاح عرفه تاريخ الإرميين الساسي في هذه المنطقة . فلقد دوى اسم (أذينة) ومن بعده (الزباء) في أرجاء الهلال الخصيب فاهتزت المطامع الواقعة بالمرصاد على جانبي الدولة التدمرية : مطامع الفرس من الشرق ، ومطامع الروم من الغرب . والمطامع إذا ما تزاхت فاز من بينها من تقنع بالصدقة والتعاون - وكذلك فعل الروم الذين فازوا على الفرس بصدقة تدمر وبالتعاون معها بادىء الأمر فكان لهم ما أرادوا عندما قبلوا لها ظهر المجن آخر الأمر .

وكان النشاط الاقتصادي الذي نعمت به « تدمر » بفضل استراتيجية موقعها بالنسبة للطريق التجاري الممتد من البحر الأحمر إلى الخليج العربي ، أكبر من أن يستغله الإرميون . فلقد برق اسم « تدمر » فأقبل الطامحون في العمل والكسب . والمكاسب إذا ما تأكدت هان لطلابها ركوب الوعر .

فسرعان ما اتسعت رقعة المملكة التدمرية وارتفع شأن عواهلها ، وسرعان ما ازدحمت المملكة التدمرية بالتجار والمرتقة ، وسرعان ما غاصت اللغة الإرامية التي شرقت من قبل بلهجات العناصر الإسرائيلية التي هاجرت مع موسى ، في مزيج من اللهجات واللغات : عبرية ، وفارسية ، ورومانية ، ويونانية ، حتى لم يبق من عربيتها غير نزر لاكنه ألسنة مستعجمة في نطقها فحرفته عن أصله .

فتدمر - في المصادر العربية والإسرائيلية - مدينة في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق ، بناها سليمان بن داود . وقد جاء في شعر النابغة الجعدي : أن جن سليمان بنوها بالصفاح والعمد . وتدمر في بحوث المستشرقين من المناطق الخصبة الواقعة شرقي أرض كنعان والتي استولت عليها قبائل عربية بعد سقوط الدولة البابلية كتبت بالقلم الإرامى^(١) . ولم يبرز تاريخ تدمير الساسي إلا من القرن الأول للميلاد . ولم يلمع تاريخها

(١) جواد ٣ / ٧٦ .

العربي إلا في عهد أذينة والزباء .

٢ - فلم يكن في الأحداث التي ساعدت « أذينة » على النهوض بمملكة تدمر والبروز في الدولة الرومانية ومن بعده الزباء - ما أفاد تطور اللغة الإلامية . فالنقوش التدمرية ، وأقدمها لا يتجاوز تاريخه سنة (٩) ق . م . نمت عن ثقافة خليط عربية من الطراز الإلامى ورومانية ويونانية . ولقد جاء في بحث جواد على : [والكتابات التدمرية هي : التي درسها المستشرقون وترجموها وشرحوا ما جاء فيها : بالإلامية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية]^(١) .

٣ - فسقوط « تدمر » وجد العرب أنفسهم في شألى الحجاز ونجد^(٢) أمام خطر الرومان فلم يكن لهم بد من الوقوف في وجه المطامع القيصرية . واقتحم المعارك التي حالفهم الحظ فيها في البداية فكونوا : الدولة النبطية التي امتد نفوذها إلى رقعة كبيرة في شألى الحجاز ونجد وجنوبى سورية إلى دمشق وشواطئ البحر الأحمر - ثم هم لم يطبقوا صبراً أمام الحملات التي والت تجهيزها إمبراطورية لا تنضب مواردها - فتشتت شمل الدولة وتفرقت العناصر التي انضوت تحت لوائها فتحصن العرب في داخل جزيرتهم ، وضرب على البقية التشرذ فصاروا في عداد مجهولى النسب من بقايا الشعوب القديمة التي فقدت قوميتها .

ويحدثنا جورج كيرك في كتابه موجز تاريخ الشرق الأوسط عن النبط : [وبمثل ذلك أخذت شعوب أخرى تتكلم اللغة العربية تتوآقد فيما بعد من الطرف الشألى من بلاد العرب وفي طليعتهم النبطيون الذين أخذوا من سنة (٣٠٠) قبل الميلاد ينزلون الجزء الجنوبى من بلاد الأردن حول المعقلهم المشهور (بطرا)]^(٣) .

٤ - ويقول جواد على : [وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالإلامية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن لأنه حرماننا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة]^(٤) . ولم أجد ما يبرر اتخاذ النبط القلم الإلامى الذى شط به التطور في اهللال الخصيب عن أصله العربي

(١) جواد ٣ / ٧٥ .

(٢) جواد ٣ / ١٣ - من رأيه أن النبط أقرب الى قریش والى العدنانين - في الجزء الخاص بدول الجزيرة بحث طريف عن دولة النبط .

(٣) موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ١٨ . (٤) جواد ٣ / ١٣ .

كما شط بلغته ، غير ما قيل عن تقدم الثقافة وتحسن القلم الإرمي ، وانتصار القلم الإرمي على أقلام شمالي الحجاز الشمودي واللحياني والصفوي بما فيها المسند ، وقد سبق البحث في تلك الأقلام .

ويضاف الى هذا ما جاء في حديث (أثينودورس) الذي ولد وعاش بين النبط : عن العدد الكبير من الرومان ومن الغرباء من الجنسيات الأخرى في الدولة النبطية - فلا بد لمثل هذه المجموعة من لغة وخط تفاهم وتتعامل بهما . والخط الإرمي ولغته التي انتشرت في الهلال الخصيب يكفلان التفاهم ويساعدان على تقوية الرابطة بين عناصر الدولة النبطية وتوجيه الجميع إلى ما استهدفته الدولة النبطية من حضارة لو لم يقض عليها الاستعمار الروماني لكان لها شأن في البلاد العربية . ولقد جاء في كلام جرجي زيدان : [فالعرب الذين كانوا يخالطون العالم المتمدين بالتجارة أو السياسة في ذلك العهد اضطروا الى معرفة لغة رجال الدولة أهل الوجاهة لاستخدامها في المخابرات والتدوين ، فتعلموا اللغة الآرامية وكتبوا بالقلم الآرامي لسهولة . ثم تنوعت هذه الأقلام بتوالي الأجيال ، فتفرعت الى عدة فروع عرفت بالأقلام الآرامية - أشهرها عند الساميين القلم التدمري في (تدمر) والنبطي في (بطرا) وغيرها - وأشكالها متشابهة مثل تشابه تلك اللغات]^(١) .

ونحن عندما بحثنا في الخط التدمري لم نجد للعرب في تدمر ميلا في تخليص اللغة والخط الإرمي من مؤثرات العناصر غير العربية ولعل ذلك راجع الى الصلات الوثيقة التي كانت تربط الدولة التدمرية بالدولة الرومانية - أما في بطرا^(٢) فالذي يبدو ، أن العرب كان لهم ميل في إعادة الصفات العربية الى اللغة الإرمية ، ظهر واضحا في النقوش النبطية . ولعل الإرميين أنفسهم ضاقوا ذرعا بما خالط لغتهم في المناطق الغربية من الهلال الخصيب فانتحوا الجانب الشمالي الشرقي يطورون لغتهم وقلمهم ويضعون لها أساسا قويا يتحمل الفلسفة اليونانية ومتطلبات الدول المجاورة .

(١) العرب قبل الاسلام ص ٩٤ .

(٢) بطرا في المصادر العربية هي الرقيم وتقع على فرسخ من عمان على تخوم البادية أما اسم « بطرا » فهو يوناني .

٥ - فهناك في شمالى العراق كان الخط الإرامى يتطور الى الخط السريانى ويتخذ (الرها - أورفا) قاعدة له ، ولقد وصل تحقيق جواد على أن : [السريانية كلمة حديثة عهد يراد بها اللغة الإلامية . وأن الاسم « السريانى » لا يرتقى على كل حال أكثر من خمسمائة سنة ، أو أربعمائة سنة قبل الميلاد - وأما اطلاق اسم السريانى على الإراميين الشرقيين أى إرمي العراق فقد حدث بعد الميلاد]^(١) .

فلقد عنى الإراميون في العراق بتقديم لغتهم وخطهم حتى أصبحت اللغة الإلامية لغة العلم والأدب والتدوين ، وحتى أصبح الخط الإرامى في شكله السريانى الجميل . ولقد كلف الإراميين هذا التطور البعد بلغتهم وخطهم عن اللغة الأصل وخطوطها داخل الجزيرة العربية وجنوبها . فما جاء في كلام ولفنسون عن اللغة الإلامية : [وإذا قررنا أن اللغة الآرامية تأثيرا عظيما في نشأة اللغات السامية ، فإن لخطوطها فضلا أعظم في ظهور خطوط كثيرة لأهم متمدنة . ولاشك في أن الخطوط الآرامية انتقلت الى قبائلها من الخط الكنعانى . ونريد بذلك أنهم اختاروا لأنفسهم الخط الكنعانى بيم كانوا في حالة البداوة ، ثم تصرفوا فيه تصرفا غير قليل الى أن ظهرت اللغة الآرامية بظهر المتفوق واختارتها أم كثيرة للمكاتبات الرسمية ، واقتضى الحال أن يستعمل بعضها الخط السريانى كما فعل الفرس في عهد الدولة الساسانية ، ثم انتشر هذا الخط في داخل آسيا من الأقاليم المغولية الى جهات الصين . وكفى الخط السريانى فخرا أنه أثر تأثيرا شديدا على جميع الخطوط العربية بواسطة الأقلام التدمرية والنبطية مما لا يشك فيه العلماء المستشرقون]^(٢) .

وما جاء في كلام ولفنسون عن الدور الذى لعبه الخط الإرامى في الخطوط العربية ، يسهل لنا مهمة البحث في الخط النبطى بعد أن عرفنا ما يلزم البحث عن الخط السريانى . فكل ما جاء في كلام ولفنسون واضح اذا ما فهمنا من كلامه أنه يعنى بالخط السريانى الخط الإرامى عندما قال : [وكفى الخط السريانى فخرا] فالفخر يرجع الى الخط الإرامى اذا ما اردنا التعميم لا الى الخط السريانى بالذات .

وهكذا تمخضت الخطوط الإلامية عن الخطين : السريانى^(٣) ومنشؤه (الرها) ،

(٢) ولفنسون ص ١٦٠ .

(١) جواد ٣ / ١١ .

(٣) في المظهر : اللسان السريانى منسوب الى موضع بالعراق يسمى سورى أو « سوريانه » وهى أرض بالجزيرة ١ / ٣٠ .

والنبطى وقاعدته (بطرا) . ولقد اتجه الخط السريانى شطر الشرق فعبّر البلاد العربية الى
إمبراطورية الساسانيين وانتشر داخل آسيا في الأقاليم المغولية الى جهات الصين .

٦ - أما الخط النبطى فان نهايته تعتبر البداية لظهور الخط العربى قبل الإسلام .
فمثلا كان الخط الإرمى هو حلقة الوصل بين الخط الكنعانى والخط النبطى ، كان الخط
النبطى حلقة الوصل بين الخط العربى وبين الخط الإرمى .

فهذه الحلقة التى كونها الخط النبطى هى آخر مرحلة لعودة اللغة الكنعانية وخطها الى
وطنها الأول بعد رحلة طويلة بدأت مع رحلة الكنعانيين فى مطلع الألف الثالثة قبل
الميلاد ، واستمرت إلى ما بعد هجرة القبائل الإرامية فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .
فلقد هاجرت اللغة العربية مع القبائل التى هاجرت الى فلسطين وسورية ولبنان .
وهناك تطورت مع الأحداث فأخذت من غيرها بقدر ما أعطت فى الزمن الطويل الذى
عاشته فوق جبال لبنان وعلى سواحل البحر الأبيض ، وفى مدن سورية وأنهارها
وصحرائها ، وفى فلسطين الميدان الدامى منذ العصور الأولى - ومن هناك عادت أدرجها
شينا فشيئا الى داخل الأراضى التى بسط النبط عليها نفوذهم ثم انتقلت مع الأحداث الى
(الحيرة) حيث أخذت تظهر بطابعها العربى تدريجياً .

فأقدم نقش جاهلى قريب الى العربية من حيث المادة والأسلوب - النقش الذى عثر
عليه على قبر امرئ القيس بن عمرو الذى ملك (الحيرة) ٢٨٨ - ٣٢٨ بعد الميلاد .
والذى دفن فى قصر « النارة » بالحرة الشرقية من جبل الدروز . ويقول علماء الخطوط : ان
نقش النارة ونقوشا اخرى أحدث تاريخاً منه دونت بالقلم النبطى المتأخر الشبيه جدا
بالخطوط العربية الكوفية من حيث ارتباط الحروف بعضها ببعض - وهذه ظاهرة غير مألوفة
فى الخطوط النبطية القديمة ^(١) .

ومن نقوش حجر ثمود المتأخرة ظهر لعلماء الخطوط أنه فى القرن الثالث والرابع كانت
اللغة النبطية الآرامية قد أخذت تتلاشى وتندمج فى العربية الى أن تلاشت نهائياً ^(٢) .

(١) ولفنسون ص ١٨٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٧٨ - قصر النارة هو : قصر صغير للروم على مقربة من دمشق .

الخط القرشي

من موضوعات البحث :

- ١ - يرى الدكتور ولفنسون أن يسمى الخط الذي نكتب به اليوم : الخط الاسلامي : وأنا أرى أن يسمى : الخط القرشي.
- ٢ - الرأي العربي في الخط القرشي : موضوع اختلف فيه المتأخرون .
- ٣ - أخطأ المتأخرون في نقد الرواية العربية وفي تأييدها .
- ٤ - البحث في الخط القرشي يقتضي : البحث في الخط الحيري .
- ٥ - إذا صح : أن خطأ انتقل من الشمال إلى الحجاز زمن اسماعيل عليه السلام فهو خط كنعاني أو إرمي .
- ٦ - الخط القرشي اقتبست قواعده وخصائصه من المجموعتين : مجموعة الخطوط الشمالية ومجموعة الخطوط الجنوبية - ولقد غلبت السمة الإرمية النبطية عليه لأسباب منها أسباب سياسية .
- ٧ - آراء المستشرقين اعتمدت أولاً على الرواية العربية . ثم صار اعتمادها على خطوط الآثار .
- ٨ - اتفق المستشرقون المتأخرون على أن الخط القرشي مأخوذ عن الخط النبطي واختلفوا في الجهة التي جاء منها .

- ٩ - هل كان الحجاز خاليا من الخطوط قبل الخط القرشى؟
- ١٠ - قلب الجزيرة عرف الخطوط العربية القديمة وقد يكون هو المكان الوحيد الذى عاش فيه الأصل القديم للخطوط العربية .
- ١١ - ماهو الخط الذى كانت تكتب به قريش قبل ان تضع الأصل للخط القرشى الذى يعتبر أصلا للخط العربى فى الوقت الحاضر ؟
- ١٢ - تطور الخطوط العربية وتأثيرها على لغات العرب القدماء يشبه تطور الخط القرشى فى عصور ما بعد الاسلام .
- ١٣ - نتيجة البحث فى أصل الخط القرشى .



الخط القرشي

١ - يرى الدكتور ولفنسون : أن يسمى هذا الخط العربي الذي نكتب به : الخط الإسلامي - لأن الخطوط العربية في الجاهلية كانت ذات أسماء خاصة تعرف بها ويتميز بعضها عن بعض - فلا بد من إطلاق اسم خاص على هذا الخط ، واسم (الخط الإسلامي) في رأيه أفضل ، ولو كان هذا الخط معروفا قبل الإسلام ، لأن الإسلام كان هو السبب الجوهرى في انتشاره وشيوعه وبقائه إلى الآن .

ورأى الدكتور ولفنسون والأسباب التى بنى عليها : وجهة ومقبولة لحد ما ، ولكن الأفضل في رأى أن يسمى هذا الخط (الخط القرشى) لأن هذا الخط كما يقول ولفنسون سبق الإسلام ، ولأن الإسلام الذى كان هو السبب الجوهرى في نشوئه وارتقائه وبقائه ، كذلك كان هو السبب الجوهرى في انتشار اللغة العربية وارتقائها وخلودها ، ومع هذا فان اللغة العربية لم تسم (اللغة الإسلامية) فما زلنا نحن ولا يزال الذين يأتون من بعدنا يقولون : اللغة العربية ، ولأن الخطوط الإسلامية ليست هى الخط العربى فحسب بل هناك خطوط تعتبر إسلامية وهى غير عربية .

٢ - ويرى حنفى ناصف : أن الرواية التى تنسب لابن عباس ، والتى يؤيدها (ابن إسحاق) و(المسعودى) و(الواقلى) ، والتى تؤكد : أن الخط القرشى جاء إلى الحجاز من اليمن عن طريق الحيرة كما فى كلام ابن عباس : إن قريشا أخذت خطها من أمية بن حرب ، وأمية أخذه عن عبد الله بن جدعان . وهذا أخذه عن أهل (الأنبار) الذين أخذوه عن أهل (الحيرة) ، وقد وصل إلى أهل الحيرة من طارىء طراً عليهم من (اليمن) من (كندة) . وهذا الطارىء أخذه من (الخلجان) كاتب الوحى لهُود عليه السلام - لها ما يبررها . فمن رأيه : [أن النبط خالطوا إلاميين وكانت علاقاتهم مع اليمن : التجارية والحكمية تقتضى مبادلة الكتابة بين الطرفين . فيبقى مع كل هذا أن يترك

النبط خط اليمن بالمرّة ، ويقتصروا على الأخذ عن الآرام وحدهم . ثم الرواية العربية متفقة على أن الخط جاء إلى الحجاز عن اليمن ، فالذهاب مع هذا وذاك إلى أن الخط لم يجرى إلا من الآرام دون أهل اليمن جحود للاجماع ومصادمة للنقل الذي لا يتفق مع العقل [(١)] .

ويعارض ولفنسون حفى ناصف فى هذا الرأى - ويصف رواية ابن عباس وأقوال الرعيل الذى يؤيدها بأنها مشبعة بروح البساطة والسذاجة حتى لتبدو للباحث أقرب إلى الخرافات منها إلى الحقائق التاريخية (٢) .

٣ - ونحن إذا ناقشنا رأى حفى ناصف نلاحظ عليه مايتأتى :

أولاً : أن حفى ناصف يفرض على النبط الأخذ عن الخط اليمنى المسند بناء على الصلات التجارية والحكمية - كما يقول - فهذا الحكم وإن كانت له حيثياته ، يختلف مع الواقع . فلم يقل أحد من علماء الخطوط : إن الخط النبطى أخذ عن الخط المسند ، بل إجماع ينص على أن الخط النبطى مأخوذ عن الخط الإرمى .

ولقد سبق البحث فى انعدام الصلة بين الخط الإرمى والمسند . وأن ليس هناك سوى النظريات العامة التى تربط الخط الكنعانى وأبجديته بالخط المسند . فالخط المسند كما سبق هو إما أن يكون فرعاً من الكنعانى أو صنواً له . والخط الإرمى هو من الارومة الكنعانية . فهذه الصلة البعيدة هى التى تربط هذا بذاك .

ثانياً : يقول حفى ناصف : إن الرواية العربية متفقة على أن الخط جاء إلى الحجاز عن اليمن - وهذا لا يتفق مع الحقيقة . فمن الروايات العربية : أن بنى المحصن بن جندة بن يعصب بن مدين هم الذين نشروا الكتابة . ومن الروايات العربية : أن أول من وضع الخط إسماعيل عليه السلام . ولقد أحصى جواد على الروايات العربية فى موضوع أصل الخط القرشى قبلت سبع روايات منها : أن نفرأ ثلاثة من طيء هم (مرامر) و (عامر) و (أسلم) وضعوا الخط القرشى قياساً على هجاء السريانية (٣) .

(١) تهميش الأمير شبيب على تاريخ ابن خلدون طبعة النهضة ١/٣٢ .

(٢) ولفنسون ١٩٧ .

(٣) تاريخ العرب لجواد ١/١٨٥ وما بعدها .

ونحن إذا ناقشنا رأى ولفنسون نجده لا يريد أن يكون للخط المسند أى ظل فى الخط الحيرى وأن رأيه فى الرواية التى تقول : إن الخط الحيرى أخذ عن اليمن والتى تعلق بها (حفى ناصف) هو : [فليس فى استطاعة الباحث أن يرتاح إليها أو يعول عليها لانه لا علاقة بين الخط المسند السبئى والخط الحيرى ووجود شئ من وجوه الشبه لا يكفى لاثبات هذا الرأى بل يرجع إلى أن الخطين اشتقا من أصل واحد هو الكنعانى القديم] (١) .

فولفنسون فرض على الحيرة خطأ خاصاً بها فى مرتبة الخط المسند عندما قال : إن الخطين - المسند والحيرى - اشتقا من أصل واحد . وهذا لا يتفق مع الحقيقة . فلم يكن للحيرة خط إلا فى العصور المتأخرة فإذا كان الخط الحيرى أُشتق من خط ، فليس ذلك الخط هو الكنعانى القديم الذى تفصل بينه وبين تاريخ الخط الحيرى عشرات القرون . فمن الحقائق التاريخية : أن المنطقة الممتدة من شامى (الحجاز) و (نجد) إلى تدمر و (فلسطين) و (أرض مدين) - كانت ملتقى لغات وخطوط تجمعت من الجنوب والشمال والشرق والغرب وتمرکزت أكثر ما تمرکزت فى (الحجر) من أرض ثمود ، وفى (العلا) وفى (مدين) ثم بعد زوال الدولة النبطية فى سنة ١٠٦م وتفوق الطريق التجارى البحرى على الطرق التجارية البرية ، وبعد أن قامت دولة المناذرة فى سواد العراق - اتجهت الأنظار إلى الحيرة عاصمة (المناذرة للخميين) التى كانت فى يمح من الايام من أعظم العواصم العربية .

ونجد ولفنسون : يستكرأن تكون الحيرة والأنبار فى طبقة واحدة - فليس من رأيه أن الكنديين والنبط أخذوا خطهم عن المسند وأعطوه الأنبار والحيرة - وتكون الأنبار والحيرة فى طبقة واحدة تعلموه من كندة ومنهم انتقل إلى الحجاز (٢) .

فأولاً : من ذا الذى قال هذا ؟ إن رواية ابن عباس لم تقل ذلك . فالذى قاله ابن عباس : إن أهل الحيرة أخذوا خطهم من كندة وأعطوه للأنبار .

ثانياً : ان (الحيرة) مدينة تقع على ثلاثة أميال من الكوفة - ويقال : إن (الأردوان) ملك النبط هو الذى بناها وأنزل فيها حلفاءه من قبائل الجزيرة العربية ، ويقال : إن أول

(١) تاريخ اللغات لولفنسون ص ١٩٧ . (٢) تاريخ اللغات السامية ص ١٩٧ وما بعدها .

من نزل بها مالك بن زهير ، وفي ذلك الزمن بنى خصم أردوان - باباً - الملك النبطي :
(الأنبار) على الفرات غربى بغداد على مسافة عشرة فراسخ من بغداد غرباً وأنزل فيها
أنصاره من قبائل البادية . ويقال : إن الحيرة عمرت أولاً ثم اجتاحتها الكوارث التي
تحدث عنها التاريخ العربى فعمرت بعدها الأنبار .

فهذا الذى تقوله المصادر العربية عن الحيرة والأنبار لم يأت فى البحوث المتأخرة ^(١)
ماينقضه ، وإنما الذى أتى جديداً هو النصوص الأثرية والظنون التى أرسلها
المستشرقون . وهذا الذى تقوله المصادر العربية لا يختلف مع رواية ابن عباس عن الخط
القرشى وأن الأنبار أخذته عن الحيرة . فالأنبار إن لم تكن ورثت الحيرة - كما مر بنا -
فليست أقدم منها ، فيصح أن تكون إحدى المدينتين أخذت الخط عن الأخرى .
ونحن إذ أردنا أن نستخلص نتائج للبحوث العربية التى نقتب عن أصل الخط
القرشى ، نجد رأى العربى مختلفاً فى أصل هذا الخط . فلكل رواية وجهة اقتنع بها
البعض . فرواية ابن عباس ليست الرواية الوحيدة أو المجمع عليها - ونجد فى الخلاف
على الناحية التى أتى منها الخط القرشى إلى مكة : حجة القائلين بأن الخط القرشى جاء
عن طريق الحيرة أقوى من غيرها ^(٢) .

٤ - لذلك علينا أن نبحث عن أصل الخط الحيرى أولاً . والبحث فى الخط الحيرى
يجعلنا نتذكر مرة ثانية : أن الحيرة بعد زوال دول (الحجر) و (تدمر) و (بطرا) تزعمت
الحركة الثقافية ، وتذكر أيضاً : أن صراعاً دار بين الخط المسند المتطور فى الجنوب ، وبين
الخط الإرمى المتطور فى الشمال . وأن كلا الخطين زاحم الآخر فى الحجاز وفى نجد
وشواطىء الخليج العربى ، وتذكر أن هناك من يقول : إن الحيرة نبطية لأن النبط هم
الذين بنوها ، ومن يقول : إن الحيرة يمنية لأن الذين أبرزوا هذه المدينة فى التاريخ العربى
هم آل لحم اليمنيون ، وتذكر أيضاً : أن الحيرة سكنتها قبائل عربية عديدة ، منها قبائل

(١) معجم ياقوت مادة حيرة وأنبار .

(٢) تاريخ العرب لمجواد ٢٠٣/٤ .

من (مذحج) وقبائل (حمير) ومن (طىء) ومن (كلب) ومن (تميم) ومن (تنوخ) ومن (النبط) ، وأن الشعب الحيرى انقسم آخر الأمر إلى ثلاث طوائف : ١ - «تنوخ» وهم كانوا أصحاب المظال وبيوت الشعر وينزلون غربى الفرات - فيما بين الأنبار والحيرة ، ٢ - (العباد) وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها وهم قبائل شتى ، ٣ - (الاحلاف) وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا من تنوخ ولا من العباد^(١)

ونحن إذا تذكرنا جميع ذلك لانستبعد أن يكون من سكان الحيرة كتاب يختلف خطوطهم ، فالحميريون لابد أنهم كانوا يكتبون بالخط المسند ، والذين هم من ديار ثمود ولحيان لابد أنهم كانوا يكتبون بخط ثمود ولحيان ، والذين هم من (الرها) وتقومها لابد أنهم كانوا يكتبون بالخط السريانى ، والذين هم من (بطرا) وماحولها لابد وأنهم كانوا يكتبون بالخط الارمى النبطى .

فالنهاية المتوقعة لوجود مجموعة من الخطوط في منطقة اتخذت قاعدة لكيان سياسى بذل اللخميون كل ما فى وسعهم لاستقلاله والحفاظ على ، هى الانصهار فى بوتقة المجتمع الكبير ليخرج خط جديد ذو طابع خاص عرف بالخط الحيرى ، فيه الكثير الغالب من قواعد الخط النبطى وخصائص الخط السريانى ، وفيه بعض صفات الخط المسند ، وبعض وجوه شبه بالخط الثمودى و اللحيانى .

فبناء على ذلك اختلفت الرواية العربية فى الخط الحيرى فبعضهم قال : إن ثلاثة نفر هم : (عامر) و (مرامر) و (اسلم) سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة . فوضع (مرامر) الصور . وفصل ووصل (اسلم) . وأما (عامر) فوضع الاعجلم - وسما هذا الخط بالجزم لأنه منقطع من الخط الحيرى^(٢) . وجاء فى العقد الفريد : [إن نفر الثلاثة - (مرامر) و (أسلم) و (عامر)] من قبائل طىء - وضعوا الخط فى العربية قياسا على هجاء السريانية [^(٣)] ، وفى الفهرست لابن النديم : إن

(١) معجم ياقوت مادة (حيرة) .

(٢) تهميش الامير شكيب على تاريخ ابن خلدون طبعة النهضة ٣٢/١ .

(٣) تاريخ العرب لجواد على ١٨٧/١ .

مرامر: اسم رجل من أهل الأنبار. يقال: إنه أول من وضع الهجاء العربى، فانتشر أولا في الانبار ثم في الحيرة ثم في الناس جميعا.

٥ - أما الذين يقولون: إن الخط القرشى وضع أيلم أسماعيل فأولئك على ما يبدو يرجعون بالخط إلى الاصل القديم الذى انتشر مع الكنعانيين في شامى سورية.

فالذى يغلب على الظن: أن الخط الذى قد يكون وصل إلى مكة في عصر إسماعيل هو الخط الكنعانى، أو الإرمى. والذى يغلب على الظن: أن ذلك الذى وصل إلى مكة زمن إسماعيل لابد أنه وجد في مكة وفي الطائف وفي المدينة خطوطا يرجح أنها خطوط قوم عاد وقوم ثمود - وربما أنه وجد الأصل الذى تفرعت عنه الخطوط التى عشر عليها الأثريون في شامى الحجاز. أما النبط الذين ينسب اليهم الخط النبطى فزمنهم بعد إسماعيل بقرون طويلة، وأما خطهم النبطى فلم يبرز في سورية والحجاز إلا في أزمنة متأخرة - ولئن تعلق بالخط النبطى عبدة الأصنام من العرب، ولئن كانت الوثنية في الحجاز مرتبطة بالوثنية النبطية كما هو واضح في أسماء الأصنام التى وجدت في منطقة الحجر، - وقد سبق الكلام في الوثنية والوثنيين - ولئن كانت لغة النبط الإرمية هى لغة الدين عند النصارى في الشرق، ولئن كان عرب نجران الخلف كانوا يعرفون اللغة الآرامية^(٢). فان انتشار اللغة النبطية كان في زمن متأخر بالنسبة لعصر إسماعيل.

ففى الزمن الأخير، توافرت الاسباب لانتشار الخط الإرمى النبطى في المناطق المتوسطة من الجزيرة العربية. فإلى جانب الصلات الوثنية صلات عنصرية مهدت للعلاقات السياسية بين الأوس والخزرج في (المدينة) بالحجاز، وبين الغساسنة في (بصرى) بحوران، قال بوجودها بعض المؤرخين العرب. فكل ذلك يؤكد: أن الخط النبطى الشامى الذى انتشر في العلا، وحجر ثمود، قد بلغ المدينة فزاحم الخط المعينى والسبئى الذى يغلب على الظن: أن المعينيين والسبئيين قد خلفوه وراءهم بعد أن انتقلوا من المدينة وشامى الحجاز إلى الجنوب.

٦ - فعلى ذلك فإن مكة والمدينة هما مثل الحيرة كانتا مجالا من مجالات تزاخم الخطين: المسند والنبطى.

(٢) تهميش الأمير شكيب على تاريخ ابن خلدون ٢٥/١.

(١) نفس المصدر ١٨٦/١.

وعلى ذلك فإن الخط القرشي - سواء جاء من الحيرة أو أخذ عن الشماليين - فإنه على ما وصل إليه التحقيق اقتبس من مجموعتي الخطوط العربية : المجموعة الجنوبية ، ويمثلها الخط المسند ، والمجموعة الشمالية ويمثلها الخط النبطي . وإن الخط القرشي وإن افترض فيه وجود بعض من خصائص المجموعة الجنوبية ، فإن مما لا شك فيه تحقيقات المتأخرين : أن السمة الإلامية النبطية طغت على شكله وتغلبت خصائصها على غيرها مما جعل الاغلبية من الباحثين ينسبون الخط القرشي إلى الخط النبطي .

فنحن إذا ربطنا تاريخ الخطوط بالتاريخ السياسي في البلاد العربية نجد للأحداث السياسية نتائج تقوى الدليل على أن الخط القرشي جاء من الشمال لا من الجنوب ، وعلى أن الخط الإرمي تفوق أخيراً على الخط المسند خارج اليمن .
فلقد استخفّ الأحباش بالحيريين وطمعوا في دولتهم من أوائل العصر النصراني ^(١) ، وفي أوائل القرن الثاني للميلاد بدأت الغارات الحبشية على أطراف اليمن بعد أن مهد طريقها التدخل الحبشي في صميم الحياة اليمنية ، ولقد جاء في البحث عن أصل اللخمين في العراق : أن ربيعة بن نصر اللخمي هاجر بقومه « لحم » من اليمن خوفاً من الغزو الحبشي .

وهذا الذي لا حظه وخاف منه زعماء العرب الجنوبيون ، لا حظه وخاف منه زعماء العرب الشماليون ، فأخذوا يفكرون في إنشاء كيان سياسي مستقل عن اليمن . ولقد كانت أولى الانتفاضات السياسية ثورة كليب بن ربيعة على النفوذ اليمني .
فكل هذه الأوضاع السياسية تفسر لنا جزءاً مهماً من السر في ترك الشعوب الشمالية الخط المسند واتجاهها إلى الخط الإرمي - وكيف اتجهت قريش إلى الشمال بدلاً من أن تتجه إلى الجنوب ؟ وكيف كانت الحيرة في الزمن الجاهلي الأخير مدرسة القرشيين بدلاً من أن تكون صنعاء وارثة الامبراطوريات الجنوبية هي المدرسة .

على أن كل هذه الأحداث ومسبباتها لم تقطع علاقة الخط المسند ذي التاريخ القديم في الجزيرة العربية بالخطوط الشمالية ، ولكنها طورتها وصهرتها فلا تبدو ظاهرة إلا لمن

(١) العرب قبل الاسلام لمرجى ص ١٤٦ .

تفرغ لتحقيقها من علماء الخطوط^(١). وإن كل هذه الأحداث لم تخرج الخط المسند عن أصله العربى الواضح فى أبجديته وفى لغته - وإن خالطتها رطانة سكان الساحل الأفريقى .

٧ - ولقد كانت آراء المستشرقين مبنية على الروايات العربية إلى أن ظهرت نقوش « النارة » على مقربة من دمشق . ونقوش « زيد » قرية بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقى حلب . ونقوش « حران » فى جبل الدروز فى المنطقة الشمالية ورأوا فيها شبيهاً بالخطوط النبطية المتأخرة المكتشفة فى « بطرا » وغيرها فأخذ الكثير منهم يرجح : أن الخط القرشى أخذ عن الخط النبطى لوجود الشبه الكبير بين الخط النبطى والخط القرشى .

ولقد اقتنع برأى المستشرقين « ولفنسون » كما رأينا من قبل . و « جواد على » الذى يقول : [والواقع أننا لا نستطيع أن نقول : إن الخط الذى نكتب به الآن أخذ عن أهل اليمن الذين كانوا يستعملون المسند فى كتاباتهم الرسمية . فبين المسند والقلم الأول الذى كتب به كتاب قريش وأهل المدينة فرق كبير بين ظاهر - ولعل لانتشار القلم النبطى المتأخر المشتق من قلم بنى إرم فى العراق وفى بلاد الشام وسهولته وارتباط حروفه بعضها ببعض ارتباطاً تتألف منه الكلمات التى تميز بوضوح بعضها من بعض - دخلاً فى أخذ كتاب قريش قلمهم من هذا القلم وصقله صقلاً تولد منه القلم الذى دون به القرآن وأحجار القبور والمدونات الأخرى]^(٢) .

٨ - فبحوث المستشرقين المتأخرة لا يختلف أكثرها فى إرجاع الخط القرشى إلى أصل نبطى - وإنما الذى يختلف عليه المتأخرون هو الجهة التى جاء منها الخط القرشى إلى مكة . هل جاء من شبه جزيرة سيناء ؟ أو جاء من بلاد الشام من منطقة دولة بنى غسان ؟ أو من أرض آل المنذر بالحيرة ؟

والبحث فى أية ناحية من هذه الناحيات الثلاث أجدر بإنشاء خط يضبط اللغة العربية ويحفظ الحروف التى امتازت بها اللغة العربية بعد أن ضيعتها الخطوط واللهجات التى اتخذها العرب فى العراق ، وفى سورية ، وفى شبه جزيرة سيناء والصحراء العربية -

(١) لقد سبق البحث فى هذه الصلة التى كان سبب وجودها الطريق التجارى فى بعض الآراء وفى بعض الآراء الأخرى الأصل الذى اشتق منه المسند والحيرى . (٢) تاريخ العرب لجواد ٤ / ٢٠٣ .

يلزمنا بالرجوع الى أحداث القرن السادس بعد الميلاد . وأحداث الشرق العربى فى القرن السادس بعد الميلاد جعلت شبه جزيرة سيناء غير قادرة على القيام بمثل هذا العمل الجليل . وأحداث القرن السادس الميلادى وإن جعلت من « بصرى » عاصمة للملوك آل غسان الذين ازدحم بلاطهم بشعراء العرب أمثال حسان بن ثابت لكنها لم تنح لها المكانة الأدبية التى حظيت بها الحيرة .

وإخال فى تقدم من البحث فى الخطوط التى تنازعت البقاء ، وكيف كانت الحيرة مجالاً واسعاً للخطوط ، وفى النتيجة التى لا بد أن يتمخض عنها اجتماع خطوط فى دولة حاولت أن يكون لها كيان مستقل - ما يجعلنا نرجح رأى القائلين بأن الحيرة هى الجديرة باحتضان اللغة العربية وخطوطها وآدابها . ولقد حدثنا بروكلمان فى بحث اللغة العربية الذى تقدم - عن الشبه بين لغة نصارى الحيرة وبين لغة رعاة الغنم من هذيل . وفيما سيأتى فى الجزء الثانى من هذا الكتاب فى بحث مصادر التاريخ العربى فى العصر الجاهلى : تحقيق فى الأمية والأميين . وفى هذا التحقيق ثبت أن بعضاً من قريش كانوا يبعثون أبناءهم لتعلم الكتابة فى الحيرة .

أما خطوط النارة ، وزيد ، وحران ، فجميع هذه الخطوط فى المنطقة السورية من الهلال الخصيب - فلذلك كانت الخصائص النبطية الإرمية غالبية عليها فى أوائل الأمر . ثم أخذت تتلاشى بمرور الزمن . فلقد قيل عن نقش (النارة) : [إنه مدون باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن - وإن كتب بالقلم النبطى المتأخر وبأسلوب متأثر بالإرمية] - وقيل عن نقوش (زيد) : [والمهم هو النص العربى ولا سيما قلمه العربى ولا يخلو النص العربى من الأثر الإرمى] . وقيل عن الكتابة التى عثر عليها فى موضع « أم الجمال » : [إن لغتها قريبة من اللغة العربية المعروفة وإنها متحررة من النبطية والإرمية إلى حد كبير] (١) .

فالذى يظهر من دراسة هذه الخطوط - أولاً : أن كتبة هذه النقوش ، إن لم يكونوا من إرم سورية فهم قد راعوا البيئة - فما الفائدة من الكتابة على قبر « امرئ القيس » فى النارة بخط لم يكن منتشرأ بين سكان النارة وما حوها .

ثانياً : أن خاصة امرئ القيس اليمنى الأصل الحيرى الموطن - لم يحرصوا على أن

(١) تاريخ العرب لجواد ١ / ١٩٠ وما بعدها .

تكون الكتابة بالخط المسند - أو بالخط الحيرى إذا كان الخط الحيرى فى ذلك العصر تبلور وأصبحت له صفات خاصة - لأنهم على ما يرجح كانوا يعرفون الخط النبطى الإرمى . فالخط النبطى كان منتشرأ فى العراق كما كان منتشرأ فى سورية .

على أننى أستبعد أن يكون الخط الحيرى فى عصر امرئ القيس الذى مات سنة ٣٢٨م ، قد تبلور وأصبح خطأ مميزأ بقواعد وخصائص عن غيره من الخطوط .

ثالثاً : تطور الخط النبطى وبروز صفات الخط القرشى فيه بالتدرج - فتطور لغة النقوش وخطوطها من سنة ٣٢٨ وهو تاريخ نقش النارة الى سنة ٥١٢ ، وهو تاريخ نقوش زيد . وإلى سنة ٥٦٨ تاريخ نقوش حران ، يوضح لنا مراحل ذلك التطور وكيف أخذت اللغة العربية تعود مرة ثانية إلى سورية . وإلى العراق بخط يميز صفاتها ومخارج حروفها .

ونحن بعد أن رجحنا الرأى المستشرقى القائل بأن الحيرة هى الجهة التى جاء منها الخط القرشى إلى مكة عن غيره من آراء المستشرقين - نرى : أن التحقيقات العربية قد تلاقى مع دراسات المستشرقين - فالخط النبطى كان سائداً فى الهلال الخصيب جميعه - ونرى أن الخط الحيرى والخط القرشى لم يكونا صورة طبق الأصل للخط النبطى . فلو كانا كذلك لما أصبح هناك ما يدعو إلى تمييزهما عن الخط النبطى ، أو تبديل اسم الخط فى الحيرة - بالخط الحيرى . وفى مكة بالخط القرشى - وإنما الخط الحيرى والخط القرشى كانا متأثرين بالخط النبطى أكثر بكثير مما تأثرا بغيره . ولعل سبب ذلك التأثير الكبير الذى كان للخط الإرمى النبطى - بالإضافة إلى الظروف السياسية التى تقدم ذكرها فى هذا البحث ، والتى ربطت المصالح العربية فى داخل الجزيرة بالعواصم الشمالية أكثر مما كانت مرتبطة بعاصمة الجنوب بعد أن تنازع السيادة عليها الأحباش والفرس - أن النبط الإرميين فى غرب الهلال الخصيب وشمالى الحجاز - أخذوا يدخلون على الخط الإرمى . وعلى لغته - لغة الحجاز ونجد العربية - فكان الخط النبطى بذلك أقرب الخطوط إلى العربية ، وأن السريانين الإرميين فى شرقى الهلال الخصيب أخذوا يتسامون بالخط السريانى فكان له القدح الممل فى مجال الثقافة والأدب والمعارف اليونانية .

ونحن إذا كنا قد اقتنعنا بأن الخط القرشى وضع وانتشر - أول ما وضع وانتشر - فيما بين الحيرة والأنبار ، فإن ذلك لا يعنى : أن الخط النبطى والخطوط التى سبقتها كنعانية ، ومسندية ، وإرمية ، وثمودية ، لامت إلى أصل عربى بسبب - فلقد قدمنا فى بحوث الخطوط المقدمة الأدلة التى تثبت الأصل العربى فى تلك الخطوط .

ونحن إذا كنا اقتنعنا بأن القرشى الذى وضع فى الحيرة أخذ عن الخطوط التى سبقتها . فإن ذلك لا يعنى : أن الخط الحيرى منذ وضع .. وضع بالصورة التى انتقل بها إلى مكة . ففى اعتقادى أن الذين وضعوه سواء أكانوا هم النفر الثلاثة : عامر ومامر وأسلم - أو كان غيرهم إنما وضعوا أولاً الأساس - كما وضع « أبو الأسود الدؤلى » أساس قواعد اللغة العربية - ثم جاء من بعدهم من حسن الخط ووضع قواعد العربية .

٩ - ونحن إذا كنا قد اقتنعنا بأن الخط القرشى أخذ عن الخط الحيرى فليس ذلك معناه : أن أهل مكة والطائف من قريش وثقيف . وأهل المدينة من الأوس والخزرج لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة . فمكة التى تشرفت بالبيت الذى قدسه شعوب الشرق العربى من قبل الميلاد . لا بد أن يكون أهلها قد احتفظوا بشيء من صلوات إبراهيم وأدعيته . وأن يكون لدولهم خط تحرر به مصالح الدولة وتسجل به حقوق الأفراد . ولقد عرفت الطائف بأنها مدينة الكتابة والقراءة فى العصور الجاهلية . ومن الحقائق التاريخية التى اعترفت بها البحوث العربية والمستشرقية : أن المنطقة التى تمتد من شمالى الحجاز ونجد جنوباً إلى سواد العراق شرقاً وإلى فلسطين وأرض مدين غرباً - كانت ملتقى ثقافات عربية تجمعت من الجنوب والشمال والشرق والغرب . وتمركزت أكثر ما تمركزت فى « حجر » و « العلا » وفى « مدين » - وأن المعينيين والسبئيين فى غابر زمانهم كانوا يسكنون فى المنطقة الشمالية الممتدة إلى المدينة ووادى القرى - وأنهم خلفوا فى الشمال نقوشاً بلغة تشبه لغة الشعر الجاهلى ..

ولعل الأصل للخطوط القديمة : الكنعانية ، والمعينية ، والثمودية ، واللحيانية لم يجد مكاناً يصونه من التحريف والتبديل غير جبال الحجاز وهضاب نجد .

فعاد قوم هود الذين سبق أن رجحنا : أنهم هم المعينيون الذين تحدث عنهم المستشرقون - انتشرت منازلهم فى أرجاء الجزيرة العربية . وفى حديث ابن عباس عن

« وادى عسفان » الذى رواه الامام أحمد : [لقد مر بهذا الوادى - وادى عسفان - صالح وهود عليهما السلام حاجين يلبيان] ^(١) - ويؤكد ما جاء فى كلام المستشرقين الذين يجعلون منازل عاد بوادى القرى على مقربة من منازل ثمود فى شمالى الحجاز فوادى عسفان فى شمالى مكة فلا يمر به إلا القادمون إليها من الشمال ، وفى شمال الحجاز كانت منازل المعينين .

ويقول الطبرى عن عبد ضخم بن إرم : كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك . وقال غيره . إنهم أول من كتب بالخط العربى ^(٢) .

والثموديون كانوا منتشرين فى الحجاز وفى بعض المصادر العربية : أن « أبا رغال » هو جد ثقيف وأن الثقيفيين هم من إرم ثمود ^(٣) .

١٠ - فلا غرابة بعد هذا أن ذهب التحقيق بالمستشرقين الى أن الخطوط : المسند والثمودى واللحيانى والصفوى هى فروع من أصل واحد . فالعاديون والثموديون انتشروا فى شمالى الجزيرة وجنوبها كما تؤكد المصادر العربية . والمعينون والسبئيون انتشروا فى شمالى الجزيرة وجنوبها كما تؤكد المصادر المستشرقية - فسواء كان الخط المسند هو فى الأصل خط عادى كما يفهم من المصادر العربية ، أم هو خط معينى كما يقرر المستشرقون ، فإنه فى الأصل خط ظهر أولاً فى شمالى الحجاز ثم انتقل إلى الجنوب - وعلى ذلك قال (هومل) وغيره : إن الخط المعينى الجنوبى هو صنو للخط الكنعانى الشمالى . ولقد سبق البحث فى ذلك .

ولا غرابة إن ذهب بنا البحث إلى أن وطن الأصل للخطين : المسند والكنعانى هو : الحجاز ونجد - وأن المناطق المتوسطة فى الحجاز ونجد البعيدة عن ازدحام الجاليات الأجنبية ما برحت محتفظة بهذا الأصل تدخل عليه الجديد الذى يصل إليها بعد صقله وإخضاعه لقواعد لغتها الى أن تطور فى العهد القرشى إلى أرومة هذا الخط الذى نكتب به اليوم .

١١ - وإنا عندما نبحث فى الخط القرشى يجب علينا أن نسأل عن الخط الذى كانت تكتب به قريش قبل أن تتخذ قلمها الذى يعتبر جداً للخطوط العربية الحاضرة ؟ وعن

(١) تاريخ ابن كثير ١ / ١٣٨ . (٢) تاريخ ابن خلدون . (٣) نفس المصدر ١ / ١٣٧ .

الخط الذي كانت تكتب به خزاعة ومن سبق خزاعة إلى مكة ؟

ومعرفة الجواب عن هذا السؤال تعود بنا إلى ما سبق الكلام عنه في هذا البحث عن الرواية العربية التي تقول : إن الخط القرشي هو من سلالة الخط الذي وضع أيلم إسماعيل . وإلى ما سبق الكلام فيه عن انتشار الخطوط : المعينية ، والسبئية ، والشمودية ، واللحيانية ، والإرمية في الحجاز آنفاً . ونحن إذا رجعنا إلى النتائج التي وصل إليها البحث علينا أن نتصور الانتشار في أضيق معانيه ، وأن الكتاب في تلك العصور كانوا قلة ، ولا يبعد أن يكون لكل كاتب قاعدته الخاصة . فلقد مر بنا في البحث عن الخطوط التي دونت بها اللغة العربية : [وهناك مخربشات صغيرة خربشها قوم من الرعاة أو رجال القوافل العابرة] ^(١) . ومر بنا أن خطوطاً متنوعة ظهرت على النقوش التي عثر عليها في شمالي الحجاز - فالمسند ، والإرمي ، واللحياني ، والشمودي ، والصفوي ، والنبطي ، كلها خطوط عرفها الحجاز وعرفتها نجد . فلشموذ آثار في نجد كما أن لهم آثاراً في الحجاز . والنبط يقال إنهم في الأصل من الصحراء الواقعة شرقي فلسطين - وعلى ما رجحنا أنهم من نجد . ويقال إنهم كانوا محتلطين بقبائل طيء .

وكذلك المعينيون والسبئيون كانوا في الشمال ثم انتقلوا إلى الجنوب فلا بد أن تكون خطوطها قد انتشرت في الشمال كما انتشرت في الجنوب حتى بلغت سواحل الخليج الإسلامي الشمالية . ولقد أظهرت حفريات أرامكو في المنطقة الشرقية آثاراً مكتوباً عليها بالخط المسند - وحتى الخط المساري لا بد أن يكون الحجاز ونجد عرفاه .

فمن تاريخ الخطوط وأبجديتها يظهر لنا : أن العماليق والإرميين في الحجاز ونجد كانوا يكتبون بالخط الأصلي الذي تفرع عنه الكنعاني والمعيني ، ثم لما أخذ التطور يبعد بين هذين الخطين : المعيني والكنعاني ، تكونت مجموعتان من الخطوط : المجموعة الأولى المسند ، والشمودي . واللحياني وما تفرع عنها ، والثانية الكنعانية والطور سينائية والإرمية وما تفرع عنها - فمنطقة المجموعة الأولى : من شمالي الحجاز إلى شرقي « نجد » إلى أقاصي « اليمن » جنوباً . أما منطقة المجموعة الثانية : فمن شمالي « نجد » إلى فلسطين

(١) التاريخ العربي القديم ص ٤٤ .

إلى الهلال الخصيب شمالاً ، ومن الطبيعي أن تكون خطوط شالي الحجاز ، المدينة وما بعدها شمالاً متأثرة بالمجموعة الشمالية ، ومن الطبيعي أن يكون تأثير المجموعة الشمالية على مكة وما بعدها جنوباً وشرقاً أقل من تأثيرها على مدن الشمال ، ومن الطبيعي أن يكون لكل خط دوره في الانتشار والذبوع . فمثلاً الخط المعينى في الشمال لابد أنه كان الخط الرئيسى للمدينة وما جاورها أيلم إقامة المعينين فيها وتأسيسهم دولة في الشمال . وكذلك كان حال الخط اللحيانى ، والتمودى ، فلا بد أن يكون لكل خط زمانه . ولابد أن يكون للتطور أثره في بروز خط عن آخر . ولابد أن يطفى الجديد على القديم . فهذه سنة الحياة . فعندما ظهر الخط النبطى ، وعندما أخذ النبط يعملون على إعادة الخط الإرسى إلى عربيته ، وجد هذا الخط النبطى إقبالا في الحجاز ونجد ، فأصبح هو الغالب على شالي الحجاز ، فلا يستبعد بعد هذا أن تكون مكة وأن تكون المدينة عرفتا خطوطاً عديدة تناوبت المكان الأول . ثم آخر الأمر أتت قريش أن توحد خطها على شكل صحيح فأخذت الخط النبطى أساساً لتعلمها ولعلمها ، أضافت إليه بعض محسنات خطوط أخرى .

فالذى يظهر : أن تعدد الخطوط في الحجاز واختلاط أكثرها بما هو غير عربى ، هو الذى دفع القرشيين آخر الأمر إلى أن يفكروا في توحيد الخط الذى يدونون به ، وتثبيتته على قواعد عربية ، ولم يكن القرشيون وحدهم هم الذين فكروا في توحيد الخطوط بعد أن تعددت ودخلتها عناصر غير عربية ، فإن الروايات العربية المختلفة في أصل هذا الخط القرشى وكيف نشأ تدلنا على مبلغ اهتمام العرب بموضوع الخطوط وتوحيدها .

١٢ - ثم إنا إذا ما رجعنا إلى ما قيل عن الخط النبطى وأنه تكيف بتوالى الأجيال حتى صار إلى الحرف العربى المعروف ^(١) ، وإلى ما يعرف عن الحرف العربى المعروف ومراحل تطوره وتعدد أشكاله - من زمن قريب بالنسبة لعمر الخطوط القديمة ، وإلى المدى الذى تطور من الرسم الكوفى إلى رسم الرقعة ، لا نستطيع بعد ذلك ان نهمل الأدلة التى ترجع لنا : أن تلك الفوارق التى بينها لنا اخصائيو الخطوط الأثرية هى نتيجة هذه الأسباب التى استعرضناها . وهى فوارق لا تحمل على الاعتقاد بأن لغة العرب البائدة :

(١) العرب قبل الاسلام جرجى زيدان ص ٥٨ .

عاد ، وثمود ، والعماليق ، وجرهم الأولى ، وعبد ضخم إلخ قد بادت معهم ، وأن اللغة العربية في زمنها القديم لا تمت بصلة إلى اللغة العربية في زمنها الحديث ، كما تقدم ذلك في بحث اللغة العربية .

فمحال أن تكون جميع الآثار التي نقشت بالخط (المسند) الذي كان معروفاً قبل الإسلام في شبه جزيرة العرب جميعها ، والذي قال عنه الاستاذ جواد على : [وربما كان القلم العلم للعرب قبل المسيح] ^(١) بشكل واحد ، ورسم واحد ، ولهجة واحدة رغم فوارق الزمن ورغم فوارق البيئة .

أجل ! إننا لا نستطيع أن نهمل ذلك الظن ، ونحن نرى كيف تطور الخط القرشي في مدى زمن قصير بالنسبة لعمر الخطوط ومراحل تطورها ، وكيف حدث الخلاف في كثير مما كتب بالخط غير المنقوط . فإننا إذا ما رجعنا إلى الأبجدية العربية غير المنقطة نجد حروفاً متشابهة لا يميز الواحد عن الآخر في الابجدية الحاضرة غير النقاط مثل [ب . ت . ث . ن . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ . ف . ق . آ فلا بد لهذه الأحرف المتشابهة مما يميزها في الكتابة غير المنقطة .

وإننا إذا ما رجعنا إلى الأبجدية العربية المنقطة نجد بعض الحروف في خط الرقعة قد اتخذت شكلاً غير شكلها في خط الثلث مثل (س . ص . هـ . و) في خط الرقعة . فهذه الأحرف في خط النسخ تكتب (ش . ض . ق . ن) ونجد الحروف التي تقع في وسط الكلمة بغير الشكل الذي ترسم به إذا ما وقعت في أول الكلمة أو في آخرها أو مفردة .

ونجد الأبجدية العربية اليم تتممها (الهمزة) ويتممها (التنوين) ، فالهمزة التي تكمل معاني بعض الحروف تأتي أيضاً مفردة لها جميع ما لأى حرف من حروف الأبجدية ، وكذلك التنوين هو يأتي في بعض الحالات كحرف قائم بذاته مثل (إذن) . وإلى جانب هذا كله فإن الأبجدية العربية اليم غير كافية لضبط الكلمات ما لم

(١) تاريخ العرب ١ / ١٩٤ وراجع تاريخ اللغات السامية ص ٣٤ .

تشكل الحروف .، وهذا الذى جعل النادر جداً من كتاب اللغة العربية وقرائها هو القادر على نطق الكلمات العربية مضبوطة . فكثيرة جداً الكلمات التى تحمل عديداً من المعانى لا تعرف إلا بالحركات - ولقد نشأت حديثاً فكرة إحداث أبجدية عربية تعرف بها الحركات دون تشكيل ولكنها لم تتبلور .

فهذا الذى نلاحظه اليوم يجعلنا نجنى إلى أن أبجديات الماضى قد تكون أجيالها راعت فيها الحركات فوضعت إلى جانب حروف أبجديتها علامات تشبه الحروف - وهذا الذى نجنى إليه يرجعه ضبط أسماء ملوك الماضى القديم فيما نقل عن المستشرقين ، وضبط أسمائهم فيما نقل عن المصادر العربية ، وإنك لتجد ذلك واضحاً فى أسماء ملوك سبأ ، فإذا قرأت أسماءهم المنقولة عن المستشرقين تجدها مكونة من حروف لا يبعد أن يكون منها حرف تألف من حرفين لغرض الدلالة على الحركة ، بينما تجد هذه الأسماء فى المصادر العربية بحروف أقل تجعل الاسم أقرب الى العربية فى الوقت الحاضر . ولعل السر فى ذلك يرجع الى أن الذين سجلوا لنا التاريخ العربى القديم . منهم من كان يجيد العربية ويعرف جيداً الخط المسند مثل الهمدانى وغيره .

فها نحن اليوم نستعين بزيادة حرف (الواو) لنميز اسم (عمرو) من اسم (عمر) ، ونستعين ببعض الحروف لنميز المثنى والجمع السالبة - فلا يبعد أن يكون الأقدمون قد استعملوا حروفاً خاصة تدل على الحركات . وحروفاً تدل على الجمع وتدل على المثنى . وحروفاً بدلا من التشكيل وبدلا من النقاط . فمن ذلك برزت الفوارق بين الأبجديات . ولقد ثبت - كما سبق - أن البابليين كانوا يزيدون الواو علامة للرفع مثل (عم - عمو) .

على أنه مهما كانت الفوارق بين الحروف وخصائصها ونطقها - فإنها لا تخرج اللغة العربية عن أصلها ، فكما لم تخرج الحروف اللاتينية اللغة التركية عن أصلها ولكنها أثرت على بعض مخارج حروفها إذا ما قرئت حرفياً . وكذلك لا تخرج اللغة العربية عن أصلها الحروف الأعجمية - ولكنها تؤثر فى نطقها ، ومن هنا تنبع اللهجة . وهذا سبب من الأسباب التى يجب ان تضاف إلى ما تقدم عن اختلاف اللهجات بعد بفعل احتكاك

العرب بغيرهم ، وما نجم عن الاحتكاك من تفرع لغة قطرية بجانب اللغة الأم ثم تقلب الفرع على الأصل . وإلى ما يحتمل حدوثه في ترجمة المستشرقين للآثار العربية من تحريف وأخطاء .

١٣ - فاستناداً إلى كل هذه النتائج التي تقدمت يمكننا أن نقول : إن الخط العربي سار بجانب اللغة العربية في تلك الرحلة الطويلة التي بدأت منذ هجرة الكنعانيين الأولى وانتهت عندما قامت دولتنا الحيرة وبصرى العربيتين ، وعندما اهتم العرب في الحيرة ، وفي الأنبار ، وفي مكة أخيراً بتكوين خط يضبط لغتهم ويحفظ لها نطقها السليم . واستناداً إلى كل تلك النتائج التي تقدمت يمكننا أن نقول : إن الخط القرشي هو صفة الخطوط التي عرفها الحجاز والتي تقدم الحديث عنها ، وإن هذا الخط القرشي اعتمد أكثر ما اعتمد على قواعد وخصائص الخط النبطي المتأخر ، فلقد كان أقرب إلى اللغة العربية وأسهل من غيره وأكثر انتشاراً .

وبناء على هذا فإن الذين يقولون : إن الخط القرشي لم يدخله شيء من خصائص مجموعة الخطوط الجنوبية في الوقت الذي يقولون فيه : إن الخط القرشي أخذ عن الخط الحيرى ، ينسون أو يتناسون ما جاء في تحقيقهم عن صلة الخطوط الجنوبية بالحيرة وبالحجاز مثل : « ولفنسون » الذي أكد أن الشبه بين الخط المسند والخط الحيرى جاء عن طريق الخط الثمودى ومثل : « جواد على » الذي يؤكد انتشار الخط المسند في ربوع البلاد العربية جميعها .

الشعر العربي عراوق مثل لغيت

من موضوعات البحث :

- ١ - في الحجاز تعارفت الثقافات .
- ٢ - أين كانت مدرسة الشعر الأولى ؟
- ٣ - الحجاز أرض الشعر ومسكن النابغين .
- ٤ - تاريخ الشعر العربي قديم في قلب الجزيرة قدم عاد وثمود
- ٥ - لا شك في وجود الشعر من عصر عاد وثمود ، وإنما الشك كل الشك في ما يروى عن لسان عاد وثمود من شعر يغلب على الظن : أنه من وضع القصصيين من أمثال ابن شرية .
- ٦ - الفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث .
- ٧ - الشعر الموضوع يحرص واضعوه على أن يكون شبيهاً بشعر من نسب إليه
- ٨ - الأدب العربي دليل يلقى الضوء على الطريق الطويل الذي قطعه تاريخ الأدب العربي .
- ٩ - الاعتراف بشعر القرن الخامس بعد الميلاد دليل على قدم الشعر العربي .

الشعر لعزني عراقي مثل لغت

١ - ليس علينا من حرج : إن جئنا نحن على أثر من سبقنا فلم نستكثر على البلد الذى أذن فيه إبراهيم بالحج فلباه الناس من كل فج : من أرض الفرات ، ومن سفوح الأرز ، ومن ضفاف النيل ، ومن سدود اليمن - أن يكون ملتقى الثقافات التى وصلت إليها شعوب الشرق العربى فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .

وليس علينا من حرج : إن نحن لم نستكثر على سكان وادى القرى وأرض اليامة الذين كانوا همزة الوصل بين الدول العربية فى الشمال والدول العربية فى الجنوب ، أن يعرفوا شيئاً من ثقافة الجنوبيين ، وشيئاً من ثقافة الشماليين . ولم نستكثر عليهم : أن يستوردوا من الأمم التى اتصلت بهم واتصلوا بها الطريف من ثقافتها وآدابها وآرائها ، ويصدروا إليها ذخائرهم ، وطوارف الفكر العربى الذى انطلق مع آيات الأنبياء إلى آفاق هذا الكون العظيم ، ومن صور الشعور الفياض بكل ما فى طبيعة أرضه من جلال وروعة وصفاء ، كما صدروا إليه انتاجهم من النحاس والذهب والأخشاب . ولم نستكثر عليهم : أن يطبعوا ما عرفوه من الشعوب التى يتاجرون معها بطابع بيئتهم ، ويصبغوه بصبغتها ، ويخضعوه للغتهم ، ويضيفوا عليه من خيالهم وأحاسيسهم الجمال الفطرى والبيان الساحر . فنحن كما لا نستبعد على الباحث الذى يتفرغ لدراسة حضارة قلب البلاد العربية :

إن هو وجد من الأدلة ما يوضح له من أين أخذ الجرهميون فكرة دفن ثرواتهم فى مقابرهم ؟ أخذوها عن السوموريين فى العراق ؟ فقد كان هؤلاء من قديم الزمان يعتقدون أن الإنسان بعد الموت يحتاج الى أعوانه ومعداته وثروته فى عالم الخالدين . أم أخذوها من الفراعنة المصريين ؟ فلقد كان هؤلاء فلسفة فى الموت وفيما بعد الموت تحدثت وما زالت تتحدث عنها أهراماتهم الشامخة على ضفاف النيل . أم هى عادة قديمة لجدودهم الذين عاشوا فى عصر الخصب والأنهار التى كانت تجرى فى وسط هذه الصحارى القاحلة المستعرة أخذها عنهم من القدم السوموريون فى العراق ، والفراعنة فى مصر - مثلما أخذوا

عنهم تجاربهم في زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات ؟!

٢ - كذلك نحن لا نستبعد على الباحث المتعمق في الأدب الجاهلي القديم : إن هو وجد من الأدلة ما يوضح من أين عرف العرب الشعر ؟ - هل هم عرفوه من السوموريين في العراق ؟ فقد كان هؤلاء في غابر عصورهم يقولون الشعر ويضمنونه آراءهم وفلسفتهم . أو عرفوه من الفراعنة ؟ فقد أثبت البحث في تاريخ الفراعنة : شعراً قديماً تقنى به سكان وادي النيل . أو الشعر العربي هو من وحى الأرض المقدسة ، أرض النور والجمال أرض المهلهل وامرئ القيس والناطقة وحسان ، صدره العرب إلى العراق وإلى مصر كما صدروا إليهما معتقداتهم ولغتهم ؟!

فإذا كان العرب قد نقلوا إلى العراق وسورية ومصر لغتهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا لها جميع قواعدها وحروفها إلا بعد الإسلام - ففرغت عنها اللغات السامية ، لا يبعد أن يكون العرب هم الذين نقلوا إلى أرض الرافدين ودلتا النيل الشعر ، ولم يستطيعوا أن يحفظوا له جميع أوزانه وقوافيه ، فنشأ منه الشعر في سواد العراق وفي صحراء مصر - فما من شك في صلة العماليق والارميين الذين نشأوا في قلب الجزيرة العربية بسكان العراق ومصر وسورية - وما من شك في أن تلك الصلة كانت أعز وأقوى من الصلة التي كانت قبيل الإسلام بين العرب وبين الفرس والرومان - الدولتين المستعمرتين اللتين انقضتا على أطراف البلاد العربية تسومانها الاستعمار والاستغلال .

وما من شك فيما أثبتته تاريخ الأدب العربي بعد الإسلام لغير العرب من سكان فارس وما وراءها شرقاً ، ولغير العرب من سكان مصر وما وراءها غرباً من نبوغ وعبقورية في اللغة العربية وآدابها فأمهات المؤلفات اللغوية والأدبية ألفها غير العرب مثل سيبويه والفيروزابادي . وهيهات أن تميز شعر العربي الأصيل من شعر المستعرب الدخيل . فلقد امتزجت المعارف ، والآراء ، والشعور ، والخيال ، فأصبحت جميعها ذات طابع عربي واحد ، كما امتزجت العناصر : لغة وعقيدة وتقاليد فأصبحت جميعها ذات طابع عربي واحد .

فإذا كنا نلمح الشعبية في بعض الشعر الذي نظم في بعض المناسبات ، وفي بعض الشعر الذي فاض بحماس العنصرية الكامنة في النفوس ، فمثل هذا الذي نلمحه في

الأدب العربى كمثل الصفات الجسمية التى تدل على عنصريتها مهما امتزجت الدماء واتصل الرحم .

فالشعر فى الأصل أحاسيس تحيىش فى النفس فتنتطق حذاء وغناء يترنم به البدوى بين أزهار الربيع ، ويشدو به المدنى كلما شاهد آية من آيات الجبال ، وكلما تأثرت نفسه بمنظر من مناظر الحياة الرائعة أو المروعة .

والأحاسيس التى تحيىش فى النفوس ليست وفقاً على أمة دون أخرى ، وإنما الذى يمتاز به أمة عن أخرى هو البلاغة والبيان ، فبقدر ما فى اللغة من سعة وجزالة ، وبقدر ما فى البيئة من انطلاق وروحانية ، بقدر ما فى الشعر من بلاغة ، وفصاحة ، ودقة تعبير ، وخيال منطلق فى آفاق الجلال والحكمة والجمال والخلود .

فسواء لدينا أكان الشعر العربى سابقاً عن الشعر السومورى فى العراق ، والشعر الفرعونى فى مصر ؟ أم كان متأخراً عنها ؟ - فإن الذى لا شك فيه هو : بواث الشعر التى توافرت فى مهابط الوحي ، ومرايع الحرية ، ومشرق النور الحضارى ، وعرين العرب الذين أسسوا الدول العربية والحضارة العربية فى ربوع الهلال الخصيب ، وصحراء سيناء ودلتا النيل من فجر العصر الكلدانى فى العراق ، والفينيقي فى سورية ، والعمليقى فى مصر .

فإذا كان الشعر عرف فى بلاد الرافدين من العهد السومورى ، وعرف فى بلاد النيل من عهد الأسرات ، فليس بعيداً أو مستكراً أن يكون العرب قد عرفوا الشعر من عهد عاد ، وجهم ، وجديس ، وميزوه عن غيره من الشعر فى مصر وفى العراق فى عصور ما قبل التاريخ بهذه الأوزان وهذه القوافى ، وأضافوا عليه البلاغة الخلاصة ، والبيان الساحر ، بفضل ما يملكون من لغة واسعة مرنة ، وبيئة شاعرية مشرقة .

٣ - وإذا كان الحجاز عرف فى عصوره الجاهلية الأخيرة بأنه أرض الشعر ومبعثه كما جاء فى تحقيق مؤلفى قصة الأدب فى العالم : [إن مما يلفت النظر : أن أكثر من نبغوا فى الشعر كانوا يسكنون شمالى الجزيرة العربية - أعنى الحجاز وما إليه - فمنهم من كان من أصل يمنى رحل إلى الشمال كأمراء القيس من كندة وهى قبيلة يمنية ، وحاتم الطائى من

طىء كذلك ، أو من أصل عدنانى إما من قبيلة ربيعة كالمهلهل وطرفة والأعشى ، وإما من مضر كالنابغة وزهير وليبد (١) .

فإن الحجاز الذى أنجب فى عصر الفوضى والظلام فطاحل الشعر الجاهلى الذى نقرأه الميم معجيين بما فيه من خيال وُحُكم ، قد أثبتت نقوش عصوره الحضارية القديمة : أن لغة سكانه فى العصور القديمة كانت هى لغة الشعر الجاهلى كما أكد لنا ذلك « فرتز هولم » فى بحث (اللغة العربية هى الأصل للغات العالم العربى القديم) السابق - وكما نلاحظه هنا واضحاً فيما سنعرضه من أقوال المفسرين والمؤرخين وجامعى الشعر الجاهلى ، الذين اقتنعوا بأن الشعر الجاهلى يرجع تاريخه إلى عصر العمايقة وعاد وشمود فى الحجاز .

٤ - ففى طليعة هؤلاء ابن جرير الطبرى وأبو إسحاق النيسابورى ، وابن أبى الخطاب القرشى .

فلقد اثبت الطبرى فى تفسيره وتاريخه شعراً لرجال من عاد ومن العمايقة فى قصة (عاد) والوفد الذى بعثته عاد ليستسقى عند البيت الحرام (٢) .

ولقد حوت جمهرة أشعار العرب للقرشى بعضاً من شعر عاد . وروى ابن أبى الخطاب القرشى عن المفضل : (وقد قالت الأشعار العمايقة عاد وشمود) (٣) .

فمن الشعر الذى أثبتته الطبرى فى تفسيره وفى تاريخه نقلاً عن (ابن إسحاق) هذه الأبيات التى جاءت فى « قصة عاد » (٤) :

أبا سعد فإنك من قبيل	ذوى كرم وأمك من ثمود (٤)
فإننا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد	ورمّل والصوّاء مع العمود
ونترك دين آباء كرام	ذوى رأى وتنبع دين هود



وهذه الأبيات التى جاءت فى قصة ثمود والتى نسبها ابن إسحاق إلى رجل من ثمود قال عنه : إنه من الذين نجوا من العذاب :

وكانت عصابة من آل عمرو إلى دين النبى دعوا شهابا

(١) قصة الأدب فى العالم ٣٥٥/١ . (٢) جمهرة أشعار العرب للقرشى ص ٤١

(٢) تفسير الطبرى ١٥٤/٨ وما بعدها (٤) تفسير الطبرى ١١٨/٨ ، وما بعدها

عزیز ثمود کلهم جمیعاً فهم بأن یجیب ولو أجابا
لأصبح صالح فینا عزیزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدہم ذئاباً

وفی طلیعة الذین انتقدوا هذا الشعر محمد بن سلام الجمحی الذی قال فی کتابہ « طبقات فحول الشعراء » : [وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه - محمد ابن إسحاق بن یسار مولى آل مخزومة بن عبد المطلب - كتب فی السیر أشعار الرجال الذین لم یقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال . ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر . إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف ، أفلا یرجع إلى نفسه فیقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنین ؟ - والله تبارک وتعالى یقول : « فقطع دابر القم الذین ظلموا » أى لا بقية لهم - وقال أيضاً : « وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقی » ^(١)] ؟.

٥ - ونقد الجمحی كما تراه فیہ شیء من الصحة وفیه مجرد الانتصار لرأیه الشخصی - فالصحيح فی هذا النقد : الشك الذی یحجم حول الاعتقاد بأن هذا الشعر نفسه قد قیل فی عصری عاد وثمود - وإن كان هناك فرق فی جودة الشعر بین المنسوب إلى عاد والمنسوب إلى ثمود فالشعر العادى أفصح وأقوى . مما یدل على أن الناظم لیس هو شخصاً واحداً . فإن شعراً تتناقله الأجيال قرناً بعد قرن رواية لا یمكن أن یحافظ على أصله . وأن هذا الشعر بالذات لا یمتد أن یكون من وضع القصاص .

أما الانتصار للرأى الشخصی فیظهر واضحاً فی اقتصار الجمحی على ما یؤید رأیه مما جاء فی سورة الأنعام والحاقة - وما جاء فی سورة الأنعام لا یخص عاداً وحدها وإنما هو إنذار علم . وإنما الذی خص قم عاد فی التنزیل الحکیم ما جاء فی سورة الأعراف . وما جاء فی سورة الأعراف يؤكد : أن الذین لم یبق لهم باقیة هم الذین كفروا . أما هود والذین آمنوا فقد خبر القرآن بنجاتهم : « فَأُنْجِیْنَاهُ وَالَّذِینَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِینَ کَذَبُوا بِآیَاتِنَا وَمَا کَانُوا مُؤْمِنِینَ » ^(٢)

وما جاء فی سورة الحاقة مختصراً عن قم هود وصالح - عاد وثمود - جاء مفصلاً فی سورة الأعراف عن قم عاد كما تقدم . وجاء فی سورة هود عن ثمود « فلما جاء أمرنا نجیناً

(٢) سورة الأعراف آیه ٧٢

(١) الطبقات ص ٩

صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوى العزيز»^(١) وجاء في سورة فصلت « وأما ثمود فهذينا هم فأستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون »^(٢)

ولقد جاء في تفسير الطبرى لقوله تعالى : « فأصبحوا في دارهم جاثمين » . [فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في دارهم يعنى في أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم]^(٣) . فمن هذا يتضح : أن الجمحى اندفع وراء اعتقاده الشخصى دون أن يستوعب ما ورد في القرآن الكريم عن عاد وثمود . وما ورد في مصادر التاريخ العربى عن قوم عاد بعد الريح الصرصر . وعن قوم ثمود بعد الرجفة - وما كان لهم من تاريخ استمر قروناً بعد هود وبعد صالح .

ثم إننا إذا ما رجعنا إلى ترجمة محمد بن إسحاق نجد الزهرى إمام أهل الحديث وعالم الحجاز والشلم - يقول عنه : [لا يزال في الناس علم ما بقى مولى آل مخزومة] فمولى آل مخزومة من رواة التاريخ الثقات .

هذا إذا ما ناقشنا نقد الجمحى بمنطقه وعلى ضوء الأدلة التى اعتمد عليها ، أما إذا ما رجعنا بالموضوع إلى ما جاء في تحقيق الأثرين وبحث مدققى التاريخ العربى المتأخرين نجد كثيراً من الأدلة تؤكد لنا : أن للعادين والشموديين أحفاداً عاشوا بعد سلطانهم الأول وبعد دولهم المتأخرة قبائل منتقلة إلى القرن الخامس بعد الميلاد . فلا يبعد أن يكونوا قد تناقلوا قصصهم وآدابهم جيلاً بعد جيل . ولا يبعد أن يكون من عاصرهم نقل عنهم . ولا يبعد أن يكون ما نقل عنهم أضيف إليه خيال القصاص . وخیال القصاص مهما شطح - لا بد أن يكون له أصل من الحقيقة . وعن الخيال في القصص التاريخى بحث تجده في هذا القسم من هذا الجزء في بحث (إمام ذات العمام) .

وكذلك نرى الجمحى متحمساً لرأيه الشخصى عندما استرسل في نقده فقال عن اللغة العربية^(٤) : [لقد قال محمد بن على العلوى : أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه

(١) سورة هود آية ٦٦

(٢) سورة فصلت آية ١٧ وما بعدها

(٣) تفسير الطبرى ١٦٤/٨

(٤) الطبقات ص ١٠

إسماعيل بن إبراهيم - والعربية التي عنها محمد بن علي : اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا] .

فهو باستدلاله هذا يحاول أن يفرض اقتناعه فرضاً ، فإذا كانت لغة إسماعيل وهي لغة القرآن ولغة العرب عندما أنزل القرآن ، ليست من اللغة العربية التي كانت العرب البائدة تتكلم بها ، فمن أين تعلمها إسماعيل ؟ ومع من كان يتخاطب بها ؟ ولقد مر بنا هذا الحديث .

والغريب أن الجمحي يستشهد بقول (أبي عمرو بن العلاء) : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريبتنا ، فيقول : [فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهنه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق . ومثل ما رواه الصحفيون ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل]^(١) .

فهل لغة اليمن على ما هي عليه ليست من اللغات العربية ؟
أنا لا أظن الجمحي لا يعلم أن غرض ابن العلاء : هو الاستشهاد بلغة حمير .
وإلا فهل لغة اليمن ليست من العربية ولا العربية منها ؟^(٢)

هكذا نجد مصادرنا العربية مختلفة فيما قيل عن الشعر العربي وقدمه - فريق يؤكد : أن العرب العاربة عرفوا الشعر ونظموه . وفريق ينكر ذلك ويبالغ في إنكاره . فينكر كذلك صلة لغة العرب العاربة باللغة العربية التي نظم بها الشعر الجاهلي المتأخر شعر المهلهل والأعشى وحاتم طيء .

وهكذا نجد رأى الذين لا يصدقون بأن الشعر عرف من عهد عاد - غير مستقر على أدلة مقنعة غير الشك في أن يكون هذا الشعر الذي رواه ابن إسحاق هو نفس الشعر الذي قاله الشاعر العادي والشاعر التمودي . وهذا الشك يشترك فيه أكثر من اعتقد بأن الشعر عرف من عهد عاد .

ونحن هنا مع الأكثرية التي لا تنكر الشعر على العرب البائدة ولكنها تستبعد أن يكون هذا الشعر نفسه نظم في عهد عاد - وكذلك نحن مع الذين لا يستكثرون اللغة

(١) نفس المصدر ص ١١

(٢) راجع بحث اللغة العربية السابق

العربية على العرب البائدة . ولا يقولون إن لغة جرهم والعماليق وعاد وشمود عربية ولكنها غير العربية التى نظمت بها المعلقة ؛ لأننا اقتنعنا فى بحث اللغة العربية بأن هذه اللغة التى نعرفها اليوم هى لغة العرب العاربة ، وأن تطورها لم يخرجها عن الأصل العربى ، ولأننا إذا ما رجعنا للشعر الجاهلى نجد فى شعر « امرئ القيس » و « عنترة العيسى » ، و « عمرو بن كلثم » ، و « حسان بن ثابت » - أبياتاً وقصائد لا يضاهيها فى السهولة وسمو المعنى وفصاحة التعبير إلا شعر الممتازين من شعراء العربية فى القرن العشرين بعد الميلاد . ونجد تطور اللغة والشعر لم يجعل فوارق بين شعر حسان وابن كلثم وبين شعراء أبى الطيب المتنبى وأبى فراس الحمدانى ، ولم يجعل فوارق بين شعر المتنبى وشعر شوقى والرصافى ، إلا فى بعض الكلمات وفى بعض الاصطلاحات والتشبيه إلى غير ذلك مما تفرضه على كل شاعر حياته وما يحيط بها ، وما لا يؤثر على لغة الشعر ولا على أوزانه وقوافيه .

وهذه الفوارق فى الأسماء والاصطلاحات والتشبيه وإن كنا نجدها واضحة فى شعر كل جيل ، فنحن إذا ما قرأنا شعر امرئ القيس وحسان بن ثابت الشاعرين اللذين فى حياتها الكثير مما ليس فى حياة الشنفرى وتأبط شراً ، نجد هذه الفوارق واضحة بين شعر حسان بن ثابت وبين شعر الشنفرى . ولقد قال أحد الشعراء الإسلاميين عندما سئل عن روعة التشبيه فى شعر الشريف الرضى : من أين لى أن أصل إلى مثل ذلك وهو السرى الذى عاش فى القصور والحريير والذهب ؟! فإن هذه الفوارق لا تكون إلا فيما ليس له وجود فى العصر الجاهلى . أما اللغة السهلة والمعانى الواضحة والأمثال المطربة ، فكما نجدها فى شعر الإسلاميين نجدها فى شعر الجاهليين . إننا لنجد حتى فى شعر الأعرابى الذى عاش فى صحارى الجزيرة وجبالها أبياتاً سهلة واضحة المعنى بليغة الحكمة مثل هذا البيت فى قصيدة الشنفرى لامية العرب :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى مُتَعَزِّل



إن كثيراً من نقاد الشعر الجاهلى الشاكين فيه يبنون شكوكهم على ما فى بعض الشعر الجاهلى من السهل الممتنع والكلمات الحية التى تكرر استعمالها فى عصور ما بعد الإسلام . وهذا الدليل مقبول لحد ما ، ولكن يجب علينا أن نعلم : أن الكلمات العربية المستعملة من

العصر الجاهلى الى اليم هى عند العربى الجاهلى مثل الكلمات المهجورة التى تعتبر جاهلية إن صح هذا التعبير - سواء بسواء . فلا فرق عند الشنفرى إذا قال : (أرقط . زهلول . عرفاء . جيأل) - وقال : (منأى . كريم . قلى . متعزل) فهذه الكلمات كلها من اللغة العربية . وهذه الكلمات كلها استعملها العربى . فإذا ما صادف واجتمعت الكلمات المتداولة فى بيت من الشعر الجاهلى وفهمنا معناه دون الرجوع إلى القاموس ، ظننا حينذاك أن الشعر موضوع .

فهل المهجور من اللغة العربية هو وحده اللغة التى كان يستعملها الجاهليون فى شعرهم ، وفى خطبهم ، وفى حديثهم فى الأندية والأسواق ؟ وهل هذا المستعمل من اللغة العربية لم يكن العربى الجاهلى يعرفه ويستعمله ؟!

ثم إن حياة قوم عاد وقم ثمود التى حدثنا عنها القرآن الكريم ، والتى قال عنها صاعد وغير صاعد : إنها حياة دول عظيمة^(١) والتى اعتبر المستشرقون أزمنتها من عصور الجزيرة الذهبية^(٢) هى ولا شك أفضل بكثير من حياة العصر الجاهلى المتأخرة رفاهية وثروة واتساع أفق وسيادة اعترت بها الشعوب العربية جمعاء فى العراق ، وفى سورية وفلسطين ، وفى مصر ، وفى اليمن ، وفى الحجاز ونجد .

فكل هذه الحقائق وما يترتب عليها تبرر ما جاء فى تاريخ الطبرى وتفسيره عن وجود الشعر فى عصر العرب البائدة : عاد ، وثمود ، والعمالقة إلخ ، وتؤكد لنا : اقتناع العرب القدامى بقدم الشعر الجاهلى . وإن كانت هناك شكوك قوية تحم حول الشعر الذى تناقله العرب ناسبه إلى قصة وفد (عاد) إلى مكة ، فلو كان العرب فى الجاهلية وفى صدر الإسلام غير مقتنعين بقدم الشعر العربى ، وقدم اللغة العربية لما أقدم رواة التاريخ مثل : (ابن إسحاق) على نقل هذه الأقوال . ولما أقدم مؤلفو التاريخ العربى مثل (الطبرى) على تسجيل هذا الشعر . فكل الشواهد وكثير من النصوص التاريخية تؤكد لنا : أن الشعر العربى متوغل فى القدم . وأن الشعر القديم هو شعر بكل ما تدل عليه هذه الكلمة (شعر) من وزن وقافية ومعنى .

(١) طبقات صاعد ص ٥٤

(٢) التاريخ العربى القديم ص ١٧٧ . وراجع الحلقة الثانية من هذه الموسوعة [العرب فى احقاب التاريخ] التى صدرت بعنوان التاريخ العربى ومصادره فى ترجمة خلف الاحمر كثير عن قصيده الشنفرى

وهذا كله لا ينفي أن يكون ذلك الشعر الذى سجله الطبرى وغير الطبرى موضوعاً .
ونحن لا ننفي ذلك عن الشعر الفارق فى القدم لأننا نعرف أن كثيراً من الشعر المنسوب
إلى شعراء جاهليين معروفين هو شعر موضوع .

٧ - فنحن إن كنا لا نستطيع أن ننفي : أن كثيراً من الشعر المنسوب إلى شعراء
جاهليين ، هو شعر موضوع ، فذلك نحن لا نستطيع أن ننفي عن كثير من الشعر
الموضوع باسم شعراء جاهليين ، مميزات الشعر الجاهلى ، فقد توخى واضعوه محاكاة الشاعر
الموضوع باسمه الشعر « أسلوباً ولفظاً » فعلى ذلك لا يستبعد أن يكون الذين وضعوا شعراً
ونسبوه إلى قوم عاد قد حرصوا على الأسلوب الذى وصل إليهم عبر الأحقاب - إن لم
يكن يشبه لهجة وأسلوباً وخيالاً فهو لا يختلف عنه كثيراً . وهذا ما يلاحظ على كثير من
الشعر المنسوب إلى شعراء جاهليين معروف شعرهم . وليس وضع الشعر باسم شعراء
مبرزين مقصوداً على الشعر الجاهلى ، بل إننا لنجد بعض القصائد والأبيات دخيلة على
شعر فطاحل الشعراء الإسلاميين .

نعم لو لم يكن العرب فى جاهليتهم مقتنعين بوجود دولة (عاد) ، وحضارة عاد ، وشعر
عاد - لما تحدثوا عن سلطانها وآثارها وأشعارها . ولو لم يكن العرب فى صدر الإسلام
مقتنعين بما اقتنع به الجاهليون لما سجل أعلام التاريخ العربى قصص عاد وشعر عاد
وما قيل عن إرم ذات العماد ^(١) .

٨ - فما لا شك فيه : أن الأدب الجاهلى هو من أبرز الأدلة التى تلقى الضوء على
الطريق الطويل الذى قطعه الأدب العربى - فأشعار الجاهليين وخطبهم وأمثالهم كل ذلك
هو الأثر الحى للثقافة العربية فى قلب الجزيرة . وأشعار الجاهليين وخطبهم وأمثالهم التى
تطربنا فصاحتها ونعجب ببلوغتها واتساع أفقها كل ذلك هو أدب عريق قطع مرحلة
طويلة حتى بلغ القمة من الجودة وبلاغة التعبير ، فما فى الشعر الجاهلى من فلسفة وحكم
 وأمثال ، خضعت لموازين الشعر دون كلفة تشبه المعنى وجمال التشبيه ، وتقيدت بالتوافق
دون ركافة تذهب بروعة اللفظ ، ودون إقواء يؤثر فى موسيقاه - يدل على قدم الشعر
الجاهلى .

(١) تجد فى الفصل الخاص بحضارة اليمن بحثاً خاصاً بمدينة إرم ذات العماد فى هذا الجزء .

فالشعر الجاهلى الذى بين أيدينا لا يمكن أن يكون وليد جاهلية ما قبل الإسلام ، بل هو قديم قدم لغة الشعوب العربية التى نشأ بينها إسماعيل . والقول بأن الشعر الجاهلى قديم ليس هو من الموضوعات المستجدة فى بحوث الأدب العربى . فلقد وصل إلى هذه الحقيقة من قبل الشعراء الجاهليون أنفسهم . فعنترة العبسى أحد شعراء المعلقات أعلن عن سبق الذين تقدموه من الشعراء إلى المعانى المتألقة بسؤاله : هل غادر الشعراء من متردم ؟

ونتيجة عرفت من عهد عنترة ليست فى حاجة إلى إطالة الكلام عنها . وإنما الجدير بالبحث هنا هو متى عرف الشعر العربى ؟

٩- إن الباحثين فى تاريخ الأدب العربى اليح - مع اعترافهم بأن الشعر الجاهلى هو نتيجة تطور العقلية العربية التى مرت بها عصور طويلة - يقتصرون فى بحثهم على ما وصل إلى أيديهم من الشعر الجاهلى الذى لا غبار عليه . وما وصل إلى أيديهم من الشعر الجاهلى الذى زالت عنه أكثر الشكوك لا يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد ، ثم هم يسرون وراء الخيال والظنون فى قدم الشعر العربى .

فما جاء فى كلام مؤلفى كتاب قصة الأدب العالمى عن نشوء الأدب العربى : [وأقدم شعر وصل إلينا كان الشعر الذى قيل فى حرب البسوس أو قبل ذلك قليلا . وكان ذلك قبل الهجرة بنحو قرن ونصف القرن . وقد وصلت إلينا من ذلك قصائد كاملة ، محال أن تكون أول محاولة . بل لا بد أن تكون قد سبقتها محاولات كثيرة ، دخلتها تحسينات كثيرة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه - فهذا الوزن الكامل ، وامتلاك ناصية اللغة ، والقدرة على إجادة التصوير ، لا يمكن أن تنشأ ابتداء . ولا بد أن تكون خضعت لقانون النشوء والارتقاء . ولا بد أن يسبق ذلك وزن مخلع قيل أن يهتدوا إلى البحور الستة عشر - ولا بد أن يمر شعرهم بطور التعبير المهلهل والأبيات القصيرة تقال فى المناسبات المفاجئة - وأخيراً يصل إلى ما وصل إليه شعر امرئ القيس وأمثاله ، من نظم منسجم ، ونفس طويل ، وتعبير محكم ، ووحدة فى القافية] (١) .

فظن مؤلفى قصة الأدب العالمى المدعم بهذا الدليل : [محال أن تكون القصائد الكاملة أول محاولة للشعر الجاهلى - بل لا بد أن تكون قد سبقتها محاولات كثيرة دخلتها

(١) قصة الأدب العالمى ٣٥٤/١

تحسينات كثيرة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه [- ظن يجعله في مرتبة اليقين الاستدلال المنطقي الذي يفرض نفسه .

فالشعر الجاهلي كما جاء في كلام (كارلتون كون) عن منشئه عندما تحدث عن الحضارة العربية والأدب العربي : هو الريشة التي صور بها العربي أهم الأحداث التي تصادفه في حياته - مثلما صورها الألماني بالموسيقى والفرعوني بالنحت إلخ^(١) .

والعربي عرف الحياة وجمالها أيام كانت الجزيرة العربية كما يصفها (كايثاني) الايطالي . وقال عنها قبله المؤرخون العرب : ذات أشجار وأنهار وجو شاعري . والعربي عرف من صور الحياة شيئاً كثيراً منذ أن كان يتاجر بالنحاس مع السوموريين ، ويقع بأعباء النقل التجاري في الشرق العربي . والعربي عرف الأحداث السياسية وتحمل الضخم من مسؤولياتها منذ أن أسس إمبراطورياته في وادي الفرات ، وفي وادي النيل ، وملاً جبال الأرز ، وشواطئ البحر الأبيض حركة ونشاطاً .

فليس غريباً أن تؤثر متناقضات الحياة الطويلة التي عاشها العربي في أحاسيسه وانطباعاته ، وليس غريباً أن يجيش في صدره الشعور بمتناقضات الحياة : جمالها وعبوسها فيخلق به خياله في أجواء الأحلام تارة ، وتارة يدخل به في مجاهل اليأس والألم . ولا بد لذلك الشعور أن يتبلور في شكل مادي يبرز الفكرة في صورة تعبر عن خفقات القلب وأنات الضمير - وأبرز الأشكال التي صور بها العربي أحاسيسه وانطباعاته هو الشعر ، وليس من المنطق في شيء إن نحن ظننا أن العربي كان جامد الأحاسيس متحجر الشعور إلى القرن الخامس الميلادي .

(١) قصة الشرق الأوسط ٦٢

معالم المجتمع والدولة في قلب الجزيرة العربية

من موضوعات البحث :

- ١ - البحوث الأثرية أزلت كثيراً من الشكوك التي كانت تغطي حقيقة الجزيرة العربية في ماضيها القديم .
- ٢ - مثلما كانت الصحة هي الباعث الأول للعقل السليم كذلك كان الخصب هو الباعث الأول للنشاط المثمر .
- ٣ - الأثر الذي رأيته في المدينة ينبىء عن حضارة قديمة جداً .
- ٤ - الثروة العربية في الجاهلية القديمة .
- ٥ - الخيال في القصص العربية مبعثه اقتناع العربي الجاهلي بحضارة اجداده القدامى .
- ٦ - إن المؤرخ العربي اهتم بتاريخ اليمن الحضارى أكثر مما اهتم بتاريخ الحجاز ونجد - لأنه كان لا يملك نصوصاً أثرية .
- ٧ - ما زال الشك قويا في بداية تاريخ المجتمع العربي .
- ٨ - معالم التاريخ السياسى القديم في قلب الجزيرة وبدايته .
- ٩ - المرأة في التاريخ الاجتماعى والسياسى العربى .
- ١٠ - وأد البنات في الجاهلية عقيدة وثنية .
- ١١ - العرب في جاهلية ما قبل الإسلام عادوا إلى الحياة القبلية .

- ١٢ - أعداء العروبة قبل الإسلام وبعده هم الذين شوشوا على العرب وتاريخهم .
- ١٣ - مثل العرب قبل الإسلام مثل العرب بعد الإسلام .
- ١٤ - دراسات المحققين هي التي أنقذت حقائق التاريخ العربى من الخيال والتهم .
- ١٥ - ماهية النظام السياسى داخل الجزيرة العربية ورأى المستشرقين .
- ١٦ - قلب الجزيرة هو ملجأ القومية العربية وحصنها .
- ١٧ - النضال العربى فى رأى المستشرقين غارة ووحشية - والغزو الاستعمارى سلام ومدنية .
- ١٨ - التحقيق فى أسماء الدول والشعوب وتحديد أراضيها هو الذى يستحوذ على اهتمام المؤرخين .
- ١٩ - الفوارق بين المدن التجارية والسواحل ، وبين المجتمعات المتحصنة برمال الجزيرة وجبالها ؛ لاشك فيها .
- ٢٠ - النظام الذى أسسه قصى فى مكة يشبه نظم الدول الحديثة .
- ٢١ - إن للبلدان حظوظا كما للإنسان .
- ٢٢ - حاضرننا صورة لماضيها .

معالم المجتمع والدولة في قلب الجزيرة العربية

١ - لقد تقشع كثير من الشكوك التي كانت تحول بين محققى التاريخ العربى القديم فى الأزمنة المتأخرة ، وبين ماكان يقوله المؤرخون العرب فى الازمنة المتقدمة عن الحجاز ونجد واليامة ، وإن هذه البلاد كانت مناطق ذات خصب وثراء ومياه متدفقة ، وعن دول العرب وعظمة ملوكها ، فأمن الكثيرون بماقاله المسعودى : [وكان الحجاز أشجر بلاد الله وأكثرها ماء]^(١) ، وبما قاله الطبرى : [واليامة إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً وأشجاراً]^(٢) ؛ وبما قاله ابن خلدون فى تاريخه ، وصاعد فى طبقاته ، عن شعوب عاد ؛ وشمود ، وطسم ، وجديس ، وجُرهم ، والعماليق ، وأنها كانت ذات ملك ضخم وسلطان كبير^(٣) . وصدقوا بما جاء فى جغرافية « بطليموس » عن أنهار الجزيرة التي كانت تنساب فى أراضيها وينساب معها الخير العميم ، ورجعوا الى ما قاله « بطليموس » عن المائة والستين مدينة التي كانت تزهى بها شبه جزيرة العرب ، وأخذوا يعنون بتحقيق (إسطفانوس) و(بلى) اللذين توصلا لمعرفة عدد من أسماء تلك المدن^(٤) . ولقد جاء فى موجز تاريخ الشرق الأوسط : [فمئذ سنة ٨٠٠٠ ق . م . تقريبا اهتلى الإنسان بعد تجارب شاقة وأخطاء جسيمة الى استزراع الأغذية النباتية واستئناس بعض الحيوانات النافعة فتسنى له بذلك لأول مرة أن يدرج فى مدارج الأرتقاء نحو الحضارة]^(٥) . وبواعث هذا التصديق جاءت فى البحوث الأثرية والجيولوجية التي توصلت الى معلومات لا تختلف كثيرا عما قاله قدامى المؤرخين . وهذه البواعث هي التي جعلت عددا

(١) تاريخ ابن خلدون ٨١/٢ .

(١) تاريخ الطبرى ٢ / بحث اليامة .

(٣) طبقات صاعد ص ٥٤ تاريخ ابن خلدون ٢٧/١ .

(٤) التاريخ الجغرافى للقرآن ص ٧٢ .

(٥) موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٤ .

من المستشرقين يهتمون بالتحقيق في مواطن الحضارات القديمة في ربوع الجزيرة العربية التي أصبحت قاعاً صافصفاً ليس فيها غير سراب يحسبه الظمان ماء .

وهذا الذي صلق به الباحثون هو الذي أنبأنا به القرآن الكريم فيما أنبأنا به من أخبار

الماضين :

[أَلَمْ يَرَوْا كُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَالاً يُمْكِنُ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] ^(١) و [أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] ^(٢) و [كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ] ^(٣) و [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ] ^(٤) و [أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَالٍ وَبَيْنَ . وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ] ^(٥) و [وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهْلُوهَا قُصُوراً وَتَنْجُسُونَ الْجِبَالَ بَيْتَاتٍ

(١) سورة الانعام آية ٦ .

(٢) سورة الروم آية ٩ .

(٣) سورة التوبة آية ٦٩ .

(٤) سورة المؤمنون آية ٣٣ .

(٥) سورة الشعراء آية ١٢٧ وما بعدها .

فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [(١)] وَ [أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ] (٢) .
 ٢ - حقاً لقد مكن الله للذين عاشوا على ظهر هذه الجزيرة قبل الميلاد مالم يمكن للجاهليين فيما بعد الميلاد ، فأرسل على أولئك السماء قطرهم مدراراً فأثاروا الأرض ، وعمروها ، فكما أن الصحة من بواغث أصالة الرأي وحسن التفكير فإن الأرض الخصبة تبعث النشاط ورغبة الاستثمار ، وهذا هو سر الحضارة التي حافظت على بقائها في بلاد الهلال الخصيب وعلى ضفتي وادي النيل .

فها نحن نرى اليم للثموديين الذين كانوا يعيشون في شمالي الحجاز متخذين من سهول الحجر حدائق ومن جبالها بيوتاً - آثاراً بارزة إذا ما رأيتموها رأيت فتناً في النحت لا ينقص عن النحت الفرعوني في مصر ، قال عن صلته بالفن الفرعوني البتوني : [ويظن آخرون أن الثموديين من العمالة حذقوا صناعة النحت أيلم إقامتهم بمصر] (٣) . وقال عن صلة الفن الفرعوني به جورجى زيدان : [واقتبس المصريون من محالطة العمالة معارف كثيرة ولا سيما الأبنية فأخذوا عنهم أشكالاً جديدة ويعد أبو الهول الممنح من مبتكراتهم] (٤) .

فما قاله المؤرخون المصريون عن الحضارة المصرية واتصالها الوثيق بالحضارة العربية في داخل الجزيرة العربية يتبين لنا : أن العمالة الحجازيين والفراعنة المصريين كانوا على مستوى حضارى لا ينقص هنا في الحجاز عنه هناك في مصر ويتبين لنا : أن الشعبين كانا على صلة ثقافية يتبادلان المعارف والفنون . ثم شاء الله أن يبنى قلب الجزيرة بالجفاف وأن تستمر حضارة مصر بفضل النيل . فمصر كما يقولون : هبة النيل .

٣ - وإننى أؤكد : أن لو بحث عن آثار قلب الجزيرة لظهر فيها ما يدل على حضارة

(١) سورة الاعراف اية ٧٤ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٤٦ وما بعدها . ولقد جاء في تفسير قوله تعالى في سورة فاطر آية ٤٤ : ألم يسر هؤلاء المشركون الذين عارضوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأرض فانهم تجار يسلكون طريق الشام فينظروا كيف كانت عاقبة الذين كانوا بها . تفسير الطبرى ١٤٧/٢٢ .

(٣) الرحلة الحجازية للبتوني ص ٣١٢

(٤) العرب قبل الاسلام ص ٧٢ وكتاب الدولة العربية الكبرى لمحمود كامل المحامى ص ٣٩/٥٣ .

لا تنقص عن حضارة الوادين الفرات والنيل . وإننى هنا أذكر أثرا ضئيلا ظهر عندما كنت رئيسا لبلدية المدينة المنورة ، فقد قامت بلدية المدينة بعمل بالوعات لتصريف مياه الأمطار ريثما يتم الاجراء الرسمى الذى تقتضيه الموافقة على المشروع الذى تقدمت به البلدية لانشاء مجار عامة . فلقد ظهر فى إحدى الحفريات أطلال باب السور القديم المسمى فى العهد التركى « باب بصرى » الواقع شالى السور ، والذى أزيل فى التنظيمات التى اقتضتها توسعة الحرم النبوى فى العهد السعودى - جدار قائم تحت عمق ستة أمتار من ظهر الأرض يبلغ طول حجارته مترا ونصف المتر ويبلغ عرضها ثلثى المتر منحوتة بطريقة أدق من حجارة مبانى الحرم النبوى القديمة التى أظهرتها حفريات توسعة الحرم النبوى فى العهد السعودى ، وليس طراز نحتها من نوع حجارة أطلال اليهود . ولقد بحثت مع بعض الإخوان الذين يعنون بالآثار وبتاريخ المدينة لعلنا نعرف شيئا عن ذلك الجدار ، فلم نعرف من تاريخه شيئا غير أنه جاهلى قديم ، قد يكون من عهد العالقة أو من آثار السبيين أو المعينين فى يثرب .

٤ - ولقد تذكرت هذا السور الذى تراكت عليه ستة أمتار من اتربة المبانى التى انشئت بعنه فى مئات السنين عندما قرأت ماجاء فى كتاب التاريخ العربى القديم : [أما الآثار التى وجدت خارج بلاد العرب الجنوبية فمعظمها فى الجهات الصحراوية القاحلة ، والجبلية الحجرية فى شالى غرب البلاد العربية ، حيث تكشف لنا القناع عن الحالات المختلفة التى مر بها الطريق التجارى العربى المار بمكة والمدينة والذى كان يمتد حتى يبلغ البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط ودمشق . وأكثر ما توجد هذه الآثار فى المدن التى فقدت كثيرا من أهميتها القديمة أعنى « العلا » و « الحجر » مدائن صالح و « بطرا » و « بصرى » ففيها نجد كثيرا من الخرائب التى ترجع لا إلى ما قبل الإسلام فحسب بل إلى ما قبل الميلاد ، وأيضا مما يؤيد أنها كانت قديما مركزاً هاماً من المراكز التجارية وملتقى للقوافل، وليست هذه القواعد التجارية هى الوحيدة الغنية بالآثار القديمة فقد عثر العلماء على كثير منها فى قلب الجزيرة « نجد » والجانب الغربى لبادية الشام (١) .

(١) التاريخ العربى القديم ص ٣٧ و ٣٨ .

ولقد جاء في بحث « جواد على » عن الميناء الحجازى [لويكة كومة - المدينة البيضاء] : أن هذه المدينة [من أهم الموانئ الحجازية على عهد البطالسة . ويرى بعضهم أن هذا الميناء هو الحوراء ^(١) مرفأ سفن مصر إلى المدينة ويظهر أن الحوراء كانت من المواضع الجاهلية القديمة . وقد وجدت بها آثار قصور . ويظهر أن تجارة هذا الميناء كانت عامرة جداً فكانت القوافل التى تنقل البضائع بين « بصرى » وبين « لويكة كومة » فخمة جداً حتى كأنها قطع كبيرة من الجيوش تقع بنقل الأموال من الميناء إلى « بصرى » ومنها إلى السوق ، أو بنقل التجارة الواصلة إلى بصرى من العراق أو الخليج أو اليمن ومنها إلى ذلك الميناء لتصديره إلى مصر وحوض البحر المتوسط . ويتبين من إهمال الكتب اليونانية أو اللاتينية ذكر هذا الميناء بعد الميلاد : أن شأنه أخذ بالأفول من ذلك الوقت ^(٢) .

ويقول جواد على : [ورعمة جزء من أجزاء الجزيرة العربية وقد ذكروا مع « سبأ » في أسفار « حزقيال » في معرض الكلام عن التجارة فذكر أنهم كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب . وأن أرض رعمة يجب أن تكون منطقة تقع في الأقسام الغربية من شبه الجزيرة العربية - ومن الظنون التى تبحث عن (أوفير) ظنون تؤكد : أن « أوفير » فى اليمامة] ^(٣) أو على شاطئ الخليج الإسلامى .

وقال جواد على : [وأما اليونان والرومان ففى الأخبار المدونة فى كتبهم عن ذهب الجزيرة وجودته ووفرته واستخراجه قطعاً قطعاً نقية من مناجمه ووجود الأنهار التى تحمل مياهها أتربة الذهب وأمثال هذا من قصص ما فيه الكفاية عن رأى القم فى ذهب الجزيرة وكثرته - ولقد أشار الإسلاميون إلى مواضع عديدة فى جزيرة العرب عرفت بذهبها أو بوجود معادن أخرى فيها] ^(٤) .

(١) جاء فى دائرة المعارف الإسلامية : أن (شبرنجر) تعرف على الحوراء وقال : إنها عين الحوراء - راجع

مادة الحجاز مجلد ٧ / ٣١٢

(٢) جواد ٣٧٩ / ٢ ورأى (ونست) أنها « لويكة كومة » هى : « المويلح » فى الوقت الحاضر وظن

آخرون أنها « عينوتة » أو « الحربية » وهى تابعة لإمارة ضباء على ساحل البحر الأحمر .

(٣) جواد ٢٧٨ / ١ .

(٤) جواد ٤١٥ / ٢ .

ويؤكد لنا المؤرخون العرب قصة الكنوز التي عثر عليها (عبدالله بن جدعان) في قبور الجرهمين .

وينقل «كرد على» عن جغرافية استرابون : [أن كل عربي كان قبل المسيح إما تاجراً وإما سمساراً]^(١) .

وأثبتت بحوث « عبدالله فلبى » في نجد وفي اليمامة وفي منطقة الظهران وشواطئ الخليج العربي - أن للفينيقيين آثاراً في اليمامة وفي شواطئ الخليج العربي تدل على حضارة قديمة بلغت مستوى لا بأس به وأن نجداً من الأراضي التي سكنها الإنسان منذ عصره الحجري .

فمجموع هذه الأقوال التي يعثر عليها الباحث في مختلف المصادر - وفي غير مكان واحد من موضوعات التاريخ القديم لقلب الجزيرة - ترسم لنا صورة وإن كانت غير متكاملة ، فهي على كل حال تعطينا فكرة عن تلك الحياة الرخية ، وعن نشاط الذين أثاروا الأرض وعمروها . وتؤكد لنا : أن عرب قلب الجزيرة تجاوزوا الحياة البدائية بمراحل ، فالأمة التي تعرف كيف تستخرج الذهب والنحاس ، وكيف تتاجر بالعطور والبخور والتوابل والنسيج والذهب والأحجار الكريمة أمة تعرف دون شك من معاني الحياة أكثر مما يعرفه سكان الغاب المتوحشون أكلة العقارب والخنافس كما يصفهم الشعوبيون .

٥ - فنحن إذا مارجعنا إلى مايقال عن : (إم ذات العباد) - ولاإم ذات العباد بحث خاص من حق موضوع : « التاريخ العربي في جنوبى الجزيرة العربية وشرقيها » القادم فى هذا الجزء إلحاق التحقيق فى قصة إم ذات العباد به - نجد أن الخيال الذى تفنن فى تصوير هذه المدينة اعتمد على الاقتناع بحضارة قوم عاد ، وقدرتهم على الإنشاء والتعمير والبذخ فى الزخرف والمغالاة فى الترف ، ونجد الخيال منصرفاً مع اقتناع العربى فى القرون الإسلامية الأولى إلى أن قوم عاد وقوم سبأ لم تكن لهم دولة فى غير اليمن . فلذلك لم

(١) الإسلام والحضارة العربية ص ١٢٠ .

يخالط أخیلتهم شيء من الحقائق التى أثبتت أن دولة عاد الأولى كانت فى وادى القرى شمالى الحجاز ، وأن مملكة بلقيس السبئية كانت من ممالك شمالى الحجاز قريبة من مملكة سليمان - حيث إن الحقائق أثبتت أن عاداً الثانية هى التى انتقلت إلى اليمن وأسست دولتها فيه ، وأن بداية دولة سبأ فى اليمن كانت فى القرن السابع قبل الميلاد أى بعد عصر سليمان بن داود بثلاثة قرون .

فلذلك نرى الروایات التى كانت رائجة فى العصر الأموى وما بعده غارقة فى الخیال الذى تصور مدينة إم ذات العباد متحركة تارة تكون فى الشمال ، وتارة تكون فى الجنوب ، وأن بلقيس سيدة سبأ كانت تمكك اليمن فى مطلع الألف الأخيرة التى سبقت الميلاد . .

٦ - فلو أن أصحاب هذه الروایات توافرت لهم المصادر التى تعب الباحثون المتأخرون فى تحقیقها لأبدوا شيئاً من الاهتمام بما كان يقوله بعض المحققين القدامى عن قوم عاد وأنهم كانوا فى وادى القرى على مقربة من حجر ثمود ، وأن لسبأ دولة كانت فى شمالى الحجاز فى المنطقة التى تضم المدينة المنورة - والعلا .

ونحن الیم نقصنا الأدلة الأثرية التى لاشك فى العثور عليها لو تفرغت للبحث عنها هیئات رسمية ذات إمكانيات حكومية مثل الهيئات التى كفلت نفقاتها حكومات سورية فى سورية ، وحكومة الأردن فى شرقى الأردن . فالآثارهى التى يمكن أن تجدد تاریخ الحضارة فى الحجاز القديم - الحجاز الذى عمره العمالق والإرميون أیلم سلطانهم على مصر وعلى سورية وعلى العراق . ويمكن الاعتماد عليها فى تحديد الحضارة التى تشير إليها بعض آثار الیامة وماتكشف فى أوديتها .

فما لاشك فيه : أن مافى مدائن صالح ، وما فى خربات منطقة العلا ، وما فى حجر الیامة من آثارهى عناوین بارزة لصفحة مليئة بحضارة عريقة قديمة .

فلقد أكد علماء الجیولوجیا : أن انخفاض مستوى الماء فى جزيرة العرب أثرأیما تأثير فى حضارة سكانها - أضف إلى ذلك الأسباب التى ذكرها « كارلتون كون » - الذى يقول : [إن العصر الثالث الذى أفترضه وأسمیه عصر الجمل وتضاؤل التجارة لهو نفس العصر الذى یسمیه « دیلافيدا » عصر الظلام . وهو عصر استمر من القرن الثالث حتى القرن السابع بعد الميلاد . وقد نسأل لماذا كان هذا العصر عصر الظلام ؟ بما أن شبه

الجزيرة كانت دائماً تعتمد على التجارة الخارجية - فلا بد أن أحداثاً خارجية كانت مسؤولة عما حدث . ففي هذا العصر تدهورت قوة « روما » وانتقلت سوق التجارة إلى « بيزنطة » وكان للبيزنطيين طرقهم الخاصة إلى الشرق المارة بواحات تركستان إلى شواطئ بحر قزوين ومنخفض القفقاس والشواطئ الجنوبية للبحر الأسود ^(١)

٧ - وإننى إخال : أن فيما مر بنا عندما بحثنا في اللغة العربية والخطوط التى دونت بها أدلة كثيرة توضح لنا مختلف الحالات التى مرت على هذا الجزء من البلاد العربية ، والتى انتهت بيقظة قريش واهتمامها بالوضع السياسى عندما أخذت تضيف إلى اهتمامها بالتجارة وأرباحها ، الاهتمام بعلاقتها مع دول ما قبل الإسلام ، وتدعيم الكيان العربى وحمايته مما أصابه في قوميته وفي لغته . وما تلك اليقظة إلا إرهاب لبعثة محمد وشريعة محمد ﷺ . ولكنهم كانوا كاليهود في المدينة الذين كفروا لما جاءهم ما كانوا به يوعدون ، فلم يكن موقف عقلاء قريش ومفكرها وغير قريش من الذين أنكروا الوثنية التى أذلت العرب أمثال : أمية بن أبى الصلت ، وعبدالله بن جحش من الدعوة الإسلامية ، بأفضل من موقف العمالق مع موسى .

ثم التاريخ السياسى القديم لجزيرة العرب - إنه ينبئنا عن وجود دول في الحجاز كان لها شأن في مكة أشار إليه ابن جرير الطبرى في تاريخه عندما تكلم عن النسب النبوى ، وكان لها شأن في شامى الحجاز تشير إليه الآثار والخطوط التى أقنعت المستشرقين بوجود دول في شامى الحجاز عرفوا في بحوثهم بأسماء متعددة منها اللحيانيون والمعينيون والسبثيون والدديون .

وينبئنا : أن العرب الذين انتزعوا بقيادة سرجون « الهلال الخصيب » من الدول القفقاسية والآرية التى عزلته عن البلاد العربية - لم تفتهم الفرصة عندما وثب الساسانيون يحدود سلطان فارس القديم . فقد تجمعت قبائل إياد وقضاعة وغيرها من القبائل العربية على حدود (السواد) للذود عن الكيان العربى المحطم وإعادة القومية والأجداد العربية للعراق . وينبئنا بغير ذلك من المواقف العربية في تاريخ النضال العربى الطويل .

(١) قصة الشرق الأوسط ص ١٠٠ .

والحديث عما ينبئنا به التاريخ السياسي القديم لجزيرة العرب ، له بحث في الجزء الخاص به من هذا الكتاب ؛ أما هنا فتكفينا الأدلة التي قدمناها . فلولم يكن أماننا غير التجارة دليل لكفى - فكيف بنا ونحن نجد الجيولوجيين يؤكدون : أن قلب الجزيرة كان في الزمن القديم أكثر صلاحية لحياة الإنسان من مناطقها الشمالية القريبة من المناطق الثلجية ، ونجد من يؤكد : أن قلب الجزيرة وجنوبها كانا أسبق من سكان وادي الفرات ووادي النيل إلى استنبات الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة ، ونجد من يؤكد : أن العرب في ماضيهم القديم عرفوا طريقة التعدين فاستخرجوا النحاس والذهب من بطن أرض الجزيرة العربية ، ونجد آثار الماضي البعيد تؤكد لنا : أن العرب في جاهليتهم الغابرة كانوا أكثر من تجار ، كانوا مزارعين يستنبتون الأرض حبوباً وثاراً ، وكانوا معماريين أشادوا القصور ونحتوا من الجبال بيوتاً ، وكانوا محاربين فتحوا الممالك وأنشأوا الدول .

فالحقائق التاريخية التي انتهت إليها بحوث المتأخرين لم تجعل مجالاً لذلك الشك الذي كان يهيمن على بحوث المستشرقين . ولكن الشك الذي مازال باقياً هو : الشك في العصر الذي بدأ المجتمع العربي يقيد الحياة العربية في قلب الجزيرة بالنظم والتقاليد ويفرض عليها الخلق الاجتماعي .

٨ - فليس من السهل معرفة التاريخ الذي بدأ فيه سكان قلب البلاد العربية حياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية على أساس نظم يحمى حقوق الأفراد ويوجه الجماعات إلى مايسعد حياتها ويرعى مصالحها العامة .

إن التاريخ الاجتماعي والسياسي في الحجاز بدأ على ما أرجح عندما دوى صوت إبراهيم عليه السلام يؤذن بالحج إلى البيت الذي أقيم مثابة للناس وأمناً . فلقد قلم إبراهيم وإسماعيل بأمر من الله يطهران البيت للطائفين والركع السجود - فتطهير البيت الذي أشار إليه القرآن الكريم اتخذه بعض المفسرين دليلاً على أن العرب في مكة كانوا في وحل من الفوضى الدينية والاجتماعية أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام في مكة منها . فبين « حراء . وثور » في مكة - أذن إبراهيم بين العرب بالدعوة التي أمر بها : [وأذن

فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ [(١)] ، ففي مكة وضع أول بيت للناس مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات - وفي مكة دعا إبراهيم ربه : [رَبَّنَا وَإِنَّا بُعِثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (٢) وفي مكة استجاب العرب للنظام السياسي ورضخوا لواجبات الحياة الاجتماعية ورضيت جموعهم بزعامة إسماعيل وخلفائه .

على أنه يوجد من المؤرخين من يقول : إن تاريخ إبراهيم لم يكن البداية للحياة العربية المتحضرة . ويوجد من الأدلة الكثير مما يؤكد قول هؤلاء - فالتجارة العربية وطرقها ، وزراعة الأرض وأساليبها ، واللغة العربية وخطوطها ، كلها أدلة تؤكد قدم الحياة الاجتماعية والحضارة العربية .

وعصر إبراهيم في فلسطين متأخر بالنسبة للدول العربية في فلسطين والحضارة العربية وآثار العاديين في شمالى الحجاز . على أن هناك من يقول : إن هوداً نبى قم عاد وصالحاً نبى قم ثمود بعثا قبل إبراهيم - وقد سبق ترجيح قدم عهد إبراهيم .

والأدلة تثبت أن العماليق والإرميين عندما استولوا على الهلال الخصيب وعلى مصر ، كانوا أصحاب عقيدة ولغة ومجتمع متحضر ، وكانوا على مستوى أثر على عقائد السوموريين في العراق ، والفراعنة في مصر ، وعلى لغتهم ومجتمعاتهم المتحضرة ، مثلما تأثروا هم كذلك بتلك العقائد واللغات والمجتمعات .

وإن النصوص الأثرية تنفى كل ما قيل عن بداوة الساميين الذين أسسوا الدول العربية في الهلال الخصيب ، وفي الصحراء العربية بوادى النيل ، وأنهم كانوا قبائل من الوحشية في صميمها جهلاً وضيق أفق ، لا يعرفون من الحياة غير النهب والسلب ثم العودة إلى رؤوس الجبال وبطون الأودية .

وهذه الأقوال التى توجد في مصادر التاريخ العربى صحيحة تؤيدها أدلة قوية ، ولكن

(١) سورة الحج آية ٢٧ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة آية ١٢٩ .

حلقات التاريخ لابد لها من روابط ولاشئ يربط بين حلقات التاريخ مثل الدين واللغة ، وأديان أمم الطور الأول - العرب العاربة - كما رأيناها في بحث الأديان لم تكن لها مثل تلك الرابطة التي أوثقتها صلة إبراهيم واعتمدت على قواعد البيت الحرام . واللغة العربية تفرقت بها اللهجات في الشمال وفي الجنوب حتى خيل للكثير : أن لغة العرب العاربة بادت معهم ولم تبقى منها باقية ، فمئذ ارتفعت قواعد البيت ارتفعت راية القومية العربية وأصبح لها نقطة ارتكاز وانطلاق ، وتأسس المجتمع العربي على أساس التعاون للمصلحة المشتركة والخلق الفاضل الذي دعت إليه ملة إبراهيم ، وتأسست الدولة العربية للحفاظ على الحرية والأمن وحماية المقدرات العربية وصيانة المنافع العامة .

فلقد ذكر الطبرى - في كلامه عن نسب عدنان - أسباء ملوك جمعوا شتات العرب في قلب الجزيرة وأمنوا خائفهم ، وردوا كل طريد وأصلحوا بين الناس وأقاموا في كل بلد عربى دارضيافة وبلغوا من الشأوماجل « أمية بن أبى الصلت » يفاخر بهم ملوك بنى الأصفر القياصرة :

إن الصفى بن النبيت ممالكاً
أعلى وأجود من هرقل وقيصر
والطبرى الذى نوه بتلك الأساء ، حرص على أن يسلسلها إلى (قيدار) حفيد إبراهيم .

٩ - ومن قصة إبراهيم تتبين لنا جوانب الحياة العربية والمجتمع الذى تأسس في عصر إبراهيم ، وحظ المرأة فيه - ففي قصة إبراهيم وزيارته لابنه إسماعيل واستقبال زوجه الأولى وتدميرها من الأزمة المالية التى كانت تعانيتها أسرة إسماعيل ، ثم زيارته الثانية والحفاوة التى لقيها من زوج إسماعيل الثانية واستقبالها له بالمظهر الذى يليق بربة البيت ولايخدش سمعة الأسرة أويكشف واقعها ، ووصية إبراهيم لإسماعيل في زيارته الأولى بأن ينفصل عن زوجه المتبرمة الثروة التى لاتمثل كرامة الأسرة ، ووصيته في زيارته الثانية بأن يحفظ عليه زوجه القنوع الكتم ، دليل على أن المرأة كانت ذات أهمية وشأن في المجتمع العربى .

وكذلك نحن إذا رجعنا إلى قصة وفد عاد التى يتحدث عنها المؤرخون العرب بمنطقهم وبما في أخيلتهم من صور ذلك الماضى البعيد ، نجد أن للأم ومكانة بيتوتتها شأنها في

الزعامة والرياسة . فلقد أنكر بعض أعضاء وفد قم عاد الذى جاء إلى مكة يستغفر ويطلب الغيث فى ظلال البيت الحرام - على رئيس الوفد أن يتنبه ضميره لما فى الوثنية من ضلال وجحود فيدعو إلى تركها ، فقال له شاعرهم إنك من سراة عاد وأمك من ثمود . فنحن إذا ما قرأنا هذه القصة لا يمكننا أن نحجز الخيال ونشيع بالبحث عما تتم عنه هذه القصة وما فيها من شبه بالقصص التاريخية فى عصور الملكية فى أوروبا وما كان للمصاهرة بين الملوك من أثر فى ربط الأواصر السياسية بين دول ما قبل الحرب العالمية الأولى .

فكل من القصتين يشعرا بأن العرب فى عصورهم الغابرة كانوا يقدرون أثر المرأة فى الحياة الاجتماعية العامة وفى تربية النشء ، ومكانها فى المسرح السياسى ، وتقدير المرأة فى حياة الأسرة يفرض العناية بإنشائها وإعدادها لتقوم بواجبها ، وهذا لا يكون إلا بعد مراحل قطعها الإنسان فى طريق تطوره .

ولقد ظل العربى يقدر المرأة فى حياة الأسرة ، ولقد ظل هذا الاحترام ينبض به قلب العربى الذى يعيش فى بطون الصحارى ومنعرج الأودية بعيداً عن المدن الإسلامية وحضارتها . وإننا لنلمس ذلك الاحترام فى ندائه لها وهو يشاورها فى أمره وشؤونه :

ياربة البيت قومى غير صاغرة ضمى إليك رجال القوم والقربا
ماذا ترين ؟ أندنيهم لأرحلنا فى جانب البيت أم نبنى لهم قيبا ؟

وفى الحديث النبوى : خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء ، ما يعطينا فكرة صحيحة عن مقام المرأة العربية فى صدر الإسلام .

١٠ - والذى لا ينكر فى جاهلية ما قبل الإسلام : وأد البنت . والوآد فى الجاهلية تحدث

عنه القرآن الكريم أكثر من مرة - فلقد قال تعالى :

[وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ]^(١) ، [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ

(١) سورة الأنعام آية ١٣٧ . وحديث : خذوا شطر دينكم من الحميراء ذكره « ابن اللاتير » وقال عنه « ابن الحاجب » : لا أعرف له اسناداً وذكره صاحب الفردوس بغير لفظه عن أنس بغير اسناد . وقال « القارى » : حديث غريب - لكن معناه صحيح .

سَبَقَهَا بَغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَارَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [١].

وجاء في تفسير الطبرى في موضوع هذه الآيات [وقد هلك الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم فقتلوا طاعة لها أولادهم - ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله : وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً - الذين كانوا يحرون البحائر ويسبيون السوائب ويندون البنات . ويقول « قتادة » : هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السبى والفاقة . ويقول « عكرمة » : نزلت فيمن يند البنات من ربيعة ومضر [٢].

وقال تعالى : [وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] [٣] وجاء في تفسير الطبرى : (جعلوا لله مالا يرضون لأنفسهم ألا ساء ما يحكمون) [٤].

وقال تعالى : [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا] [٥].

فمن هذه الآيات ومما جاء في تفسيرها ، يظهر لنا أن من وثني العرب قبائل خضعت لعقائد انتقلت إليها مع الأصنام التى استوردها العرب من الشمال . فمن تلك العقائد : الأنعام التى حرمت ظهورها . والأنعام التى لا يذكر اسم الله عليها ، ومنها جعل البنات لله والبنين لهم . والوثنية فى كل مكان كانت تفرض عقائد تتنافى مع الرحمة والضمير . فلقد

(١) سورة الأنعام آية ١٤٠ .

(٢) تفسير الطبرى ٨ / ٣٥ وما بعدها .

(٣) سورة النحل آية ٥٧ وما بعدها .

(٤) تفسير الطبرى ١٤ / ٨٤ .

(٥) سورة الإسراء آية ٣١ .

كان الفينيقيون في سورية يقدمون أعز آبائهم أضحية للآلهة تلتهمه النار حياً . وكان البابليون في العراق والفرعنة في مصر يضحون بعفاف بناتهم باسم الآلهة - فوآد البنت أقدم عليه العربى طاعة للشركاء الذين جعلتهم الوثنية أنداداً لله ، ثم استغل هذه العقيدة الضعاف الجهلة ، إما تخلصاً من عبء البنت ، وإما خوفاً من أن تقع غنيمة عدو يمرغ عفافها في وحل الرذيلة .

فالوآد طاعة للوثنية أو خشية إملاق أو سبى لم يكن عاماً عند العرب جميعهم ، وإنما كان في قبائل من ربيعة ومضر . وكانت المرأة في ربيعة ومضر تحتل مكانتها إذا سلمت من القتل : وأدأ ، أو قذفاً من قمة جبل ، أو ذبحاً بالسكين - مثل المرأة في سائر القبائل العربية . وفي أخبار العرب وقصص حروبها الشيء الكثير عن المرأة العربية في المجتمع العربى .

١١ - ونحن إذا ما قلبنا صفحات التاريخ العربى نبحث عن الوضع العربى في جاهلية ما بعد الميلاد . نجد أولئك الذين حدثونا عن مفاخر المكيين بعد إسماعيل وقالوا : إن للعرب البائدة دولا ذات عظمة وسلطان كبير ، يقولون عن جاهلية ما قبل الإسلام : إن العرب يرجعون في حوادثهم الاجتماعية إلى رؤساء قبائلهم وكلهم يحكمون في مشاكلهم أهل الشرف والأمانة والرياسة والسن والمجد والتجربة - فما معنى هذا ؟ إنها العودة إلى الحياة القبلية . والعودة إلى الحياة القبلية أمر لا مفر منه في تلك العصور لكل أمة أخنى على كيانها السياسى والاقتصادى الزمن المتقلب .

لذلك نحن لا نجد من المؤرخين من يقول : إن العرب في عصرهم الجاهلى الأخير أنشأوا دولا كالتى أنشأها الإرميون والعاليق والاسماعيليون في البلاد العربية ، ونجد أكثرية المؤرخين لا تتحدث بغير الجاهلية المظلمة بكل ما ينجم عنها ويترتب عليها ، وبغير الفوضى التى أوشكت أن تعيد العرب جميعهم إلى حياة الغاب التى فارقها الإنسان من أقدم عصوره .

فلقد حجب ظلام هذه الجاهلية ماضى العرب القديم في قلب الجزيرة فظن الكثيرون : أن هذا الظلام مخيم على هذه الأرض منذ الأزل ، وأن العرب في هذا الصقع لم تكنحل أعينهم بنور الحضارة .

١٢ - ولقد تحمس أعداء العروبة قبل الإسلام وبعده في نشر مثل هذا الظن ، كما

سنرى فى الجزء الخاص بمصادر التاريخ العربى من هذا الكتاب . وكان من تأثير دعاية خصم العرب أن انصرفت بحوث المفسرين والمؤرخين إلى الناحية القائمة من تاريخ عاد ، وشمود ، وجُرهم ، والعاليق وغيرهم من شعوب الماضى البعيد . فلم يعن المشتغلون بالتاريخ العربى بغير الإشارة العابرة إلى ما حفل به الماضى العربى القديم ، فجعل ما قالوه عن ماضى قلب البلاد العربية لا يزيد عن كلمات مستعجلة نوهت بما لعاد وشمود من دول فى شاملى الحجاز ، وبما لطسم وجديس من دول فى اليمامة . ولا يزيد عن سرد الروايات التى تحمل الأنباء الغامضة المحجبة بالخيال القصصى عن العاليق والجرحمين وتنازعها على السلطان فى مكة إلى أن أتت خزاعة ومن بعدها قريش ، فلم يبق أى أثر للنفوذ الجرحمى فى أم القرى وما حوله ، فما أكثر ما اجتمع الشمل فى مكة وما أكثر ما تفرق كأن لم يكن : :
كأن لم يكن بين المحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكذلك كان ما يقال عن العاليق الذين انتزعوا السيادة على المدينة من أبناء عمومته (عليل) الذين نزحوا إلى الجحفة فأخذهم سيلها ، وما يقال عن تكتل اليهود فى المدينة وتسلطهم على اقتصادياتها ، وكيف قضوا على شأن العاليق ولولا الأوس والخزرج الذين استوطنوا المدينة وهيموا على مقدراتها السياسية لكان لليهود ما أرادوه . وكذلك كان ما قالوه عن طسم وجديس فى اليمامة ، وما قالوه عن سكان جبل طىء - أخبار قصيرة وكلمات متناثرة فى بطون التفاسير والمؤلفات التاريخية والأدبية .

ولكن هذه الكلمات الموجزة المستعجلة على إيجازها وغموضها ، وهذه الروايات التى تحم حولها الآراء منتظرة التحقيق العلمى لتحكم لها أو عليها - تؤكد لنا على إيجازها وغموضها والشكوك التى تحيط بها : أن للعرب فى ماضيهم القديم شأنًا أكبر بكثير مما كان للعرب فى جاهلية ما قبل الإسلام - فالمؤرخون أمثال : الطبرى ، وصاعد ، وابن خلدون - وإن لم يجدوا من الأدلة ما يدعم إشارتهم إلى دول الحجاز فى مكة وفى وادى القرى وسواحل الحجاز ، أو يوضح شيئاً من النظم التى قلم عليها المجتمع فى أم القرى ، وفى

المدينة ، وفي الطائف ، وفي الحجر ، وفي مدين ، وفي اليمامة وقريتها^(١) - فإنهم كانوا على ثقة من وجود نظم إدارية وسياسية واقتصادية قامت عليها الدول العربية التي وصفها صاعد بأنها دول ضخمة ذات سلطان كبير . فالسلطان الكبير لا يقع على غير نظم يصحح الأوضاع ويجعل للدولة نفوذها في التخطيط الإداري ، والسياسي والاقتصادي .

١٣ - فمثل العرب قبل الإسلام مثل العرب بعد الإسلام - فأين الدولة العربية التي تضارع الإمبراطورية التي ترأسها الأمويون ؟ وهل وجد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ملك أو رئيس دولة عربية يقول مثل ما قال هارون الرشيد : أينما تخطى فخراجك لنا ؟ لقد رجع العرب بعد أن رفع رايتهم الإسلام ووحدت كلمتهم شريعته ونور عقولهم هديه ، إلى وضع لا يفضل الوضع الجاهلي بأكثر من الإيمان بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، أما الفوضى الإدارية ، وأما النعرة القبلية ، أما الجهل والفقر فما أشبه اليوم بالأمس .

ولماذا نرجع الى الأمس وهذه الأمم العربية اليوم وقد ساعدها انشقاق الدول الكبرى الى معسكرين شرقي وغربي ، وقد أفاء الله عليها من الموارد ما جعلها في طليعة القادرين على تمويل كل ما يكفل لها المجد والسؤدد والنفوذ الذي لا حد له في المجال الدولي - لا تزال في مفترق الطرق ؟ !

فلا غرو إذن : إن رأينا العرب بعد دولهم الأولى التي سادت الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها ، ودوخت السوموريين في العراق واقتحمت على القوطيين وادى النيل ، يرجعون القهقري الى الحياة القبلية وتقاليدها التي يشير إليها الطبري ، ولا غرو أن وصف المؤرخون عصر الجاهلية الأخير بعصر الظلام .

١٤ - ثم التاريخ العربي الإسلامي هو كذلك أوشك أن يضيع ، وأوشكت حقائقه أن تغطيها أخيلة القصصيين الذين اتخذوا من خلفاء بنى أمية وبنى العباس أبطالا لروايات خيالية كادت تفنى شخصيتهم الحقيقية . وأكثر من هذا فقد صوروا سياسة على بن أبي طالب بما شاءته الدعاية الأموية ، ثم أمعنوا في اتهم الأمين العباسي بالغباء والسذاجة تحقيقاً لرغبة المأمون وسياسته ، الى غير ذلك مما شوه الكثير من حقائق التاريخ الإسلامي

(١) القرية حاضرة اليمامة في العصور القديمة .

العربي ، لولا أن تداركت التاريخ العربي دراسات الأكفيا من المحققين .
وهكذا أوشك أن يضيع علينا إلى الأبد التاريخ العربي القديم لولا أن تداركته
الدراسات الأثرية فطورت البحث في أحداث الماضي الغابر . فبعد أن كانت أخباره
قصصاً خيالية ليست بذات شأن يذكره المؤرخ الذي لا يحفل بغير ما هو منطقي معقول ،
أصبحت موضوعات تاريخية ذات أهمية في بحوث المؤرخين . فأخذوا يسألون وهم يبحثون
في نظم الدول العربية التي قامت في الهلال الخصيب وفي مصر وشمالى الحجاز وفي
الجنوب : في اليمن وحضرموت وعمان - : هل كان لدول قلب الجزيرة نظم على غرار نظم
هاتيك الدول الشمالية والجنوبية ؟ .. وهل خضع العرب داخل جزيرتهم للملكية كملكية
الآشوريين في الشمال ، والتابعة في الجنوب ؟ أو كان النظم السياسى في قلب الجزيرة يتفق
وما عرف عن صرامة العرب ، وشجاعته . وإبانهم ، وتعشقه الحرية التي لا حدود لها ؟
١٥ - ان المستشرقين المتأخرين عندما يبحثون في هذه الناحية لا يزدون شيئاً على
ما يقوله (ديورانت) - : [وأما من بقى من الساميين في بلادهم فقد أوجدوا حضارة
العرب والبدو وأنشأوا الأسرة الأبوية وما تتطلبه من : طاعة وصرامة خلقية ، وتخلقوا
بالجبرية وليدة البيئة الشاقة الضنيّة ، والشجاعة العمياء التي تدفع أصحابها إلى وأد
بناتهم وتقديهن قرباناً للآلهة . على أن الدين لم يكن جدياً بين هؤلاء الأقوام حتى جاءهم
محمد بالإسلام . ولم يعنوا بالفنون ، وملاذ الحياة ، لأنهم كانوا يرونها خليفة بالنساء ومن
أسباب الضعف والانحلال - وظلوا وقتاً ما يسيطرون على التجارة مع الشرق الأقصى .
تتكس في ثغورهم غلات جزائر الهند ، وتحمل قوافلهم تلك الغلات وتنقلها في الطريق
البرية غير الآمنة الى فينيقية وبابل . وشادوا في قلب الجزيرة العريضة : المدن والقصور
والهياكل . ولكنهم لم يكونوا يشجعون الأجانب على المجيء إليها ورؤيتها - ولقد بقى
هؤلاء الأقوام آلاف السنين يحيون حياتهم الخاصة بهم محافظين على عاداتهم
وأخلاقهم] (١) .

وديورانت على ما يظهر : فرض الوضع العربي عشية ظهور الإسلام على جميع أطوار
العرب في تاريخهم الطويل ، عندما قال : [على أن الدين لم يكن جدياً بين هؤلاء

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٠٩ .

الأقوام ، ولم يعنوا بالفنون وملاذ الحياة [: فالحياة الدينية قد تقدم الكلام عنها ، وكذلك تقدم الكلام عن آثار العلا والحجر واليامة - ثم إن ما جاء في كلام ديورانت نفسه : وشادوا في قلب الجزيرة العريضة : المدن والقصور والهياكل ، يثبت أن العرب في قلب الجزيرة كانوا يعنون بالحياة وملاذها وبالعقائد وطقوسها ، وإنما الذين كانوا لا يعنون بملاذ الحياة هم القبائل الرحل . وفي كل أمة : حاضرة وبادية . ومما لا جدل فيه أن ملاذ الحياة تختلف باختلاف البيئة : ثم السعادة وملاذ الحياة ما هي ؟ وأين تكون ؟ لقد اختلف الناس في مكانها . هل هي مضمخة بالعطور تشاءب في القصور الفخمة ؟ أو هي منطلقة بين خيام الصحراء المتواضعة وبين الحقول النظرة .

وكذلك فعل « كارل بروكلمان » عندما بحث في أوليات الأدب العربى فقال : [إن سكان شبه جزيرة العرب منذ القدم ينقسمون إلى مجموعتين شعبيتين تفصل فروق بعيدة العمق إحداها عن الأخرى ، ففي السهل الساحلى الخصيب في الجنوب ، وفي السفوح الزراعية الكثيرة والمتدرجة وراء ذلك السهل في تصاعد يبلغ مرتفعات شاهقة ، اختلط (من قديم) الجنس الشرقى الذى يكون نواة الأصل السامى بعناصر من أجناس البحر الأبيض المتوسط ، وعناصر زنجية في بعض الجنوب ، لما يبدو من امتداد العلاقات بالساحل الإفريقى المقابل إلى زمن ما قبل التاريخ . وهكذا أوطن السكان هنا في زمن مبكر ، وأنشأوا بفضل موقعهم الجغرافى على طريق التجارة الهندى المصرى عمراناً مادياً رفيعاً . على أنه وإن كانت دولهم سبياً ، ومعين ، وحير ، قد أرسلت قوافل تجارية إلى الشمال في بلاد الشام كما أنزلت جاليات من معين في بلاد (العلا) القريبة من مدائن صالح ، فقد حال تكوين هذه الدول الإقطاعى دون نمو نظام سياسى دقيق ، أو قيام سلطان قوى ، لتغلب سادتهم على الملوك . وتناهت حضارتهم العقلية إلى قيام تشريع ينظم جميع العلاقات الملكية بعناية ودقة . ولكن نقوشهم الكثيرة العدد حيث كانت ليست ذات غناء للنظرة التاريخية . أما أهل شامى تهامة وهضبة نجد فإنهم وإن تقدموا منذ زمن طويل قبل الميلاد نحو سورية وبلاد ما بين النهرين ، قد احتفظوا بطابع سلالتهم الأصلية على مستوى أنقى . وكانت بذرتهم الأولى تتألف من العرب الرحل الذين حفظت لهم حياة

البداءة عقولهم وأجسامهم غضة ناضرة ، ولم تقم لهم مستعمرات حضرية إلا على طريق التجارة في أراضي الحجاز الساحلية . ولكن العرب أقاموا في هذه المدن متميزين في أحياء وقبائل مثل أبناء عمومته من البدو الرحل . ولم تنشأ إمارات عربية إلا في أطراف الصحراء وتحت تأثير الدولتين العظمتين : بيزنطة الرومية وفارس . فقد قامت إمارتا دمشق والحيرة اللتان جمعتا أيضاً في بعض الأحيان مجموعات كبيرة من البدو ، تحت سيادتهما [١] .

فبروكلمان وأمثاله من المستشرقين المتأخرين لا يذهبون ببحوثهم إلى عصور ما قبل الميلاد . فلذلك تراهم عندما يبحثون عن صلات المعينين والسبئيين بالشمال الحجازي لا يذكرون غير الصلات التي كانت تربط بين العلا في شالي الحجاز وبين معين وسبأ في الجنوب . أما عن تاريخ المعينين والسبئيين القديم في شالي الحجاز فهم لا يتحدثون عنه ، ولذلك رأيانهم ينكرون ما اقتنع به من سبقهم من المستشرقين في موضوع اللغات السامية ، ولا يهتمون بما يقولونه عن اللغة العربية وإنها هي أم اللغات السامية .

فهم كما تراهم لا يلقون بالا ، لا إلى ما جاء في بحوث من سبقهم من المستشرقين ، ولا إلى ما جاء في المؤلفات العربية عن نشوء المجتمع المكي بعد بناء البيت وعن دول : عاد وثمود ، وعبد ضخم ، وطسم ، وجديس في مكة ، والمدينة ، والحجرين : حجر ثمود وحجر اليمامة ، والطائف - لأن النقوش التي وصلت إلى أيديهم ليست ذات غناء للنظرة التاريخية على تعبير (بروكلمان) ، ولأن أهل التوراة لا يعرفون شيئاً عن أخبار عاد ولا ثمود ولا هود ولا صالح ولا أحد من العرب العاربة ، لأن سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم إنما هو لمن كان في عمود النسب ما بين موسى وآدم ، وليس لأحد من آباء هؤلاء الأجيال ذكر في عمود ذلك النسب ، كما يقول ابن خلدون (٢) .

١٦ - ولعل (سيدو) أحد القلائل الذين أشاروا إلى الوضع السياسي في قلب البلاد العربية في كلامه عن التنافس بين الكنعانيين والإسعاعيليين : [ولكن مع بدء تنافس

(١) تاريخ الأدب العربي ص ٤١ و ٤٢ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١ / ٣٧ و ٣٨ طبعة النهضة .

الأروميتين الكبيرتين : العرب العاربة ، والعرب المستعربة - فكان يبحث عمن يكون رئيساً لاتباعه الجميع عند الإغارة ، وعن المكان الذى يكون مركزاً للشعب العربى . وكانت لكلا الحزبين قاعدته - وودّ بنو إسماعيل أن تكون الصدارة لمكة فاستندوا فى دعواهم إلى قدسية ما تحتويه من الآثار . . . وود بنو قحطان أن تكون مرتبة الشرف لصنعاء فذكروا فى دعم زعمهم غنى اليمن وقدم أهلها فطلبوا أن تكون صنعاء عاصمة لبلاد العرب - ولم ينته الصراع بين الفريقين إلا فى القرن السادس حين كسبت مكة دعواها ، أى حين رأى محمد إمتاع بلاده بالوحدة الدينية . وظلت نجد والحجاز سالمين من أى تسلط أجنبى فإليهما وجب أن تلجأ كل قومية عربية لتتير الخارج فيما بعد . ولم تقع فيها دولة متسلسلة المراتب كدولة التبابعة ، فكانت تملكها قبائل مستقلة راضية بأن تدير أمور نفسها بنفسها مضحية بكل غال لوقاية حريتها ، ولم يتغير منظر هذه القبائل ولا تاريخها منذ قرون ، فكانت كالمجتمعات الصغيرة المتائلة فى الطابع والعادات والأخلاق ، المنفصل بعضها عن بعض فى النظم السياسى [١] .

فهؤلاء القلائل - وإن كانوا يستبعدون فى بحوثهم أن يكون للعرب دول فى جزيرتهم - وإن كانت بحوثهم مقتصرة على عرب ما قبل الإسلام - فهم مع كل ذلك لم يستقوا من بحوثهم ما فطر عليه العرب من صراحة وأنفة وانطلاقية ، ولم يحرموا العرب الذين ظلوا داخل جزيرتهم من التطلع إلى الاستقرار السياسى . وهم فى بحوثهم المتأخرة متأثرون بما جاء فى الآثار الآشورية وفى النصوص الرومانية والفارسية عن العرب الذين كانوا يناوئون كل نفوذ أجنبى ، والذين كانوا يطمحون لإعادة السلطان العربى إلى الهلال الخصيب . فما أشبه الدولة الآشورية بالدولة العباسية ، فكلتا الدولتين العربيتين وطدت دعائمها بسيوف غير عربية لعبت دورها فى الكيد للعرب والخط من شأنهم ؛ ولم تكن دولة فارس أو إمبراطورية الرومانيين بأقل حقداً على العرب وطمعاً فى أرضهم من الاستعمار الحديث . وهكذا منى العرب بالشعبوية والاستعمار قبل الإسلام وبعده .

١٧ - وهؤلاء القلائل عندما يقولون : إن العرب متأهبون للإغارة على مجاورهم

(١) التاريخ العربى العام ص ٣٤ و ٤٩ .

ينسبون الأسباب التي دعت الأمم العربية إلى خوض الحروب مع جاراتها منذ القدم ، فلقد اقتطع السوموريون العراق من الجسم العربي ، ثم لم يكفهم هذا حتى طمعوا في شامى الجزيرة ومواردها - فكانت حملات العرب القديمة على العراق دفاعاً عن الوطن العربى وفى سبيل الذود عن خيراته . وكذلك عندما تجمعت قبائل إياد وقضاة لإعادة الجزء الذى سلبته الدولة الفارسية ، اعتبر المستشرقون هذا النضال العربى غارات قبلية هدفها السلب والنهب .

وأغرب ما فى الأمر : أن المستشرقين عندما يذكرون النضال العربى يصفونه بغارات بربرية ، وعندما يذكرون الغزو الآرى من عهد الإسكندر الأول ومن بعده الرومانى الذى استمر إلى الحروب الصليبية إلى حملات نابليون إلى الحروب الاستعمارية التى شنّها الغرب على هذا الشرق العربى ، لا يذكرون البربرية السفاحة والوحشية المفترسة التى يمتلئها الغزو الاستعمارى بأبشع صورها المروعة .

أليس هذا مما يبعث الشك فيما يقوله المستشرقون عن العرب فى هذه الناحية ، ولا سيما الذين عاصروا الاستعمار الغربى ووقفوا بجانب دعايته التى بذلت كل ما فى وسعها لتغطية الحقيقة العربية ؟

والمهم الذى يعنى البحث هنا : أن المستشرقين فى مختلف العصور لم يستطيعوا أن ينكروا وجود الأسر الاجتماعية فى مدن قلب الجزيرة العربية ، ولم يستطيعوا أن ينكروا انقياد العربى للزعامة التى لا يرى فيها غضاضة عليه ، ولا يجد فيها ما يحرمه حريته وحقوقه إن هو سار خلفها .

وإذا كان المستشرقون الذين سبقوا الاستعمار الغربى أو الذين عاصروا اشتغال الغرب عن الشرق العربى بالدولة العثمانية وتخطيطها ، قالوا بقدم الحضارة العربية وبقدم الأسر الاجتماعية وبقدم الدولة العربية ، فإن هؤلاء قلة ، والقليل منهم : هم الذين يمثلون الرأى المعتدل الذى تجنب حملات المستشرقين الذين تأثروا بالحروب الصليبية ، وتجنب اتهامات الذين وقفوا فى صف الاستعمار الغربى . فلذلك نرى الحقائق التى جاءت فى أقوالهم يغشاها بعض ما أثاره التعصب المسيحى ضد الاسلام وأنصاره العرب ، وبعض ما أثارته الدعاية الاستعمارية .

وإذا كنت أنا هنا قد سبقت الخطوة المرسومة لهذا الكتاب التى منها وضع بحث خاص

بالمستشرقين وبما أفادوا به التاريخ العربى وبما جنوه عليه يأتى فى الجزء الخاص بمصادر التاريخ العربى ، فإن عذرى هو ضرورة البحث فى موضوع المجتمع العربى . وإذا كنت أنا هنا قد قسوت كما قد يظن فإننى قد قلت من قبل وقلت هنا وأقول فيما يأتى من أجزاء الكتاب : إن البحوث المستشرقة أفادت التاريخ العربى كثيراً وجنت عليه كثيراً ، وإن فى بعض البحوث المستشرقة تحقيقات معتدلة رصينة أنارت جوانب من التاريخ العربى لم تكن واضحة - ومن تلك الجوانب : التاريخ العربى القديم .

١٨ - فالتحقيق المعتدل - وإن لم يؤكد لنا : أن دولة « عاد » و « ثمود » و « جهم » و « العالقي » كانت على مستوى دولى كالذى كانت عليه دول اليمن والعراق - لم يستكثر على قلب الجزيرة إنشاء دولة مدبرة لأمرها متأهبة للإغارة على مجاورها إذا ما أراد مجاورها الاعتداء عليها .

والذى يستحذ على اهتمام المؤرخين فى العصر الحاضر هو تحقيق أسماء الدول والشعوب والأمكنة التى وردت فى التوراة وفى المصادر البابلية والآشورية ، وتطبيقها على أسماء الدول والشعوب والأمكنة التى وردت فى القرآن الكريم وفى الأدب العربى الجاهلى ، ثم تحديد أزميتها وناحيتها ولو على وجه التقريب - وإنك لترى مدى الجهد الذى بذل فى هذا السبيل ، والنتائج التى وصلت إليها ، فى الأجزاء الخاصة بجغرافية البلاد العربية القديمة وشعوب الجزيرة ودولها .

فالتحقيق المعتدل لم يحكم ولن يحكم على العرب الذين توصلوا بمعارفهم إلى ما فى بطن أرضهم من نحاس وذهب ، وتاجروا بإنتاجها المعدنى والزراعى ، وبنوا القصور والمصانع ، وجهزوا الجيوش ونظموها - بأنهم قبائل رحل لا يستقر بها المقام فى أرض حتى تنزع إلى أخرى .

فما لا مرأى فيه : أن الجيوش العربية التى فتحت الهلال الخصيب إلى أعلى الفرات ووادى النيل إلى أقصى الضفة الشرقية . وركزت القومية العربية فى كل جزء من أجزاء الجزيرة العربية بتشريعات دينية وإدارية واقتصادية - لم تكن قبائل متوحشة جل همها الإغارة والنهب والسلب .

١٩ - ولكن هذا كله لا ينفى رأى القائل بأن للعرب فى قلب الجزيرة نظامهم الخاص ، وتقاليدهم العريقة القريبة من النظم القبلى - فنحن نرى فى كل عصر من

عصور الشعوب وفي كل قطر من أقطار الأرض - فرقاً واضحاً بين حياة سكان العواصم المزدهمة يختلف العناصر والأخلاق والأفكار واللغات ، وبين سكان المدن البعيدة عن مثل ذلك الازدحام .

وتبرز هذه الفوارق في الدولة الإسلامية بصورة واضحة ، فالخلفاء الراشدون في المدينة لم يقيموا وزناً للمظاهر التي كان يهتم بها معاوية وخلفاؤه الأمويون في دمشق ، والمنصور وخلفاؤه العباسيون في بغداد - وعندما انتقد الخليفة الراشد « عمر بن الخطاب » وأنكر على قادة الجيش الإسلامي في فلسطين مظاهر الأبهة التي أضفوها على أنفسهم أقنعه معاوية بأنهم في بلد المظاهر فلا يكون للقيادة نفوذها ما لم تكن لها أهبتها .

على أن المدينة المنورة التي لم تقم وزناً لمظاهر الدولة وتقاليدها ، هي التي وضعت الأسس الإدارية للدولة الإسلامية العربية .

لا شك في أن هناك فوارق بين الحياة العربية في قلب الجزيرة وبين الحياة العربية في أطرافها التي اكتظت بعناصر لها تقاليدها وحضارتها ولغتها ، فها نحن في عصرنا لا نزال نرى الفوارق واضحة بين أوضاع الدول العربية ومظاهرها ونظمها الإدارية والقضائية وتقاليدها الاجتماعية في داخل الجزيرة ، وبين أوضاع الدول العربية ومظاهرها ونظمها وتقاليدها الاجتماعية في أطراف الجزيرة .

فلئن كانت بلاد الأنهار ، وشواطئ البحار ، وجوانب الطرق التجارية شهدت مجتمعات تألفت من عناصر تقلبت بها الظروف تارة غالبية وتارة مغلوبة ، ولئن كانت القاعدة العامة تؤكد : أن حضارة العنصر الغالب وتقاليده ولغته ونظمه تغطي على حضارة العناصر المغلوبة وتقاليدها ولغتها ونظمها ، فإن هذا ليس معناه أن العنصر المغلوب يتجرد من كل أخلاقه وعاداته وأفكاره ، أو أن العنصر الغالب لا تتأثر تقاليده وعاداته ولغته وأفكاره بشيء مما يفرضه عليه الاختلاط بالعناصر التي تعيش معه والتي غلبت على أمرها .

فلا بد لدستور الدولة وتشريعاتها من مراعاة الأقليات مهما صغر شأنها ، ولا بد لتقاليد المجتمع من أن تألف من عادات العناصر التي يتكون منها المجتمع ولا بد لأساليب حياتها من أن تتدخل في تطوير العرف الاجتماعي .

٢٠- وهذه الأسباب كان المجتمع المكى له تقاليد لم تخل من العادات والطباع التي تأثرت بها قريش من احتكاكها بحجاج البيت الحرام ، وبما عرفته في رحلاتها لسورية والعراق ومصر والحبشة . وهذه الأسباب كان لزاماً على « قصي بن كلاب » أن ينظم الوضع الاجتماعي والإداري في مكة بما يتفق مع مركزها ، ويحدد واجبات الحج الضخمة التي على قريش أدائها . فيعين المسؤوليات ويقسمها بشكل قد نكون مبالغين إذا قلنا : إنه يشبه تشكيل الوزارات وتحديد مسؤولياتها في الوقت الحاضر .

٢١- فعلى كل باحث في التطور الاجتماعي ، وفي النظم السياسية في الشرق العربي ، أو في أية أرض تضم مجموعة من الدول ذات العنصر الواحد ، سواء أكانت تلك الأرض شرقية ، أم كانت غربية - أن ألا يغفل عن البيئة ، ومؤهلاتها ، وإمكاناتها ، والفرص التي تتخطى شعوباً لتصل إلى شعوب أخرى ، ولا يغفل عن أن هذه الفرص كالحظوظ الفردية التي تهجر هذا لتحضن ذلك ، فكثير من الأقطار العربية ، بل كثير من المدن في القطر الواحد ، دارت بها عجلة الزمن من شاحق المجد والثروة والنور إلى أسفل سافلين من الانطوائية والفقر والظلام .

فقليلة جداً الأقطار التي تملك من المؤهلات والإمكانات ما يمكنها من الاحتفاظ بحضارتها ومستواها السياسي ، ولكن مهما ألفت الأقطار من أسباب الظهور على المسرح الدولي فإنها لا تعدم نظماً تحمي حقوق الأفراد ولا تعدم تقاليد تسير عليها حياة المجتمع . فإذا كان الأقدمون قالوا من قبل : إن لكل زمان دولة ورجالا ، فإنني أقول هنا : إن لكل دولة ورجال أسباباً تهيم بها ولهم البروز تحت الشمس . فمن أسباب بروز الدولة العربية في العصر الحاضر ونبوغ رجالاتها في المجال السياسي ، ومن بواعث التنظيم الذي يكفل تطور المجتمع : الثروة البترولية التي أعزت الشواطئ العربية على الخليج الإسلامي وسلطت عليها الأضواء بعد أن انزوت في غياهب الفقر والجهل منذ أن ألفت موانئها من السفن التجارية التي كانت تنهادى في بحارها كأنها الأعلام .

فهذه الشواطئ التي كانت إلى وقت قريب منزوية منطوية على نظمها وتقاليدها العتيقة ، أصبحت بقدرة قادر ذات دستور دولي ، وذات وزارات وأعضاء في المجالس

العالمية لهم صوتههم ولهم مكانتهم المرموقة .

فليس شأن هذه السواحل اليم بأكثر من شأن وادى القرى وعواصم الدول التى لمعت فى الماضى العربى القديم ، وليس شأن هذه السواحل بالأمس ، كشأن مكة ذات السؤدد الخالد والمجد الذى لا يافل ما دام هذا البيت قائماً مثابة للناس وأمناً .

وليس من المنطق فى شىء إن نحن حكمنا على دول قلب الجزيرة القديمة بأنها كانت على غير نظم ، وحكمنا على مجتمعاتها بأنها كانت على غير تقاليد توثق الروابط بين الجماعات ، بناء على الوضع الجاهلى الأخير ، فإذا كانت عجلة الزمن دارت بالأُم العربية فاخفت عظمته وانزوى سؤدها وغشى أرضها ظلام جاهلية ما قبل الإسلام ، فإن هذه هى سنة الحياة وليس العرب وحدهم هم الذين تقلب بهم الزمن .

٢٢ - قد لا يكون وضع الشعوب العربية اليم صورة طبق الأصل لوضع الشعوب العربية فى أمسها البعيد ، ولكنه يعطينا فكرة قريبة فى اعتقادى من الواقع ، عن ذلك الفرق الذى كان بين نظام الدولة وبين حضارة المجتمع وتقاليد فى قلب الجزيرة ، وبين نظام الدولة وبين حضارة المجتمع وتقاليد فى الهلال الخصيب شمالاً ، فى بلاد السدود جنوباً .

ولست فى حاجة هنا إلى أن أقول : إن المقارنة بين الحاضر والماضى ، تعنى الماضى البعيد ، وإنما أنا فى حاجة إلى التنويه بما كانت عليه دول العماليق والإرمين والسبئين من بأس شديد وقوة دولية فعالة . فهى التى كانت سيدة الموقف فى الشرق العربى وهى التى رسمت الحدود السياسية للجزيرة العربية . وهى التى ثبتت القومية العربية فى العراق وفى سورية ولبنان وفلسطين ، وفى صحراء سيناء ودلتا النيل والصحراء العربية فى شرقى وادى النيل ، وفى الجنوب الغربى من الجزيرة العربية .

ولكن مع كل ذلك فإن التاريخ العربى لم ترتبط حلقاته إلا من بعد مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .

البحث العشرون :

متى عرف العرب الملاحة ؟

من موضوعات البحث :

- ١ - عمرو بن كلثوم وكارلتون كون .
- ٢ - هل العرب في الخليج الإسلامي هم وحدهم الذين ركبوا البحر ؟ رأى مؤلف كتاب (الملاحة والعرب) .
- ٣ - رأى في تحقيق مؤلف « الملاحة والعرب » .
- ٤ - تاريخ الملاحة في البحار العربية .

متى عرف العرب الملاحة؟

١ - ذكرنى ما قاله (كارلتون كون) فى كتاب قصة الشرق الأوسط : [فإن الملاحة فى الخليج تعود إلى أيام السوموريين والبابليين . وتذكر فى السجلات الأسفينية المعاصرة : أن بحارة كانوا يعيشون على سواحل « قَطُر » يدعى « الأراضى البحرية » . والظاهر أن المقصود بهذه التسمية هو المناطق الساحلية الواقعة على الجانب الغربى من الخليج الإسلامى، والمناطق الواقعة على مصب النهرين وكذلك جزيرة البحرين . ومن الجائز أنها كانت تشمل فى وقت من الأوقات « اليمامة »]^(١) .

ذكرنى قول (كارلتون كون) هذا بشعر « عمرو بن كلثم » الذى جاء فيه : « ووجه البحر غلؤه سفينا » . لقد كنت أسأل كلما قرأت هذا البيت : ماذا يعنى ابن كلثم بقوله : ووجه البحر غلؤه سفينا ! ؟ إنه ولا شك يبالغ كعادة الشعراء ، ولكن مهما كانت المبالغة كبيرة مكشوفة ، فإن الخبر المبالغ فيه لا بد أن يكون له ظل من الحقيقة . وأشعار العرب فى الفخر والحماسة تكثر فيها المبالغات . فقصة ركب النمرى فى الأدب العربى معروفة - فعلى ما فى قصة النمرى من مبالغة مفضوحة فإن هناك حقيقة فى القصة هى : أن النمرى شق الرمال، ركباً على حماره الذى أثار شيئاً من الغبار ؛ فالاعتراف بالمبالغة فى الشعر الجاهلى لا ينبئ عليه تكذيب كل ما جاء فى شعر الجاهليين ، لا سيما ما جاء فى قصائد الشعراء الذين كان لشعرهم أهمية فى نظر القبائل العربية أولئك الذين نال شعرهم من الإعجاب والتقدير ما رفعه حتى علق على جدار الكعبة . فما كان ابن كلثم فى حاجة لأن يفتخر بادعاء كهذا لا يعود عليه بغير الهزء الذى يربأ ابن كلثم بنفسه عنه لا سيما فى مثل هذه القصيدة التى كان ينشدها وهو يعلم أن هذا الشعر سوف تتناقله الألسنة فيما أن ترتفع به مكانته الأدبية أو تنخفض إلى المستوى الذى لا يرضيه .

قد يبالغ ابن كلثم فى وصف السفن وأنها من الكثرة بحيث تغطى وجه البحر ،

(١) قصة الشرق الأوسط ص ٧٩ .

فالمبالغة في الشعر يطرب لها العربي ، ولكنه لا يمكن أن يدعى لقومه سفناً لو كان قومه من (طيء) فليس كل ما يدعيه فطاحل الشعراء الجاهليين من الذي ينطبق عليه المثل العلم (أكذبه أعذبه).

كل هذا جال في خاطري عندما بدأت أكتب في هذه الناحية من التاريخ العربي القديم ، فالباحث في التاريخ القديم يلفت نظره الخبر القصير والمنظر العابر . فبعض الأخبار القصيرة تكون مفتاحاً لبحث طويل يسفر عن نتائج ذات شأن في التاريخ ، وبعض المناظر العابرة توحى بما يبعث الخيال إلى ما وراء سحب الماضي ، فكثيراً ما تخيلت قوافل الجاهليين وهي تسير في فلاة الجزيرة ، كلما تذكرت القوافل التي كانت تسير إلى وقت قريب ، قطارات في أودية الحجاز وبين جباله وزرافات ووحداناً في صحارى نجد وبين هضابها .

فكل من يطالع التاريخ العربي القديم يعرف أن التجارة العربية كان اعتمادها على القوافل التي كانت تجوب أنحاء الجزيرة العربية مارة بمدنها التاريخية ، وأن النشاط التجاري داخل الجزيرة العربية ضعف بعد أن أنشأ الفراعنة أسطولاً تجارياً ، وبعد أن أخذت الأساطيل الرومانية والحبشية تمخر عباب البحار العربية ؛ ويعرف : أن عرب الحجاز ونجد كانوا في صدر الإسلام يتهيئون ركوب البحر ، وأن عمر بن الخطاب خاف على المسلمين من ركوب البحر بعد أن وصفه له عمرو بن العاص ، ويعرف أن ما جاء في الشعر الجاهلي عن الملاحة يعنى الملاحة في الخليج الإسلامى - فعمرو بن كلثوم لا يقصد بوجه البحر البحر الأحمر ، « وطرفه » عندما وصف السفينة في شعره نسبها إلى البحرين :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يا من يحور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

• • •

٢ - ولكننا مع ذلك نسأل : هل كان سكان الساحل الشرقى من الجزيرة العربية ؟ وهل كان سكان شواطئ الجزيرة العربية على البحر الأبيض هم وحدهم الذين كانوا يركبون البحر ، ويشقون بسفنهم أمواجه ، فيستقبلهم سكان شواطئ البحر الأحمر

بالإعجاب والدهشة دون أن يفكروا في انشاء السفن وركوب البحر إلى ما بعد الإسلام ؟
إن الجواب عن هذا السؤال وعن كثير من الأسئلة التي يجدر بالبحث أن يذكرها
ويجيب علينا لمعرفة متى بدأ العرب يركبون البحر ، وأى البحار التي ركبوها ؟ يأتي إذا ما
ناقشنا كتاب « الملاحة والعرب » لجورج فضلوحوراني ، فلقد انفرد هذا الكتاب بالملاحة
عند العرب ، وجمع مؤلفه الآراء والنتائج التي انتهت إليها المصادر التي اعتمد عليها .
ولقد وصل مؤلف هذا الكتاب في بحثه إلى : [أن العرب قبل بزوغ التاريخ بوقت طويل
كانوا كغيرهم من الأمم يصنعون القوارب من الجلود ، أو جذوع الأشجار المجوفة أو أية
مادة أخرى ملائمة ويمخرون المياه الهادئة بالمجذاف الصغير . وقد تطورت الملاحة في
معناها الصحيح عن هذه الأعمال الساذجة عندما أقدم الناس على التوغل في البحر ،
فبدأ العرب يطورون ملاحظتهم فأقاموا صارياً شراعياً ووكلوا أمرهم إلى الرياح في البحر
العريض وإلى رحمة آلهتهم . وقد حدث هذا أيضاً قبل التاريخ ، والمظنون أن السفن
العربية الشراعية كانت تثبت ألواحها بخيوط من ليف . ومن الممكن أن الشرع كانت
مربعة ولم تكن ممتدة بين مقدم السفينة ومؤخرها كما كانت في العصور التاريخية ولكن هذا
بعيد عن اليقين] .

ووصل البحث به الى [أن الموقع الجغرافي في نواح عامة معينة يساعد على تطور
الملاحة في شواطئ الجزيرة العربية ، فهي تحد من ثلاث جهات بخط ساحلي بالغ الطول
يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج الإسلامي ، وتمتد بالقرب من هذه السواحل
أخصب بقاع الجزيرة وهي اليمن وحضرموت وعمان ، ولم يكن الاتصال بينها بحراً أشد
هولاً من عبور الصحارى والجبال التي تفصل بينها برّاً ، والأهم في البواعث على نشاط
الملاحة في البحار العربية هو : البحر الأحمر في الغرب والخليج الإسلامي في الشرق
يكملهما النيل والفرات ودجلة ، وهما ممران طبيعيان للملاحة في حوض البحر المتوسط
وشرقى آسيا ، فكان العرب يطلّون من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق
التجارية الكبيرة في العالم]^(١) .

ثم هو بعد أن وصل به البحث إلى كل ذلك عاد فقال : [لا يمكن الانتفاع انتفاعاً

(١) العرب والملاحة ص ٢٣ وما بعدها .

كاملاً بمزايا هذا الموقع الجغرافي إلا بعد التغلب على صعاب معينة - فالجزيرة العربية لا تنتج ولم تنتج أبداً الخشب الصالح لبناء السفن القوية ، وهى لا تشتمل أيضاً على الحديد للق السفن بالمسامير ، كما أنها ليست قريبة من أى بلد تنتجه . وليست فيها أنهار صالحة للملاحة . وما فيها من الموانئ الممتازة قليل . وكان البحر الأحمر الذى يمتد ١٢٠٠ ميل يفصل فى العصور القديمة بين مصر والجنوب الغربى من الجزيرة العربية أكثر مما يقرب بينهما ، وكان النصف الشمالى من هذا البحر خاصة ينطوى على عقبات كأداء ، فعلى جانبيه صحراء لا ماء فيها تمتد مئات من الأميال ، والشعاب المرجانية الضخمة تحف كلا الساحلين ، وتمتد فى بعض المواضع بعيداً فى البحر فكان تلافى الاصطدام بها يتطلب معرفة وحكمة عظيمتين ، وكانت الجزر المرجانية تعين على القرصنة التى كان البدو الجياع على كلا الجانبين يميلون إليها أشد الميل ويعدون لها امتداداً بسيطاً لغاراتهم فى الصحراء ولأن البحر خال من الموانئ الصالحة أو يكاد . وكانت الملاحة شحاً صعباً بوجه خاص على الملاحين الأوائل لأن الرياح الشمالية كانت تهب جنوباً على هذا الجانب من البحر طوال العلم ، فأقلم العرب طرقاً للقوافل على طول الساحل الغربى من جزيرتهم بدلاً من أن يواجهوا أهوال البحر الأحمر . وكانت الأحوال أوفق فى الخليج الإسلامى . ولكن هنا أيضاً كان الماء الصالح للشرب شحيحاً على كلا الجانبين ولهذا لم تكن (عمان) وثيقة الاتصال بأرض الجزيرة وإيران . وفى المحيط الهندى كانت السواحل المؤدية الى الهند خراباً يباباً ولم يمكن الاستعانة بالرياح الموسمية لعبور البحر العريض بين الجزيرة والهند وشرقى أفريقيا إلا ريثما يمكن بناء سفن تستطيع احتمال هباتها العاتية - هذه العقبات كان لا بد من التغلب عليها بالحيلة والاختراع حتى يمكن الإفادة من المزايا الطبيعية ، ولكن مال جنوب الجزيرة الغربى وعمان إلى البقاء فى عزلتها وذلك لأنه لم يكن من اليسير على العرب إذا لم يكونوا على صلة دائمة بمراكز الحضارة القديمة فى مصر وغربى آسيا والهند أن يأخذوا عنها ما عرفته من تحسينات فى بناء السفن والملاحة بل إن المواد اللازمة لبناء السفن القوية كان لا بد من جلبها من الهند ^(١) .

(١) المرجع السابق .

٣ - ونحن قبل أن نناقش ما جاء في كلام (جورج حوراني) الذي نقلناه من كتابه ، نلفت نظر القارئ إلى ما قاله (الخشاب) في تصدير كتاب (الملاحه والعرب): [إن المؤلف « جورج حوراني » بنى رأيه على أساس كتب صعبة تحتاج إلى كثير من الجهد ومزيد من المعرفة فهو لا يزال يأخذ برأى « يرين » الذي يقول : بأن الدولة الإسلامية قد فصلت بين دول البحر الأبيض المتوسط وبين المسلمين] فالذى يعتق النظريات المبنية على أدلة تحتاج إلى كثير من الجهد ومزيد من المعرفة دون تحقيق ورجوع إلى الحقائق في التاريخ الإسلامى ، لا يستبعد أن يتعلق بنظريات خيالية عن جغرافية البلاد العربية وموارد الجزيرة العربية وعن العربى ومبلغ كفاءته في بناء الحضارة وإمكانياته .

ونحن إذا أردنا أن نناقش ما جاء في كلام الحوراني ، نجده أولاً يؤكد لنا قدم الملاحه في جزيرة العرب وبنوه بالصفات الطبيعية الممتازة للسواحل العربية الممتدة من شمالى البحر الأحمر الى شمالى الخليج الإسلامى ، ثم نجده ثانياً يتهم العرب بالجهل في فن الملاحه ويسلب من السواحل العربية كل مميزاتها .

فالذى فات (جورج حوراني) في البحث : تعيين العصر الذى عرف فيه العرب الملاحه ، فلقد قال لنا : « كارتون كون » في قصة الشرق الأوسط : إن الأراضى البحرية التى عاش عليها بحارة من قديم الزمان هى : المناطق الساحلية الواقعة على الجانب الغربى من الخليج الإسلامى ، والمناطق الواقعة على مصب دجلة والفرات وجزيرة البحرين . ومن الجائز أنها كانت تشمل في وقت من الأوقات « اليمامة » فهذه المناطق كانت أوطاناً للكنعانيين قبل أن يهاجروا إلى سورية - وهجرة الكنعانيين إلى سورية كانت في الألف الثالثة قبل الميلاد - إذن فالعرب عرفوا الملاحه في الخليج الإسلامى قبل الألف الثالثة التى سبقت الميلاد . ولقد قال (سرجون)^(١) : إنه جعل سفن « ملوخه » (بلاد العرب) ، وسفن « ماجان » - عمان مورد النحاس - وسفن « ديور » جزر البحرين ، تلقى مراسيها أملم « أكاد » عاصمة سرجون^(٢) .

(١) راجع كتاب « ماذا حدث في التاريخ » ص ١٤١ .

(٢) اسم عاصمة « سرجون » ثم اطلقت على مملكة سرجون - وتقع المدينة في مكان اقتراب نهر دجلة من الفرات .

وكذلك فاته - أن يوضح كيف كان يكمل النيل البحر الأحمر . فهو لم يذكر القناة التي بدأ حفرها الفراعنة وجددتها إمبراطورية «دارا» الفارسية وأتمت ما نقص منها ، وحاولت الدولة العربية الإسلامية الاستفادة منها ، والتي كانت في القديم همزة الوصل بين النيل والبحر الأحمر . ولعله كان يقصد أن النيل كان في العصور المجهولة يتصل بالبحر الأحمر فلذلك لم يذكر هذه القناة لأن في قوله : إن النيل يكمل البحر الأحمر كما يكمل دجلة والفرات الخليج ، شمولاً للحالتين .

وفاته الرجوع إلى التاريخ العربي القديم ليعرف : أن الحديد وصل الى مصر في قديم الزمان عن طريق الجزيرة العربية ، فعلى ذلك فإن العرب عرفوا الحديد واستخدموه في مختلف شؤونهم ، فأنى له أن يقول : والجزيرة لا تشتمل أيضا على الحديد لتلق السفن بالمساير كما أنها ليست قريبة من أى بلد تنتجه ؟

وفاته الرجوع إلى التاريخ العربي القديم ليعرف أن العرب كانوا يتاجرون بالأخشاب والنحاس مع السوموريين ، فالذى يصدر الأخشاب والنحاس في استطاعته أن يستورد الخشب الصالح للسفن من الهند أو من لبنان أو من غيرها .

ولم يكن موضوع الخشب معضلة وقفت في وجه الملاحة الكنعانية لا في الخليج الإسلامى ولا في البحر الأبيض . فإذا كانت الجزيرة لم تنتج الخشب الصالح لبناء السفن القوية فإن في إمكان سكانها أن يستوردوه . وفاته أن يتذكر أن على النصف الشمالى من البحر الأحمر قامت موانئ تاريخية ، حفلت بالسفن منها موانئ بلاد مدين ، ومنها الحوراء - لويكة كومة - ومنها ينبع البحر ، ومنها جدة . فلم يكن الماء معضلة حالت دون إنشاء الموانئ على البحر الأحمر في ماضيه ولا في حاضره .

وفاته أن الملاحة في البحر الأحمر لم تشل حركتها الشعاب والجزر المرجانية . فهذه السواحل العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال فيها موانئ لا تزال على حالتها الطبيعية ، ومع ذلك فهي تستقبل عشرات السفن الشراعية . فهو لو قام برحلة في شواطئ البحر الأحمر ، لرأى ما رأيته أنا من مرفأ الوجه في الشمال إلى مرفأ جازان في الجنوب ، ولرأى موانئ ترسو عليها عشرات السفن الشراعية التي صنعت بطريقة بدائية والتي يدير دفتها ربانبة بدائيون في معلوماتهم عن البحر والملاحة . ربما كان الكنعانيون في الماضى البعيد أكثر معرفة ومهارة من هؤلاء . وربما كانت سفنهم أكبر وأمتن من السفن

التي رأيتها في الوجه ، وفي أملح ، وفي ينبع ، وفي جدة ، وفي جازان .
وفاته أن يعين الزمن الذي تبدلت فيه حال الرياح التي قال عنها : وكانت الملاحه
شمالاً صعبة بوجه خاص على الملاحين الأوائل لأن الرياح الشمالية كانت تهب جنوباً على
هذا الجانب من البحر طوال العام . فهل كانت تلك الرياح بعد التاريخ وبعد سفن
المعينين التي كانت تجوب البحر الأحمر وسفن المصريين ؟ ! ولماذا هي اليبع لا تؤثر على
السفن الشراعية ؟ .

وفاته كذلك أن يعين الزمن الذي أصبحت فيه السواحل المؤدية إلى البحر الهندي
خراباً يباباً ، وأن يعين هاتيك السواحل التي تصورها قفراً لا أنيس فيها ولا سامر . فإن
هذه الصورة لا تتفق مع التاريخ العربى القديم ، فالسواحل العربية من حضرموت وعمان
وقطر وهجر - الأحساء - إلى العراق حفلت في ماضيها القديم بنشاط تجارى قليل المثل في
العصور القديمة . وليست الشواطىء هذه هي وحدها التي عمرت بالسكان في قديم زمان
البلاد العربية دون سواها ، فالجزيرة العربية ذات شواطىء لها ماض في الملاحه ، وبحار
الجزيرة ذات شأن في تاريخ النقل التجارى البحرى منذ فجر التاريخ العربى . ولقد كان
الخليج الإسلامى بالذات مجالاً واسعاً للسفن التجارية بين شبه الجزيرتين العربية والهندية .

وفاته كذلك أن يعين التاريخ الذى نضبت فيه سواحل النصف الشمالى للبحر الأحمر
من الماء ، فإن سواحل النصف الشمالى من تهامة على البحر الأحمر قد عمرت بدول ذات
تاريخ حضارى معروف ، فبلاد مدين ، ومنازل ثمود منها ما هو بعيد عن شواطىء البحر
الأحمر ، ومنها ما هو مظل عليه . ولقد ازدهرت شواطىء هذا القسم من الساحل العربى
بوانىء تعتبر من أهم موانىء البحر الأحمر إن لم تكن أهمها مثل : (لويكة كومة) التي
مر ذكرها .

وفاته كذلك أن يعين الزمن الذى مال فيه جنوب الجزيرة الغربى وعمان إلى البقاء في
عزلة وانفصال عن عالم ذلك الزمن ، فالقسم الجنوبي الغربى من الجزيرة كان ذا صلة
بمصر الفرعونية من قديم الزمان ، وصلاته بالحبشة ليست بالتى تخفى على أحد . وعمان
التي صدرت النحاس الى العراق من فجر التاريخ لها صلاتها بالعراق ، ولها صلاتها بالهند

وايران ، ولها صلاتها بداخل الجزيرة العربية .

وفاته كذلك أن يأتي بالأدلة التي تثبت : أن العرب على ساحل البحر الأحمر جميعهم بدو جياح يميلون إلى القرصنة . وفاته أن يوضح كيف كان هؤلاء البدو الجياح خطراً على الملاحة في البحر الأحمر . فالقرصان لا يكون خطراً ما لم يكن ملماً بالبحر وأحواله قديراً على ركوبه بسفن معدة لمطاردة الفريسة ، وفاته أنه هو نفسه قال : [فإذا كان المعينيون والسبينيون يقومون ولا ريب برحلات بحرية إلى مصر في القرن الثالث قبل الميلاد . صح لنا أن نسأل كم قرناً كانوا يزاولون ذلك من قبل]^(١) ، وقال : [وجميع الشواهد تدعو إلى الاعتقاد أن مدن بلاد العرب وسوقطرة كانت في هذه الفترة مراكز التجارة بين مصر والهند في جميع صورها]^(٢) .

فمؤلف « الملاحة والعرب » كما يظهر مما قاله أولاً عن المميزات الطبيعية لسواحل الجزيرة ، وبما قاله ثانياً عن العوامل التي محت كل تلك المميزات ، ذو شك يمنعه من أن يستقر على رأى أو يحزم بنتيجة بعد بحثه الطويل . فهو كما تراه قد بلغ به الشك منتهاه فلم يستقر على جواب للسؤال الذى تترتب عليه نتيجة هامة في تاريخ الملاحة في البحر الأحمر : [صح لنا أن نسأل كم قرناً كانوا - المعينيون والسبينيون - يزاولون الرحلات البحرية] فلقد جاء جوابه غير واضح يغمره الشك والتردد : [إن التوابل العربية كانت تستعمل في مصر في التحنيط وتقديم القرابين آفاً متعاقبة من السنين . فهل كان يؤتى بها في سفن عربية خلال الفترات الواقعة بين الرحلات المعروفة القليلة التى قلم بها المصريون إلى الجنوب ؟ إن هذا يبدو ممكناً في ضوء الأدلة التى انحدرت إلينا من أوائل العصر الهلينى . ولكن لا يمكن إثبات شيء ، لأن الطريق الآخر طريق القوافل عبر صحارى بلاد العرب وسبأ كان قائماً أبداً]^(٣) .

إن أهمية الطرق البرية أمر مسلم به . فالقوافل البرية التى كانت تحجب الجزيرة العربية ونشاطها الذى عرف من فجر الحياة العربية والذى أتاح تبادل السلع والتسوق بها

(١) الملاحة والعرب ص ٦١ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٦١ و ٦٢ .

في العراق والهند وعمان وحضرموت واليمن والحبشة ومكة والمدينة ووادي القرى وأرض مدين وفلسطين ومصر وبلاد الهلال الخصيب ، فربط هذه الأسواق بالطرق البحرية في ذلك الزمن - من الصعوبة بمكان ؛ فليس من قدرة السفن الشراعية أن تعبر المحيط الهندي من شبه الجزيرة الهندية إلى باب المندب رأساً دون أن تلجأ إلى شواطئ عمان وحضرموت واليمن حتى تصل بسلام إلى باب المندب . ثم عليها أن تقطع ألفاً ومائتي ميل حتى تصل إلى شبه جزيرة سيناء ، فكم كان يكلفها هذا الطريق مالاً ووقتاً ؟ هذا إذا سلمت من العوادي .

لقد ركبت من (بمباي) في الهند إلى (عدن) في اليمن إحدى عابرات المحيط التي تقع من استراليا إلى لندن في فصل الشتاء . وفي فصل الشتاء يهدأ المحيط الهندي . ولقد راعني أن تتأرجح هذه العابرة على سطح البحر النائم كتأرجح الزورق البخاري إذا ما تعطلت آتته ، فما بالك بالسفن الشراعية إذا ما خاطرت بنفسها فخرجت عن مياه الخليج إلى عرض البحر الكبير ، وإذا ما أيقظت عواصف المناطق الاستوائية الصيفية هذا البحر العظيم ؟ ! .

إن الطريق السليم العواقب للسفن الشراعية هو الخليج الإسلامي ، وإن على السفن التي تحمل السلع الهندية أن تقبل ثمن ما يدفع لبضائعها في أسواق الخليج الإسلامي فانه أكثر ربحاً لها بالنسبة للتفقات التي تتحملها البضائع فيما إذا واصلت السفينة سيرها إلى باب المندب ومنه إلى شواطئ البحر الأحمر الشمالية .

فلذلك كان للقوافل الصحراوية أهميتها في نقل البضائع التي ترد من الهند إلى أسواق الأقطار العربية . وفي نقل البضائع التي تصل إلى سيناء وسورية والتسوق بها في المدن العربية - ولذلك كانت المدن التي قامت على هذا الطريق أسواقاً تجارية تباع فيها السلع وتشتري .

وقد لا يذهب بنا الخيال بعيداً إذا نحن ظننا أن القافلة التي تقع من عمان ليست هي القافلة التي تصل إلى شبه جزيرة سيناء وتدمر ، وأن البضاعة التي تنقل من عمان ليست تحمل رأساً إلى مصر ، فإن في كل مدينة تجاراً يستوردون من الشرق والغرب ويصدرون إلى الشرق والغرب .

ولقد تحدثت أخبار الماضي القديم عن القوافل المعنية التي كانت تسير في خفارة

مراكز أقامها المعينيون والسبثيون في طريق قوافلهم . وتحديث الأخبار القديمة عن تجارة مكة والقوافل المكية ، وعن تياء وتدمير وغيرها من المدن العربية التجارية .

فمجموع هذه الأسباب جعل النقل البرى عماد التجارة العربية في عصور ما قبل الميلاد ، بيد أن مجموع هذه الأسباب لم يقض على المجال البحرى قضاء مبرماً ، فلقد كان المجال البحرى واسعاً أملم السفن العربية في الخليج الإسلامى التى كان عليها نقل البضائع من الهند ومن إيران وإليها ، وكان عليها نقل البضائع التى تخص مصر وشعوب البحر الأبيض المتوسط من منطقة باب المندب ومن سواحل اليمن على البحر الأحمر .

ففى ما سمعناه عن السفن المعينية والسبثية في القرن الثالث قبل الميلاد ما يؤكد لنا الأسباب التى أتاحت المجال للنقل البحرى ، وأن هذه الأسباب توافرت أكثر من نى قبل بعد ما منيت الجزيرة العربية بالجفاف الذى جعل النقل البرى في الأرض القفر كثير المشاق والمتاعب ، وبعد أن أصبحت تطورات الحياة تدفع العرب لركوب المخاطر في سبيل ما يؤمن لها حياتها . ففيما حدثنا به المؤرخون عن غير فارس التى كان يسيرها كسرى من المدائن إلى عامله في اليمن نلاحظ متاعب مرهقة وتكاليف باهظة ، فلقد كانت عساكر كسرى تخفر العير من المدائن إلى الحيرة ، ثم تكون خفارتها على (النعمان) من الحيرة إلى اليمامة ، ثم تكون خفارتها على (هوزة بن على الحنفى) إلى بلاد تميم ، ثم تكون خفارتها على بنى تميم إلى أن تصل إلى اليمن^(١) .

ومع هذا كله فإن صعاب النقل البرى كانت أسهل من صعاب النقل البحرى إذا ما اضطرت السفن إلى الخروج إلى عرض المحيط الهندى . وإن يم (الصفقة)^(٢) يؤكد لنا : أن ركوب المحيط الهندى على السفن الشراعية يكلف باهظاً لا يقدر عليه إلا المضطر القدير الذى يملك من الإمكانيات ما يذلل له كثيراً من المصاعب والأخطار .

(١) الاغانى ١٦ / ٧٥ .

(٢) يوم الصفقة : يسمى أيضاً يوم المشقر . والمشقر : حصن بالبحرين . وسمى « الصفقة » لأن كسرى أصفق الباب على بنى تميم في حصن المشقر . وهو يوم من أيام العرب مع الفرس .

٤ - ولهذا كله فإن النشاط البحري العربي لم يتجاوز الخليج الإسلامى والبحر الأحمر إلى المحيط . وإن النشاط البحري العربي فى شواطئ هذين البحرين أقل بكثير من نشاط العرب البحرى فى البحر الأبيض المتوسط .

ومن البديهي أن تشارك العرب فى النشاط البحرى الأمم التى تشاركها فى بحارها ، ومن المتوقع ألا يذكر نشاط عرب قلب الجزيرة البحرى فى ظلمة جاهليتهم المتأخرة بالنسبة للنشاط الرومانى والحشى والفارسى والهندي . ومن الطبيعى : أن يتفوق الهنود والفرس فى الخليج الإسلامى . وأن يتفوق الرومانيون والأحباش فى البحر الأحمر بفضل إمكانيات هؤلاء وأولئك وتقدم دولهم - كما تفوق الفينيقيون من قبل بفضل إمكانيات سورية ولبنان ، وبفضل خبرتهم وسابق تجاربهم فى الخليج الإسلامى .

ومن الطبيعى أن يتلاشى فى العرب نشاطهم البحرى قبل ظهور الإسلام كما تلاشى نشاطهم فى جميع مجالات الحياة من جراء الأحداث التى حاقت بالبلاد العربية أخذاً بعضها برقاب بعض .

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا أن نقول : إن تاريخ الملاحة فى الخليج الإسلامى يعود إلى ما قبل الألف الثالثة التى سبقت الميلاد . أما الملاحة فى البحر الأحمر فلم يتأكد من نشاطها إلا بعد منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد ، ولكنها دون شك أقدم من ذلك التاريخ بكثير ، فالسفن فى البحر الأحمر لم تصل إلى ماوصلت إليه سفن المعينيين والمدنيين إلا بعد مراحل طويلة اجتازتها الملاحة العربية .



البحث الحادى والعشرون :

الكلمة الأخيرة عن التاريخ الحقيقى لقلب الجزيرة

من موضوعات البحث :

- ١ - المناطق المتوسطة فى الجزيرة العربية لم تتأخر عن ركب الحضارة فى الماضى القديم .
- ٢ - تحديد الزمن الذى بدأ فيه التاريخ الحقيقى فى قلب الجزيرة العربية هو مشكلة المؤرخين .
- ٣ - مع مطلع الألف الثانية قبل الميلاد دخل قلب البلاد العربية باب التاريخ الحقيقى .

الكلمة الأخيرة عن التاريخ الخفيف لقلب الجزيرة

١ - لقد أثبت البحث في حضارة قلب الجزيرة ، وفي الأدب الجاهلي ، وفي الشعر العربي ، وفي اللغة وخطوطها ، وفي الأديان وقصص الأنبياء ، وفي الملاحة العربية ونصيب السواحل القريبة منها : أن سكان المناطق المتوسطة من الجزيرة العربية كانوا مع الطليعة التي أسست الحياة الإنسانية ومهدت السبيل في البر وفي البحر للحضارة العربية .

ففى وادى القرى وسواحل البحر الأحمر ، وفي اليمامة وسواحل الخليج الإسلامى ، عاشت شعوب : عاد ، وثمود ، والعماليق ، والدادانيون ، والمدينيون ، والكتعانيون ، وطسم ، وجديس ، وغيرها من الأمم الغابرة وكل هذه الأمم اعتبرت من الأمم البائدة . ومن هذه الأمم أمم يرجع تاريخها في قلب الجزيرة العربية إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد مثل : الكتعانيين الذين عاشوا في اليمامة وعلى شواطئ الخليج الإسلامى قبل هجرتهم إلى سورية ، ومثل ، الشعوب الإرامية والعمليقية التي عاشت في وادى القرى وفي مكة والمدينة قبل أن يهاجر إبراهيم إلى سورية ، ويرفع قواعد البيت الحرام في الحجاز . ولكل من هذه الأمم آثار كشف التنقيب عن بعضها في اليمامة وفي وادى القرى ولايزال بعضها دفيناً في جوف الصحراء الصامته .

ونحن إذا تمسكنا بالأدلة التي تؤكد أن الوطن الأول للجنس السامى العربى^(١) هو قلب الجزيرة العربية ، وأن العرب الذين عاشوا في نجد والحجاز منذ العصر الحجري كانوا أساتذة سكان الودادين : النيل والفرات في استئناس الحيوانات واستنبات الحبوب ، وأن العرب الذين أسسوا الدول الإرامية والعمليقية في العراق وفي سورية ، وفي مصر ، كانوا أصحاب حضارة ولغة وعقائد بدليل الحضارة العربية في العراق التي تغلبت على الحضارة السومورية ، وبدليل الحضارة العربية في مصر التي تبدو واضحة في لغة الفراعنة وفي آثار دلتا النيل وصحراء سيناء . ونحن إذا تمسكنا بهذه الأدلة لانكون خياليين إن قلنا : إن ماضى العرب القديم لم يكن مظلماً كما صورته الكثير من المؤرخين .

(١) إنتى مع الذين يقولون بأن الساميين هم العرب ولقد أيدت هذا الرأى بأدلة تجدها في الجزء الخاص بشعوب الجزيرة العربية .

إننا لانكون مبالغين إذا قلنا إن للعرب في داخل جزيرتهم تاريخاً لا يقل توغله في أعماق الماضي عن توغل تاريخ السوموريين في العراق . فمن الحقائق التاريخية أن السوموريين في العراق كانوا يستوردون النحاس من عمان . وعصر السوموريين في العراق انتهى قبل الألف الثانية قبل الميلاد . ومن الحقائق التاريخية : أن (سرجون) الذي أسس الدولة العربية في العراق ووصل سلطانه إلى سورية ولبنان ، لم تخضع لسلطانه الدول العربية في سواحل الخليج الإسلامي ، وفي اليمامة ، فكانت تلك الحروب التي أشارت إليها آثار (سرجون) .

واعتاداً على هذه الحقائق نقول غير مبالغين إن العرب الذين عرفوا كيف يستفيدون من معادن الأرض ، وعرفوا كيف يكونون جيوشاً تؤسس دولاً عربية في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر - تبسط نفوذها وحضارتها ولغتها على العناصر التي أتت من شمالي العراق ومن جنوبي مصر وغربها لتشاركهم في أوطانهم وتقاسمهم خيراتها ، لا بد أن يكون لهم تاريخ حافل بالأحداث التي تمر بكل أمة أقامت مدنية وأنشأت أدباً ونظمت جيشاً يغزو ويفتح .

٢ - وهذه الحقائق لم يختلف عليها الذين بحثوا في التاريخ العربي القديم . وإنما الذي هم فيه مختلفون هو : تحديد زمن الأحداث وعصور الأنبياء والملوك . وإن الذي أعجزهم هو : معرفة المدى الذي بلغته الحضارة العربية في قرونها الأولى . ولقد مرت بنا في بحث دول ما قبل التاريخ وسنى حكمها : أسباب الخلاف بين المؤرخين الذين حددوا السنين لدول ما قبل التاريخ . ولسوف تأتي في البحث عن عناصر الجزيرة العربية وقبائلها : بواعث الخلاف بين النسابين في تعيين القبائل وتحقيق أرومتها ، وكيف ورط تشابه الأسماء التي ظهرت في بلد واحد بعض النسابين فخلط بين القبائل ؟ وكيف غلط البعض الآخر فنسب قبيلة واحدة مرة إلى سام ، ومرة إلى حام ، ومرة إلى يافث ، الأصول الثلاثة لشعوب الجزيرة العربية في بحوث الأنساب ؟!

والخلاف في عصور الأنبياء والدول مازال موجوداً في البحوث التاريخية حتى اليوم . فزمن (سرجون) و (حمورابي) و (إبراهيم) عليه السلام ، ودولة العماليق في مصر ، يختلف فيه (المطران الدبس) في تاريخ سورية وجرجى زيدان في (العرب قبل الإسلام) وفيليب

حتى في تاريخه : العرب ، سورية ، ولبنان في التاريخ. وندائق في التاريخ الجغرافي للقرآن ،
والبتنوني في الرحلة الحجازية ، والعقاد في الثقافة العربية ، وجواد على في تاريخ العرب قبل
الإسلام !!

ولقد تقدم التحقيق في عصر إبراهيم وسيأتي التحقيق في عصر « سرجون الأول »
و « حمورابي » .

فالخلاف في تحديد الزمن للتاريخ الحقيقي مازال مشكلة المشاكل . فقد يثبت تاريخ
دولة ما عند مؤرخ بنص من النصوص ، فيؤكد ذلك المؤرخ : أن تاريخ الدولة يبدأ بموجب
النص الذي وصل إليه في علم كذا قبل الميلاد أو بعده . ويعثر مؤرخ آخر على نص غير
الذي عثر عليه غيره ، فيحدد تاريخاً آخر كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وكما ترى ذلك
الخلاف وأسبابه واضحاً في تعيين زمن الدولة المعينة في اليمن .

ولقد قلت من قبل : إن بداية التاريخ لكل أمة من الأمم هو رهن المعلومات التي
عرفت عنها . وقد تتجدد المعلومات عن أمة واحدة بما يصل إليه البحث عن آثارها .

ولم تسلم من هذه الشكوك الأمم التي اكتشفت آثارها . ففي رأى الكثير أن تحديد
زمن (مينا) الفرعون الأول الذي وحد الوجهين القبلي والبحري غير واقعي فلقد شك
هؤلاء في أن يكون علم ٣٥٠٠ ق . م . هو العلم الذي اعتلى فيه الملك (مينا) العرش
الفرعوني . ولقد أشرنا من قبل إلى ما قيل عن التواريخ التي وضعها الكاهن المصري لما
بعد علم ٢٠٠٠ ق . م .

٣ - فنحن إذا أردنا أن نحدد التاريخ الحقيقي لقلب الجزيرة العربية فليس لدينا دليل
أقوى وأثبت من البيت الحرام الأثر الخالد على مر الأجيال . ولا شك في أن الذي أقلم
قواعد البيت الحرام هو إبراهيم وابنه إسما عيل . وتحقيقا للمؤرخين في عصر إبراهيم تحم
حول مطلع الألف الثانية قبل الميلاد - فبناء على ذلك كله فاننا نرى أن التاريخ الحقيقي
لقلب الجزيرة بدأ مع الألف الثانية قبل الميلاد .

ونحن بهذا التحديد لانتكر تاريخ العرب في قلب الجزيرة العربية قبل إبراهيم وإنما
نقول : إن الشكوك في تاريخ عرب قلب الجزيرة قبل إبراهيم أكثر كثافة من الشكوك التي
تغطي حقائق التاريخ العربى بعد إبراهيم - وإن تاريخ قلب الجزيرة ربطت حلقاته بعد
إبراهيم : اللغة ، والعقائد ، وأحداث الشعوب التي عاشت حول البيت الحرام .



البحث الثاني والعشرون :

الناخج لعربي في جنوبي الجزيرة العربية وشرقيها

من موضوعات البحث :

- ١ - الجزيرة العربية وطن بناء الحضارة الأولى .
- ٢ - غموض التاريخ القديم في الجنوب والشرق من الجزيرة العربية .
- ٣ - تاريخ شواطئ الخليج الإسلامي والجنوب غارق في الأساطير .
- ٤ - التاريخ اليمني خدم أكثر من تاريخ الخليج .
- ٥ - تعدد المصادر من مشاكل التحقيق .

الناح العزني في جنوبي الجزيرة العربية وشرقيها

١- إن كل صقع في جنوبي الجزيرة وشرقيها جدير بالبحث المستفيض والتحقيق العميق ، فالباحث في تاريخ هذه المناطق لا يصل إلى شيء من حقيقة ما شهدته من حضارات ودول وأحداث مالم يبحث في المصادر ويجمع منها الأخبار المتناثرة في النصوص والمراجع عن ماضي اليمن وسواحل الخليج . فكل سهل من سهولها وكل جبل من جبالها أهل ببناء الحضارة الإنسانية في الشرق العربي ، ومرت به أحداث كان لها شأنها في الماضي القديم . وبناء الحضارة في هذا الشرق هم طليعة البشر الذين خرجوا من حياة الغاب يؤسسون القرى والمدن ، ويضعون الحجر الأساسي للمجتمع الإنساني الذي تطور ولا يزال يتطور مع الزمن .

ومن سنة الله في أرضه ألا يدمح حال على حال . فمن سره زمن ساءت أزمان ، وما أكثر الأزمان التي أساءت إلى هذه المناطق وأهلها في هذه الألوف من السنين التي مرت بها ، فقلبت كيان حضاراتها القديمة ، وقضت على نشاطها التجاري ، وجعلت منها أرضاً بلقعاً كأن لم تكن بالأمس ذات حضارة مرموقة وذات ثراء تحسد عليه .

٢- فأنتى لى ، وأنتى للذين تقدمونى ، أن أعرف أو يعرفوا غير القليل عن تلك الحضارات التي لمعت قبل خمسة آلاف من السنين ؟ فمصادر تاريخ هذه الأصقاع من الجزيرة العربية لم يعلم من حقائقه غير النزر اليسير الذى ترامى إلى مسامع المؤرخين مما تناقلته الأجيال بعد الأجيال ، ولم ينكشف لها من آثاره غير القليل الذى وصلت إليه معاول المستكشفين . فأنت إذا ما اطلعت على ذلك النزر من أنباء الغابرين في المؤلفات العربية تجده غارقاً في خيال المؤرخين الذين حدثونا عن (قم عاد) وعن (طسم) و (جدیس) و (بار) و (العمالق) وغيرهم من سكان العروص الأقدمين . وأنت إذا ما اطلعت على

تقارير الأثرين تجدها غارقة في ظنون حائرة وآراء مترددة لم تقتنع إلا بالقليل من تاريخ الكنعانيين في اليمامة وفي البحرين وفي سواحل الخليج الإسلامي . وما تركوه من آثار ونقوش تتحدث عن تاريخ (سرجون) البابلي وجنوده الذين بلغوا الشواطئ العربية على الخليج وما تأخها كما بلغوا شواطئ لبنان وماتاخها .

فلعل الله الذى بعث إلى هذه الأرض العربية من كشف عن كنوزها الطبيعية ، وأيقظ فيها الحياة من نومها العميق الطويل ، يخلق الأسباب التى تساعد على كشف سرها الدفين ، فيعرف الناس كيف يحىي الله العظم وهى رميم !!

فما أشبه العظم الرميم بآثار الحضارات التى شهدتها شواطئ الخليج الإسلامى من العراق إلى عمان قبل آلاف السنين ، والتى تطل رؤوسها على الحياة المنبعثة فى أرضها بفضل آلات التنقيب عن البترول وإخراجه من أعماق الأرض وتكريه وتصديره إلى مشارق المعمورة ومغاربها .

٣ - أجل ! إن تاريخ شواطئ الخليج الإسلامى وإن شهد له المؤرخون والأثريون بالقدم ، وإن كان فيه بعض الحقائق التى لا مرية فيها ، فإن أكثر مايرويه المؤرخون أساطير تحتاج إلى مايزيل عنها ألوان الخيال والمبالغات الخرافية ويجعل منها بحوثاً تاريخية منطقية ، وإن أكثر مايقوله الأثريون ظنون وآراء تحتاج إلى ما يؤكدنها ويجعل منها أدلة قطعية يعتمد عليها .

وكذلك تاريخ الجنوب من الجزيرة العربية لم يسلم من تلك الأساطير ولا من تلك الظنون والآراء التى ماقتتت فى حاجة إلى ما يجعلها بعيدة عن الريبة والشكوك .

٤ - على أن التاريخ العربى فى اليمن أكثر وضوحاً لأسباب منها : أن دولة التبابعة الحميريين هى آخر الدول العربية الكبرى التى قامت فى عصور ما قبل الإسلام ، فكان من حقها أن يتحدث العرب عن هذه الدولة وسيادتها والأحداث التى مرت بها ، وكان من الضروري أن يحرص ملوكها على نشر مآثر أجدادهم وما وصل إليه مجد الدول العربية فى معين وسبأ وحضرموت ؛ ومنها أن القرآن الكريم أشار إلى سبأ وملكتها وإلى سد مأرب وأصحاب الأخدود ، فكان لزاماً على المفسرين أن يبحثوا فى تاريخ مملكة سبأ ، وسد مأرب وأصحاب الأخدود ؛ ومنها أن اليمن بلاد البخور التى كان فراعنة مصر مغرمين بحرقه فى

معابدهم فلذلك كانت منطقة باب المنذب مطمع أنظار فراعنة مصر من أبعد عهودهم ، فتحدثت آثارهم عن الحملات التى شنّها الفراعنة على هذه المنطقة من قبل الميلاد بأجيال . ومنها أن الرجال الذين عنوا بالتاريخ العربى فى صدر الإسلام كان أكثرهم يمينيين مثل الهمداني وابن الكلبي وعبيد بن شربة ونشوان الحميري . ومنها أن اليمن على الرغم من سياسة العزلة فقد خاطر كثير من رواد الآثار الأوروبيين فى سبيل البحث عن آثار اليمن القديمة فحالف بعضهم التوفيق فقدم للعلم ثروة تاريخية لا بأس بها .

٥ - على أن تعدد المصادر وإن كان مفيداً إلا أنه متعب للباحث المحقق الذى يهدف إلى إزالة الشكوك والغموض عن الحقائق التاريخية ، ولا سيما أن كثيراً من المؤلفات العربية الموضوعة فى التاريخ اليمنى زاخرة بالمبالغات التى لا تتفق مع المنطق والتى جعلت الكثير من الحقائق فى تلك المؤلفات مشكوكاً فيها . فأوشك الخيال أن يحجب الحقائق التى وصلت إليها بحوثهم والتى أكدتها الآثار التى اكتشفها المنقبون .

فلقد أطلق المؤرخون العرب القدامى والمفسرون العنان لأخيلتهم بعد أن اطلعوا على مانقل إليهم عن الأسفار وما عرفوه من مصادر يونانية أطلقت اسم العربية السعيدة على الأرض الممتدة من بادية الشام إلى المحيط الهندى .

وإذا ماجنح المؤرخ إلى الخيال أضاع الثقة فيما يقوله وعرض للشك والريبة الحقائق التى أجهد نفسه فى جمعها ، فأى قارىء لا يخامرّه الشك فيما يقال عن سنى حكم التبابعة الأولين وأعمارهم التى بلغت المئات من السنين ؟

ولعل ابن خلدون هو أول من شهّر بهذه المبالغات وجاهر بأن ما يقال عن إم ذات العماد هو من خرافات القصاص نقلها ضعاف المفسرين . ولقد تعرض لهذه المبالغات بالتقيد والتفنيد محققو التاريخ العربى فى العصر الحديث ، فمما جاء فى نقد جورجى زيدان : [فأدخل المفسرون عند تفسيرهم مآذكره القرآن عن عاد مبالغات رواها كعب الأحبار وعبد الله بن سلام اليهوديان ووهب بن منبه المجوسى وغيرهم]^(١) .

وينقد جواد على رواية كعب الأحبار بقوله : [ويظهر أن كثيراً من أخبار عاد وضعت فى أيام معاوية بن أبى سفيان الذى كان له ولع خاص بالاطلاع على أخبار الماضى فجمع

(١) العرب قبل الاسلام ص ١٨ .

لذلك في قصره جماعة اشتهرت برواية هذا النوع من القصص وفي مقدمة هؤلاء كعب الأخبار^(١) .

فلولا ما بذله الرواد المستشرقون في سبيل البحث الأثرى ولولا ذلك النزر اليسير الذي وصل إليه تحقيقهم لاعتبر التاريخ العربى في جنوبى الجزيرة وشرقها إلى ما قبل الإسلام تاريخاً أسطورياً بكل ما فيه من حقائق ، ولما اعترف محققو التاريخ في العصر الحديث بشيء مما قاله المؤرخون العرب . فبعد الكشف عن الآثار اليمنية اعترف (ديتلف نيلسن) بما في الرواية العربية من حقائق كان المستشرقون يعتبرونها خيالاً محضاً فلقد قال هذا المؤرخ : [فمن هذه الصورة المتعددة الألوان التى نكونها من مجموعة هذه النقوش نتبين الثقافة الحقيقية التى نمت وازدهرت في الشرق الأدنى كما نتبين أيضاً هذه اللغة الغامضة الواردة في كتاب العهد القديم والتي كثيراً ما تحدثنا عن السبئين وثروتهم من الذهب والأحجار الكريمة ومختلف أنواع البخور . ويكفى أن نشير هنا إلى قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان والواردة في سفر الملوك الأول الإصحاح العاشر . كما تمكّننا هذه الآثار العربية الجنوبية أيضاً من معرفة بلاد العرب السعيدة التى أشاد بذكرها اليونان والرومان حتى إن روما رغبت يوماً في الاستيلاء عليها فسيرت قبل الميلاد جيشاً لقي حتفه في الصحارى المترامية في بلاد العرب . ولولا هذه الآثار ما استطعنا إدراك كنه ما جاء في المصادر العربية وما يحدثنا به العرب عن اليمن وحكامها وبروجها وقصورها]^(٢) .

ونحن إذا أردنا أن نقرر شيئاً عن التاريخ الحقيقى لجنوب الجزيرة فعلينا قبل ذلك أن نناقش بعض القصص المتواترة في مؤلفات المؤرخين . ونحن إذا بحثنا في القصص البارزة في تاريخ الجنوب القديم والتي كانت وما زالت مجال تحقيق وتفنيد فإننا نجد مدينة (إيم ذات العمد) قد شغلت كثيراً من الباحثين . فلقد كان موضوع هذه المدينة مضاراً لمختلف الظنون - شكاً فيها وتصديقاً بها - ونجد البحث في مدينة (إيم ذات العمد) التى لم يخلق مثلها في البلاد يوضح لنا مدى الحضارة العربية في اليمن وحدود تاريخها . فالحضارة كما قلنا من قبل : هى السطور الأولى للتاريخ .

(١) تاريخ العرب ١ / ٢٤٢ .

(٢) كتاب تاريخ العرب القديم ص ٣٠ .

البحث الثالث والعشرون :

إرم ذات العمد

من موضوعات البحث :

- ١ - « ابن قلابة » الذي تعزى إليه قصة إرم ذات العمد.
- ٢ - كعب الأبحار كان مبالغاً في ادعائه .
- ٣ - الحقيقة في قصة إرم ذات العمد يحجبها الخيال مثل كل قصة « تاريخية »
- ٤ - دولة عاد من أبرز دول الماضي .
- ٥ - اعتراف المستشرقين بالمصادر العربية عن تاريخ اليمن
- ٦ - إرم ذات العمد في آراء المفسرين .
- ٧ - هل يستطيع التحقيق الوصول إلى حقيقة إرم ذات العمد ؟
- ٨ - حقيقة الجدل الذي دار حول إرم ذات العمد
- ٩ - ما هي الحقيقة التي نستفيد منها من قصة إرم ذات العمد ؟

إم ذات العمار

١ - حقاً إن كثيراً من الخيال يبدو على قصة (ابن قلابه) الذى يقال إنه رأى مدينة من ذهب وفضة بين كثنان الأحقاف ، وكثيراً من الادعاء يظهر على الجواب الذى قيل إن كعب الأخبار ردّ به عندما سئل عما رواه (ابن قلابه) ؛ فلم يكن ابن قلابه من الرواد الباحثين ليدرك حقيقة الآثار التى بدت له من بين الرمال ، أو ينظر إليها نظرة المكتشف الخبير . ولم يكن ابن قلابه من رجال التاريخ الذين عرفوا بثقة الرواية ، فاذا صح أنه رأى تلك الآثار التى تحدث عنها ، فإن ظهورها أمامه عفواً هو ولا شك مفاجأة كان لها تأثيرها على تصور ما رآه . وإذا صح ما نقل عن ابن قلابه ، فإن أكثره من المبالغات التى لم يبخل بها ابن قلابه عندما رأى الناس يعجبون مما رأى ، فالمبالغة فى تضخيم الحدث الذى ينفرد به شخص واحد قاعدة تكاد تكون عامة لا يشذ عنها غير الثقات الذين يعتزون بصدقهم ، وأمانة روايتهم ، ويقدرّون مسؤولية ما يقولون . ولم يثبت أن ابن قلابه من هؤلاء . وإذا صح أنه رأى تلك الآثار فإن ظنه وظن الذين استمعوا لما يقوله ذهب بهم إلى ما يجول فى أخيلة ذلك الجيل عن مدينة إم ذات العمار .

٢ - وفى جواب كعب الأخبار ادعاء ظاهر : فالتوراة لم تذكر شيئاً عن قوم عاد ونيهم هود ، ولم تذكر شيئاً عن ثمود ونيهم صالح ، ولم يستطع الذين حاولوا أن يفسروا بعضاً مما جاء فى سفر الملوك عن أخبار قلب الجزيرة وجنوبها الإتيان بنص من التوراة يذكر قوم عاد ، أو قوم ثمود فضلاً عن الإتيان بنص صريح يشير إلى إم ذات العمار . ولقد وضح لنا ذلك فى فصل المصادر الإسرائيلية فى الجزء الخاص بمصادر التاريخ العربى من هذا الكتاب .

فما هو مستند كعب الأخبار عندما أجاب معاوية بن أبى سفيان على ما يقوله ابن قلابه عن تلك المدينة التى عثر عليها فى الأحقاف [والذى نفس كعب بيده لقد ظننت أنى سأسأل قبل أن يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها . ولكن أخبرك بها يا أمير

المؤمنين . لمن هى ؟ ومن بناها ؟ أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له . وأما الذى بناها فهو شداد بن عاد . وأما المدينة فهى إم ذات العباد التى لم يخلق مثلها فى البلاد . يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله شيئاً فى الأرض إلا وقد فسر فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً (١) .

ألست ترى معنى فى جواب كعب الأخبار ادعاء ظاهراً ؟ أولست ترى أن كعب الأخبار أراد بجوابه هذا أن يظهر أمام معاوية بأنه عليم بكل أخبار الماضيين ؟ أولست ترى معنى أن استناد كعب الأخبار إلى التوراة لا يقره كل من يرجع إلى التوراة فلا يجد فيها شيئاً عن شداد بن عاد ، وعن إم ذات العباد ؟ .. فأى ادعاء أكثر من قول كعب : والذى نفس كعب بيده إنتى علمت بأنتى سأسأل قبل أن يسألنى أحد ؟ وقوله : إنها إم ذات العباد التى يعثر عليها فى خلافتكم رجل صفاته تنطبق على صفات عبد الله بن قلابه ؟ (٢)

٣ - ولكن مع هذا كله ورغم الشكوك التى تقش هذه القصة ، فإن القارىء يشعر بأن هناك حقيقة بنى عليها الخيال . فالأحداث التاريخية التى تتضمنها النواذر والقصص الشعبية ، لا بد أن يكون للفصول التى اختارها المؤلفون لقصصهم فيها ظل من الحقيقة . فقصة سيف بن ذى يزن مثلاً من القصص التى شطح بها الخيال الروائى ، وهى مع ذلك تشير إلى فصل من فصول التاريخ اليمنى . فسيف بن ذى يزن شخصية تاريخية سجل فى تاريخ اليمن انتصار التبابعة على الأحباش ، وسجل عليه تاريخ اليمن اطمئنانه لحلفائه الفرس الذين كانوا يبيتون خططهم لاستعمار البلاد العربية ، وأثبت عليه عدم تقديره روح الانتقام التى كانت تكمن فى نفوس الأحباش فى اليمن ، فراح ضحية الاعتماد على حراسه الأحباش ، وضاع استقلال اليمن ضحية اطمئنانه للفرس واستعانتهم بهم . أما جن سيف بن ذى يزن ، وسحرته وخادم لوحه عيروض ابن ملك الجن الأحمر ، وأخته عاقصة بنت ملك الجن الأخضر ، وأما فتوحاته التى بلغت مشارق الأرض

(١) قصص الانبياء للثعالبي ص ١٤٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة إرم ٦٣٤/١ .

ومغاربها ، وأما تفجيره أنهار سورية ومصر ، وأما بناؤه المدن التاريخية مصر وتدمر و
و إلخ فهي من نسج الخيال .

لاشك في أن كثيراً من الأخبار التاريخية التي تناقلها المؤرخون اتخذها القصاصيون مادة لقصصهم وبنوا على الخبر القصير قباباً من الخيال . بيد أن الخيال مهما تجسم أمامنا فهو على كل حال لا يخلو من حقيقة . فقصص سيف بن ذي يزن ، وعنترة بن شداد ، وأبى زيد الهلالي وغيرها من القصص التي مثلت دور البطولة فيها شخصية تاريخية ، كلها قصص فيها ظل من الحقيقة وفيها بعض الأخبار التاريخية التي تناقلها المؤرخون العرب مغلفة بخيال القصة . ولاشك في أن الأخبار التي تناقلها المؤرخون لها قيمتها على ما في الكثير منها من مبالغات . فجرجى زيدان الذي قال عن روايات المؤرخين القدامى : إنها خرافات تخالف العقل والنصوص التاريخية ، لم ينكر الحقائق التاريخية التي تكمن وراء خيال المؤرخين . فمن رأيه [أن ما يرويه العرب لا يخلو من حقيقة لابد من استخراجها ولا يكون ذلك إلا بالمقابلة بينها وبين مصادر تاريخية غير عربية أو قراءة الآثار]^(١) .

فما لا أشك فيه أن قم عاد برزوا في الجزيرة وأنهم كانوا أصحاب قوة وبأس شديد ، إذا بطشوا بطشوا جبارين ، وأنهم كانوا أغنياء مترفين بينون في كل ريع آية . ومما أرجحه أن قم عاد لم تنشأ دولتهم في اليمن وتقر فيه ، بل كانت لهم دولة في وادي القرى ، وأن نفوذهم امتد على كثير من ربوع البلاد العربية أيلم دولتهم في الشمال وأيلم دولتهم في الجنوب .

فلا يبعد على قم عاد أن يقيموا مدناً في شالي الحجاز ، وفي أطراف العراق ، وفي قلب اليمن ، وأن يضيفوا عليها مظاهر الأبهة والرفن سيا في بلاد اليمن التي عرفت بترف دولها وثروات أرضها . فلقد جاء في دائرة معارف وجدى : [أن أهل اليمن لم يقلوا عن أهل مصر وفينيقية مدنية في العصور القديمة إذ كان منهم الملوك الفاتحون والتجار المتقلون وكان لديهم مدن عامرة وآثار جميلة]^(٢) .

ويقول غوستاف ليون : [ومن الأدلة على ازدهار مدن اليمن في القرون القديمة ما

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٢٦ و ص ٢٣ .

(٢) دائرة معارف وجدى ٢٤١/٦ .

كان لها من الصلات التجارية الواسعة بالبلاد الأخرى . وبما أن علاقات العرب التجارية العالمية استمرت ألفى سنة ، وقد ورد ذكرها في التوراة فإننا نقول : إن العرب ضربوا بسهم وافر في ميدان الحضارة وإنه كان لمخازنهم من الأهمية ما لمخازن البندقية في إبان عظمتها ^(١) .

٥ - فلم يكن اعتراف غوستاف ليون وديتلف نيلسن اللذين نقلنا رأيهما في التاريخ العربى ومصادره - وفيما تقدم في هذا الجزء : مجرد استنتاج وطن . فلقد وضعت النصوص الأثرية بين يدي محققى التاريخ العربى من الأدلة ما جعلهم يستأنفون دراسة تاريخ اليمن القديم وتحقيق ما جاء في الروايات العربية عن اليمن ودوله وحضارته على ضوء المعلومات التى وصلت اليهم .

ومن الضرورى أن يتدخل منطق العصر الحاضر وموازينه في دراسة المؤرخين المتأخرين ، فأخذ بعضهم يناقش ما قاله مؤرخو العرب عن قوم عاد وأنهم كانوا في وادى القرى ^(٢) ، وعن سبأ التى عاشت في شألى الحجاز ، وهل كانت حاضرة بلقيس ملكة سبأ في اليمن أو في شألى الحجاز؟ وتردد الكثيرون في تصديق ما قيل عن « إرم ذات العماد » وساروا خلف ابن كثير ^(٣) وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين العرب الذين لم يطمئنوا إلى ما قيل عن إرم ذات العماد . وقد وجد هذا الكثير في اختلاف المفسرين في تفسير ما جاء عن « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد » ما قوى ترددهم .

٦ - فلقد اختلف المفسرون في تفسير ما جاء في القرآن الكريم عن إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد ، فكان قول الذين يعتقدون أن إرم ذات العماد هى مدينة لم يخلق مثلها في البلاد موضع شك ومثار جدل .

ففسر البعض إرم ذات العماد : أن (إرم) كلمة تعنى شعب عاد ، وأن كلمة (العماد) تعنى عماد الخيام - فعلى ذلك فإن إرم ذات العماد تعنى شعب عاد أصحاب عمد الخيام . فلقد جاء في تاريخ ابن كثير : [فعاد إرم هم عاد الأولى الذين كانوا يسكنون

(١) حضارة العرب ص ٩٥ .

(٢) معجم البلدان مادة قرح .

(٣) تاريخ ابن كثير ١/ ١٢٠ .

الأعمدة التى تحمل الخيل [^(١)] .

وتفسير هذا البعض كما تراه بعيد الاحتمال ، فليس من المنطق أن يبنى قوم عاد قصوراً ضخمة لا يسكنونها ، إنما القريب من المنطق أن تكون العماد أعمدة القصور التى كان العاديون يبنونها ، فلقد أصبح من الحقائق التاريخية أن الأعمدة من فن البناء العربى القديم .

كما أن زعم الذين قالوا إن إرم مدينة تدور فى الأرض ، فتارة تكون فى الشلم وتارة فى اليمن وتارة فى الحجاز ، ضرب من الخيال البليد ^(٢) . وإننى أظن أن أولئك الذين يقولون بأن مدينة إرم تدور فى الأرض قد اختلط عليهم الأمر فساروا مع الخيال الساذج ، دون أن يتنبهوا إلى ما جاء عن قوم عاد فى القرآن الكريم [أتنبئون بكل ربيع آية تغبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون] ، ودون أن يلقوا بالا إلى تلك الآثار المنتشرة فى الجزيرة العربية والتى ينسبها العرب إلى قوم عاد - فلو أنهم تنبهوا إلى كل ذلك لقالوا : إن لقم عاد مدناً فى الحجاز وفى الشلم وفى اليمن بدلاً من قولهم : إن إرم ذات العماد تدور فى الأرض فتكون تارة فى الحجاز وتارة فى الشلم وتارة فى اليمن وتارة فى مصر .

٧ - والمحقق الجدى الذى يتناول موضوع إرم ذات العماد عليه أن يستوعب كثيراً من المصادر ويتعمق مع كثير مما جمعته أقلام المؤرخين ، وهو إذا ما تعمق مع كثير مما جمعته أقلام المؤرخين لا يستبعد وجود مدينة فيها كثير مما تخيله بعض المفسرين والمؤرخين ، شادها قوم عاد وأسرفوا فى تزيين قصورها ومعابدها كما فعل بعدهم الجرهانيون فى مدنها والسبثيون .

فلقد جاء فى معجم ياقوت : أن أكثر الذين اختلفوا فى إرم ذات العماد يقولون بأنها مدينة دمشق ، وأن البحترى الشاعر المعروف عنها بقوله ^(٣) :

إليك رحلتنا العيس من أرض بابل يحجور بها سمت الدبور ويهتدى
إلى إرم ذات العماد وإنها لموضع قصدى موجفا وتعمدى

(١) نفس المصدر ص ١٢٠ وما بعدها .

(٢) تاريخ ابن كثير ١٢٠/٨ .

(٣) أنا لا أرى أن البحترى يقصد فى شعره أن دمشق هى إرم ذات العماد وإنما هو أراد

المقابلة عندما قال إنه رحل من العراق أرض بابل إلى دمشق التى هى فى عظمتها إرم ذات العماد .

ومما يقرب ظن هؤلاء أن اسم (إِم) من الأسماء المعروفة في الشلم ، فإن اسم علم لجبل من جبال (حسمى) من ديار جذام بين أيلة وتيه بنى اسرائيل^(١) وأن للإرميين تاريخاً قديماً في سورية .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية عن رواية المسعودى التى تقول : بأن الإسكندر لما أسس الإسكندرية وجد أعمدة من الرخلم نقش على أحدها اسم شداد بن عاد وأن شداد بن عاد قد شيد هذه المدينة ، وكتب على أحد أعمدتها بالخط الحميرى المسند : أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال الأطواد ، وأنا بنيت إِم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن أبني هنا كإِم وأنقل إليها كل نذى إقدام وكرم إلخ [٢] والذى يغلب على الظن أن هذه الرواية قد أخذت عن قصة الإسكندر التى تذهب إلى أنه قد اكتشف عند تشييده الإسكندرية معبداً فيه مسلات عليها نقش يشير إلى الملك (سيسنخيس) الذى حكم المعمورة ، يضاف إلى هذا أن ذلك النقش الذى يشير إليه المسعودى يتمشى مع قصة الإسكندر إلى حد بعيد . وإذا يجب ألا نتظر من هذه الرواية أن تدلنا على موقع (إِم) . على أنه لا بد أن نلاحظ كذلك أن الطبرى أيضاً في تفسيره يذكر ذلك الرأى القائل بأن إِم هى الاسكندرية نفسها . ويجب أن نلاحظ أن صيغة (إِم) من لغة أهل اليمن ، فقد ذكر الهمدانى جبلاً وبشراً يعرفان بنفس الاسم في جنوبى بلاد العرب [٣] .

وهذا الذى جاء في دائرة المعارف الإسلامية وإن كان نقاشاً علمياً مترناً إلا أنه لم يتعمق في بحث الموضوع كما يبدو على كلامهم عن صيغة (إِم) وأنها من لغة أهل اليمن - بناء على أن الهمدانى قد ذكر بشراً وجبلاً في اليمن يعرفان بنفس الاسم (إِم) . فما يجب أن يلاحظ في هذا الصدد ما جاء في تاج العروس : و (الآرام) بالمد الأعلام أو خاص بعاد ، و (إِم) كعنب والد « عاد الأولى » أو « الأخيرة » أو اسم بلدتهم . وقال الزمخشري : (إِم) اسم بلد منه الإسكندرية^(٤) . وما أثبتته المعاجم : أن كثيراً من

(١) المعجم ١٩٦/١ و ١٩٧ .

(٢) مروج الذهب ٣٧٠/١ مطبعة السعادة .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٦٣٣/١ وما بعدها .

(٤) تاج العروس مادة إِم ١٤٤/٨ .

أسماء الأماكن في الشمال تطلق على أماكن في الجنوب مثل : الجوف ، وعييل ، والطائف . ومن جبال الشمال التي ذكرها ياقوت : جبل (إم) الواقع بين إيلة وتيه بنى إسرائيل ^(١) . فإذا كان هنا في الجنوب جبل يسمى « إرما » فكذلك هناك في الشمال جبل يسمى « إرمأ » . وإذا كان هنا في الجنوب شعوب وقبائل إرمية فإن هناك في الشمال شعوبا وقبائل إرمية . وإذا كان (لوث) المستشرق يرى وجود صلة بين إم والآراميين ، فإن العرب وغير العرب من المستشرقين يرون : أن الإرميين انتشروا في أنحاء البلاد العربية شمالا ، وجنوبا ، وشرقا ، وغربا .

وقد يكون النقش الذي وصل إليه المسعودي هو غير النقش الذي عرفه مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية . وقد يكون شداد بن عاد وسيسنخيس قد بنى كل منهما بجانب الآخر على أرض المدينة التي أصبحت في عهد الإسكندر أثرا من الآثار ؛ فلقد رأيت في قلعة (بعلبك) بناء عربيا أقامه العرب بين أطلال القلعة القديمة . وهذه مدينة القاهرة مليئة بآثار عدد من الشعوب والدول التي توارثوا السيادة عليها .

وإنما الذي يلاحظ على رواية المسعودي قوله : إن الكتابة بالخط الحميري المسند ، والذي يلاحظ على أسلوب كتابة النقوش التي جاء فيها : وأنا بنيت إم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، أنه أسلوب إسلامي ، فتعريف الخط بالخط الحميري المسند ، والتنويه بأن إم ذات العباد لم يخلق مثلها في البلاد ، محل نظر . فأولا : الحميريون هم الذين أدالوا سلطان عاد سنة ١١٥ ق . م . ثم الأسلوب ، فمن البعيد عن الظن أن يكتب شداد بن عاد الذي عاش ومات قبل أن يولد المسيح بمئات السنين بالخط الحميري أنا بنيت مدينة إم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد .

٨ - إن البحث في إم ذات العباد بحث عميق كما ترى . ولا يستغرب من المؤرخين العرب أمثال ابن خلدون وابن كثير إن هم هزنوا مما يقال عن كنوز مدينة إم ذات العباد ، وقصورها الموشاة أبوابها وسقوفها بالذهب والأحجار الكريمة ، لأن حضارات الأمم البائدة

(١) راجع معجم ياقوت مادة إرم .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١/٦٣٤ .

أخنى عليها الزمن ولم يأت لعهدهم من يكشف عن سرها ، ولأن الكثير من الأنبياء التى وصلت إليهم عن العرب البائدة ، وصلت إليهم من أمثال ابن شرية ، وأن الكثير من الأنبياء التى وصلت إليهم عن التوراة وصلت إليهم من أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وكل واحد من هؤلاء أطلق لخياله العنان فى أكثر ما يتحدث به ، ويسأل عنه .

ومن المنتظر بعد المعلومات الأثرية أن يكون موقف المؤرخ فى العصر الحديث من أنباء حضارة قوم عاد وسلطانهم ، ومن أنباء ثروة اليمن وعمرانه - أكثر تروياً واهتماماً من ابن خلدون ، لأن الآثار كشفت عن حضارات فى أنحاء البلاد العربية لم يكن يتصورها المؤرخون المتقدمون . فلقد أثبتت الآثار التى اكتشفت فى العراق وفى شواطئ الخليج الإسلامى : أن السوموريين كانوا يستوردون النحاس من مناجمه فى عمان منذ بداية العصر النحاسى ^(١) ، وأثبتت الآثار التى اكتشفت فى فلسطين والبحوث التى تقصت تاريخ دولها : أن الجزيرة غنية بمناجم الذهب التى بلغت نقاوته حداً لم تعد معه فى حاجة إلى تصفيته بواسطة الصهر ^(٢) - ويقول ديتلف نيلسن : [إن الحضارة العربية القديمة لا تقل عن أختيها المصرية والبابلية] ^(٣) . وأكدت الآثار التى اكتشفت فى أنحاء الجزيرة العربية وفى المناطق القاحلة منها : أن أطواراً من النشاط العمرانى شهدتها الجزيرة العربية منذ فجر الحياة . وأثبتت آثار التعمودين التى لاتزال شاخصة لم تنلها عواذى الزمان : أن العرب البائدة كانوا أكثر أموالاً وأولاداً وقوة من العرب الذين خلفوهم على أرض الجزيرة .

فليس بكثير - وقد ثبت كل هذا - على شعب عاد الذى وصفه القرآن الكريم بالقوة والثراء ، ونوه الشعراء الجاهليون بدولته وسلطانه - ليس بكثير على ذلك الشعب الذى كانت له صلات سياسية وتجارية بالدول التى تعاصره : أن يغدق على عاصمته مظاهر الترف والأبهة كما فعل ملوك (كيش) منذ سنة ٣٢٠٠ ق م بعاصمتهم التى كشف

(١) تاريخ العرب لحتى ٤٣/١ .

(٢) تاريخ العرب لحتى ٦/١١ .

(٣) تاريخ العرب القديم ص ٢٧ .

التنقيب عن أعمدة تتم نقوشها وزخارفها عن ثقافة وثراء سكان (أكاد) و (سومور) ^(١) في أرض الفرات ، وكما فعل من بعدهم السبثيون والجرهانيون بمعابدهم وقصورهم ^(٢) في اليمن والخليج الإسلامي . فليس الكيشيون ولا السبثيون ، والجرهانيون بأكثر ولعا بالبناء وفخامته من العاديين الذين كانوا يبنون في كل ريع آية ، ولا هم بأكثر قوة وأكبر سلطاناً .

فاذا كان المؤرخون القدامى وقفوا من رواية ابن قلابة موقف الشك والريبة لأنهم لم يملكو من الأدلة ما يبرر الاهتمام بذلك الخبر الذي جاءهم عن رجل يحتاج إلى ما يثبت الثقة فيما يقوله ، والذي أمن على ما يقوله كعب الأخبار المبالغ في ادعائه المفرط في خيلاء جعلته يزعم أنه يعلم الأمر قبل وقوعه ، فهو قد ظن أنه سيسأل قبل أن يسأله أحد !! -

فان المؤرخين اليم يقدرون حضارة الماضي القديم لأنهم يملكون من الأدلة ما يجعلهم يهتمون بما يرويه (ديودورس) عن السبثيين وسلطانهم الواسع وغناهم الضخم وترفعهم الذي بلغ بهم أن يتخذوا أنيتهم وقوائم سرهم من الذهب والفضة ويكسوا أبواب المعابد والغرف بالذهب ، ويطعموا الجدران والتماثيل بالأحجار الثمينة ؛ ويهتمون بما يقوله (سترابون) وغير سترابون عن مدن الخليج الإسلامي وعن (الجرهانيين) ^(٣) وأنهم كانوا شعباً غنياً يسكن في المناطق الشرقية من شبه الجزيرة نافسوا السبثيين في الثروة والترف ، وأن مظاهر الثراء الواسع كانت تتجلى في الآنية والأثاث الذهبي البراق ، وفي الاحجار النفيسة الغالية التي زينوا بها سقوف بيوتهم وأبواب غرفهم ^(٤) بعد أن كسوها بالذهب .

فهل علينا بعد هذه الشواهد العديدة أن نسير وراء الذين يقولون : إن قم عاد كانوا يبنون القصور ويسكنون الخيل ، وأن التفسير الصحيح لإم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد : أن إم تعنى شعب عاد وأن العماد تعنى عماد الخيل ؟ هل لنا بعد أن ظهرت آثار الماضي في اليمن ، وفي شواطئ الخليج الإسلامي وفي اليمامة ، وفي البحرين -

(١) راجع تاريخ العالم ٥٤٣/١ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة سبأ ٢٠٨/١١ .

(٣) الجرهانيون أو الجرهميون - هم شعب ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان من سكان الخليج

الإسلامي الموصوفين بالنشاط التجارى .

(٤) العرب قبل الاسلام جواد ٤١٣/٢ و ٤١٩ و راجع حضارة العرب لغوستاف لبيون ص

٨٨ وما بعدها .

ألا نصلق بوجود مدينة مطلية أبوابها بالذهب والفضة مطعمة بالأحجار الثمينة تنسب الى قم عاد ؟!

فقد يكون البناء الذى عثر عليه ابن قلابه معبدأ من معابد المعينين أو قصرأ من قصور ملوكهم أزاله الرياح من فوقه رمال الأحقاف الناعمة ، فهال ابن قلابه بريق المعادن فأخذ يتحدث بما رأى ، ولا تزال روعة ما رأى تملأ نفسه ، وأخذ الناس يفسرون ما يقوله ابن قلابه بما يعتقدونه فى قم عاد الذين كانوا ينسبون إليهم كل أثر قديم . ولا عجب إن لم يعثر على تلك الآثار ابن قلابه بعد ذلك ولم يعثر عليها غيره فالمعروف عن المناطق الرملية الناعمة التى هى مثل رمال الأحقاف أن الرياح تنقل كتبائها من مكان لآخر بين عشية وضحاها .

ثم نحن إن افترضنا مع من يفترض اختلاق هذه القصة فننفىها مع من نفاهها ، فان علينا أن نأتى بأدلة النفى ، وأهم دليل ينفى هذه القصة معرفة الأسباب التى جعلت ابن قلابه يختلق ما يقول : وليس بين سطور هذه القصة ما يدل على أن هناك أسباباً جعلت ذلك الرجل يفترى هذه القصة .

ونحن إن قلنا مع من يقول : إن كعب الأحبار كان يخلط الحقائق بالخيال فان ذلك لا ينفى أن جوابه كان يمثل رأى العلم السائد فى صدر الإسلام والقائل بأن لعاد مدينة كانت تسمى (إم ذات العباد) فلو أن الرأى العلم فى ذلك التاريخ كان ينكر وجود مدينة تسمى إم ذات العباد لما عز على كعب الأحبار أن يرد بجواب غير هذا فكعب الأحبار على ما يقال فيه : قصاص لبق مطلع عرف كيف ينال ثقة معاوية بن أبى سفيان ، وما معاوية بن أبى سفيان بالرجل البسيط . وكعب على ما يبدو وقد سمع عن تلك المدينة وسمع عن قصة ابن قلابه فقد رآه سبئاً عنها فأعد الجواب الذى يتفق مع ما يعتقد الناس ويزيدهم ثقة فيه .

٩ - على أنه مهما يكن من أمر هذه القصة ، فانها تكشف لنا ناحية مهمة فى موضوعنا : وهى أن العرب فى جاهلية ما قبل الإسلام وفى صدر الإسلام مقتنعون بأن حضارة جنوب البلاد العربية حضارة عظيمة رائعة ، وحضارة قديمة قدم قم عاد . وأنهم كانوا مقتنعين بأن قم عاد كانوا يبنون فى كل بلد بناء قوياً جميلاً مترفاً ، فلذلك اختلط الأمر على الذين اعتقدوا : أن إم ذات العباد هى مدينة ، فقال بعضهم : إنها فى السلم ،

وقال بعضهم : إنها في وادى القرى من الحجاز ، وقال أكثرهم : إنها في الأحقاف باليمن ، وقال بعضهم : إنها الإسكندرية .

واقترع العرب بالحضارة اليمنية القديمة أثبتته البحث الحديث . فلقد تحدث (نيلسن) عن المدن القديمة في كتاب التاريخ العربى القديم فذكر رحلة « هيلفى » في اليمن وما أسفرت عنه النقوش التى عثر عليها وقال : [فقد علمنا أن هناك مدنية رفيعة راقية لشعب ضرب في المذنية بنحظ وافر ، ففي الجهات الخصبه الواقعة حول نهر (خرد) في الجوف العربى الجنوبى وشمال شرق صنعاء اكتشف (هيلفى) آثار تلك الحضارة الرفيعة في ظلال دمن الأبنية العظيمة والمدن الكبرى التى يقع معظمها فوق مرتفعات حصينة . فقد كانت هذه المدن كما تبين فيما بعد من النقوش مدنا معينة قديمة]^(١) .

هكذا نجد البحث في قصة إم ذات العمد يصل بنا إلى حضارات جنوبى الجزيرة العربية وشرقيها . إلى حضارة عمان منذ العهد النحاسى . وإلى حضارة معين التى كشفت بحوث الأثرين عن أقدم أثر للدول المعينية - « أولى دول اليمن فى رأى الكيرين » ، والتى قال عنها أكثر المحققين : إن أقدم أثر لها يرجع إلى ما قبل منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

ووصل بنا البحث إلى ما عرف عن ترف السبئيين والجرهانيين الذين كانوا يكسون جدران قصورهم وأبوابها وسقوفها بصفائح الذهب والفضة ويزخرفونها بالأحجار الثمينة إلى غير ذلك من الأدلة التى أشرنا إليها ، والتى تجعلنا مع الذين يصدقون : أن إم ذات العمد مدينة ، ولا يستبعدون : أن يعثر ابن قلابه على ما عثر عليه ، وإن كنا لا نؤكد : أن الآثار التى عثر عليها ابن قلابه هى آثار مدينة إم ذات العمد بالذات ، فقد تكون آثار مدينة من مدن السبئيين ، أو المعينيين ، أو الحضرميين ، أو القتبانيين - فقد انتشرت حضارات هاتيك الدول فى جنوبى الجزيرة العربية . وكذلك نحن لا نؤكد : أن كل ما قاله عبد الله بن قلابه صحيح ، لأن القصة لا تخلو من أثر الدهشة التى خالطت نظرات ابن قلابه ولا تخلو أيضا من زخارف صنعها خيال الذين تناقلوا قصة ابن قلابه واكتشافه . فإن كل هذا لا يجعلنا ننكر أصل هذه القصة ، فقد تكون الآثار التى رآها ابن قلابه هى آثار

(١) التاريخ العربى القديم ص ١٤ .

معبد من معابد اليمن القديمة أو قصر من قصور ملوكها المترفين .
فالآن وبعد أن حقق لنا البحث في مدينة إِم ذات العماد قدم الحضارة العربية في
الأقسام الجنوبية والشرقية من جزيرة العرب ، خليف بالبحث أن ينتقل إلى ما وصل إليه
تحقيق المؤرخين عن بداية التاريخ العربى في هذه الأقسام . والبحث فيما وصل إليه تحقيق
المؤرخين هو كما قلت من قبل شاق صعب لاختلاف المصادر ولضرورة الأخذ برأى جرجى
زيدان الذى مر بنا قوله : إن استخراج حقائق التاريخ اليمنى لا يمكن إلا بالمقابلة بين
المصادر العربية وغير العربية .



البحث الرابع والعشرون

متى بدأ النابخ العزني في جنوبي الجزيرة وشرقيها؟

موضوعات البحث :

- ١ - الحضارة العربية في الخليج الإسلامي ليست متأخرة عن الحضارة السومورية في العراق .
- ٢ - المناطق التاريخية في الشرق والجنوب من الجزيرة العربية .
- ٣ - التاريخ العربي في شواطئ الخليج قديم .
- ٤ - عمان تشارك اليمن وتشارك الخليج الإسلامي في أحداثهما .
- ٥ - تاريخ حضرموت مرتبط بتاريخ اليمن .
- ٦ - اختلفت المصادر في حدود اليمن القديم .
- ٧ - بداية تاريخ اليمن .

متى بدأ النياح العربي في جنوبي الجزيرة وشرقيها؟

١ - إن مناطق الجنوب والشرق من الجزيرة العربية مناطق شاسعة ذات تاريخ عريق وذات حضارات جد قديمة أكل الدهر عليها وشرب . وإنا إذا قلبنا صفحات ماضيها البعيد ، نجد شواطئ الخليج الإسلامي إن لم تكن حضارتها وحضارة بلاد ما بين النهرين كفرسى رهان ، فهي على كل حال لم تكن متأخرة عنها . ونجد المؤرخين يجمعون على أن لحضرموت حضارة نمت في أحضان الزمن منذ عهد بعيد . ونجد الأثرين يتحدثون عن علاقة قدامى الفراعنة بالمنطقة الغنية ببخورها والتي كانت تسمى بأرض (البنط)^(١) ، تلك المنطقة التي كانت تحيط بباب المنذب وكان قسم منها من جزيرة العرب وقسم منها من أفريقية .

٢ - وإن البحث في تاريخ هذه المناطق وبدايته يفرض علينا أن نقسم موضوعه إلى ثلاثة أقسام : الأول المنطقة التي تقع بين عمان والعراق - ثانياً : المنطقة التي تشمل عمان وحضرموت - ثالثاً : منطقة اليمن . فإن هذا التقسيم على ما أعتقد أوضح للبحث وأين . أولاً - الأرض الممتدة من العراق شمالاً إلى عمان جنوباً : (القرن) الكويت ، و (هجر) الأحساء ، واليامة ، وشبه جزيرة قطر ، و (دلون) جزر البحرين .

والتاريخ الحضارى لهذه المنطقة يبدأ من قبل الألف الثالثة التي سبقت ميلاد المسيح حيث كان الكنعانيون منتشرين في طول هذه المنطقة وعرضها ، كما أثبتته البحث في جغرافية الجزيرة العربية من هذا الكتاب . فمن المتفق عليه عند المؤرخين : أن الكنعانيين هاجروا من شواطئ الخليج الإسلامي إلى سورية في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عرفوا هناك في سورية بأسم الفينيقيين . ومن المؤكد الواضح عند الأثرين : أن الكنعانيين أقاموا حضارة في اليامة ، وفي الأحساء ، وفي البحرين قبل أن يهاجروا إلى سورية .

(١) راجع الفصل الخاص باليمن من الجزء الخاص بجغرافية بلاد العرب القديمة من هذا المؤلف [العرب في أحقاب التاريخ] الذي طبع أخيراً بعنوان : التاريخ العربي وجغرافيته .

ومن عصر الكنعانيين تعاقبت الأمم على هذه المنطقة فمنهم : طسم وجديس والددنيون الذين انتشروا من وادي القرى إلى سواحل الخليج ، وغيرهم من الشعوب التي أشار إليها (جان جاك)^(١) عندما قال : [لقد شهدت هذه الشواطئ ولادة وانقراض كثير من الحضارات والإمبراطوريات والفلسفات والأديان] .

فعلى مقربة من ميناء (العقير) المعروف اليوم ، آثار ميناء تجارى عظيم أبقت الأيام عليها لتشهد البعث الحضارى فى القرن العشرين . ويقول المحققون فى تاريخ ذلك الميناء : إن الناس كانوا يتحدثون عن عظمته إلى عهد الرومان . وفى يقين الأثرين : أن (بلبانة) إحدى مدن الجرهائين تقع على خليج القطيف . وفى بحوثهم : أن آبار العوفير القريبة من القرية المعروفة باليامة هى موضع (أوفير) التى ذكرتها التوراة والتى كانت تصدر الذهب والطواويس .

والبحرين أو (دلون) التى ورد ذكرها فى الآثار الآشورية ، يتحدث الأثريون عما خلفه الكنعانيون فيها من آثار حديثاً طويلاً . ولقد كانت (دلون) - البحرين - أرضاً مقدسة عند العراقيين تقوم فيها بيوت أهلتهم .

ولكن هل تعتبر هذه الحضارات بداية التاريخ العربى فى هذه المنطقة ؟ إن من رأى أن هذه الأنباء التى يكتنفها الغموض لا يستفاد منها أكثر من اتخاذها أدلة تثبت الحضارات العربية فى سواحل الخليج الإسلامى أو ما أسماه جغرافيو العرب : العروض - فالتاريخ الحقيقى لابد أن يكون واضح المعالم متسلسل الحلقات ولم تتضح معالم التاريخ فى بحوث المؤرخين إلا من بعد عصر الإسكندر المقدونى ، ولم تتسلسل حلقاته إلا من بعد الدولة الفارسية .

٣ - أما الأخبار القصيرة وما فيها من أساء الأمكنة والشعوب والملوك التى وردت على نصوص (سرجون) وخلفائه وعلى النصوص الآشورية التى تشبه البلاغات الرسمية التى تعلنها دول اليوم ، فإنها أخبار قصيرة لم ترتبط حلقاتها لتكون تاريخاً أو شبه تاريخ ، لذلك الجزء من البلاد العربية ، وأما ما جاء فى مؤلفات المؤرخين من قصص عن (جديس) و (طسم) و (وبار) فإنه يحتاج إلى تحقيق يعتمد على أدلة لم يتوافر فيها

(١) كتاب الخليج العربى ص ١٩ وما بعدها .

غير ما طالعنا به اكتشاف الأثرين ، وهذا كذلك مفكك الحلقات لا يتجاوز الكلمة الموجزة التي دعت إليها المناسبة - فما قدمه المؤرخون وما قدمه لنا الأثريون على مافيه من أدلة تثبت قدم التاريخ في سواحل الخليج الإسلامي لا يمكن الاعتماد عليه في تحديد بداية التاريخ لهذه المنطقة . فعلى ما جاء في البحث عن الملاحة العربية في الخليج الإسلامي ونشاط الموانئ العربية التجارية في تلك العصور الخوالي ، فإننا لم نجد أمامنا غير أدلة تؤكد قدم الحضارة العربية في العروض كما قلت أولاً .

٤ - ثانياً : عمان وحضرموت - وعمان وحضرموت وإن اتفقت كلمة المؤرخين في تاريخهما على أنه قديم وقديم جداً ، فإن عمان التي كانت تصدر النحاس إلى السوموريين^(١) . لا يصل البحث في تاريخها إلى أبعد مما وصل إليه البحث عن العروض وأقسامها . فعمان في رأى بعض الجغرافيين قسم من أقسام العروض ، وعمان تعتبر حلقة الوصل بين العروض وحضرموت واليمن . فهى ذات تاريخ مشترك مع اليمن من جهة ومع العروض من جهة أخرى .

٥ - أما حضرموت ، فلقد عرف تاريخها منذ عرف تاريخ معين وسبأ وقتبان . وأقدم تاريخ عرف لهذه الدول هو تاريخ الشعب المعينى ، وتاريخ المعينين في الجنوب لا يتجاوز منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

على أننا إذا رجعنا إلى ما يقال عن (حضرموت) الجد الأعلى للحضرميين في بحوث الأنساب نجد : أن حضرموت من رجالات العصور التي سبقت منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . ونحن وقد بحثنا فيما يقوله النسابون : عن قحطان والقحطانيين حضرميين وغير حضرميين في الجزء الخاص بشعوب الجزيرة العربية من هذا الكتاب ، نحيل القارىء المستزيد إلى ذلك الجزء .

كما أننى ألفت النظر إلى أن حضرموت في أزمنتها الغابرة ليست محجوزة في الحدود الجغرافية التي تحيط بحضرموت اليوم ، وإلى أن حضرموت كانت في عصورها القديمة أكثر ثراء وأكثر نشاطاً وأكثر حضارة مما هى عليه اليوم ، وإلى أن البحث عن جغرافية حضرموت القديمة قد تأخر في الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة العربية كما تأخر البحث عن دول

(١) تاريخ العرب لحتى ٤٣/١ .

حضر موت في الجزء الخاص بالدول العربية وسياستها من هذا الكتاب .

٦ - ثالثاً : اليمن - والبحث عن اليمن تجده في البحوث التاريخية متعدد الصور مختلفة أوجه البحث فيه . وذلك لأن اليمن في كثير من البحوث اليونانية معناه البلاد السعيدة - والبلاد السعيدة في مؤلفات اليونانيين تمتد من بادية الشام شمالاً إلى البحر العربي من المحيط الهندي ؛ وكذلك نجد اليمن في البحوث الإغريقية مندمجاً في منطقة أطلقوا عليها اسم أثيوبيا ومدوا حدودها من أرض النوبة والبلاد الحبشية في أفريقية إلى عمان وشواطيء الخليج الإسلامي في شبه الجزيرة العربية بآسيا .

ونجد اليمن في آثار الفراعنة داخلًا في نطاق المنطقة التي أطلق عليها الفراعنة اسم - أرض البنط - التي تشمل على بعض من شواطيء أفريقية المطلة على جنوبى البحر الأحمر وباب المندب وعلى بعض من جنوبى الجزيرة العربية الغربى .

ونجد اليمن في بحوث المؤرخين العرب القدامى يشمل جنوبى الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج الإسلامي .

أما بحوث المستشرقين فقد عينت حدوداً لليمن قريبة من حدود الجمهورية اليمنية الجنوبية في الوقت الحاضر .

ومن المتوقع أن تختلف الاعتقادات في المدى الذى بلغه تاريخ اليمن القديم بنسبة اختلاف الآراء في تعيين حدوده^(١) .

فالمؤرخون العرب يرجعون بتاريخ اليمن إلى أقدم العصور التي تعرف اليوم بالعصور السامية ، فتاريخ اليمن السياسى في مؤلفات المؤرخين العرب جد قديم وجد واسع . فهم يتجاوزون بتاريخ اليمن عصر (ذى القرنين) باني سد يأجوج ومأجوج ، وهم يبدأون به من قبل عصر نمرود إبراهيم - أحد جبابرة (أور) - وهم يدخلون في تاريخ اليمن أكثر أحداث الجزيرة العربية سيما شواطيء الخليج الإسلامي ولعل السبب في ذلك هو ماوصل إليهم من اليمنيين وما اطلعوا عليه في المصادر اليونانية .

أما المستشرقون فبحوثهم المتأخرة أكثر اعتمادها على تحقيقات الأثرين ونقوش الآثار . فأقدم دولة في رأى الأكثرية منهم - هى دولة معين - فمن أنصار هذا الرأى (جلازر)

(١) راجع القسم الخاص بجغرافية اليمن في جزء جغرافية الجزيرة العربية من هذا الكتاب .

و (هومل) و (فيمر) و (فيلبى) . ويرى آخرون منهم (و . ه . مللر) و (مارتين هارغان) : أن دولة سبأ أقدم من دولة معين . ويقول (ك . كلارك) ان القتبانيين والمعينيين ظهروا بعد سبأ مباشرة .

ومن المفيد للبحث هنا أن نترك المستشرقين فيما هم فيه مختلفون لأن لكل دولة من هذه الدول فصلها الخاص في الجزء الموضوع للدول العربية وسياستها ، ولأن الذى نبحت عنه هنا هو : التاريخ العربى وبدايته فى اليمن - وإخالتى قد قلت فيما سبق : إن كثرة الأثرين يؤكدون أن منتصف الألف الثانية قبل الميلاد هو البداية لتاريخ اليمن الحقيقى . ولكننى لم أقل : إن هناك فريقاً آخر يقول إن تاريخ اليمن لايتجاوز ألف عام قبل الميلاد ، فهناك قسم كبير لايتعدى بتاريخ المعينيين الألف الأخيرة التى سبقت الميلاد .

فالذى يظهر على أكبر التقديرين : أن تاريخ اليمن الحقيقى كان متأخراً عن تاريخ الحجاز الذى بدأ بعصر إسماعيل فى مكة . والذى ألفت النظر إليه هنا هو مايقوله بعض الغريبين عن أسبقية العنصر الحامى فى سكنى جنوبى الجزيرة العربية^(١) حيث دلت الآثار على وجودهم فى الجنوب من قبل منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

والذى أراه أنا : أن تحديد الألف الأخيرة التى سبقت الميلاد ، أو منتصف الألف الثانية ، مبنى على ماوصل إليه الأثريون ، وأن عدم عثور الأثرين على نص يرجع تاريخه إلى ما قبل ذلك العصر ، لايجتم علينا الاعتقاد بأن هذا الجزء من الجزيرة العربية كان خالياً من الناس ينعب فيه الغراب فتجاوبه اليوم ، فى الوقت الذى كانت فيه (عمان) تصدر النحاس إلى السوموريين ، وفى الوقت الذى كانت فيه منطقة باب المندب أو مايسمى بأرض (البنط) تصدر البخور إلى مصر . ولايجتم علينا الاعتقاد بأنه كان خالياً من العرب إلى قدم المعينيين .

والذى أراه أنا : أن العناصر التى سكنت فى منطقة باب المندب وأطراف اليمن الجنوبية والغربية كانت خليطاً من عناصر سامية وحامية ، الأمر الذى جعل النساين يختلفون فى أصل الحميريين خلفاء المعينيين والسبئيين هل هم قحطانيون عرباً أو من أصل

(١) راجع هامش تاريخ العرب لفيليب حتى ص ٩ .

حامى ؟! كما ترى ذلك الخلاف وأسبابه في الجزء الخاص بشعوب الجزيرة العربية .
٧ - فبناء على ذلك فأنا مقتنع بأن اليمن قد سكن من قبل منتصف الألف الثانية السابقة للميلاد ، وأن سكانه كانوا خليطاً من الساميين ومن بلاد النوبة والأحباش . فاليمن لم يكن في المؤلفات اليونانية من ضمن المنطقة الأثيوبية إلا للمصلات الوثيقة التي كانت تربطه بالحبشة ، والتي جعلته في نظر المؤرخين اليونانيين مع الحبشة ومع عمان وشواطئ الخليج الإسلامى منطقة واحدة أسموها : اثيوبيا . فليس غريباً على بلد يحظى بالسواحل والأسواق التجارية إن ازدهت أرضه بمختلف العناصر ، فسواحل اليمن وأسواق مدنه معروفة بالنشاط التجارى من أقدم الدهور .

كما أتنى معتقد أن التاريخ العربى في اليمن أقدم من الآثار التى بنى عليها المستشرقون اعتبارهم منتصف الألف الثانية ، أقدم عصور المعينين ، ولكننى أقول مع القائلين : إن التاريخ العربى الذى تسلسلت حلقاته : يبدأ من عصر المعينين الذين عرف تاريخهم منذ منتصف الألف الثانية ق . م . ومن عصور السبئيين والقتبانين والأوسانيين الذين وضحت لنا الآثار جانباً من تاريخهم واطلعنا على بعض نظمهم وعقائدهم . وعرفنا بها أسماء ملوكهم التى تجدد قوائمها اليوم في كثير من المؤلفات التاريخية . وأهم هذه القوائم وأكثرها إيضاحاً وتحقيقاً القوائم المذكورة في تاريخ العرب لجواد على . على أتنى هنا أذكر مرة ثانية الأسماء التى جاءت في بعض المصادر العربية مثل مؤلفات الهمداني ، وأقول : إنها ذات قيمة تاريخية جدية بعناية التحقيق واهتمامه .
هذا ولعلنا نجد ما يؤكد لنا : هذه النتائج في مصادر تاريخ الأديان في جنوبى الجزيرة وشرقيها ، فالأديان كما قلت من قبل دليل من أدلة بداية التاريخ .



صراع الأدباء جزهم في نائج الجنوب الشرق من شبه الجزيرة

من موضوعات البحث :

- ١ - صراع الأديان في اليمن سبب مشاكل سياسية تجاوزت حدود اليمن .
- ٢ - متى بدأ صراع الأديان في اليمن ؟
- ٣ - هل تأثرت وثنية اليمن بوثنية العراق ؟
- ٤ - أسباب الفرق في موقف العرب في الجنوب وفي الشمال من اليهودية .
- ٥ - العقائد في الساحل العربي من الخليج تأثرت بعقائد وادي الفرات في أكثر العصور .
- ٦ - العقائد في حضرموت صورة من العقائد اليمنية .
- ٧ - من أين جاءت عقيدة الثالوث الفلكي الى اليمن ؟

صراع الأديان جزرهميم في نايح الجنوب الشرق من شبه الجزيرة

١ - لم يكن اليمن في زمن من الأزمان بمعزل عن صراع الأديان واختلاف النحل والمذاهب ، ولم يسبب صراع الأديان في اليمن مشاكل داخلية فحسب ، بل هو أثار مشاكل دولية في عالم ذلك الزمن برزت واضحة في حادثة الأخدود التي راح ضحيتها نصارى نجران .

٢ - وصراع الأديان يبدأ في رأى المؤرخين العرب منذ عصر هود نبي قوم عاد ، ولقد تقدمت في البحوث السابقة الأدلة التي تؤكد : أن عاداً وقوم هود كانوا في الشمال ، وتقدمت كذلك الظنون في عصر هود ، وهل سبق عصر إبراهيم أو تأخر عنه ؟ - فعلى ذلك فإن البحث هنا لا يستدعى العودة الى ذلك النقاش فسواء كان قوم عاد الذين بعث لهم هود في وادى القرى شاملى الحجاز كما يرى البعض ، أم كما يرى البعض الآخر : أن قوم عاد الذين بعث لهم هود كانوا في الأحقاف شاملى حضرموت ، فإن من المرجح أن هوداً استقر في الجنوب ودفن فيه ، وأن لـ (هود) في اليمن زعامة دينية مطاعة ، وأن هود مكانة محترمة بدليل انتساب القحطانيين إلى هود اعتزازاً وافتخاراً به ، ولقد ظن بعض النساين : أن القحطانيين من ذرية هود .

ومما لا شك فيه : أن قوم عاد الذين بعث إليهم هود كانوا على وثنية وجدوا آباءهم يدينون بها . ومما لم يذكره واحد من المؤرخين : أن متاعب صادفت هوداً في أيامه التي عاشها في اليمن بعد عذاب قوم عاد المكذبين .

فعلى ذلك التحقيق المبني على ما جاء في كتب التفسير ومؤلفات المؤرخين العرب : أن قوم عاد كانوا وثنيين من قبل هود ، وأن الذين نجوا مع هود من العذاب والذين التفوا من حوله في الجنوب ، آمنوا بالوحدانية التي نادى بها هود .

وعلى ما وصل إليه البحث عن عصر هود وأنه كان بعد عصر إبراهيم بزمن غير طويل ، وعن عصر إبراهيم وأنه في رأى الأغلبية كان بين أواخر الألف الثالثة وأوائل

الألف الثانية قبل الميلاد ، وأن بين ملة إبراهيم وتوراة موسى التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد والتي لم تشر إلى هود وقومه العاديين ، ولا إلى صالح وقومه الثموديين ، زمناً يبلغ عدد سنه نحواً من سبعمائة عام انطوت وانطوت معها أحداث جسام منها : مصرع قوم عاد بالريح الصرصر ، ومنها مصرع قوم ثمود بالرجفة . وكان فيها انتشار عاد الثانية في جنوب الجزيرة .

وإذا كان صحيحاً ترجيحنا : أن قوم عاد هم المعينيون ، فإن المعينيين بلغوا اليمن في منتصف هذه السبعمائة عام ، وهذا التقدير كما تراه قريب مما قالته الكثرة من المستشرقين عن المعينيين ، وأن تاريخهم في اليمن حسب النصوص الأثرية يبلغ ألفاً وخمسمائة عام قبل الميلاد .

وإذا كانت النصوص الأثرية في اليمن أشارت إلى أصنام المعينيين فإن الوثنية في اليمن التي أشارت إليها تلك النصوص لم يتجاوز تاريخها النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد ، بموجب هذه النتيجة التي يصل إليها التحقيق . ولعلها ظهرت بعد أن تناسى الناس شريعة هود .

٣ - والوثنية في اليمن في رأى أكثرية المستشرقين لم تتأثر بالوثنية البابلية كما تأثرت بها وثنية شمالى البلاد العربية . فهذه الأكثرية تقول : إن أساطير اليمنيين وتصويرهم الآلهة وأسماء الأصنام في اليمن ، تتباين عن أساطير العرب في الشمال وتصويرهم الآلهة وأسماء أصنامهم . ويعتقد البعض أن أكثر الأصنام التي ذكرها ابن الكلبي لم تكن شائعة في اليمن شيوعاً في الحجاز ونجد . غير أن هذا الاعتقاد بدأ يتضعع عندما ظهرت الآثار في الجنوب تحمل اسم (العزى) و (سواع) و (ود) وغيرها من أسماء الآلهة التي عرفت في الشمال .

فمن الظنون التي نبعت من التحقيق والتقصي ، ظنون تذهب إلى أن الأديان في الجزيرة العربية كعناصرها كانت في الأصل ديانة عربية واحدة تفرقت في مهد العروبة مع العنصر العربي الذي ملأ جوانب البلاد العربية ، وعرف في بحوث التاريخ القديم باسم العنصر السامى ، وتطورت بتطور القبائل المهاجرة في مهاجرها وتلوت بالظروف والحالات

التي تلونت بها مداركها ومفاهيمها . وكلما بعدت المسافة وتقادم العهد زادت الفوارق حتى أصبحت الوثنية في الشمال بعيدة الشبه عن الوثنية في الجنوب .

وأهم عوامل التباين في العقائد : تفاوت المستوى الفكري . فلقد قص علينا القرآن الكريم : كيف كفرت عاد بربها ، وبأى منطق جادلت هوداً ؟ وقص علينا كيف كفرت ثمود وبأى منطق جادلت صالحاً . فلم تكن من حجج هود : ناقة ، ولا أفعى ، ولا مائدة من السماء ، لأن عقلية العرب الذين لم يحتكوا بغيرهم من السوموريين والحثيين ، وبالقوط من المصريين ، غير عقلية العرب الذين اختلطوا بهؤلاء وتشبعت عقليتهم بماديتهم . فالعرب في قلب الجزيرة العربية لا يؤمنون بالسحر إيمان المصريين به ، ولا يتأثرون بالماديات كتأثر الإسرائيليين بها ، ولا يقبلون التضحية بالعفاف مهما كانت المبررات البابلية .

فإذا كانت الوثنية في اليمن تختلف في بعض صورها عن الوثنية في الشمال ، فإن ما كان بينهما من اختلاف هو النتيجة المتوقعة لاحتكاك الجنوبيين بالأحباش ، واحتكاك الشماليين بالحثيين وشعوب البحر الأبيض .

٤ - ونحن اذا بحثنا عن السر الذي جعل موقف الإرميين في الجنوب من اليهود واليهودية أفضل من موقف العماليق في الشمال ، فإن الظنون تصور لنا أسباباً لذلك منها : أن الوثنية في قلب الجزيرة وجنوبها أكثر تمسكاً بالإله الأعلى الرحمن الرحيم من الوثنية الشبالية ، وإن كانت بعض المذاهب الوثنية في اليمن تأثرت بالوثنية الشبالية فاعتقدت في الثالوث المقدس - القمر وهو الأب ، والزهرة وهي الابن ، والشمس وهي الأم^(١) .

ومنها : أن اليهودية جاءت إلى الجنوب في حماية « تبع » الذي أحترمها وجعل لها نفوذاً استغله اليهود في حادثة الأخدود ، فكانت هذه الحادثة المعول الذي قوض سلطان اليهودية وبوأ النصرانية المكان الأول في رعاية (أبرهة) ، فكانت لها السيادة إلى ما بعد عودة سلطان الحميريين في حماية القوى الفارسية . ومنها : أن اليهودية جاءت إلى فلسطين تتبعها جيوش جرارة من الذين تبعوا موسى وهاجروا معه ، تريد أن تحتل أرضها وتقضي على سلطانها .

(١) جواد تاريخ العرب ١٢٠/٥ والتاريخ العربي القديم ص ١٩٤

وهكذا يكشف لنا البحث في صراع الأديان في اليمن عن جانب كبير من تاريخه .
٥ - أما تاريخ الأديان في سواحل الجزيرة العربية الممتدة على الخليج الإسلامى فالذى يستدل من الآثار ، ويستشف من الأخبار القصيرة التى أوردها المؤرخون العرب فى كلامهم عن قبائل : (وبار) و (طسم) و (جدیس) أنه يشبه إلى حد بعيد تاريخها العام . فالقسم الشمالى من العروض متأثر بحضارة العراق ، بعقائد العراق ، وبسياسة العراق . وإنك لتجد هذا التأثير واضحاً فيما كشفه البحث الأثرى من معابد فى جزر البحرين قيل : إنها كانت عند العراقيين معابد مقدسة ولا يزال مذهب الشيعة له معتقده فى الأحساء والبحرين فى الوقت الحاضر .

٦ - أما القسم الجنوبى - فهو متأثر بحضرموت واليمن فى عقائده وتقاليده . فى أخلاقه وطباعه ، فى حضارته واقتصادياته وسياسته حتى إنك تجد من المؤرخين من يعتقد أن عمان قسم من اليمن وأن اليمن يمتد من البحر الأحمر إلى خليج عمان .

٧ - ولعل الاعتقاد فى النجوم وعبادة (ود) والإيمان بالثالوث المقدس ، استورده اليمن من العراق عبر سواحل الخليج الإسلامى فأخذت عبادة الكواكب مكانها بجانب العقائد التى انتقلت إليه من أفريقيا عبر باب المندب ، مثلما عبرت عبادة الكواكب من بابل إلى مصر عن طريق سورية .

ولقد وضع هومل : الفوارق الملاحظة بين عقائد الساميين فى جنوبى الجزيرة وشمالها ، وعقائد الساميين فى بابل . وفى مقدمة ما وضعه الفرق فى مراتب الأفلاك الآلهة فالقمر (ود) هو مقدم على الشمس عند الساميين فى غير بابل . أما فى بابل فالشمس هى المتبوءة المرتبة الأولى فى العقائد البابلية^(١) .

والذى لا تشك فيه الظنون : أن تاريخ الأديان فى سواحل الخليج الإسلامى يمتد إلى عصر الكنعانيين فى الخليج الإسلامى . والذى يستفاد من النتائج التى وصلت إليها البحوث التى ناقشت نشوء العقائد فى الجنوب : أن تاريخ الأديان فى اليمن وفى العروض يؤكد النتائج التى وصل إليها البحث فى حضارة هذه البلاد وفى بداية التاريخ العربى .

(١) تاريخ العرب لجواد ١٢٢/٥ والتاريخ العربى القديم ص ١٩٤ وما بعدها

البحث السادس والعشرون

الحلال الخصب في النايح العزبي

موضوعا البحث :

- ١ - بواعث هذه التسمية « الهلال الخصيب » .
- ٢ - الأقطار التي تمثل الهلال الخصيب

الهلال الخصيب في النياخ العرني

١ - ليس هنا مكان القول عن الأسباب التي من أجلها اخترت اسم الهلال الخصيب لمنطقة شمال الجزيرة العربية من مصب الفرات في الخليج الإسلامي شرقاً إلى منتهى خليج العقبة غرباً ، فلقد بينت ذلك في الفصل الخاص بهذه المنطقة في الجزء الموضوع لجغرافية الجزيرة العربية من هذا الكتاب . كما بينت الأسباب التي من أجلها اخترت اسم سورية الكبرى لشق الهلال الخصيب الغربي : سورية ولبنان وفلسطين . وإنما الجدير بالتوضيح هنا : أنه ليس من تلك الأسباب سبب واحد يرجع إلى الآراء السياسية التي تتردد اليوم ، إنما هي أسباب تاريخية محضة .

٢ - والهلال الخصيب كما هو معروف يشمل العراق وسورية ولبنان وفلسطين . وأرض العراق وسورية الكبرى ، عرف تاريخها من زمن قديم . فالحديث عن التاريخ العربي بما فيه - العراق وسورية - يستلزم تخصيص بحث لكل من العراق وسورية . وتخصيص بحث لتاريخ كل من العراق وسورية الكبرى يستلزم الكلام عن حضارتهما الفارقة في القدم ولاسيما أرض ما بين النهرين « العراق » .

البحث السابع والعشرون :

العراق عرق الحضارة من القدم العصور

من موضوعات البحث :

- ١ - تتفق آراء القدامى مع المتأخرين على قدم حضارة العراق .
- ٢ - غوستاف لبيون يؤيد رأى القدامى الذى يقول : إن العقل البشرى نما وترعرع في العراق قبل أن يولد في مصر .
- ٣ - جون ويلسن يقول : إن دين مصر لبابل أمر واضح .
- ٤ - أدلة الغربيين على قدم حضارة العراق تعتمد على الآثار .

العراق عرف الحضارة من أقدام العصور

١ - إن المؤرخين الذين استعانوا في بحوثهم بما في الكتب المنزلة وبما في المصادر اليونانية عن نوح وقومه ، وعن الطوفان ودفنه معالم حضارة الذين سبقوا نوحا وملاه في أرض ما بين النهرين - العراق - يتفقون مع المؤرخين الذين استمدوا بحوثهم من نتائج الدراسات الجيولوجية ، ومما وصلت إليه معاول الأثرين ، على أن حضارة العراق أقدم حضارة عرفها الإنسان قبل التاريخ .

فلقد لخص ابن خلدون في تاريخه ما جاء في كتب التفسير عن إدريس ووضعه أسس الحضارة الإنسانية وتأسيسه المدن وتنقله في أرجاء البلاد العربية قبل الطوفان ، وعن أبناء نوح الذين عمروا العراق بعد الطوفان ، وكيف ضاقت بهؤلاء مدن العراق فهاجروا إلى مشارق الأرض ومغاربها - ولقد جمع يوسف الدبس في كتابه : « تاريخ سورية » عدداً من النصوص والأدلة التي تثبت تحضر العراق من قبل الطوفان ومن بعده .

ثم جاء المؤرخون المتأخرون الذين تحملوا مسؤولية التحقيق في التاريخ العربي القديم ، مثل : جرجى زيدان ، وفيليب حتى وغيرها فأرجعوا تاريخ الحضارة في العراق إلى ما قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد وقالوا : إن التاريخ العربي « السامي » يبدأ من سنة ٣٦٠٠ عام قبل الميلاد ، وإن السيادة العربية على العراق بدأت من عهد (حورابى) في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .

وهؤلاء المؤرخون الذين تحملوا مسؤولية التحقيق في التاريخ القديم ، اعتمدوا في بحوثهم على الدراسات الغربية ونتائجها ، والباحثون في الحضارات القديمة من الغربيين يكادون يجمعون على أن حضارة بلاد ما بين النهرين أقدم من حضارة وادي النيل ، وأن العراقيين على ضفاف الفرات تمدنوا قبل أن يتمدين المصريون على ضفاف النيل .

٢ - فغوستاف ليبون الذى رحب بكتابه « بابل وآشور » سلامة موسى وقال عنه :

[نحن نرحب بظهور هذا الكتاب لأنه يسد فراغاً أو بعض الفراغ]^(١) - يؤكد : أن حضارة العراق أسبق من حضارة مصر فهو يقول : [وهكذا كان الإغريق الراسخون في المدينة يقولون بأعلى صوتهم : إنهم أخذوا مدنيّتهم عن مدارس العلم القديمة التي ازدهرت فوق مجرى الفرات الأدنى في العصور القديمة . ولذلك كان يقول « ديودوروس » و « هيرودوتس » و « سترابون » و « أرسطو » وآخرون إن نمو العقل البشرى كان مترعراً وكاهلاً فوق ضفاف الفرات قبل أن يولد ويظهر على ضفاف النيل]^(٢) .

وكذلك (جون ويلسن) الذى قرظ كتابه (الحضارة المصرية) أحمد فخرى أستاذ تاريخ مصر والشرق القديم بجامعة القاهرة فقال عن المؤلف جون ويلسن وكتابته الحضارة المصرية : [إننى أشعر بالكثير من راحة الضمير لأننى أحس فى قرارة نفسى أننى ساهمت فى عمل مفيد نافع لقراء العربية وخاصة طلبة الجامعات ومدرسى التاريخ بالمدارس ، فإن الكتاب مملوء بالمعلومات الصحيحة المستمدة من أحدث الأبحاث والاكتشافات]^(٣) . ومؤلف كتاب (الحضارة المصرية) يؤكد مقالة غوستاف ليبون عن قدم حضارة العراق .

٣ - فلقد قال (جون ويلسن) بعد أن استعرض العناصر والصناعات والفنون التى استعارتها مصر من العراق : [كانت العراق فى ذلك العصر تعرف عجلة الفخار التى لم تعرفها مصر ، ومن المحتمل أن مصر قد تأثرت واقتبست بعض الطرق لتحسين صناعتها من الخارج . ولكن أهم تلك العناصر التى نشك فى أخذ مصر لها من العراق هى فكرة الكتابة ، وكل ما يمكننا قوله هو أنه كان للعراق شئ من الأسبقية فى معرفة الكتابة ، فتاريخ الحضارة فى العراق يثبت أنها تقدمت تقدماً طبعياً ، ولم تستعمل إلا مواد ووسائل محلية فى الجزء الأكبر من عصر ما قبل الأسرات فيها - وهكذا يلوح لنا أنه من المحتمل أن بابل وصلت إلى مستوى حضارى احتوى على عناصر وآراء تقبلتها مصر واستعارتها ، ولكننا لا نرى مثل هذا الميل فى بابل للاستعارة من مصر - فعلى ذلك كان التفوق الحضارى فى جانب العراق فى الوقت الذى كانت تسعى فيه مصر إلى هذه الأسبقية .

(١) كتاب بابل وأشور ص ٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٣) الحضارة المصرية ص ٥ .

وإذا صح أن الجزء الأخير من عصر ما قبل الأسرات في مصر تأثر بمنبهات عقلية وصناعية وفنية من العراق ، وأن مصر بدأت عصرها التاريخي بعد ذلك مباشرة فما هو معنى هذه الملاحظة ؟ هل كان التفوق الحضاري للعراق هو الذي أخرج مصر من الهمجية إلى المدنية ؟ إن جوابنا عن هذا السؤال جواب صحيح . إن دين مصر لبابل أمر واضح وزمنه مطابق تقريباً لفترة انتقال مصر من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر التاريخي . ولهذا لا مانع من أن ننسب إلى بابل بعض التأثير في هذا الانتقال . ونحن نستدل على القيمة الحقيقية لهذا الأمر إذا تساءلنا سؤالاً آخر : هل كان في مقدور مصر أن تخرج من الهمجية إلى المدنية دون منبه من العراق ؟ ولا شك أن الرد عن هذا السؤال تقديري طالما قد حدث هذا بالفعل وجاء المنبه من العراق [(١)] .

وجاء في كتاب (تاريخ العالم) الذي ترجمته إدارة الترجمة بوزارة التربية والتعليم المصرية : [فبابل دون غيرها لم يكن بها من حاجة إلى التأثير بمصر وكذلك لم تدن بنتها آشور بأى دين مباشر للحضارة المصرية إبان القرون التى حاربت فيها مصر وهزمتها] (٢) .

فالبحوث الغربية التى اعتمد عليها محققو التاريخ العربى القديم ، والتى أشاد بها علماء التاريخ القديم فى مصر واهتمت بترجمتها الجهات المختصة بوزارة التربية والتعليم المصرية - تؤكد : أن العراق عرف الحضارة قبل أن تعرفها مصر ، وأن العراق وصل إلى عصره التاريخي فى الوقت الذى كانت فيه مصر لا تزال فى بداية الطريق إلى عصرها التاريخي ، وأن للحضارة العراقية أثراً واضحاً فى تطوير التمدن الفرعونى .

٤ - والغربيون فى بحوثهم يعتمدون على الآثار وأدلتها المادية . والآثار وأدلتها المادية تثبت أن العراق عرف الحضارة من قبل الطوفان بعصور طويلة ، فلقد أثبت تنقيب (ولى) فى خربات (أور) أن حضارة العراق أقدم بكثير من العصور التى بحث فيها غوستاف لبيون وجون ويلسن ومؤلفو تاريخ العالم : إذ وصل تنقيب (ولى) إلى عمق عظيم من سطح الأرض فوجد فى أغوار الأرض طبقة من الغرين سمكها ثمانية أقدام

(١) الحضارة المصرية ص ٨٤ وما بعدها إلى ٨٨ .

(٢) تاريخ العالم ٢ / ٣٠٥ .

رست على أثر فيضان مروع لنهر الفرات قال عنه (ول - ديورانت) إن هذا الفيضان هو - الطوفان - فقد وجدت تحت هذه الطبقة بقايا حضارة قامت قبل هذا الطوفان وصفها الشعراء فيما بعد بأنها العصر الذهبي لتلك البلاد . وحاول الكهنة المؤرخون في هذه الأثناء ، أن يخلقوا ماضياً يتسع لنمو جميع عجائب الحضارة السومورية فوضعوا من عندهم قوائم بأسماء ملوكهم الأقدمين ورجعوا بالأسر المالكة التي حكمت قبل الطوفان إلى تاريخ طويل بلغ من العمر ٤٣٢,٠٠٠ عام^(١) ق . م .

فما اكتشفه الأثريون وحققه المؤرخون الغربيون يتفق أكثره مع ما جاء في مصادر التاريخ العربية والإسرائيلية عن عالم ما قبل الطوفان في وادي الفرات . فعلى ذلك فإن البحث في تاريخ العراق الحضارى لا يختلف قديمه وحديثه في أن العراق عرف أقدم حضارة إنسانية . وإنما الذى اختلف فيه هو الأسلوب . ونوعية الأدلة التى تثبت هذا القدم ، فالمؤرخون القدامى استعرضوا الأقوال التى تثبت الجاهلية الأولى جاهلية ما قبل الطوفان ، واستعرضوا الأقوال التى تثبت أن نوحاً والذين نجوا معه استأنفوا حضارتهم في العراق بأسلوب وأدلة الماضى الذى عاشوا فيه . والمؤرخون اليوم يستعرضون نتائج الدراسات الجيولوجية والتحقيقات الأثرية بأسلوب وأدلة الحاضر الذى يعيشون فيه ، ولا غرابة في ذلك . فكل جيل يبحث بأسلوبه ومنطقه ولا يعتمد إلا على الأدلة التى يطمئن لها وتهضمها عقلية .

(١) راجع قصة الحضارة لمؤلفه (ديورانت) ١٦ / ٢ وراجع بحث دول ما قبل التاريخ في الشرق العربى وسنى حكمها في هذا الجزء من هذا الكتاب .

البحث الثامن والعشرون :

النتائج لعربي في العراق

من موضوعات البحث :

- ١ - العرب لم يكونوا السابقين في تحضير العراق .
- ٢ - انتصار العرب على السوموريين انتصار شامل .
- ٣ - البحوث الأثرية جعلت تاريخ الكلدانيين والآشوريين واضحاً وضوح تاريخ الساسانيين في العراق والرومانيين في سورية .
- ٤ - العصر التاريخي في العراق بدأ مع العصر العربي .
- ٥ - هل عروبة الساميين في العراق مثل عروبة القرشيين في الحجاز ؟

النابخ العربي في العراق

١ - لقد أجمع الباحثون في تاريخ العراق القديم على أن العرب أو الساميين كما يسمون في بحوث التاريخ القديم - لم يكونوا وحدهم السابقين إلى تحضير أرض ما بين النهرين ، بل كانت معهم أمم لا تزال أرومتها موضع الظنون ، ولا يزال وطنها الأول الذي نزحت منه إلى ضفاف الفرات قيد الشكوك .

٢ - وأجمعوا على أن الأمم التي زاحمت العرب في العراق والتي عرفت باسم السوموريين ، جاءت إلى العراق من الهضاب الممتدة من الشمال ، ومنهم أمم جاءت من الشرق من بلاد فارس ومن شبه جزيرة الهند . وأجمعوا على أن الانتصار العربي في العراق لم يكن انتصاراً سياسياً فحسب ، بل كان انتصاراً شاملاً صبغ الأوضاع جميعها بصبغته وأبرز للعراق صفته العربية ، وأزاح عنه سلطان الدول التي احتلته في أحقاب الزمن المجهول .

وأبرز انتصارات العرب وأقدمها : انتصار (سرجون) الأول . وأعظم انتصار عربي : انتصار (حمورابي) . فلقد شملت حضارة الحمواريين ، ونظمهم ، وتقاليدهم ، وعقائدهم البلاد ، ولم يزاحمهم سياسياً غير أبناء عمومتهم الآشوريين في المناطق الشمالية التي ما زالت تزدهم بعناصر غير عربية من قبل التاريخ إلى يومنا هذا .

ويؤكد المحققون في تاريخ الهجرات العربية : أن المهاجرين العرب في العراق لم تنقطع قوافلهم طيلة العصور التي سبقت التاريخ العربي في العراق ، وأن العرب المهاجرين إلى العراق لم يكونوا حفاة عراة همجاً لا يعرفون شيئاً من الحضارة ، فمناجم النحاس في شواطئ الخليج الإسلامي ، وآثار الفينيقيين في اليمامة وآثار الإرميين في الأحقاف ، وفي حجر ثمود ، تؤكد أن العرب الذين أجلوا السوموريين عن الأرض العراقية العربية كانوا يملكون من مقومات الحضارة ما جعلهم قادرين على تطوير الحضارة السومورية ، وصهرها في بوتقة حضارتهم .

٣ - ويعترف محققو التاريخ الحضارى في العراق بأن البحوث الأثرية خدمت تاريخ الحضارة العراقية ، وأنه بفضل البحوث الأثرية لم تصبح شريعة حمورامى سرّاً من أسرار الماضي ، فبفضل البحوث الأثرية استطاع المؤرخون أن يدرسوا شريعة حمورابى ، وأن يعرفوا الكثير من تاريخ امبراطوريتى العراق العظيمتين « الكلدانية » و « الآشورية » وأصبح البحث في تاريخهما مشاعاً يتناوله المؤرخون بالنقد والتحقيق .

٤ - ويؤكد محققو التاريخ الحضارى في العراق : أن التاريخ السامى في العراق ظهرت ملامحه في عهد عاهلى أسرة (أجادة) : - سرجون - و - نهرام سين - واكمل في عهد عاهل الأسرة البابلية الأولى «حمورابى» حوالى القرن العشرين قبل الميلاد^(١). ويؤكد مؤرخو دول ما قبل الميلاد : أن سرجون وأحفاده وحمورابى وأجداده ، هم من العنصر السامى الذى انطلق من قلب الجزيرة إلى الهلال الخصيب . فمن هذه النتائج التى جاءت واضحة في بحوث تاريخ العراق القديم ، يأتى الجواب عن السؤال موضوع البحث : متى بدأ التاريخ العربى في العراق ؟ - لقد بدأت أساطيره تلوح في عهد سرجون الأول وأخذت حقائقه تتجسد في عصر حمورابى .

وهنا يتحتم علينا : البحث عن تاريخ العصر السامى في العراق بالنسبة للتاريخ الميلادى . والبحث في التاريخ السامى في العراق يجر إلى ذكر الخلاف على عصر الساميين في العراق الذى ما زال قائماً حتى اليوم . فزمن (سرجون الأول) و (حمورابى) تختلف فيه الآراء ، فسرجون الأول - في تحقيق جرجى زيدان - نبغ في سنة ٢٨٠٠ ق . م ، وعصر حمورابى (الملك السادس في الدولة العربية البابلية التى تسمت باسمه : الحمورابية) يبدأ في سنة ٢٢٨٧ وينتهى في سنة ٢١٣٢ ق . م .^(٢) . ومن رأى العقاد : أن حمورابى كان في سنة ٢٤٦٠ ق . م فهو يقول : [وقام بالأمر

(١) سبق أن أشرنا إلى اختلاف آراء المؤرخين في عصر سرجون ونحن هنا اعتمدنا على رأى ديلا بورت في كتابه بلاد ما بين النهرين ص ٧٤ - ونلفت النظر إلى ما يلاحظ على أن الأسماء تتكرر واسم سرجون من الأسماء المكررة وهذه الملحوظة وضحت عنها في الجزء الخاص بعناصر الجزيرة العربية وشعوبها .
(٢) العرب قبل الاسلام ص ٥٣ و ص ٥٦ .

« حمورابي » صاحب التشريع المشهور سنة ٢٤٦٠ ق . م . [(١) . ومن رأى حسين مؤنس في تعليقه على كتاب جرجي زيدان : الأخذ برأى « ل . ديلا بورت » الذى يجعل بداية الدولة الحمورابية سنة ٢٢١١ ق . م . ويجعل عصر حمورابي يبدأ سنة ٢١٢٣ وينتهى سنة ٢٠٨١ ق . م . [(٢) بينما « ل . ديلا بورت » كما ترجم كتابه « بلاد ما بين النهرين » « محرم كمال » : يقول : [وقد حارب « سوابلوم الحمورابي » « كازاللو » عام ٢٢٢٤ ق . م . ، وكذلك جاء فيه : وهاجم « أيلوشوما » الآشورى « سوموابوم » فى ٢٢٢٥ - ٢٢١٢] (٣) « فعلى ذلك فإن هناك اختلافاً فى فهم ما جاء فى كتاب « بلاد ما بين النهرين » بين حسين مؤنس وبين محرم كمال ، وخلافاً بين مصادر جرجي زيدان وبين مصادر « ل . ديلا بورت » ، وبينهما وبين مصادر العقاد .

وأكثر من هذا : أن بعض المؤرخين يبدون رأيين مختلفين مثل فيليب حتى الذى قال فى كتابه « تاريخ سورية » : [وتظهر أول إشارة إلى أرض الأموريين منذ عصر سرجون « حوالى ٢٢٥٠ ق . م . »] (٤) وقال فى كتابه « لبنان فى التاريخ » [وسرجون الأكدي « حوالى سنة ٣٢٥٠ ق . م . » أول فاتح سامى] (٥) وفيليب حتى يجعل عصر حمورابي فى ١٧٣٠ ق . م . حيث قال : [وانتسب حمورابي إلى سلالة بابل نحو ١٧٠٠ ق . م .] (٦) .

فمن اختلاف هذه الآراء يتضح لنا : أن التاريخ العربى فى العراق بدأ مع العصر السرجونى . وأن التاريخ العربى لم يدخل طور الحقيقة وتتضح معالمه إلا بعد العصر الحمورابي .

٥ - والسؤال الذى يكمل الجواب عليه - بحث « تاريخ العراق العربى » هو : هل عروبة الساميين فى بابل مثل عروبة القرشيين فى مكة ؟ والجواب عن هذا السؤال يأتى فى

(١) الثقافة العربية ص ١٥ .

(٢) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ٥٦ .

(٣) بلاد ما بين النهرين ص ٤٤ .

(٤) تاريخ سورية ١ / ٧٠ .

(٥) لبنان فى التاريخ ص ٨١ .

(٦) تاريخ سورية .

تحقيقات جرجى زيدان : [إذا صح أن دولة حمورابى دولة عربية كما نبينه فى الفصل الآتى ، فإن العرب هم أسبق أمم الأرض إلى سن الشرائع وتشطيط العلم وأنهم بلغوا فى النظام الاجتماعى ما لم يبلغه معاصروهم ، وأدركوا من الرقى الاجتماعى ما لا يزال بعض الأمم المتمدنة فى هذا العصر بعيدين عنه] (١) .

والذى بينه جرجى زيدان ودعمه بالأدلة والبراهين يؤكد : أن دولة حمورابى دولة عربية مع الفارق بين عروبة الحمواريين فى العراق ، وعروبة قريش فى الحجاز . فلقد قال فى كتابه العرب قبل الإسلام : [إن قولنا دولة « حمورابى » عربية لا يتبادر منه إلى ذهن القارئ أنه مثل قولنا : دولة الإسلام دولة عربية . وإذا صحت عربية تلك فلا يستلزم أن تكون لغتها مثل لغة القرآن ، ولا أن عاداتها وديانتها مثل ما لعرب قريش . فإن بين الدولتين سبعة وعشرين قرناً . والأمم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الأقاليم وتوالى العصور . لا خلاف فى أن دولة حمورابى سامية الأصل ، ولكنهم اختلفوا فى نسبتها إلى أى فرقة من الفرق السامية ، وعندنا أنها من بدو الآراميين وهم عرب ذلك العصر أو العمالة] (٢) .

والأدلة التى سردها جرجى زيدان تؤيدها الحقائق التاريخية ، فاختلاف اللغة والعادات والتقاليد والأنظمة فى مدى القرون الطويلة التى تفصل بين العرب الذين سبقوا المسيح بأكثر من ألفى سنة فى أرض الفرات ، وبين العرب الذين تأخروا عن المسيح بنحو سبعمائة عام فى بطحاء مكة ، وصحارى نجد ، وأغوار تهامة ، أمر مسلم به .

بل نحن إذا رجعنا إلى تاريخ الإمبراطوريتين العراقيتين : الحموارية والآشورية - نجد حضارة الآشوريين الذين عاصروا دولة حمورابى ، ونظمهم ، ونظرتهم إلى الأشياء تختلف عن حضارة الحمواريين ، ونظمهم ، ونظرتهم إلى الأشياء فى كثير من أمور الحياة الاجتماعية والسياسية ؛ فالآشوريون الذين يرجع تاريخهم فى شمال العراق إلى ما قبل عصر حمورابى ، تختلف شريعة إمبراطوريتهم التى سادت على الهلال الخصيب وامتدت إلى ضفاف النيل منذ بداية الألف الأخيرة قبل الميلاد . وفى التشريع الآشورى تعقيد لا نجده فى شريعة حمورابى . وفى النظم الآشورية شذوذ وقسوة وتشجيع على السفك والتدمير

(١) العرب قبل الإسلام ص ٦٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٦٤ .

سلمت من كثير منه نظم الحمورابيين . بيد أن هذه الفوارق لم تتخذ دليلاً على اختلاف عنصرى الآشوريين والبابليين ، فالمؤرخون الذين بحثوا فى التاريخ القديم ، والنسابون الذين حققوا أنساب الماضيين ، والباحثون الذين اعتمدوا على الصور المنقوشة على آثار كلتا الدولتين ودققوا فى زى الذين صورتهم النقوش وفى هيكل أجسامهم ورؤوسهم ، اتفقوا آخر الأمر على أن الآشوريين والحمورابيين من عنصر واحد هو : العنصر السامى أو بالأصح العنصر العربى ^(١) .

ومع هذه الفوارق جميعها فإن الدولتين العربيتين ظهر عليهما الكثير من صفات الدول العربية التى برزت فى التاريخ . فحضارة كلتا الدولتين وسيادتهما انتصرت على حضارة السوموريين الذين احتلوا أرض الرافدين ، وطوتها مع ما طوته من نظم وعقائد وسلطان - فمثلاً نجحت دولة (بابل) الحمورابية فى رفع المستوى الثقافى فى العراق ، وفى تحديد المسؤولية الاجتماعية بنظام عادل ، كذلك نجحت دولة (نينوى) الآشورية فى رفع المستوى السياسى فى العراق .

وإنما الفارق بين هاتين الدولتين العربيتين اللتين ظهرتتا فى عصور ما قبل الميلاد وبين الدول العربية التى برزت فى التاريخ فى عصور ما قبل الإسلام وما بعده يظهر فى التشريع الحمورابى وما فيه من تشجيع على الدعارة ، ويظهر فى النظم الآشورية وما فيها من تشجيع على السفك والتخريب باسم الآلهة .

وألغى ما فى الحضارة العربية القديمة فى العراق هو : علم الفلك الكلدانى ، ونظام الجندية الآشورية - وأهم ما يلفت النظر فى التاريخ العربى القديم فى العراق هو : ترف دولة (الحضر) ^(٢) التى قضت عليها جيوش الفرس ، فإن كان الخيال أخذ دوره الكامل فى قصة غرام بنت ملك الحضر بالعاهل الفارسى ، ذلك الغرام الذى دفعها الى أن تضحى بأبيها وملكه ، فإن وراء القصص الخيالية حقائق تاريخية كما قلنا من قبل . وإن الحقيقة التى تقف وراء قصة بنت ملك الحضر وترفها هى : وجود دول عربية متحضرة إلى ما بعد تفوق النفوذ الفارسى فى العراق .

(١) من رأى الكثيرين أن الساميين هم العرب وقد وضعنا ذلك فى الموضع الجدير بالايضاح من هذا الكتاب . راجع حضارة بابل وأشور .

(٢) الحضر : حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وقد جاء ذكره فى شعر عدى بن زيد : وأخو الحضر إذ بناء وإذ دجلة تجى إليه والخابور . الخابور نهر مشهور ، سيرة ابن هشام ١ / ٧٦ .

البحث التاسع والعشرون

الأديان في العراق

من موضوعات البحث :

- ١ - الوثنية لاتنكر الله ولكنها تشرك معه آلهة خلبت بهم عقلية المجتمع وتصوراته .
- ٢ - شريعة حمورابي قريبة من الأديان السماوية .
- ٣ - الدعارة في التشريع البابلي والسفك والتدمير في التشريع الآشوري - هما من مخلفات العقائد غير العربية في العراق .

الأديان في العراق

١ - إذا كانت الوثنية كما قلنا ليست هي الدين الأول للأمم ، وإذا كانت الوثنية كما قلنا لا تنكر وجود الله العظيم خالق السماوات والأرض ، فهي كذلك تجارى البيئة فتتصطبغ بصبغتها وتسائر العقول وتنطبع بأخيلتها ، فمثلاً انطبعت في قلب الجزيرة بطابع العربي الذى عاش في أحشاء الصحراء وعبد الله على ملة إبراهيم ، هي كذلك تلونت في العراق باللون السومورى وسأيرت العقلية الكلدانية القديمة ، ومع ذلك لم تتحرر من العقلية العربية . والسوموريون ، والكلدانيون وأبناء عمومته الكنعانيون ، والحثيون هم الأمم التى استوطنت العراق وضاف الخليج الإسلامى . فالكلدانيون في كتب التاريخ العربى من أوائل الأمم التى عمرت العراق ، ويقول (ابن خلدون) : إن الكلدانيين موحدون خالفوا الصابئة التى انحرفت عن التوحيد إلى عبادة الكواكب^(١) . والسوموريون في بحوث المستشرقين يرجع تاريخهم إلى أقدم عصور بلاد ما بين النهرين . ويقول (بريستد) : إن عقيدة السوموريين في مصير الإنسان بعد الموت غامضة ، فهم يتصورون أن الموتى يعيشون في مكان مقبض تحت الأرض ملء بالظلام والتراب يذهب إليه الناس جميعاً لافرق بين صالح ومجرم ، ويعتقدون بأن الإنسان بعد الموت يحتاج في حياته الثانية إلى خدمه ومركبته^(٢) .

ولقد سبقت الإشارة إلى مجاء في تحقيق « ديتلف نيلسن » عن الأديان في الشرق العربى ، وأن [الدين العربى القديم هو الخطوة السابقة للدين البابلى والآشورى المعقد]^(٣) .

وجاء في تحقيق هومل : [أن النقوش البابلية تقدم لنا عدداً كبيراً من أسماء الأعلام العربية الجنوبية التى جاء ذكرها ضمن أسماء ملوك الأسرة البابلية الأولى التى هي أسرة

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٥١ .

(٢) انتصار الحضارة لمؤلفه جيمس هنرى بريستد ص ١٥٩ .

(٣) التاريخ العربى القديم ص ٥٣ .

سامية عربية ، فهذه الأساء هي مفيدة من الناحية الدينية [١] .

وما جاء في تحقيق « نيلسن » و « هومل » وغيرها يؤكد : أن الدين البابلي الآشوري هو امتداد للدين العربي . فلقد تأثرت الأديان في العراق ومصر بأديان قلب الجزيرة العربية التي كان يدين بها المهاجرون من العرب إلى الهلال الخصيب : بابل ، وسورية ، وفلسطين ؛ وإلى شبه جزيرة سينا ، ودلتا النيل ، والصحراء العربية من مصر . وكذلك تأثر أولئك المهاجرون بأديان سكان الفرات والنيل وبفلسفات معتقداتهم .

وأنا لا أستبعد هنا : أن يكون الفراعنة قد أخذوا عن السوموريين فكرة الاستعداد لما بعد الموت والتهيؤ للعودة إلى حياة يحتاج فيها الإنسان إلى لوانم حياته الأولى . فلقد أثبت البحث في معرفة التأريخ بمعنى التوقيت الذي سبق في مقدمة هذا الجزء ، والبحث في معرفة الحضارات العربية في العراق الذي سبق هذا الفصل : أن العراقيين كانوا أسبق إلى النضج العقلي والحضارى من مصر ، وأن مصر استعارت من العراق الكثير من أسس حضاراتها وعقائدها التي انتقلت إليها من البلاد العربية .

ولقد أثبت تاريخ الكنعانيين أنهم سكان الخليج الإسلامى من قبل الألف الثالثة التي سبقت الميلاد . ومن آثار الكنعانيين في جزر البحرين : معابد في جزيرة البحرين . ومن معابد البحرين معابد كان العراقيون يقدسونها ويتعبدون فيها .

ومما هو واضح : أن العقائد السومورية كانت منتشرة في العراق ، ومما هو واضح : أن العقائد السامية تلاقى على ضفاف النهرين : الفرات ودجلة مع العقائد السومورية واختلطت بها فترتب على ذلك التلاقى والاختلاط أن وجدت عقائد شاذة عن الخلق العربي مثل : تسلط سدنة المعابد على فتيات بابل باسم الدين .

أجل ! إن العراق بلد عريق في الحضارة تلاقى على أرضه عناصر توافدت عليه من الشمال ، ومن الجنوب ، ومن الشرق ، ومن الغرب لكل منها آفاهه العقلية ، ولكل منها فلسفة في الأشياء التي تحيط به ، قامت عليها عقائده وآراؤه في الحياة وما بعدها - ففى بحوث (ل . ديلاپورت) وتحقيقاته صور واضحة للعقائد التي كانت تدين بها تلك

(١) نفس المصدر ص ٥٩ .

الأجيال وفلسفتها ، وكيف كانوا يعددون الآلهة : إله المحيط وإله السماء وإله الأرض . ويقول : (ل . ديلاپورت) عن الثالث الأول في العراق [قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة (المعمورة) فيما بينهم لأنه طبقاً للآراء السامية لم يكن الشيء يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيد]^(١) .

٢ - ونحن إذا طالعنا شريعة حمورابي نجد أن أحكامها في النكاح ، وفي الطلاق ، وفي حد الزنا الذي لا يثبت إلا في حالة التلبس ، وفي القصاص : السن بالسن والعين بالعين ، لا تختلف كثيراً مع التشريعات السماوية^(٢) .

ونحن إذا تعمق بنا البحث في تاريخ حمورابي نجد من يقول : في عصر الدولة الحمورابية ظهر إبراهيم عليه السلام^(٣) ، ونجد الكثير من المؤرخين يقول : إن إبراهيم هاجر من (أور) إلى فلسطين بعد أن أعلن الحرب على الأصنام وأخذ يدعو ملته . ونحن إذا علق بذهننا مايقولونه عن عصر إبراهيم ، وعن دعوة إبراهيم ، وعن هجرة إبراهيم - لانستبعد أن تكون العقيدة التي نادى بها إبراهيم قد بلغت حمورابي وأن حمورابي قد استمع إلى مايقال عن تعاليم إبراهيم بكثير من الاهتمام .

ولقد قال السيد رشيد رضا : [ثم ظهر أن شريعة التوراة موافقة في أكثر أحكامها لشريعة حمورابي العربي ملك الكلدان الذي كان قبل موسى معاصراً لإبراهيم عليهما السلام . وقد قال الذين عثروا على هذه الشريعة من علماء الألمان في حفائر العراق : إنه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها - لاوحى من الله]^(٤) .

وما قاله السيد رشيد رضا عن شريعة حمورابي يرجح الظن في وجود صلة بين ملة إبراهيم وشريعة حمورابي . ولكن هذه الصلة في رأيي تثبت عكس ماقاله علماء الألمان تثبت : أن تشريع حمورابي اقتبس شيئاً مما كانت عليه ملة إبراهيم ، وفي الوقت نفسه لم يهمل حمورابي العقائد السومورية ، فأخذ منها ما هو ضروري للمجتمع البابلي الذي يتألف من العنصرين السامي والسوموري .

(١) كتاب بلاد ما بين النهرين ص ١٦٧ .

(٢) انتصار الحضارة ص ١٨٠ .

(٣) العرب قبل الإسلام لمرجى زيدان ص ٥٧ .

(٤) الوحي المحمدي ص ٥١ ويؤكد (نادق) في كتابه التاريخ الجغرافي للقرآن هذا الرأي وينكر السيد

رشيد ، والسيد نادق وينكر معها أن شريعة موسى مستمدة من التشريع الحمورابي .

وأما ما ذهب إليه علماء الألمان من أن شريعة موسى مستمدة منها لاوحى من الله ، فهو إنكار لحقائق لا تحتاج إلى نقاش ، فلو لم تكن شريعة موسى وحياً من الله فإن ملة إبراهيم أقرب إلى موسى وبنى إسرائيل من شريعة حمورابى .

ومهما كان طابع التشريع الحمورابى ، ومهما كانت الأصول التى قام عليها فإن الوثنية قد وجدت مكاناً فيه ، كما وجدت من قبله ومن بعده مكاناً فى كل عقيدة شاعت فى أرض الرافدين ، فتزيت بالزى الذى يروق العقلية العراقية وتطورت مع مفاهيمها .

٣ - ومهما ذهبت بنا الظنون فى مصدر الدعارة التى تتمثل فى تشجيع الفتاة على التضحية بعفافها فى سبيل الآلهة ، والتى أقرتها شريعة حمورابى ، فإننا لمؤكدون من أنها غير عربية ، فالخلق العربى منذ عرف العرب يأبى مثل هذه الرذيلة .

ومهما ذهبت بنا الظنون فى معرفة مصدر ذلك الجبروت الذى تمثل فى التشريع الآشورى ، والذى يبيح السفك والتدمير فى سبيل الآلهة ، فإننا نستبعد ذلك على الخلق العربى الذى لم يسجل عليه التاريخ مثل تلك الوحشية . فلقد ظهرت أحكام المؤرخين على دولة العالليق فى مصر ، والآرميين فى العراق ، فى صالح العرب ضد الدعاية الفرعونية فى مصر ، والدعاية الفارسية فى العراق . ولقد أثبتت الفتوحات العربية الرحمة والعفو عند المقدرة .

ومهما حاولنا الاهتداء إلى معرفة العقائد فى العراق ، فنحن لانجد فى مصادرها حقيقة أوضح مما قاله ابن خلدون عن التوحيد الذى كان الأساس فى عقائد الكلدانيين وأن الوثنية التى وجدت الباب مفتوحاً إلى عقيدة الذين صلبوا لعبادة الكواكب وجدت كذلك طريقها إلى الموحدين ، فأخذت تتلون مع العقلية العراقية إلى أن اختنقت بالمجوسية من الشرق وباليهودية والنصرانية من الغرب . ولم يحرر العراق من صراع الأديان ، ودعارة الشرائع البابلية ، وقسوة الأحكام الآشورية ، وأنانية النظم الفارسية ، غير الإسلام دين المساواة فى الحقوق ، والحرية فى الرأى - مالم يتعارض مع الخلق الفاضل ، والحرية فى العمل - مالم يتعارض مع مصلحة الجمهور .

ونجد بجانب هذه الحقيقة التى جاءت فى تاريخ ابن خلدون حقيقة أخرى تؤكد لنا : أن الأديان فى العراق قديم تاريخها قدم الحضارة فى العراق .

البحث الثلاثون

الناخج اعزلي في اقسيم لغزلي من الهدال النخيب

من موضوعات البحث :

- ١ - سورية الكبرى سطرت تاريخها الحقيقي في العصر العربي .
- ٢ - الساميون هم سكان سورية الأولون .

الناخ العزلي في القسم لغزني من الهلال الخصب

١ - أما الجانب الغربي من الهلال الخصب (سورية الكبرى) فكذلك هو لم يدخل من باب التاريخ الحقيقي إلا في العهد العربي .
فعندما بحث (فيليب حتى) في أطوار التاريخ السوري قسم تاريخ شعوب سورية إلى خمسة أقسام : [١ - عصر ما قبل التاريخ - ٢ - الدور السامي الذي بدأ بالأموريين سنة ٢٥٠٠ ق م . وانتهى بسقوط الإمبراطورية البابلية الجديدة أو الكلدانية سنة ٥٣٨ ق م . وتبعته سيادة الفرس - ٣ - العصر اليوناني الروماني الذي بدأ بفتوح الإسكندر سنة ٣٣٣ ق م . وانتهى بالفتوح العربية - ٤ - الدور العربي الإسلامي الذي استمر إلى الفتح العثماني في ١٥١٦م - ٥ - الدور العثماني الذي انتهى بنهاية الحرب الأولى]^(١)

ويقول حتى : [إن أول إشارة إلى أرض الأموريين ظهرت في عصر سرجون حوالي سنة ٢٢٥٠ ق م . وإن الأموريين أخذوا يظهرون بالتدريج في سورية الوسطى ولبنان وحتى في فلسطين في الجنوب . وإن الأموريين لم يقتصرُوا على تأسيس دولة في منطقة الفرات الأوسط واجتياح سورية وإنما اجتاحتوا بلاد ما بين النهرين أيضاً وحكموها ، وقد أسسوا عدة سلالات من « آشور » في الشمال حتى « لارسا » في الجنوب بين ٢١٠٠ و ١٨٠٠ ق م . وأهم هذه السلالات كانت سلالة « بابل » التي انتسبت إلى حمورابي]^(٢) .
وعندما بحث المطران الدبس في سكان سورية بعد الطوفان اعتمد على ما جاء في الأسفار عن سكان سورية ، فقال : [قد مر في كلامنا على أنساب موسى أن سورية سكنها أولاً : الآراميون ولد إم بن سام بن نوح وكانت مواطنهم في سورية المجوفة

(١) تاريخ سورية ١ / ٦١ .

(٢) سبقت الإشارة إلى اختلاف الرأي في تاريخ سرجون الأول وحمورابي .

(٣) تاريخ سورية ١ / ٧٠ و ٧٢ .

ومايلها في الجنوب وفي دمشق ومايلها . ثانياً : الجبارة والأظهر أنهم ساميون من أقارب الآراميين . ثالثاً : الكنعانيون وقد سكنوا شمالى سورية إلى حماة . رابعاً : العبرانيون - إبراهيم وابن أخيه لوط - في جنوبى سورية . خامساً : الموابيون في شرقى البحر الميت والعمونيون عبر الأردن . سادساً : ذرية إسماعيل بن إبراهيم وأكثر هؤلاء من سكان بلاد العرب . سابعاً : المدينيون ذرية مدين . ثامناً : الآدوميون في جبل سعيير وشمالى بلاد العرب . تاسعاً : الفلسطينيون وكانت مساكنهم في البلاد التى سميت باسمهم [(١)] .

ويقول (عارف باشا) : [إن اليبوسيين هم بناء القدس القدامى ، وإن اليبوسيين بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها ، نزحوا إلى سورية مع من نزح من القبائل الكنعانية ، وإن من ملوكهم (ملكيصاق) أول من اخط المدينة « القدس » وبنها وكان قبل ذلك يسكن وقومه الكهوف] (٢) .

فهذه الأقوال على اختلاف المصادر التى اعتمدت عليها وعلى اختلاف أزمنة قائلها تجمع على أن العرب هم سكان سورية في عصرها التاريخى الأول ، وأن العرب هم الذين أسسوا الحضارة السورية القديمة ، فهم الذين بنوا المدن ، وهم الذين وضعوا نواة الثقافة السورية القديمة .

فمنذ بدأ البحث عن الآثار إلى الآن فإن كل أثر يكتشف في سورية يدل على حضارة عربية ، اللهم إلا ما خلفته بعض العناصر التى مرت بسورية ، وما خلفه الرومان الذين تسلطوا على سورية إلى ظهور الإسلام ، واللهم إلا ما خلفه النضال السياسى الذى استمر طويلاً بين العماليق والحثيين وشعوب البحر الأبيض المتوسط ، والإسرائيليين والآشوريين والفراعنة - ما خلفه كل ذلك من مختلف الآراء والعقائد والثقافات .

(١) تاريخ سورية للديس ١ / ١٥١ وما بعدها .

(٢) تاريخ القدس لعارف باشا ص ١١ - ملكيصاق بهذا الاسم سعى الملك الكنعانى الذى اخط مدينة القدس - ويقول عارف باشا : عرف هذا الملك بالقوى والعدالة وحب السلم حتى أطلق عليه لقب (ملك السلام) ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم - شالم) تاريخ القدس ص ١١ هـ ولعل أصل هذا الاسم - « ملكيصاق » - الملك الصادق - و « ييوس » اسم القدس القديم .

وهذه الأقوال وماتبعتها من تحقيق أثرى أو إخبارى ، لانتجاوز بالتاريخ الحقيقى للحضارة السورية عصر حمورابى الذى يرجح : أنه بدأ فى القرن العشرين قبل الميلاد . فملكىصادق الذى تحدث عنه الإخباريون هومن رجالات التاريخ القديم الذين عاصروا إبراهيم عليه السلام ، ولقد مر بنا : أن إبراهيم وحمورابى برزا فى جيل واحد . إذن : فإن الحضارة العربية فى سورية هى مثل شقيقتها فى أنحاء الجزيرة العربية بدأت فى النضج فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد ، وإن التاريخ العربى فى سورية هو مثله فى العراق ، بدأ يتبلور فى صورته الحقيقية حضارياً وسياسياً فى الألف الثانية قبل الميلاد .



أَعاصِيرُ الْأَدْيَانِ فِي سُورَةِ الْأَنْفِلِ عَنِ الْأَعْيَاصِيرِ السِّيَاسِيَةِ

موضوعات البحث :

- ١ - لماذا تأثرت سورية بالعراق وبمصر وبسكان شواطئ
البحر الأبيض المتوسط في عقليتها وعقائدها ؟
- ٢ - شعوة الوثنية ووحشيتها في سورية .
- ٣ - الوثنية في سورية لم تنهر أمام اليهودية لتفسخ الأخلاق
اليهودية .
- ٤ - الإسلام أنهى الصراع الدينى في سورية .

أعاصير الأديان في سورية لا تفصل عن الأعاصير السياسية

١ - ليس بعجيب أن تتأثر العقائد في سورية بما تأثرت به العقائد في بابل . فالشعوب السورية تجاور الشعوب البابلية وتربطها بها أكثر من صلة ، صلة النسب و صلة الثقافة ، و صلة السياسة ، و صلة التجارة - وليس بعجيب أن تتأثر العقائد في سورية بما تأثرت به العقائد في مصر ، فإن التاريخ السياسي بين مصر وسورية وشيخ الصلة من أقدم العصور . وإن أسواق الدلتا كانت تجمع بين سكان جبال سورية وبين سكان وادي النيل . فلقد حكم العرب « العماليق والإرميون » مصر وسورية . ثم حكم سورية فراغت مصر ، وحكم مصر قياصرة سورية ، ولقد تبودلت التجارة بين القطرين عبر الطرق البرية والبحرية .

وليس بعجيب أن تتأثر العقائد في سورية بعقلية سكان البسفور وشواطئ البحر الأبيض المتوسط ، فلقد كانت صلات سورية بشعوب آسيا الصغرى وسكان البحر الأبيض المتوسط قديمة طويلة متعددة .

وليس بعجيب أن تتأثر سورية التي شهدت أرضها صراعاً مستمراً بين دول العراق الآشورية والفارسية وبين دول مصر ، وبين هؤلاء جميعهم وبين دول شمال آسيا وجنوب أوربا : حثين ويونانيين - بعقائد هذه الدول وأرائها في هذا الكون العظيم . فمثلما تسلطت عبادة الكواكب على أرض العراق تسلطت على أرض سورية . فانتشرت هياكلها في سهولها وعلى رؤوس جبالها . ولقد تحدث المطران الدبس عن الفينيقيين الذين هاجروا من الخليج الإسلامي إلى سورية وعن حرصهم على إقامة ثلوث خاص بكل مدينة^(١) .

٢ - ومثلما شاع تأليه الحيوانات في مصر شاع تأليهها في سورية . ولقد جاء في تاريخ سورية لفيليب حتى : إن تأليه الأفعى في سورية سبق قدم بنى إسرائيل^(٢) . ولعل الفينيقيين كانوا متأثرين بعقائد بعض الشعوب الشمالية عندما أزالوا الوحدانية

(١) راجع تاريخ سورية للدبس ٣٦٤/١/١

(٢) تاريخ سورية لحنى ٨٣/١

عن (بعل) إلههم الأكبر فمحنوا كل مدينة من مدنهم بعلا .
ومثلاً اندست الوثنية في العقائد البابلية ، اندست الوثنية في العقائد السورية .
ويتزعم الوثنية في سورية كهنة في الدرجة الأولى من الشعوذة أطلقوا لشهواتهم العنان
واستغلوا نفوذهم الكهنوتي أياً استغلال .
وتشد الوثنية الفينيقية بتقديم الضحايا البشرية لآلهتها ، فلقد انفرد الفينيقيون بنوع
غريب من الأضاحى البشرية وطريقة شاذة في تقديمها ، فقد كانوا يقدمون أعز أبناءهم
قرايين تلتهمهم نار الآلهة !!^(١)

٣ - ووثنية هذا نوعها لا ضمير لكهنوتها يخفف شيئاً من جشعهم وحيوانيتهم ،
ولا عاطفة لطقوسها ترحم تلك الضحايا البريئة التى تلتهمها نار الآلهة - كان من المنتظر
ألا تصمد أمام الأديان الكتابية النبيلة العادلة الرحيمة ، بيد أنها مع ما هى عليه لم تنهر
أمام اليهودية بالسرعة المنتظرة . ولعل الضمير اليهودى المنحل والضعف الخلقى الذى ظهر
على بنى إسرائيل منذ عهد موسى هما السبب فى بقاء الوثنية فى سورية رغم الحرب التى
شنتها أنبياء بنى إسرائيل عليها .

٤ - فاليهودية التى ظلت حيناً من الدهر سيدة الموقف فى أكثر مناطق سورية
وفلسطين ، كان ينتابها الضعف فى فترات من الزمن من جراء تنكر الإسرائيليين
لشرائعهم ، وبفعل الحوادث التى كانت تهز الحياة السورية وتزلزل كيانها السياسى
والاجتماعى معاً .

فصراع الأديان فى سورية عرف من عهد إبراهيم ، واشتد من عهد موسى ، وأوشك
أن ينتهى فى عهد القياصرة الذين نصروا الدولة الرومانية فنصروا المسيحية على اليهودية
حتى لم يصبح لهذه شأن أكثر من شأن الوثنية فى سورية .
وصراع الأديان فى سورية كما تكشف عنه هذه الإمامة بدأ مع التاريخ الحقيقى فى
سورية الذى ظهرت عليه منذ البداية الانطباعات العربية .

(١) تاريخ سورية للدبس ٣٦٥/١

تاريخ العرب وحضارتهم في وادي النيل

من موضوعات البحث :

- ١ - للحضارة العربية فضل على الحضارة الفرعونية .
- ٢ - مصر العمليقية جزء من الجزيرة العربية .
- ٣ - المتأخرون من المؤرخين يؤكدون أقوال المتقدمين عما استفادته مصر من الجزيرة العربية .
- ٤ - الحضارة المصرية فرضت نفسها على الحضارة التى انتقلت إلى واديهما .
- ٥ - رجوع الحضارات العربية إلى أصلها تحت راية الإسلام .
- ٦ - التاريخ العربى فى مصر بدأ من القرن العشرين قبل الميلاد .

تاريخ العرب حضارتهم في وادي النيل

١ - يؤكد المحققون في تاريخ مصر القديم من المستشرقين مثل (بريستد) و (جون ويلسن) و (ل . ديورانت) أكثر ما قاله جهاذة المؤرخين الإسلاميين مثل الطبرى ، وابن قتيبة ، والمسعودي - عن العرب الذين سكنوا الصحراء الشرقية المتراصة على ضفاف النيل ، منذ فجر التاريخ الإنساني .

إن المستشرقين يقولون : إن العرب - أو الساميين كما في تعبيرهم - هم أول من سكن الصحراء الممتدة من البحر الأبيض إلى ما بعد مديرية الشرقية شرقى النيل ، وهم الذين نشروا اللغة السامية بين سكان وادي النيل ؛ وإن الإسلاميين يقولون : إن العماليق والإرميين أبناء سام هم أول من سكن ضفة النيل الشرقية ونشروا فيها اللغة العربية . فمن المستشرقين من يقول عن سكان مصر الأقدمين : [والمعروف أن أقواماً ساميين من عرب آسيا غزوا وادي النيل وعمموا فيه لغتهم فصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش القديمة]^(١) ، ومنهم من يقول عن حضارة مصر القديمة : [إن زراعة الشعير والذرة الرفيعة والقمح وتأنيس الماشية والمعز والضأن ، انتقلت إلى مصر من بلاد العرب القديمة]^(٢) . وإن الكتابة التصويرية التي كان المصريون يستخدمونها قبل عصر الأسر الحاكمة قد انتقلت إلى مصر من بلاد السوموريين . وإن الخاتم الأسطواني أصله بلا شك من بلاد الجزيرة ، وإن عجلة الفخار عرفت في مصر بعد أن عرفت في العراق بزمان طويل ، وإن من بين الآثار المصرية التي ترجع إلى عصر ما قبل الأسر والتي عثر عليها في جبل الأراك ، سكنين من (الظران)^(٣) جميلة الصنع عليها نقوش بارزة هي بعينها نقوش أرض الجزيرة من حيث موضوعها وطرزها . وكذلك فن الهندسة المعمارية ، وتماثيل

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور لمؤلفه بريستد ص ١٧

(٢) قصة الحضارة ٤٣/٢

(٣) الظران أو الظر : حجره حدكحد السكين وهو المشهور بالصوان

الفخار ، وكثير من آثار الحضارة المصرية يشبه فن الهندسة المعمارية والنقوش الفخارية في أرض الجزيرة السابقة إلى الحضارة^(١) .

ويقولون : [ويرجع أن الغزاة أو المهاجرين الذين وفدوا من غرب آسيا قد جاءوا معهم بثقافة أرقى من ثقافة أهل البلاد]^(٢) .

ومن أقوال الإسلاميين : إن الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر من عهد إبراهيم إلى عصر موسى هم من عنصر عربى . وإن الحضارة المصرية هى من أصل عربى . وإن الإسكندر الأكبر بنى مدينة الإسكندرية على أطلال مدينة عباد بن شداد^(٣) .

وجاء المتأخرون من رجالات التاريخ العربى القديم الذين نهضوا يبحثون في تاريخ مصر القديم ، يؤكدون : الحقائق التى اتفق عليها المستشرقون والإسلاميون . فجرجى زيدان يقول في بحثه - العالمى في مصر : [ويؤخذ من الاكتشافات الأثرية الأخيرة : أن العصر الحديدي بمصر يبدأ بدخول الساميين إليها أى أن المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية وأن المصريين اقتبسوا من مخالطة العالمى معارف كثيرة ولا سيما من حيث الأبنية فأخذوا عنهم أشكالاً جديدة ويعد أبو الهول المجنح من مبتكراتهم ، وأن العرب كانوا يحبون العمارة فاستخدموا المصريين في بناء المدن على النمط المصرى]^(٤) .

ويقول جواد على : [إن قصة « أوزيريس » الفرعونية تتحدث عن رؤية الكرم لأول مرة في البلاد العربية ، وإن الكرمة نقلت إلى مصر من البلاد العربية]^(٥) .

وفي كتاب تاريخ مصر إلى العهد العثمانى الذى قررت وزارة التربية والتعليم تدريسه بمدارس مصر الثانوية يؤكد مؤلفاه عمر الإسكندرى والميجر (ج . شفيدج) . [أن الحضارة التى بدأ ظهورها بابتداء الأسرات يعزى أصلها إلى القوم الفاتحين أجداد (مينا) وقد ثبت أن أصل هؤلاء الفاتحين قوم ساميون قدموا من آسيا . الأرجح أنهم

(١) قصة الحضارة ٤٤/٢

(٢) نفس المصدر ٦٥/٢

(٣) راجع فصل إم ذات العباد من هذا الجزء

(٤) العرب قبل الإسلام ٦٧ و ٧٢

(٥) تاريخ العرب لجواد على ٤٠٤/٢

جاءوا من برزخ السويس ^(١) .

٢ - ولقد أثبتنا في الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة العربية القديمة من هذا الكتاب : أن مصر التي عرفت في التاريخ القديم والتي أشار إليها القرآن الكريم ، هي جزء من أجزاء الجزيرة العربية ، وأن مصر العربية كانت أسبق إلى الحضارة من مصر النوبية - معتمدين فيما أثبتناه على أدلة ونصوص أثبتت : أن الضفة الشرقية الشمالية من وادى النيل التي نزح إليها العرب وعمروها وأسسوا فيها مدناً وأنشأوا فيها حياة الحواضر من قبل أن يبدأ في مصر عهد الأسرات الحاكمة ، هي : قسم من أقسام الجزيرة العربية .

ولقد أوردنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب - التاريخ العربى ومصادره : الأدلة التى تثبت أن العرب قبل الإسلام . وأن العرب بعد الإسلام ، وأن العرب فى الوقت الحاضر - منوا بخصومة الحاقدين على المجد العربى الذين ما فتئوا فى كل عصر من عصور التاريخ يثيرون الغبار حول حقيقة العرب ليخفوا فضل العرب فى التاريخ الإنسانى . وإن الحقيقة مهما عمل المبطلون لإخفائها لابد أن تظهر واضحة المعالم . فعلى ما بذله الفراعنة لتمصير حضارة العماليق ، وعلى ما دفعتهم إليه أنانيتهم فمحووا أسماء ملوك العماليق الذين بنوا مدينة (صان الحجر) - تانيس - (٢) فلقد اعترف التاريخ المصرى القديم بآثار العرب وعمرانهم .

٣ - وكذلك أثبتنا فى الجزء الخاص بالدول العربية وسياستها من هذا الكتاب : أن العرب فتحوا للسياسة الفرعونية آفاقاً بعيدة واسعة ، وأن من أهم بواعث القلق الدينى والوعى الشعبى الذى وثب يطالب بالحق الجماعى - الاحتكاك بسكان الجزيرة العربية ، أو الأرض المقدسة كما كان يسميها قدامى المصريين .

فما قاله جرجى زيدان : [وكان المصريون قبل العمالقة محصورين فى بلدهم لا يعرفون عن سائر العالم شيئاً . فأصبحوا بعد خروجهم أصحاب خيل ومركبات فحملوا على سورية وفلسطين وجزيرة العرب وبابل] (٣) .

(١) تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ١ / ٨ و ١٧ .

(٢) راجع فصل التاريخ العربى والدعاية المفرضة فى القسم الثانى من هذا الجزء .

(٣) العرب قبل الإسلام ص ٧٤ .

ومما جاء في تعليق الدكتور أحمد فخرى على كتاب الحضارة المصرية « لجون ويلسن » : - (في كتاب دنلوك) خصص المؤلف فصله الأخير لموضوع الأشياء التى أدخلها « الهكسوس » إلى مصر ، ونحن نوافق فى الحال على أنهم أدخلوا الأشياء المتصلة بالسيطرة والقوة مثل : الحصان والعربة ، والدرع التى تلبس فوق الجسم ، والكثير من الأسلحة ، والاهتمام بالصناعات المعدنية ؛ ولكن المؤلف يهدم موضوعه عندما يبدأ فى المغالاة : فينسب إلى الهكسوس أنهم ربما هم الذين أدخلوا الشادوف والنول القائم ، والماشية المسنمة ، وختم الماشية ، والقيثار والعود ... ألخ لأنه لا يكفى عدم معرفتنا لأصل بعض الأشياء فى الحضارة المصرية ، لكى ننسبها إلى قوم غزوا البلاد لا نعرف لهم مكاناً أو جنساً (١) ، وكانوا قوماً محبين للحرب ولا يحبون الاستقرار . (٢) - فسيان اعترف الفراعنة بأسبقية قلب الجزيرة وبلاد الرافدين فى المضمار الحضارى أم لم يعترفوا ، فإن الحقائق التاريخية تثبت نفسها على مر الزمن . وسيان تنصل الفراعنة من الدماء العربية التى تجرى فى عروق أبناء الضفة الشرقية من وادى النيل أم اعترفوا بها ، فإن عروبة سكان الصحراء الشرقية لاشك فيها . وسواء قصد الفراعنة إضاعة كل أثر عمليقى أم لم يقصدوا ، فإن حضارة العماليق فى وادى النيل تثبت : أن أولئك العماليق الذين شوه الفراعنة تاريخهم لم يكونوا شعباً سفاكاً مخرباً ، وأن ما ثبت لدى المؤرخ غير المتحيز لا ينكر أثر العرب فى حضارة مصر القديمة ، ولا ينكر ما جد على الحياة المصرية بعد قيام الدولة العربية فى مصر ، ولا ينكر كذلك : أن حضارة ضفتى نهر النيل قد انصهرت فى بوتقة الوادى فكان لها طابعها الخاص ، وأن الفراعنة استطاعوا تمصير كل ما وصل إليهم من حضارات الشعوب المجاورة لهم .

فمع كل هذه الحقائق التى أثبتتها البحث والنصوص والأدلة التى وردت فيه لا ننكر أن الحضارة فى مصر كان لها طابع له صفات خاصة تميزه عن غيره .

(١) لقد ذكرنا الأدلة التى اقتنع بها جبهة المحققين فى أصل الهكسوس التى تؤكد أنهم ساميون جاءوا من الجزيرة فلقد قال بذلك كثرة المستشرقين وقال بذلك جرجى زيدان وجواد على وغيرهما ممن تخصص فى التاريخ العربى القديم .

(٢) الحضارة المصرية ص ٢٦٨ .

٤ - فمما لا جدل فيه أن الحضارة المصرية قد فرضت نفسها على كثير من الحضارات وأن من تلك الحضارات حضارات شعوب خضعت مصر لسلطانها ، فلقد تأثر بالحضارة المصرية الفرس وتأثر بها اليونانيون على الرغم مما كان للفرس واليونانيين من سلطان على مصر .

ومما سبق التنويه عنه : انصهار الحضارة العمليقية في بوتقة وادى النيل ، ومما أثبتته البحث أولاً : اعتزاز الحضارة البابلية بصفتها فلم تأخذ من الحضارة الفرعونية مثلاً أعطتها .

٥ - ومما هو واضح جلى في تاريخ مصر الطويل أن الحضارة العربية القديمة التى مصرها الفراعنة وطبعوها بطابعهم الخاص ، رجعت بعد آلاف السنين إلى أصلها العربى تحت راية الإسلام ، وأن الكفاءة المصرية التى ما فتئت تمصر لغات الساميين وغير الساميين وحضاراتهم ، خضعت آخر الأمر للغة القرآن وحضارة القرآن ، فنجح العرب المسلمون فيما أخفق فيه سواهم من الفاتحين فتعربت لغة الوادى ولم يبق فى مصر لون من ألوان الحضارة غير عربى ، ولم يبق فى مصر من لا يفخر بالعرب والعروبة ، كما لم يبق فى البلاد العربية من لا يفخر بمصر العربية وبالمصريين العرب .

وهذا الذى عجب له المستشرقون فقالوا : [ثم انتهى أمر مصر بأن فتحها العرب المسلمون الذين استوطنوها فعلاً وأفلحوا بعد أن حكموها قروناً عديدة فيما أخفق فيه سواهم من الفاتحين أعنى فى تغيير لغة البلاد واستبدال العربية بها] (١) .

فتاريخ العرب فى مصر يبدأ من أقدم عصورها التى اختلف الباحثون فى تحديد أزمنتها فممنهم من يجعل بداية التاريخ المصرى من عهد (مينا) الذى وحد الوجهين : القبلى والبحرى تحت سلطانه ، ويجعل عصره فى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد (٢) ، ومنهم من يستكثر هذا القدم على التاريخ المصرى .

٦ - أما نحن فلقد سبق أن تحدثنا فى بحث الأديان فى جزيرة العرب من قبل التاريخ : عن إبراهيم عليه السلام الذى بدأ التاريخ العربى فى عصره يمتاز الطور الخيالى إلى المرحلة الأولى فى طريق الحقائق التاريخية ، وعن رحلته إلى مصر ، وعن فرعون مصر

(١) تاريخ العالم ٢ / ٣٠٤ طبع دار النهضة .

(٢) مصر من أقدم العصور ص ٧ .

الذى يؤكد أكثر المؤرخين العرب عروبه ، والذى أكرم إبراهيم وأحسن وفادته ، وعن هدف إبراهيم من رحلته .

فالذى يبدو لنا مما سبق فيه البحث : أن التاريخ العربى فى مصر يبدأ من عصر إبراهيم الذى أنشأ وحدة سياسية فى سورية ، وأقام صلات بينها وبين مصر وربط بين كثير من الشعوب العربية برباط العقيدة ووجه الأنظار إلى البيت الحرام ، وأن مصر دخلت بعد العماليق إلى التاريخ العربى من أوسع أبوابه .

فكريب إلى هذه النتيجة ما جاء فى موسوعة تاريخ العالم عن تاريخ مصر ؛ فلقد تحدث مؤلفو الموسوعة عن تاريخ مصر وقالوا : [كتب « مانيشون » - وهو كاهن مصرى حول عام ٢٨٠ ق . م . تاريخاً لبلاده والأسر المالكة - تاريخاً دقيقاً مبنياً على « حساب الموتى » وعلى معلومات فلكية للعصر الذى يلى عام ٢٠٠٠ ق . م . أما التواريخ السابقة حيثما وجدت فليست مؤكدة] (١) .

ويقول غوستاف لبيون : [ويظن أن هذه القبائل من العماليق تحالفوا هم وأعراب سورية واستولوا على مصر سنة ٢٠٠٠ ق . م . وعرفوا بالرعاة ودأم سلطانهم قروناً طويلة] (٢)

وهذا الذى يبدو لنا الآن ونشير إليه هنا بهذه الكلمة الموجزة سوف يكون موضوع بحث فى الجزء الخاص بالدول العربية وسياستها إن شاء الله .



(١) الموسوعة ١ / ٤٧ .

(٢) حضارة العرب ص ٩٠ .

البحث الثالث والثلاثون :

الآلهة في زمان الفراعنة

من موضوعات البحث :

- ١ - الحياة وما بعدها في فلسفة الفراعنة .
- ٢ - آلهة قدامى المصريين .
- ٣ - يقظة الوعي المصرى .

الآلهة في زمان الفراعنة

١ - للمصري الفرعوني في الحياة ، وفيما قبل الحياة ، وفيما بعد الحياة - فلسفة مزيج من البساطة والتعقيد ، تصور العقيدة المصرية التي استلهمها المصري من آفاق تفكيره ، وتصور بجانبها الآراء التي وفدت عليه من وراء البحرين عبر البرزخ الذي كان إلى وقت قريب يحول دون التقائهما . وما هذه المقابر - الأهرامات - إلا صورة من تلك الفلسفة التي كلفته الكثير ، والتي أخذت نظرتة إليها تتبدل متأثرة بما جد على تفكيره من آراء حملتها له الأمم التي تداعت على ضفاف النيل كما تداعت الأكلة على القصاع ، فلقد تبدلت نظرتة في الخلود الذي كان وقفاً على الملوك المتألهين ، وتعددت أمامه الأشياء التي أكبر فوائدها فراح يسبغ عليها كل معاني القداسة والتبرك ويحترمها إلى حد العبادة .

٢ - ويحدثنا (ول . ديورانت) عن آلهة قدامى المصريين فيقول : [إن المصريين لم يعبدوا مصدر الحياة فحسب ، بل عبدوا مع هذا المصدر كل صورة من صور الحياة ، فالنحلة ، والجميزة ، والبصل ، والتمساح ، والبقرة ، والعنزة ، والكبش ، والكلب ، والدجاجة ، والأفعى ، والآدميون - كل هذه وكثير معها كانت من المعبودات على ضفاف النيل ، ولكل هذه الآلهة وكثير معها نصبت الهياكل]^(١) .

وفلسفة من هذا النوع ، تخلط بين مصدر الحياة وبين العوالم التي منحت الحياة لتؤدي واجبها في هذا الكون العظيم خليفة بأن تكون مسرحاً لمتناقض العقائد والنحل ؛ فلقد وجدت وثنية البلاد العربية المجال واسعاً في تلك الفلسفة كما وجدت عبادة الكواكب وفكرة الثالوث الإلهي ودعارة التشريع البابلي مكاناً رحباً في قلوب المصريين .

فمن أقدم آلهة المصريين : (فتاح) ؛ ويصر جرجي زيدان على أن (فتاح) أسبوى

(١) قصة الحضارة ١٥٧/٢

الأصل^(١) . ويقول المطران الدبى : ويظهر أن ملوك الرعاة أوصلوا إلى مصر عبادة (ستخ) وسموه (سات) . وكان (سات) أعظم الآلهة عندهم . وكانوا يقيمون له المعابد في المدن^(٢) . وكان في مصر ثالوث لكل مدينة من مدنها الكبيرة . وكان في (تاب) ثالوث يتألف من آب (آمون رع) الإله الأعظم ، وزوج (موت) ، وابن (خنسو) . وكان المصريون يعتقدون أن هذا الثالوث هو إله واحد^(٣) .

٣ - على أن السذاجة مهما استحكمت لا بد لها من أن تتأثر بالوعى الذى يوقظ مدارك الشعوب . والوعى عندما انبعث في مصر أخذ يحطم الحواجز والأغلال سيما بعد أن اتسع الأفق المصرى باتساع الحوادث التى مرت به مع العهد العمليقي ، فكانت ثورة ضد تأليه الأفراد ، وكانت ثورة ضد الفوضى التى جرتها عبادة الملوك ، وكانت ثورة ضد الدعارة الوثنية ونزوات الكهنة ؛ وكانت ثورة بعد ثورة إلى أن انتهى الصراع في شبه هدنة بانتصار المسيحية دين الدولة الرومانية . ثم جاء الإسلام فوضع الأشياء في أماكنها ، وقضى على كل خرافة وتفسخ عقيدى ، ومنح المجتمع المصرى حق الحرية والعزة ، ومنع الناس من أن يطأطئوا رؤسهم لغير الله .

فتاريخ الأديان في مصر مرآة للتاريخ السياسى الذى بدأ يرتبط بتاريخ البلاد العربية من عهد العماليق .



(١) العرب قبل الإسلام لمرجى زيدان ص ٦٧ .

(٢) راجع تاريخ سورية للمطران الدبى ١ / ٢٠٦ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٣٦٤ .

نكايه المطاف

من موضوعات البحث :

- ١ - ليس التاريخ الأسطوري مجرداً من كل حقيقة ، وليس التاريخ الحقيقى مجرداً من كل أسطورة .
- ٢ - قدم التاريخ العربى وسبق قلب الجزيرة إلى الحضارة .
- ٣ - مالا يدرك كله من التاريخ العربى لايترك كله .
- ٤ - قدم الحضارة والمجتمع العربى فى قلب الجزيرة .
- ٥ - فضل الجزيرة العربية على الشرق العربى .
- ٦ - صحة مصادر التاريخ العربى .
- ٧ - ما هى مصادر التاريخ العربى ؟

نكايه المطاف

١ - لقد فرض علينا البحث في بداية التاريخ التوغل في مجاهل الماضي البعيد ، حيث لا توجد غير آثار مازال بعضها لغزاً لم تحله دراسات المحققين ، فحاتم حوله ظنونهم وتشعبت في فهمه آراؤهم .

فما أكثر ما طوى الزمن من أمم تحدث عن قليل منها القرآن ، ضارباً الأمثال بما كان لها من قوة ، وسلطان ، وعيش رغيد . وتحدثت عنها الأسفار بما لعله ينفع قوم موسى ، وهارون ، وداد ، وسليمان ، وعيسى بن مريم عليهم السلام . واحتفظت ببعض من أخبارهم مؤلفات كلاسيكية تمثل منطوق القدامى وتصوراتهم ، وما كانوا يعرفونه من شعوب أقفرت الأرض من قوميتها ، ومن مدن حصد الدهر عمرانها ، فلا شيء يدل عليها وعليهم غير الأسماء التي ورد بعضها في الكتب المنزلة ، وفي تواريخ الكلدانيين واليونانيين والفرس ، وورد بعضها في آثار الآشوريين والبابليين ، أخذ الباحثون يفرضون وجودها هنا وهناك ، فوفقوا لمعرفة شيء مما كان لتلك المدن من عمران ، وما كان لتلك الشعوب من سلطان ، وأين كانت مساكنها ، وكيف كانت حياتها ؟

وما أقل هذا الحاصل الذي جمعته مما وصل إليه تحقيق الباحثين من نتائج تحتاج إلى أكثر من الأدلة التي قدمها المحققون .

وما أضمن هذه النتائج على ما ينقصها من البرهان الساطع والدليل القاطع ، لأنها على كل حال قد أزاحت شيئاً من الغموض واثبتت قسماً من الحقائق .

فمن أهم هذه النتائج التي أثبتت وجودها : قدم التاريخ في جزيرة العرب ، منذ كان أسطورياً إلى أن أصبح حقائق . وحقيقة التاريخ العربي بنوعيه : الخيالي والواقعي ، فليس التاريخ الأسطوري مجرداً من كل حقيقة ، وليس التاريخ الحقيقي مجرداً من كل أسطورة . وليس هناك فواصل دقيقة بين التاريخين : الأسطوري والحقيقي ، تعين لنا نهاية الأسطورة وبداية الحقيقة في التاريخ .

فنحن إذا كنا قد اقتنعنا بأن التاريخ العربى بدأت أحداثه واضحة بعض الشيء من مطلع الألف الثانية قبل الميلاد ، فليس ذلك معناه : أن الحياة العربية بدأ وجودها المتكامل من ذلك العصر ، وليس معناه : أن الحياة العربية قبل الميلاد واضحة وضوح الحياة العربية بعد الإسلام ، فالفارق جد كبير .

ونحن إذا كنا نعلم : أن فى تاريخ بعض الأقطار العربية بعد الإسلام حلقات مفقودة وأخباراً مافتت مشكوكاً فيها ، فإن علينا : أن نعرف بأن فى تاريخنا قبل الإسلام : حلقات مفقودة هى أوسع مما عرف منه ، وأن فى تاريخنا أخباراً مازالت تعتبر خيلاً يسخر منه منطق العصر الحاضر .

فالحديثات التى انبنى عليها الاقتناع بأن تاريخ العرب بدأ يتبلور فى الألف الثانية قبل الميلاد ، قد تقدمت بكثير من التفصيل فى البحوث التى تناولت الحياة العربية فى كل ناحية من نواحي الجزيرة ، وبحثت فى المراحل التى اجتازتها ، وفى الأحداث التى كان لها تأثير عليها .

فمنذ رفع إبراهيم القواعد من البيت ربطت الرابطة الدينية بين الشعوب العربية التى قطعت شوطاً فى التطور تحدثنا عنه فى بحوث هذا الجزء ، وبدأت الشعوب المحيطة بأم القرى وما حوفا تنشد الاستقرار السياسى ، والنظام الإدارى والحياة الاجتماعية . وقد تزعم هذا التطور إسماعيل ، ثم تنافس على الزعامة الجرهميون القدامى - جرهم الأولى - وانتهى الأمر إلى سيادة « جرهم الثانية » . ثم جاءت « خزاعة » ثم من بعدها : كنانة فقيش .

٣ - هذا ما يجمع عليه المؤرخون . وهذا الذى يجمع عليه المؤرخون يحتاج إلى كثير من التدعيم ، وإلى مايزيل عن الكثير منه الغموض والشكوك - فمثلاً النسب النبوى إلى إسماعيل . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : عندما وصل نسبه إلى « عدنان » : [من ههنا كذب النسابون] . فعلى ذلك أن هذه الناحية الهامة فى تاريخنا غامضة . وإذا كانت مثل هذه الناحية الهامة مازالت غامضة فحرى بغيرها أن يظل غارقاً فى الشكوك .

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله - كما يقولون - فنحن إذا كنا عاجزين عن معرفة عدد من تولى الزعامة من الجرهميين ، ومن العماليق ، ومن خزاعة ، وعن معرفة عهودهم

معرفة صحيحة كاملة ، فان ذلك لايفقدنا الاقتناع بما في التاريخ عن دول مكة وشعوبها ، ولايفقدنا الاقتناع بما قيل عن الرياسة التي تداولتها الشعوب العربية في المدينة وفي شمالي الحجاز .

ولقد تقدم الكلام عن فترات تاريخ الماضي القديم ، وأنها مسألة تقديرية - كما قال عنها مؤلفو موسوعة « تاريخ العالم » . فالتاريخ لم يكن واقعياً لا يخالطه الشك في الزيادة والنقص إلا بعد عام ٥٠٠ ق م . - كما قال مؤلف الحضارة المصرية « جون ويلسن » . فنحن عندما بحثنا في عصر إبراهيم وجدنا خلافاً كبيراً في تاريخ ظهوره . ونحن عندما بحثنا في تاريخ اليمن ، رأينا الخلاف بين المستشرقين في بداية التاريخ اليمنى قائماً على أشده ، فبعضهم حدد تاريخ المعينين بالألف الأخيرة قبل الميلاد ، وبعضهم زاد هذا التقدير خمسمائة عام .

ونحن عندما بحثنا في عصر سرجون ، وعصر دولة حمورابي ، وجدنا الباحثين مختلفين في تاريخ سرجون وحمورابي ، فبعضهم جعل عصر سرجون في غضون الألف الرابعة وبعضهم جعله في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ، فبذلك يكون الفرق أكثر من ألف سنة بين التقديرين . والعقاد عندما تحدث عن حمورابي قال : إنه ظهر في عام ٢٤٦٠ ق م . بينما فيليب حتى جعل ظهور حمورابي في عام ١٧٠٠ ق م . فبذلك يكون الفرق بين تقدير العقاد وبين تقدير حتى ٧٦٠ عاماً .

ونحن عندما بحثنا في بداية التاريخ العربي في مصر وجدنا تقدير الكاهن المصرى « ماثيون » الذى عاش حول عام ٢٨٠ ق م . - المبنى على معلومات فلكية للعصر الذى يلي عام ٢٠٠٠ ق م . وهو عصر العماليق في مصر - ارتاح له المحققون . ونحن عندما ناقشنا هذه الآراء المختلفة انتهينا إلى نتيجة واحدة رجحت لنا : أن في مطلع الألف الثانية بدأت نوعية التاريخ العربى تنتقل من القصة الأسطورية إلى الخبر الواقعى . على أن الخبر الواقعى لم يسلم هو أيضاً من خيال الرواة .

وهذه النتيجة قد أثبتت لنا صحتها الأدلة التى اعتمد عليها النقاش في بحوث هذا الجزء ، وهذه النتيجة بما يؤكددها من الأدلة لا تمنحنا الاقتناع الكامل ، ولا تضبط لنا تاريخ الجرهميين في مكة ، والمعينين في اليمن ، والحمورابيين في بابل ، والعماليق في سورية

وفلسطين وسيناء ومصر - مثلما ضببطت لنا مؤلفات التاريخ الإسلامى عصر الراشدين فى المدينة ، والأمويين فى دمشق وقرطبة ، والعباسيين فى بغداد ، والفاطميين فى مصر ؛ وإنما هى ترجح لنا - كما قلنا من قبل - أن فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد بدأ التاريخ الحقيقى . ففى مطلع هذه الألف قامت الدول العربية فى الشرق العربى ، وفيه رسمت الجيوش العربية بسيفها وفؤوسها حدود البلاد العربية ، وفيه كانت النهضة العربية الأولى التى حمل لواءها إبراهيم عليه السلام ، وفيه أخذت كل أمة من أمم الجزيرة تثبت وجودها فى التاريخ العربى الطويل .

٤ - ومن أهم هذه النتائج التى أثبتت وجودها : قدم الحضارة ، والعقيدة ، والمجتمع فى العالم العربى ، وسبق قلب الجزيرة العربية إلى حياة التمدن والاستقرار . فلقد ساعد مناخ هذه المنطقة فى العصور الثلجية سكانها على تأسيس الأسرة ، وتكوين المجتمع ، والوصول إلى استنبات الحبوب واستئناس الحيوانات الضرورية لحياة المجتمع ، والاستفادة من معادن الأرض ، فأخرجوا ذهبها ونحاسها ، واستنبتوا البخور والكرمة من أقدم العصور ، وصدروا إنتاجهم المعدنى والزراعى الثمين إلى الشعوب المجاورة لهم : السوموريين ، والفراعنة .

٥ - ومن أهم هذه النتائج التى أثبتت وجودها : فضل الجزيرة العربية فى نشر العقائد ، واللغة ، والحضارة ، وتطوير فن الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط .

ولقد خصصنا لكل من الدين واللغة والحضارة والملاحة بحثاً اقتضت أن نتمتع مع دراسات المحققين لنعرف الأديان العربية ومدى تأثيرها على عالم الشرق العربى ، ونعرف اللغة العربية ومبلغ تشعبها ، وتفرع خطوطها وأبجدياتها ، ونعرف الحضارة العربية ومبلغ ازدهارها فى عصور الغابرين ، وكيف استطاع العرب أن يصهروا المدنية السومورية فى البوثة العربية ، وكيف استفادت مصر من حضارة الجزيرة ، وكيف اتسع أفقها فخرجت من عزلتها إلى ميدان الصراع السياسى فى الشرق العربى ؟

٦ - ومن أهم هذه النتائج التى أثبتت وجودها : صحة الكثير مما جاء فى مصادر التاريخ العربى عن العصور القديمة : عن آدم ، وإدريس ، ونوح ، وعالم ما قبل الطوفان ، وعن إبراهيم ، وهود ، وصالح ، وعن تبابعة اليمن ، وعاليق سورية ومصر ، وإرمي العراق -

قبل الميلاد ، إلى غير ذلك مما كان إلى وقت قريب في نظر البحث العلمى يعتبر ضرباً من الخيال والقصص الروائى .

إن هذه النتائج كما رأيتها لم تكن جميعها قصصاً خيالية وضعها المؤرخون كما كان يظنها المستشرقون ومن سار خلفهم قبل أن تعلن البحوث الأثرية صحتها . وإن هذه الحقائق كما رأيتها ، فيها من الأدلة ما يرجح بكثير من التأكيد : أن بداية الألف الثانية قبل الميلاد هى بداية التاريخ العربى فى جزيرة العرب ، وأن هذه الحقائق وغيرها قد وصل إليها البحث فى مصادر التاريخ العربى .

٧- فما هى مصادر التاريخ العربى ؟ وما هو مبلغ ما جاء فيها من الصحة ؟ ومن هم الذين قدموا لنا هذه المصادر ؟ إن الجواب عن هذه الأسئلة ليس من السهولة واليسر بحيث يمكن الإدلاء به دون مناقش وتحقيق . فلقد تعرضت مصادر التاريخ العربى إلى نقد الناقدين ، وتحقيق المحققين دون ما تميز بين مانسب إلى الكتب المنزلة ، وبين مانسب إلى المؤرخين اليونانيين القدماء ، وبين ما أكده علماء الآثار وعباقرة الجيولوجيين .
فلذلك كان لزاماً علينا أن نفردها جزءاً خاصاً من هذا الكتاب ، ونبحث فيه بقدر ما يحتاج إليه البحث لتكون على ثقة مما تعتمد عليه دراستنا وتبنى عليه النتائج التى نصل إليها .

والله الموفق وعليه الاعتد .



الكشافُ

الكشاف

١

- الزراعة - ٥٨ .
- عصر ما قبل التاريخ - ٦٥ .
- القرآن الكريم - ٩٨ .
- الكتب السماوية - ٤٨ .
- كيومرث - ٥٣ .
- مكة المكرمة - ٥٨ .
- النشأة - ٨٨ .
- الآدوييون - ٣٥٢ .
- آرام - ٣٠٤ .
- ارم - ١٧٥ .
- آرييون .
- الاجناس البشرية - ٥٣ .
- الأذيان - ٩١ .
- الغزوات - الجزيرة العربية .
- ٩ .
- آشور - ٢٨ .
- الاشوريون - ٦٨ .
- الساميون - ١٤٧ .
- الاشوريون .
- آشور - ٦٨ .
- الحضارة - ٨٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ .
- حكومة نينوى - ٢٩ .
- الشعوب العربية - ١١٣ .
- العراق - ٣٣٨ ، ٣٣٧ .
- الغزوات - ١٧٠ ، ٢٩ .
- آل لخم .
- الحيرة - ٢١٤ .
- الالهة - ١٠١ ، ١٠٠ ، ٦٧ .
- آب .
- آمون رع - ٣٧٠ .
- أوزوريس - ١٠٢ .
- ايزيس - ١٠٢ .
- بعل - ١٠٢ .
- الثالوث الالهى - ١٠٤ .
- الثالوث الكوكبي - ١٠٢ .
- الشموديون - ١٠٣ .
- الزهراء - ١٠٢ .
- سات - ٣٧٠ .
- ستنج - ٣٧٠ .
- سواع - ٣٢٢ ، ١٠١ ، ٦٢ .
- سورية - ٣٥٧ .

- آب - ٣٧٠ .
- آبار العوفير - ٢١٤ .
- الاشار .
- انظر ايضا - النقوش
- البحرين - ٣٤٦ .
- بصرى - ٢٤٨ .
- بطرا - ٢٤٨ .
- التاريخ العربى القديم - ١٧ .
- ٣١ .
- الجرهميون - ٢٥٠ .
- الجزيرة العربية - ٦٩ ، ٥٦ .
- ٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٧ .
- الحجر - ٢٤٨ .
- الحوراء - ٢٤٩ .
- الخطوط العربية - ١٤١ .
- الخليج الاسلامى - ٣٠٦ ، ٢٥٠ .
- سورية - ٣٥٢ .
- السوموريون - ٥٥ .
- العاديون - ٥٩ .
- العراق - ٣٣٣ ، ٣٠٦ ، ٧٤ .
- عصر ما قبل الطوفان - ٥٤ .
- العلا - ٢٤٨ .
- الفنيقيون - ٢٥٠ .
- مدائن صالح - ٢٤٨ ، ٥٩ .
- المدينة المنورة - ٢٤٧ .
- مصر - ٣٦١ ، ٨٣ ، ٧٤ .
- نجد - ٢٤٨ - ٢٥٠ .
- وادي القرى - ٢٨٧ .
- اليمامة - ٢٨٧ ، ٢٥٠ .
- اليمن - ٢٩٦ ، ٨٢ ، ٧٥ .
- آد م .
- الأرض - ٤٩ .
- بابل - ٥٤ .
- البيت الحرام - ٤٨ .
- الجنة - ٤٧ ، ٤٨ .
- الحياة الانسانية - ٩٧ .

الالهة (يتبع ما قبله)

- الشمس - ١٠٢
- العراق - ٣٤٧
- القرى - ٣٢٢
- عمو - ١٤٨
- فتاح - ٣٦٩
- القران الكريم - ١٠٢
- قريش - ١٠٣
- قوم ادريس - ٦٧
- قوم نوح - ١٠١
- الكواكب - ١٠٢
- مصر - ٣٧٠، ٣٦٩، ١٠٢، ٣٠
- النجوم - ١٠١
- هيكلك - ١٠١
- ود - ٣٢٢، ١٠٤، ١٠٣، ١٠١، ١٠٦٧
- آرمون - ١٠٢
- آمون رع - ٣٧٠
- الابجديات - ١٤٢
- الابجدية الارامية
- الابجدية الكنعانية - ١٨٠
- الابجدية الثمودية - ١٨٩
- ١٩٠
- الابجدية السامية - ١١٦، ١١٥
- الخط المسند - ١٦٨
- مصر - ١١٦
- الابجدية السومورية
- الابجدية العربية - ١٤٧
- الابجدية السومورية
- المسمارية البابليون - ١٤٤
- الابجدية الصفوية - ١٨٩
- الابجدية العبرية
- الابجدية الكنعانية - ١٩٩
- الابجدية العربية - ١٦٠، ١١٥
- ٢٢٦، ٢٢٥
- الابجدية السومورية - ١٤٧
- المستشرقون - ٢٢٦
- الابجدية العربية الجنوبية
- الابجدية الفينيقية - ١٢١
- الشعوب العربية - ١٦٨
- الابجدية العربية الشمالية
- الشعوب العربية - ١٦٨
- الابجدية الفينيقية - ١١٥
- ١٤٤
- الابجدية الفينيقية - ٥٦
- ١٥٧
- ابراهيم
- الاذيان - ١٠١، ٩٦، ٩٥، ٩١
- اسماعيل - ٢٥٥، ٩٥
- الاضام - ١٠٣، ٩٥، ٩٤، ٩٣
- الابجدية الفينيقية - ١١٥
- ١٤١
- الابجدية المعينية - ١٥٩
- ١٦٨
- الابجدية الهيروغليفية - ١٥٧، ١٥٦
- النقوش العربية الجنوبية - ١٥٨
- ابجدية الكتابة المختزلة
- الكنعانيون - ١٥٧
- الابجدية الكنعانية
- الابجدية الارامية - ١٨٠
- الابجدية السومورية - ١٥٨
- الابجدية العبرية - ١٩٩
- الابجدية المعينية - ١٧٠
- الابجدية الهيروغليفية - ١٥٨
- اللغة الارامية - ١٤٣
- اللغة البابلية - ١٤٣
- اللغة الحميرية - ١٤٣
- اللغة السبائية - ١٤٣
- الابجدية المسندية
- السبتيون - ١٦٩
- المعينيون - ١٦٨
- الابجدية المعينية
- الابجدية الفينيقية - ١٥٩
- ١٦٨
- الابجدية الكنعانية - ١٧٠
- اللغة الارامية - ١٤٣
- اللغة البابلية - ١٤٣
- اللغة الحميرية - ١٤٣
- اللغة السبائية - ١٤٣
- الابجدية الهيروغليفية - ١١٥

- ابراهيم (يتبع ماقبله)
- الأموريون - ٩٥ .
- أور - ٩٤ .
- بلد كنعان - ٩٥، ٧٧ .
- البيت الحرام - ٣١، ١٢، ١١ .
- ٢٥٣، ١٠٣، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٧٦ .
- ٢٨٩ .
- الجزيرة العربية - ٩٦ .
- الحج - ١٠٣ - ٢٥٤ .
- الحجاز - ٧٧ - ٩٤ .
- الحضارة العربية - ٩٣ .
- حمورابي - ٢٤٧ .
- الدولة الحمورابية - ٧٦ .
- سارة - ٩٤ .
- سورية - ٧٧ .
- العراق - ٩٤ .
- العصر الجاهلي الثاني ٩٢
- فلسطين - ٩٤، ٩٥ .
- القرآن الكريم - ٩٨ .
- كدر لا عومر - ٩٥ .
- المبعث - ١١ .
- المجتمع - ٢٥٥ .
- المستشرقون - ٨٩ .
- المسلمون - ٩٣ .
- مصادر التاريخ العربية
- ٧٦ .
- مصر - ٣٦٥، ٩٤، ٦٦، ٩١ .
- مكة المكرمة - ١٠٨ .
- مليكصادق - ٩٥ .
- النصرانية - ٩٣ - ٩٦ .
- هاجر - ٩٥ .
- الهجرات - ٩٦ .
- وادي مكة - ٩٥ .
- اليهودية - ٩٣، ٩٦ .
- أبرهه .
- النصرانية - ٣٢٣ .
- ابن اسحاق .
- الشعر
- ابن خلدون .
- ادريس - ٣٣١ .
- عصر ما قبل الطوفان - ٥٤ .
- ابن شريه - ٣٠ ٦ .
- ابن قلابه .
- ارم ذات العماد - ١٠ - ٢٩٩ .
- ابن كثير .
- البيت الحرام - ٧٥ .
- ابن الكلبي - ٢٩٥ .
- أبو جهل - ٣٠ .
- أبو رغال .
- ثقيف - ٢٢٢ .
- أبو طالب، محمد بن علي بن الحسين .
- اللغة العربية - ١٢٦ .
- أبو لهب - ٣٠ .
- أجادة، (أسرة) - ٣٣٨ .
- الأجازة .
- الحبشة - ٢٠٠ .
- اليمن - ٢٠٠ .
- الاجناس البشرية - ٥٤ .
- الاريون - ٥٣ .
- الأرض - ٤٨ .
- الجزيرة العربية - ٥٦، ٥٧ .
- ٢٨٧، ٦٩ .
- الحاميون - ٥٣ .
- الساميون - ٥٣ .
- العراق - ٥٤ .
- العرب - ٥٣ .
- قوم نوح - ٥٣ .
- الاحساء - ٧٤ .
- الحضارة - ٣١٣ .
- السواحل - ٢٧٩ .
- الكنعانيون - ٣١٣ .
- الآخاف - ١٨٦ .
- العاديون - ٣٢١ .
- هود - ١٠٨ .
- احمد شوقي .
- الشعر العربي - ٢٣٨ .
- الاخود - ٣٢١ .
- اليهود - ٣٢٣ .
- الأخشاب - ٤١ .
- الجزيرة العربية - ٥٥، ٥٧، ٧٧ .
- الأدب العربي .
- العصر الجاهلي - ٢٤٠ .
- ادريس - ٤٩، ٥٨ .

- ادريس (يتبع ما قبله)
- الحضارة - ٣٣١٠٩٧٠٨٨
- العراق - ٤٨
- عصر ادريس - ٩٩
- القرآن الكريم - ٩٨
- قوم ادريس - ٥٥
- اللغات - ٤٨
- المدن - ٤٨
- مدينة نينوى - ٤٩
- مصر - ٤٨
- مولده - ٤٩
- الاذيان .
- أنظر أيضا- الآلهة، الاصنام، التماثيل.
- الآريون- ١٩
- ابراهيم - ٩٠، ١٠١
- ازوريس - ١٠٢
- ايزيس - ١٠٢
- الاسلام - ٩٧
- الانجيل - ٩٨
- بعل - ١٠٢
- التوراه - ٨٩
- الشموديون - ١٠٣
- الجرهميون - ٩١
- الجزيرة العربية - ٥٧، ١١
- ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢
- ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ٣٢١، ٣٢٢
- الجن - ١٠٦
- الحجاز- ٩١
- الخليج الاسلامى - ٣٢٣
- سورية - ٣٥٧
- الشمس- ١٠٢
- العاديون - ٩٠، ٨٩
- العراق - ٣٤٥
- العصر الجاهلي الثاني- ٩٢
- عصر ما قبل الطوفان - ٨٨
- فلسطين - ٩١
- القبائل السامية - ١٠٠
- القرآن الكريم - ٨٩
- قريش- ١٠٣
- قوم موسى - ٨٩
- قوم نوح - ١٠٠
- قوم هود - ٨٩ - ١٠١
- الكلدانيون - ٨٨
- الكواكب - ١٠٢
- المبشرون - ١٠٧
- المجوسية - ١٠٦، ١٠٧
- محمد - ٩١
- المستشرقون - ٨٨
- مصر - ١٠٢، ٩١، ٨٩، ٣٠
- مكة المكرمة - ٢٥٣
- الملائكة، عبادة - ١٠٦
- المنطورية - ١٠٧
- النصرانية - ١٠٦، ١٠٧، ٣٢٣
- نوح - ٨٩ - ٩٣
- الوثنية - ١٠١، ١٠٣
- اليقونية- ١٠٧
- اليمن - ٣٢١
- اليهودية- ١٠٦، ١٠٧، ١٠٧، ٣٢٣
- أذينية - ٢٠٣، ١٦٩
- الارجوان - ١٥٥
- الارجوانية - ١٥٥
- الفنيقية- ١٥٥
- الكنعانية - ١٥٥
- الاردن -
- النبطيون - ٢٠٤
- الاردوان
- الحيرة - ٢١٣
- ارسطو
- الفلك، علم - ٣٩
- الأرض- ٦٧، ٦٦، ٤٩
- الانسان - ٤٨، ٤٧
- جثة ادم - ٤٨، ٤٧
- نوح - ٤٩
- أرض النبط
- الحضارة - ٣١٣
- اليمن - ٣١٦
- ارم - ٣٠٤
- آرام - ١٧٥
- الارميون - ١٧٥، ١٦٨
- الشموديون- ١٧٥، ١٦٩، ١٦٧
- جبل ارم - ١٧٥
- الشام - ١٧٥

مكة المكرمة - ٢٨٧
 الهجرات - ١١٨، ١١٩، ١٧٧
 الهلال الخصيب - ١٦٩، ٢٥٤
 وادي القرى - ٢٨٧
 اليهودية - ٣٢٣
 ازدهاق - ٥٣
 ازوريس - ١٠٢
 ايزيس - ١٠٢
 الاساطير - ١٧، ٤٢
 الاسباط - ٩٦
 مصر - ١٩٦
 استرايون -
 الحضارة - ٨٣
 الاستعمار -
 التاريخ العربي القديم - ٣٠
 الاستعمار الفارسي -
 اليمن - ٧٥
 الاشر الحاكمة - ٦٨، ٦٩
 اسرة مروان - ٦٩
 اكدا، دولة - ٦٣
 اورك، دولة - ٦٣
 سومير، دولة - ٦٣
 عصر ما قبل الطوفان - ٦٤
 عيلام، دولة - ٦٣
 الفرات الاوسط، دولة - ٦٣
 الفيشدادية - ٦٨
 كيش، دولة - ٦٣
 مادي، دولة - ٦٤
 اسرائيل -
 مصر - ١٩٦
 الاشرة - ٦٣
 بنو شيث - ٩٧
 بنو قابيل - ٩٧
 بنو هابيل - ٩٧
 الجويرة العربية - ٩٩
 اسطفانوس -
 مدن - الجزيرة العربية - ٢٤٥
 الاشفار -
 الاذيان - الجزيرة العربية - ٨٨
 اسفار العهد القديم -
 اللغة العبرية - ١٩٩

ارم (يتبع ما قبله)
 العاديون - ١٦٧، ١٦٩، ١٧٥
 النبطيون - ١٦٧
 ارم بن سام - ١٣٧
 ارم ذات العماد - ٢٩٥، ٢٩٦
 ابن قلابه - ١٠، ٢٩٩
 بن عاد، شداد - ٣٠٠، ٣٠٥
 التوراه - ١٠، ٣٠٠
 الحضارة - ١٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٨
 العاديون - ٢٥٠، ٣٠٣
 القرآن الكريم - ١٠
 القصص - ٣٠٣
 كعب الاخبار - ١٠، ٢٩٩
 معاوية بن ابي سفيان - ١٠
 الموقع - ٢٥١
 ارما -
 ابناء سام - ١٧٥
 الارميون - ١٧٥
 ارمان -
 الارميون - ١٦٩
 النبطيون - ١٧٥
 ارمينيا -
 الخط المسماري - ١٤٩
 الارميون - ٦٩، ١٧٥، ٣٠٥
 ارما - ١٧٥
 بنو ارم - ١١٦
 تدمر - ٢٠٣
 الحجاز، شمال - ١٠٤
 الحضارة - ١٠٤، ٥٩
 الحمورابيون - ٣٤٠
 الخطوط - ٢٢٣، ١٣٥، ٢٢٣
 السريانيون - ٢٠٦
 سورية - ١٠٤، ١٧٧، ٣٥١
 السوموريون - ٢٥٤
 سيناء - ١٠٤
 الشعوب العربية - ١١٣
 العراق - ١٠٤
 القبائل العربية - ١٧٧
 اللسان المضى - ١٦٨
 اللغة - ١١٨، ١٧٦
 المدينة - ٢٨٧
 مصر - ٢٥٤، ٣٦١

- الاسكندرية - ٣٠٤
الاسلام .
الاضنام - ٩٦
الجزيرة العربية - ٩٢٠٣٥
قريش - ٣٠
اللغة العربية - ١٢٨
محمد - ٩٧
المستشرقون - ٣٠
مصر - ٣٧٠
الاسلحة الحربية .
مصر - ٣٦٣
أسلم .
الخط الحيري - ٢١٥
الخط القرشي - ٢١٢
اسماعيل - ٧٦
ابراهيم - ٩٥ ، ٢٥٥
البيت الحرام ١٠٣ ، ٢٥٣
الخط - ٢١٢
سورية - ٣٥٢
العصر الاسماعيلي - ٩٣
اللغة - ١٢٧ ، ٢٣٧
الاسماعيليون .
الكنعانيون - ٢٦٣
الاسواق التجارية
الجزيرة العربية - ٥٨ ، ٣١
اسواق العرب - ٧
الاشارة .
اللغات - ١٤٢
الاشهر الحرم - ١٠٦
اصحاب الاخدود - ٢٩٤
القرآن الكريم - ٩٨
اصحاب مدين - ٥٨
الاضنام .
ابراهيم - ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣
الاسلام - ٩٦
اور - ١٠٣
البلقاء - ١٠٤ ، ١٠٥
بن جش ، عبد الله - ١٠٥
بن الحارث ، عثمان - ١٠٥
بن سعدة ، قس - ١٠٥
بن الصلت ، امية - ١٠٥
بن لحي - ١٠٥
بن نوفل ، ورقة - ١٠٥
- البيت الحرام - ١٠٥ ، ٩٦
قوم آزر - ٩٣
المعينون - ٣٢٢
مكة المكرمة - ١٠٣
نجد - ١٠٥
الوثنية - ١٠٩٦ ، ١٠١٦ ، ٢١٦
ود - ١٠٣
اليمامة - ١٠٥
الاصوات .
اللغات - ١٤٢
الاجاني .
التاريخ العربي القديم -
١٧
أفريدون .
نوح - ٥٣
افريقيا
اللغات السامية - ١١٦ ، ١٣٢
أفلاطون
المدنيات المفقودة - ٥٦
أكاد - ٢٧٧
الأكاسرة .
العراق - ٢٩
أكدا ، دولة .
الاشرة الحاكمة - ٦٣
أمكه حمراء
المسجد الحرام - ٩١
اله الأرض - ٣٤٧
اله السماء - ٣٤٧
اله المحيط - ٣٤٧
أم غيلان - ١٣٠
الامبراطورية الرومانية .
النصرانية - ١٠٦
اليهودية - ١٠٧
الامثال .
التاريخ العربي القديم -
١٧
امريء القيس - ١٣٠ ، ٢٠٧
الشعر العربي - ٢٣٣ ، ٢٣٨
أمم الصائفة - ٤٩
الاموريون .
سورية - ٣٥١
القوافل - ٩٥
الهجرات - ١٥٥

- أمية - ٦٨
- الانبار
- بابا - ٢١٤
- الخط الحيري - ٢١٣
- الخط القرشي - ٢١٤، ٢١١
- الاشباط
- الهجرات - ١١٨
- الاشياء
- ابراهيم - ٩١
- اسماعيل - ٩٣
- داود - ٩٢
- سليمان - ٩٢
- شعيب - ٩٢، ٩١
- صالح - ٩٢، ٩١
- العصر الجاهلي الثاني - ٩٢
- عصر ما قبل الطوفان - ٨٨، ٩٧
- عيسى - ٩٢
- القرآن الكريم - ٩٨
- لقمان - ٩٨
- لوط - ٩٢، ٩١
- محمد - ٩١
- المستشرقون - ٨٩
- موسى - ٩٢
- نوح - ٩١
- هود - ٩١
- يعقوب - ١٩٦
- يوسف - ١٢
- الاشجيل
- الاذيان - ٨٩
- الانساب - ٧٦
- الانسان
- الارض - ٤٧، ٤٨
- الانفرادية - ٦٣
- الحضارة - ٨٧
- داروين، نظرية - ٨٨
- العصر الحجري - الجزيرة العربية - ٥٧
- عصر ما قبل الطوفان - ٩٧
- العقل - ٨٧
- الانصاري، محمد الطيب - ٣
- انطيوخوس - ٦٥
- الانفرادية - ٦٣
- الانهار
- الجزيرة العربية - ٥٧، ٥٦
- ٢٤٥
- الاهازيج
- التاريخ العربي القديم - ١٧
- أور - ١٠٣، ١٠٢، ٩٤
- أورك، دولة
- الاسر الحاكمة - ٦٣
- الاوس
- اليهودية - ١٠٧
- اوسان، دولة - ٢٨
- اوفير - ٢١٤، ٢٤٩
- ايما
- نوح - ٥٠
- ب
- باب المنذب
- الفراعنة - ٢٩٥
- بابا
- الانبار - ٢١٤
- بابل
- آدم - ٥٤
- الكواكب - ١٠٢
- نوح - ٥٤
- البابليون - ٢٧٣، ٦٣
- الابجدية السومورية المسمارية
- ١٤٤
- تدمر - ٢٠٣
- التوقيت البابلي - ٤٠
- الجزيرة العربية - ١٢٢
- الحضارة - ١٢٢، ٥٥، ٤٩
- الخط المسماري - ١٥١، ١٤٩
- السنة الشمسية - ٤٠
- السنة المركبة - ٤٠
- اللغة - ١٧٦، ١١٨
- الملاحة - ٢٧٣

- الاضنام - ١٠٥
- بن جدمان ، عبد الله .
- الجرهميون - الاثار - ٢٥٠
- بن الحارث ، عثمان .
- الاضنام - ١٠٥
- بن الحارث ، النصر - ٣٠
- بن ذى يزن ، سيف - ٣٠٠
- بن ربيعة ، كليب - ٢١٧
- بن سعد ، قسي .
- الاضنام - ١٠٥
- بن سلام ، عبد الله - ٢٩٥ - ٢٠٦
- بن شريح ، عبيد - ٢٩٥
- بن عاد ، شداد - ٣٠٤ ، ١٠
- ارم ذات العماد - ٣٠٠
- بن كلاب ، قصي - ٢٦٨ ، ٣٠
- بن كلثوم عمرو - ٢٧٣
- الشعر العربي - ٢٣٨
- بن لحى ، - ١٠٣
- الاضنام - ١٠٥
- الوثنية - ١٠٣ ، ١٠٤
- بن مدارس ضراء - ١٣٠
- بن منبه ، وهب - ٢٩٥
- بن نوفل ، ورقه - ٣٠
- الاضنام - ١٠٥
- بن هشام ، عبد المطلب - ٣٠
- بنو اسرائيل .
- موسى - ١٢٣
- بنو اسماعيل .
- البيت الحرام - ١٠٤ ، ١٠٥
- لغة المستعربة - ١٢٣
- مكة المكرمة - ٢٦٤
- الوثنية - ١٠٤
- بنو الحارث بن كعب .
- اليهودية - ١٠٦
- بنو شيث .
- الاسرة - ٩٧
- عصر ما قبل الطوفان - ٥٣
- بنو غثيف - ١٠١
- بنو قابيل .
- الاسرة - ٩٧
- عصر ما قبل الطوفان - ٥٣
- بنو المحصن .
- الكتابة - ٢١٢

- البابليون (يتبع ما قبله)
- الهجرات - ١١٨
- البحر الأحمر - ٢٧٦ - ٢٧٩
- الحضارة - ٢٨٧
- الموانئ - ٢٧٨
- نهر النيل - ٢٧٨
- البحرين
- الاثار - ٢٤٦
- الكنعانيون - ٣١٣
- البخور .
- الجزيرة العربية - ٣١
- ٧٧ ، ٥٧
- اليمن - ٢٩٤
- برج نمروذ - ١٠٢
- برزنجي ، احمد - ٣
- برى ، ابراهيم - ٣
- بهرى .
- الاثار - ٢٤٨
- الغساسنة - ٢١٦
- بطرا - ١٧٦
- الاثار - ٢٤٨
- الخط النبطي - ٢٠٥
- اللغة العربية - ١٣٠
- النبطيون - ٢٠٤
- البعث - ١٠٥
- بعل - ٣٥٨ ، ١٠٢
- بعلبك - ١٠٢
- بلاد ما بين النهرين - ٦٣
- عموره - ١٧٥
- الوثنية - ١٠٤
- بلد كنعان .
- ابراهيم - ٧٧
- البلقاء .
- الاضنام - ١٠٤ ، ١٠٥
- بلقيس - ٢٥١
- بليانة
- الجرهائيون - ٣١٤
- بن ابي الصلت ، اميه - ٢٥٢
- الاضنام - ١٠٥
- بن ثابت ، حسان
- الشعر العربي - ٢٣٨
- بن جحش ، عبد الله - ٢٥٢

- بنو هابيل .
 الاسرة - ٩٧ .
 السيودية - ٩١ .
 يسورما .
 البودية - ٩١ .
 البيت الحرام - ٢٨٩، ٩٠، ٥٧ .
 آدم - ٥٨ .
 ابراهيم - ٩٢، ٧٦، ١٢، ١١ .
 ٢٥٣، ١٠٣، ٩٧، ٩٦، ٩٥ .
 ٢٨٩ .
 اسماعيل - ١٥، ١٠٤، ١٠٣، ٣١ .
 ٢٥٣ .
 الاضنام - ١٠٥، ٩٦ .
 تاريخ - ٩١، ٧٦، ٧٥، ٣١ .
 الجزيرة العربية - ٩٦ .
 القومية العربية - ٢٥٥ .
 النصرانية - ٩٦ .
 الوثنية - ١٠٤ .
 اليهودية - ١٠٧، ٩٦ .
 بيزانطية .
 التجارة الخارجية - ٢٥٢ .
- ت
- التاريخ - ٣٩ .
 تاب - ٣٧٠ .
 التاريخ - ٧٧، ٤٠، ١٥ .
 البحث - ٤١ .
 الدول - ٧٤ .
 عصر ما قبل التاريخ - ٧٣ .
 التاريخ الاسطوري - ٦٣، ٤٣ .
 التاريخ الاسلامي العربي - ٢٦٠ .
 التاريخ العربي القديم - ١٥، ٩ .
 ٢٦، ٢٧ .
 الاثار - ٨١، ٣١، ١٧ .
 الاشوريون، غزوات - ٢٩ .
 الاجناس البشرية - ٥٣ .
 الاستعمار - ٣٠ .
 الاغانى - ١٧ .
- الامثال - ١٧ .
 الاهازيج - ١٧ .
 التاريخ الاسطوري - ٤١، ١٧ .
 التاريخ الحقيقى - ٤١ .
 التوقيت - ٤١ ، ٣٠ .
 الحضارة - ٤١ .
 العرب البائدة - ٧٧ .
 العصر الاسماعيلي - ١٢ .
 العصر الجاهلي - ٥٣، ٢٨ .
 عصر ما قبل الطوفان - ٥٣ .
 القرآن الكريم - ٣٤، ١٠، ٩ .
 القصائد - ١٧ .
 الكتب السماوية - ٣١، ١٧ .
 اللغة العربية - ١٣ .
 المستشرقون - ٢٩ .
 المصادر العربية - ٣٤ - ٧٦ ،
 ٨١، ٤١، ٤٠ .
 المؤرخون - ١٨ .
 مؤلفات المستشرقين المعربة
 ٣١ .
 المؤلفات المكتوبة - ١٧ .
 النقوش - ١٧ .
 تانيس - ٣٦٣ .
 التبعية - ١٠٦ .
 التبت .
 البودية - ٩١ .
 تبع .
 الكعبة المشرفة - ١٠٧ .
 اليهودية - ٣٢٣ .
 التجارة الخارجية .
 بيزنطة - ٢٥٢ .
 الجزيرة العربية - ٢٥٢ .
 تدمر
 اذينة - ٢٠٣ .
 الارميون - ٢٠٣ .
 البابليون - ٢٠٣ .
 الثقافة - ٢٠٤ .
 الخط التدمري - ٢٠٥ .
 الرومان - ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣ .
 الزبء - ٢٠٣ .
 سليمان بن داود - ٢٠٣ .
 الفرس - ٢٠٣ .

تدمر (يتبع ما قبله)

- اللغة العربية - ١٣٠
- المصادر الاسرائيلية - ٢٠٣
- المصادر العربية - ٢٠٣
- النشاط الاقتصادي - ٢٠٣
- النقوش التدمرية - ٢٠٤
- التدمريون
- سوريه - ٢٨
- الهجرات - ١١٨
- التعدين
- عمان - ٥٨
- اليمامة - ٥٨
- التقويم الزمني
- الكلدانيون - ٦٥
- التقويم الشمسي
- الكلدانيون - ٦٦
- التماشيل - ٩٩
- الاديان - ٨٨
- سواع - ٦٧
- القرآن الكريم - ٦٧
- قوم نوح - ٦٧
- الكواكب - ١٠٢
- نسر - ٦٧
- ود - ٦٧
- يعوق - ٦٧
- يفوث - ٦٧
- تميم
- المجوسية - ١٠٦
- التناسخ - ١٠٥
- التنور - ٤٩
- تهامة
- الجدب - ٨٣
- الجزيرة العربية - ١٧٦
- جغرافية - ٨٣
- السواحل - ٢٧٩
- التوراه
- الاذيان - ٨٩
- ارم ذات العماد - ٣٠٠، ١٠
- الشموديون - ٩٨
- حمورابي - ٣٤٧
- صالح - ٩٨
- العماليق، دولة - ٣٠

- اللغات السامية - ٣٠
- اللغة العبرية - ١٩٩، ٢٠٠
- الهلل الخصب - ٩٨
- هود - ٩٨
- التورخ - ٣٩
- التوقيت
- التاريخ العربي القديم - ٤٠
- السنة الميلادية - ١٢
- السنة الهجرية - ٤٢
- الفلك، علم - ٤٢
- التوقيت البابلي - ٤٠
- التوقيت الشمسي - ٤٠
- التوقيت الميلادي - ٤٢
- التوقيت الهجري - ٤٢
- تيماء - ١٠٧

ث

- الثالوث الالهى
- المعينيون - ١٠٤
- مصر - ٣٦٩
- اليمن - ١٠٤
- الثالوث الكوكبي - ١٠٢
- الثالوث المقدس - ٣٢٣، ٣٢٤
- الثقافة
- الجزيرة العربية - ٢٣١، ٢٤٠
- وادي القرى - ٢٣١
- اليمامة - ٢٣١
- ثقيف
- أبورغال - ٢٢٢
- الشموديون
- الاداب - ٢٣٦
- الالهة - ١٠٣
- ارم - ١٦٧، ١٦٩
- ارم شمود - ١٧٥
- تاريخ - ١١
- التوراه - ٩٨
- الجزيرة العربية - ٢٤٥
- الحجاز، شمال - ١٠٤

الشموديون (يتبع ما قبله)

- الحجر - ١٦٧، ١٠٣
- الحضارة - ٢٤٧، ٢٣٩، ٨٢، ٥٩، ٢٨٧
- الدولة - ٢٥٩
- الرجفة - ٣٢٢
- سورية - ١٠٤
- سيناء - ١٠٤
- الشعر العربي - ٢٣٩
- صالح - ٢٥٤
- العرب البائدة - ٩٣
- القبائل - ٧٤
- القرآن الكريم - ٢٣٥، ٩٨، ٢٣٦
- الكتابة - ١٤٣
- اللسان المضرى - ١٣٧
- اللغة العربية - ١١٨
- النحت - ٢٤٧
- الهجرات - ١٧٦
- وادي القرى - ٩٠، ١٢
- الوثنية - ١٠٤
- اليمن - ١٦٧، ١٢

ج

- جاوة .
- البوذية - ٩١
- الجبارة .
- سورية - ٣٥٢
- جبال حسمى .
- ارم - ١٧٥
- جبل الازاك - ٣٦١
- جبل ارم - ٣٠٥، ١٧٥
- جبل طيبى - ٢٥٩، ٧٧
- الجحفة
- عيبيل - ٢٥٩
- الجدسيون .
- الجزيرة العربية - ٢٤٥
- الحضارة - ٢٨٧

- الخليج الاسلامى - ٣١٤
- الدولة - ٢٨، ٢٥٩
- اللسان المضرى - ١٣٧
- الهجرات - ١٧٦
- اليمامة - ٢٥٩
- الجرهائيون .
- الحضارة - ٣٠٧
- الجرهميون - ٦٩
- الاثار - ٢٥٠
- الاثيان - ٩١
- تاريخ - ١٢
- الجزيرة العربية - ٢٤٥
- الحضارة - ٨٢
- الحيوانات المستأنسة - ٢٣٢
- الزراعة - ٢٣٢
- السوموريون - ٢٣١
- الفراعنة - ٢٣١
- القبائل - ٧٥، ٧٤
- مكة المكرمة - ٢٥٩، ١٢
- الموت - ٢٣١
- الهجرات - ١٧٦
- وادي القرى - ٧٥، ١٢
- الوادي المبارك - ٧٥
- اليمن - ١٢
- الجزيرة العربية .
- الاثار - ٧٧، ٦٩، ٥٦، ٣١، ١٧
- ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٥، ٨٣، ٨١
- ٢٥١، ٢٥٠
- الاشوريون - ١١٣
- الاجناس البشرية - ٥٦، ٥٤
- ٢٨٧، ٦٩، ٥٧
- الاخشاب - ٧٧، ٥٧، ٥٥
- الاثيان - ٩٠، ٨٨، ٨٤، ٥٧، ١١
- ٣٢١، ١٠٦، ١٠٥، ٩٣، ٩٢، ٩١
- ٣٢٢
- الارميون - ١٧٧، ١١٣، ٢٩
- الاسرة - ٩٩
- الاسلام - ٩٢
- الاسواق التجارية - ٣١
- الانهار - ٢٤٥، ٥٧، ٥٦
- اوسان ، دولة - ٢٨

الجزيرة العربية (يتبع ما قبله)

- اوفير - ٢٤٩
 البخور - ٧٧، ٥٧، ٣١
 بنوشيث - ٩٧
 بنوفابيل - ٩٧
 بنو هابيل - ٩٧
 البيت الحرام - ٢٨٩، ٩٦
 التاريخ القديم: ٢٧، ٩٦
 ٨١، ٧٤، ٥٨، ٥٦، ٣٥، ٢٨
 ٣٧٢، ٢٩٣، ٢٦١، ٢٦٠، ٨٢
 ٢٨٩، ٢٩٤
 حمير، دولة - ٢٨
 الحيوانات المستأنسة -
 ٢٤٥، ٥٧، ٥٥
 الخصب - ٢٤٥
 الخطوط - ٢١٦، ١٦٨، ١٤٦
 الدول - ٢٦٦
 الدولة - ٢٥٨
 الذهب - ٢٤٩، ٧٧، ٥٧، ٣١
 ٣٠٦
 رعمه - ٢٤٩
 الزراعة - ٢٤٥، ٥٧، ٥٥
 الساميون - ٢٢، ١١٨، ١١٤
 سبأ، دولة - ٢٨
 السوموريون - ٢٦٥
 الطمسيون - ٢٨
 العاديون - ٣٠١، ١٠
 العرب البائدة - ٢٤٥، ٧٧
 العروض - ١٧٦
 عصر ابراهيم - ٩٦
 العصر الاسلامي - ٣٥
 العصر الجاهلي - ٨٣، ٢٨
 العصر الجليدي - ٧٠، ٥٨
 العصر الحجري - ٥٧، ٥٦
 ٧٧
 عصر مابعد الطوفان - ٩٧
 عصر ما قبل الطوفان - ٦٩
 العقائد - ١٠٦
 الفنيقيون - ١١٣
 القبائل - ١٧٥، ٨٣، ٨٢، ٧٤
 ٢٨٨
 قتيان، دولة - ٢٨
- القرآن الكريم - ٢٤٦
 القوافل التجارية - ٧٥، ٣١
 ٢٨١، ٢٨٠، ٢٥٢
 الكتب السماوية - ٣١
 الكلدانيون - ١١٣، ٨٨
 الكنعانيون - ١٢٢
 الكواكب، عبادة - ١٠٢
 اللحيانيون، دولة - ٢٨
 اللغة - ١٢١
 اللغة السامية - ١١٣
 اللغة العبرية - ١٩٥
 اللغة العربية - ١٣٦، ١٣١، ١٣٠
 اللهجات - ١٣٣
 المبشرون - ١٠٧
 المجتمع - ١٠٨، ٩٩
 المجوسية - ١٧
 محمد - ١٠٨
 المدن - ٢٤٥
 المدنيون، دولة - ٢٨
 المستشرقون - ٢٩٦، ٢٩
 المعابد - ١٤٣
 المعادن - ٧٧، ٣٠
 معين، دولة - ٢٨
 الملاحة - ٢٨٢، ٢٧٩، ٢٧٧، ٢٧٥
 ٢٨٣
 المناخ - ٧٠، ٥٨
 الموانئ البحرية - ٢٧٨
 ميناء لويكة كومة - ٢٤٩
 نجد - ١٧٦، ٧٧
 النحاس - ٧٧، ٥٧، ٥٥، ٣١
 النحت - ٢٤٧
 النمل - ١٠٦
 النسطورية - ١٠٧
 النصرانية - ٣٤٣، ١٠٧، ١٠٦
 النظام السياسي - ٢٦٢
 النقوش - ١٠٧، ١٧
 الهجرات - ١٥٥، ١٤١، ١١٩، ١١٨
 ١٧٦،
 الهكسوس - ١١٣
 الوثنية - ١٠١، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٠
 ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٢٥٧، ١٠٥،
 ٣٤٥

الجزيرة العربية (يتبع ما قبله)

الوديان - ٥٦.

اليعقوبية - ١٠٧.

اليمن - ١٧٦.

اليهودية - ١٠٦، ١١٤، ١٩٥، ٣٢٣.

الجمحي، محمد بن سلام.

الشعر العربي - ٢٣٥.

اللغة العربية - ١٢٦.

الجن.

العبادات - ١٠٦.

عصر ما قبل الطوفان - ٥٤.

الجنة.

آدم - ٤٧.

جنة آدم - ٤٧، ٤٨.

الجوف.

السئيون - ١٦٧.

المعنيون - ١٦٥.

ح

الحاميون.

الانسان البشرية - ٥٣.

الحشة.

الاجازة - ٢٠٠.

اللهجات العربية - ١١٦.

اليمن - ٢٠٠.

الحج.

ابراهيم - ١٠٣، ٢٥٤.

بن كلاب، قصي - ٢٦٨.

اللغة العربية - ١٢٧.

الحجاز.

ابراهيم - ٧٧، ٩٤.

الاديان - ٩١.

الارميون - ١٠٤.

اوسان، دولة - ٢٨.

الانهار - ٥٦.

البيزنطيون - ١٢٥.

التاريخ الاجتماعي والسياسي

٢٥٣.

الشموديون، الدولة - ٢٨، ١٠٤.

الجدسيون - الدولة - ٢٨.

الجزيرة العربية - ١٧٦.

جغرافية - ٨٣.

الحميريون - الدولة - ٢٨.

الخصب - ٢٤٥.

الخطوط - ١٨٩، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦.

٢٢٠، ٢٢٢.

الددنيون - ٢٥٢.

الدول - ٢٥٢.

الدولة - ٢٥٩.

السئيون - الدولة - ٢٨.

٢٥١، ٢٥٢.

الشعر العربي - ٢٣٣.

الطمسيون - الدولة - ٢٨.

العاديون - الدولة - ٢٨.

١٦٧.

العماليق - الدولة - ١٢.

١٦٧.

القتبانيون - الدولة - ٢٨.

القومية العربية - ٢٦٤.

الليانيون - الدولة - ٢٨.

٢٥٢.

اللغات السامية - ١٢٢.

اللغة العربية - ١٢٦، ١٣٥.

المديون - الدولة - ٢٨.

المعنيون - الدولة - ٢٨.

١٠٤، ٢٥٢.

ميناء لويكه كومه - ٢٤٩.

الوشية - ١٠٣، ٢١٦.

اليهودية - ١٠٧.

الحجر - ١٠٣.

الآثار - ٢٤٨.

الشموديون - ١٦٧.

الخربة - ١٦٩.

الخطوط - ٢١٣.

صالح - ١٠٨.

حجر شمود.

الخط النبطي.

الحديد

الجزيرة العربية - ٢٧٨.

مصر - ٢٧٨.

- حمران •
 اللغة الارامية - ١٧٨ •
 الحساب الفلكي •
 الكلدانيون - ٦٦ •
 الحساب المدني •
 الكلدانيون ٦٦ •
 حسان بن ثابت - ٢١٩، ١٢٦ •
 الحصون •
 المعينون - ١٦٦ •
 الحضارة - ٨٧، ٨١، ٢٧ •
 الاشوريون - ٣٤١، ٣٤٠ •
 الاحساء - ٣١٣ •
 ادريس - ٣٣١ •
 الارميون - ١٠٤ •
 البابليون - ١٢٢، ٥٥ •
 البحر الاحمر، سواحل - ٢٨٧ •
 التاريخ العربي القديم - ٤١ •
 الشموذيون - ٢٨٧، ٢٤٧، ٥٩ •
 الجدسيون - ٢٨٧ •
 الجزيرة العربية - ٥٥، ٤٩ •
 ٨٣، ٨٢، ٨١، ٧٠، ٥٩، ٥٧، ٥٦ •
 ٢٤٥، ١٢٢، ١٠٩، ٩٩، ٩٨ •
 ٢٦٢، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٠، ٢٤٦ •
 ٣٠٣، ٣٠٦، ٢٨٨، ٢٨٧ •
 حضرموت - ٣١٥، ٣٠٣ •
 الحمورابيون - ٣٤١، ٣٤٠ •
 الخليج الاسلامي - ٥٩، ٤٩ •
 ٣١٤، ٣١٣، ٢٩٤، ٢٨٧ •
 الدادنيون - ٢٨٧ •
 دلون - ٣١٣ •
 الساميون - ١٢٢، ٥٩ •
 السيثيون - ٣٠٧ •
 سورية - ٣٥٢، ٨٢، ٥٩، ٤٩ •
 السوموريون - ١٥١، ١٤٧ •
 ٢٨٧، ١٥٦ •
 الطمسيون - ٢٨٧ •
 العاديون - ٢٥٠، ٩٨، ٥٩ •
 ٢٨٧ •
 العراق - ١٤٧، ٨٢، ٥٥، ٤٩ •
 ٣٤٦، ٣٣١ •
 العرب البائدة - ٣٠٦ •
- عصر ابراهيم - ٩٧ •
 عصر ما قبل الطوفان - ٤٨ •
 العماليق - ٢٨٧ •
 عمان - ٣١٥ •
 القرين - ٣١٣ •
 قطر - ٣١٣ •
 قوم ادريس - ٨٨، ٥٥ •
 قوم نوح - ٨٩، ٥٥، ٤١ •
 الكنعانيون - ٣١٣، ٢٨٧، ١٢٢ •
 المدنيات المفقودة - ٥٦ •
 المدينيون - ٢٨٧ •
 مصر - ١٥٦، ٨٢، ٨١، ٥٥ •
 ٣٤٦، ٣٣٣، ٣٣٢، ٢٨٧، ٢٤٧ •
 ٣٦٥، ٣٦٣، ٣٦١ •
 هجر - ٣١٣ •
 وادي القرى - ٢٨٧، ٥٩ •
 اليمامة - ٣٠٣، ٢٨٧، ٥٩ •
 اليمن - ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٢، ٣٠١ •
 ٣١٧ •
 حضرموت - ٢٩٤ •
 الحضارة - ٣١٣، ٣١٥ •
 السواحل - ٢٧٩ •
 حفريات ارامكو •
 الخط المسند - ٢٢٣ •
 الحكماء •
 القرآن الكريم - ٩٨ •
 حكومة نينوى الاشورية - ٢٩ •
 حمورابي - ٣٣٨، ٣٣٧، ١٤٨، ٤٢ •
 ابراهيم - ٣٤٧ •
 التوراه - ٣٤٧ •
 شريعة حمورابي - ٣٤٧ •
 العراق - ٣٣١ •
 موسى - ٣٤٧ •
 الحمورابيون •
 الارميون - ٣٤٠ •
 الحضارة - ٣٤١، ٣٤٠ •
 الخط المسماري - ١٣٥ •
 العراق - ٣٣٩، ٣٣٧ •
 العماليق - ٣٤٠ •
 حمير، دولة - ٢٨ •
 الحميريون •
 الخط المسند - ٢١٥ •

- حوتب .
الخط المسماري - ١٤٩ .
الحوراء .
الأشار - ٢٤٩ .
حوري - ١٥٥ .
الحوماني ، محمد علي - ٧ .
الحيرة - ٢٠٧ .
آل الخم - ٢١٤ .
الأردوان - ٢١٣ .
الخطوط - ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .
قبيلة الأخلاف .
قبيلة تنوخ - ٢١٥ .
قبيلة تميم - ٢١٥ .
قبيلة حمير - ٢١٥ .
قبيلة العباد - ٢١٥ .
قبيلة مذحج - ٢١٤ .
قبيلة النبط - ٢١٤ ، ٢١٥ .
القرشيون - ٢١٧ .
اللغة العربية - ٢١٩ .
المناذرة - ٢١٣ .
النسطورية - ١٠٧ .
الحيوانات المستأنسة .
الجرهميون - ٢٣٢ .
الجزيرة العربية - ٥٧ ، ٥٥ ، ٢٤٥ .
اليمن - ٥٥ .
- خ
- الخرافات والأساطير .
التاريخ العربي القديم - ١٧ .
خربة - ١٨٨ .
الخريبة .
الحجر - ١٦٩ .
الخط اللحياني - ١٨٨ .
الخزرج .
اليهودية - ١٠٧ .
الخط .
- اسماعيل - ٢١٢ .
الخط الارمي - ١٧٧ .
الحجاز - ٢٢٠ ، ٢١٤ .
الحيرة - ٢١٥ .
الخط الارمي التدمري - ١٧٧ .
الخط الارمي النبطي - ١٧٧ .
الخط الثمودي - ١٨٧ .
الخط السرياني - ٢٠٦ ، ١٧٠ .
الخط الصفوي - ١٨٧ .
الخط العربي - ٢٠٦ ، ١٣٤ .
الخط الكنعاني - ١٦٠ ، ١٦٩ .
١٧٧ ، ٢١٢ ، ٢٠٦ .
الخط اللحياني - ١٨٧ .
الخط المسند - ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٢١٤ .
٢١٧ .
الخط النبطي - ١٦٩ ، ٢١٢ .
الخليج الاسلامي ، شواطئ - ٢١٤ .
سورية - ١٧٠ .
العراق - ٢٠٦ ، ١٧٠ .
مكة المكرمة - ٢١٦ .
النبطيون - ٢٠٥ ، ١٩٠ .
نجد - ٢١٤ .
السهل الخفيف - ٢٠٤ ، ٢٢٠ .
الخط الارمي النبطي .
الجزيرة العربية - ٢١٦ .
الخط الاسلامي .
الخط العربي - ٢١١ .
الخط التدمري - ٢٠٥ .
الخط الثمودي .
الحجاز - ٢٢١ .
الخط الارمي - ١٨٧ .
الخط الحيري - ٢١٥ .
الخط المسند - ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٠ .
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ .
الخطوط السامية الجنوبية - ١٨٦ .
العاديون - ١٨٧ .
نجد - ٢٢١ .
الخط الحيري .
أسلم - ٢١٥ .
الأشبار - ٢١٣ .

- الخط الحيري (يتبع ما قبله)
- الجزم - ٢١٥٠
- الخط الشمودي - ٢١٥٠
- الخط السرياني - ٢١٥٠
- الخط القرشي - ٢٢١٠
- الخط الكنعاني - ٢١٣٠
- الخط اللحياني - ٢١٥٠
- الخط المسند - ٢١٥٠، ٢١٣٠
- الخط النبطي - ٢٢٠٠، ٢١٥٠
- عامر - ٢١٥٠
- عصر امرئ القيس - ٢٢٠٠
- كنده - ٢١٣٠
- اللخميون - ٢١٥٠
- مرامر - ٢١٥٠
- مكة المكرمة - ٢٢١٠
- اليمن - ٢١٣٠
- الخط السبئي
- المدينة المنورة - ٢١٦٠
- الخط السرياني
- آسيا - ٢٠٦٠
- الحيرة - ٢١٥٠
- الخط الارمي - ٢٠٦٠، ١٧٠٠
- الخط الحيري - ٢١٥٠
- الخطوط العربية - ٢٠٦٠
- الدولة الساسانية - ٢٠٦٠
- الخط الصفوي
- الخط الارمي - ١٨٧٠
- الخط المسند - ١٨٥٠، ١٨٠٠، ١٦٩٠
- ١٨٩٠، ١٨٧٠، ١٨٦٠
- الخط العبري
- الخط الكنعاني - ١٩٩٠، ١٥٩٠
- الخط العربي
- الاشار - ١٤١٠
- الابجدية العربية القديمة
- ٢٢٥٠، ١٤١٠
- الابجدية الفينيقية - ١٤١٠
- الاشبار - ٢٢٧٠
- بصرى - ٢٢٧٠
- الحيرة - ٢٢٧٠
- الخط الاسلامي - ٢١١٠
- الخط القرشي - ٢١١٠
- الخط النبطي - ٢٠٧٠، ١٣٤٠
- اللغة العربية - ١٣٠٠
- المستشرقون - ١٤١٠
- مكة المكرمة - ٢٢٧٠
- الخط الفنيقي - ١٥٨٠
- اللغة العربية - ١٣٤٠
- الخط القرشي - ١٤٣٠
- الارميون - ٢١١٠
- اسلم - ٢١٢٠
- الاشبار - ٢١٤٠، ٢١١٠
- التطور - ٢٢٥٠، ٢٢٠٠
- الحجاز - ٢١٢٠
- الحيرة - ٢١٨٠، ٢١٤٠، ٢١١٠
- الخط الحيري - ٢٢١٠
- الخط العربي - ٢١١٠
- الخط المسند - ٢١٧٠
- الخط النبطي - ٢١٨٠، ٢١٧٠
- ٢٢٠٠، ٢٢٧٠
- الخلجان - ٢١١٠
- دولة بني غسان - ٢١٨٠
- سورية - ٢٢٠٠
- سيناء - ٢١٨٠
- الشام - ٢١٨٠
- عامر - ٢١٢٠
- العراق - ٢٢٠٠
- كنده - ٢١١٠
- اللغة السريانية - ١٢٣٠
- اللغة العربية - ٢٢٧٠
- مرامر - ٢١٢٠
- مكة المكرمة - ٢١٤٠
- نقوش حران - ٢١٨٠
- نقوش زيد - ٢١٨٠
- نقوش النماره - ٢١٨٠
- اليمن - ٢١٢٠
- الخط الكلداني
- اللغة العربية - ١٣٤٠
- الخط الكنعاني
- الجزيرة العربية - ١٦٨٠
- الحجاز - ٢٢٢٠/٢٢١٠
- الخط الارمي - ١٧٧٠، ١٦٩٠، ١٦٠٠
- ٢١٢٠، ٢٠٦٠
- الخط الحيري - ٢١٣٠
- الخط العبري - ١٩٩٠، ١٥٩٠

- الخط الكنعاني (يتبع ما قبله)
الخط المسماري - ١٥٠
الخط المسند - ١٥٩، ١٦٩، ٢١٢، ٢١٣
الخط المعيني - ٢٢٢
مكة المكرمة - ٢١٦
نجد - ٢٢٢، ٢٢١
الخط اللحياني
الحجاز - ٢٢١، ١٨٩
خرابه - ١٨٨
الخط الارمي - ١٨٧
الخط الحيري - ٢١٥
الخط المسند - ١٦٩، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥
نجد - ٢٢١
الخط المسماري
أرمينيا - ١٤٩
بابل - ١٤٩، ١٥١
الحمورابيون - ١٣٥
الخط الكنعاني - ١٥٠، ١٥٧
الشكل - ١٥٠، ١٥١
عيلم - ١٤٩
الفرس - ١٤٩
فلسطين - ١٤٩
اللغة العربية - ١٣٤، ١٥١
مصر - ١٥٠
الهلل الخصب - ١٥٠
الخط المسماري السومري - ١٤٧، ١٨٦
الخط المسند
الابجديات السامية - ١٦٨
الجزيرة العربية - ١٤٩، ١٦٨
الحجاز - ٢١٤، ٢٢٢
حفريات ارامكو - ٢٢٣
الحميريون - ١٧٠، ٢١٥
الحيرة - ٢١٥
الخط الارمي - ١٦٩، ١٩٠
٢١٤، ٢١٧
الخط الشمودي - ١٦٩، ١٧٠
١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠
الخط الحيري - ٢١٣، ٢١٥
- الخط الصفوي - ١٦٩، ١٨٠
١٨٥، ١٨٦، ١٨٧
الخط القرشي - ٢١٧
الخط الكنعاني - ١٥٩، ١٦٩
٢١٢، ٢١٣
الخط للحياني - ١٦٩، ١٧٠
١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧
خط اللغة الجزعية - ٢٠٠
الخط النبطي - ٢١٢
الخليج الاسلامي، شواطئ - ٢١٤
السبئيون - ١٦٩
اللغة العربية - ١٣٤
المعينيون - ١٦٥، ١٦٨
النبطيون - ٢١٢
نجد - ٢١٤
الخط المعيني
الحجاز - ٢٢١
الخط الكنعاني - ٢٢٢
المدينة - ٢١٦
المعينيون - ٢٢٤
نجد - ٢٢١
الخط النبطي - ١٤٣، ٢٠٥
الحجاز - ٢١٦، ٢٢٤
حز شمود - ٢١٦
الحيرة - ٢١٥
الخط الارمي - ١٦٩، ٢١٢
الخط الحيري - ٢١٥، ٢٢٠
الخط العربي - ١٣٤، ٢٠٧، ٢٢٤
الخط القرشي - ٢١٧، ٢١٨، ٢٠٠
٢٢٧
الخط المسند - ٢١٢
سورية - ٢١٦
العلا - ٢١٦
قريش - ٢٢٤
المدينة - ٢١٦
نجد - ٢٢٤
الخط الهيروغليفي - ١٥٠، ١٨٦
الكنعانيون - ١٥٧
الخطوط - ١٦٠
الارميون - ٢٢٣

دارا، امبراطورية - ٢٧٨
 داروين.
 الانسان - ٨٨
 داود.
 العصر الجاهلي الثاني-
 ٩٢
 القرآن الكريم - ٩٨
 الددنيون.
 الحضارة - ٢٨٧
 الحجاز - ٢٥٢
 الخليج الاسلامي - ٣١٤
 نوح - ٥٥
 درهرهم.
 العاديون - ١٦٩
 الدولي، أبو الاسود
 اللغة العربية - ١٢٨
 ٢٢١
 الدول.
 التاريخ القديم - ٧٤
 دول قبل التاريخ - ٦٥، ٦٤
 عصر ما قبل الطوفان - ٦٤، ٦٣
 ٦٧
 الدولة - ٦٣
 الشموديون - ٢٥٩
 الجدسيون - ٢٥٩
 الحجاز - ٢٥٩
 الطمسيون - ٢٥٩
 العاديون - ٢٥٩
 العرب الياحدة - ٢٥٨
 مكة المكرمة - ٢٥٩
 الدولة الارية - ٢٥٢
 الدولة الاشورية - ٦٨، ٢٨
 ٢٦٤
 اللغة العربية - ١٢٥
 دولة آل عثمان - ٦٨
 دولة اكسوم - ٢٠٠، ١١٦
 الدولة الاموية - ٢٦٠
 دولة اوسان - ٧٥، ٢٨
 الدولة البابلية - ١٢٥
 دولة بني غسان - ٢١٨
 الدولة البيزنطية.
 الحجاز، شمال - ١٢٥

الخطوط (يتبع ما قبله)
 الشموديون - ٢١٣
 الحجر - ٢١٣
 العلا - ٢١٣
 العماليق - ٢٢٣
 مدين - ٢١٣
 الخطوط السامية الجنوبية
 ١٨٦
 الخلجان.
 الخط القرشي - ٢١١
 ٨٨
 الخلق - ٨٨
 القرآن الكريم - ١٠٥
 الجنس البشري - ٤٨
 الخليج الاسلامي - ٣٢٣، ٢٧٦
 الاثار - ٣٠٦، ٢٥٠
 تاريخ - ٧٧، ٧٤
 الجذب - ٨٣
 الجدسيون - ٣١٤
 الحضارة - ٢٩٤، ٢٨٧، ٥٩، ٤٩
 ٣١٤، ٣١٣
 الخط الارمي - ٢١٤
 الخط المسند - ٢١٤
 الددنيون - ٣١٤
 الدولة الساسانية - ١٢٥
 الطمسيون - ٣١٤
 العرب البائدة - ٧٧
 العروض - ٣١٤
 الفينيقيون - ٧٧
 الكنعانيون - ٣١٣، ٢٨٧
 ٣٤٦
 اللغات السامية - ١٢٢
 الملاحة - ٢٧٩، ١٤٣
 خليج القطيف - ٣١٤
 خيبر.
 اللغة العبرية - ١٣٠
 اليهود - ١١٤، ١٠٧

د

دادان.
 المعينون - ١٠٤

دولة معين - ٧٥٠
الحجاز، جنوب - ٢٨٠
الدولة النبطية - ٢٠٤٠
دولة النجاشيين - ٧٥٠
دولة الهكسوس .
مصر - ٢٨٠ ٣٠٠
الدولة اليونانية .
اللغة العربية - ١٢٥٠
دومة الجندل - ١٠١٠
ديار جدام
أرام - ١٧٥٠
الديانات .
انظر الأديان .
ديدان .
المعینون - ١٦٥٠

د

الذهب

الجزيرة العربية - ٢٤٩٠
٣٠٦
ذو القرنين - ٣١٦٠
ذی قار - ١٠٨٠
ذی کلاع - ١٠١٠
ذی المجاز - ٧٠

ر

رعمة - ٢٤٩٠
الروايات المتداولة - ١٧٠
الرومان - ٢٠٤٠ ٢٠٣٠

ز

الزباء - ١٦٩٠ ٢٠٣٠
الزراعة .
آدم - ٥٨٠
الجرهميون - ٢٣٢٠

دولة التبعية - ٢٩٤٠ ٢٦٤٠
الدولة التدمرية - ٢٨٠
القومية العربية - ١٧٦٠
الرومانيون - ١٦٩٠
دولة الثموديين - ٢٨٠
دولة جديس - ٢٨٠
دولة جرهم الاولى - ٢٨٠
دولة جرهم الثانية - ٢٨٠
دولة الحضر - ٢٨٠
الدولة الحمورابية - ٧٦٠ ٦٤٠
دولة الحميريين - ٧٥٠ ٣٥٠ ٢٨٠
دولة خزاعة - ٢٨٠
دولة الرعاة - ٣٦٦٠ ٢٨٠
الدولة الرومانية - ٢٦٤٠ ١٢٥٠
الدولة الساسانية - ٢٠٦٠ ١٢٥٠
دولة سبأ - ٢٥١٠ ٧٥٠ ٢٨٠
دولة الشاسوا - ٢٨٠
دولة طسم - ٢٨٠
دولة العاديين - ٢٨٠
الدولة العباسية - ٢٦٤٠ ٢٦٠
دولة العماليق - ٣٠٠ ٢٨٠
دولة الغساسنة - ٢٨٠
الدولة الفارسية - ٢٦٤٠
قبائل اباد - ٢٦٥٠
قبائل قضاة - ٢٦٥٠
اللغة العربية - ١٢٥٠
دولة الفنيقيين - ٢٨٠
دولة قتبان - ٧٥٠ ٢٨٠
الدولة القفقاسية - ٢٥٢٠
الدولة الكسروية الساسانية
- ١٢٥٠
دولة الكلدان - ٦٤٠ ٢٨٠
دولة الكنعانيين - ٢٨٠
دولة كيش - ٦٨٠ ٦٣٠
دولة اللحيانيين .
الحجاز، شمال - ٢٨٠
نجد - ٢٨٠
دولة اللخمين - ٢٨٠
دولة مادي - ٦٤٠
دولة المدنيين .
الحجاز، شمال - ٢٨٠
نجد - ٢٨٠

الزراعة (يتبع ما قبله)
الجزيرة العربية - ٥٧،٥٥
٠٢٤٥
اليمن - ٥٥
الزعماء - ٦٣
الزهوراء - ١٠٤، ١٠٢

س

سات - ٣٧٠
سارا - ٦٥
سارة - ٩٥، ٩٤
الساسانيون - ٢٥٢
سام - ١٢٠، ١١٧
أشور - ١٤٧
ارما - ١٧٥
عليم - ١٤٧
القبائل الارمية - ١٧٥
السامية - ٥٤
الساميون - ١١٨
آشور - ١٤٧
الاجناس البشرية - ٥٣
الجزيرة العربية - ١١٤
١٤٧، ١٢٢، ١١٨
الحضارة - ١٢٢
دولة اكوم - ٢٠٠، ١١٦
سورية - ١٧٦، ٥٩
السوموريون - ١٢٩
العراق - ١٧٦، ١٤٧، ١٢٩، ٥٩
٠٣٣٨
العرب - ١١٣
عليم - ١٤٧
اللسان المضى - ١٢٣
اللغة - ١٣٦
اللغة الارمية - ١٧٧
اللغة السامية - ١١٣، ٥٩
١٢١، ١١٧
مصادر التاريخ الاسرائيلية
٠١٢٠ -
مصادر التاريخ العربية -
٠١٢٠ -

مصر - ٣٦١، ٢٥٤، ١٧٦، ٥٩
٠٣٦٢
الهجرات - ١٤٣، ١١٩، ١١٨
٠١٧٧
الهلل الخصب - ٢٥٤، ١١٣
سبأ - ٢٩٤
سليمان بن داود - ١٦٧
المعنيون - ٣١٧
النقوش المسمارية - ١٦٧
السبئيون - ٢٩٦
الابجدية المسندية - ١٦٩
الجوف - ١٦٧
الحجاز - ٢٥٢
الحضارة - ٣٠٧
الخط المسند - ١٦٩
اللغة العربية - ١١٨
المعنيون - ١٦٦
الملاحه - ٢٨٠
ستنج - ٣٧٠
سد مأرب - ٢٩٤
سد باجوج وماجوج - ٣١٦
سرجون - ٢٣٧، ٢٨٨، ٢٥٢، ١٤٧
٠٣٣٨
السريانيون
الارميون - ٢٠٦
العراق - ٢٠٦
المشركون - ٤٩
السفن الشراعية - ٢٧٨
سليمان
تدمر - ٢٠٣
سبأ - ١٦٧
العصر الحاهلي الثاني - ٩٢
القرآن الكريم - ٩٨
سميراميس - ٤٧
السنة الشمسية
البابليون - ٤٠
الكلدانيون - ٦٦
السنة القمرية
الكلدانيون - ٦٦
السنة المحمدية - ٩٢
السنة المركبة
البابليون - ٤٠
السنة الميلادية - ٤٢

- السنة الهجرية - ٤٢٠
 سواع - ٣٢٢، ٦٧
 قوم نوح - ١٠١
 هذيل برهات - ١٠١
 سورية
 الآثار - ٣٥٢
 الآديون - ٣٥٢
 الآلهة - ٣٥٧
 أبراهيم - ٧٧
 الآديان - ٣٥٧
 الآرميون - ٣٥١، ١٧٧، ١٠٤
 اسماعيل - ٣٥٢
 الآموريون - ٣٥١
 بعل، عبادة - ١٠٢
 التاريخ العربي - ٣٥١
 التدميريون - ٢٨
 الثموديون - ١٠٤
 الجابرة - ٣٥٢
 الحضارة - ٣٥٢، ٨٢، ٤٩
 الخط الآرمي - ١٧٠
 الخط القرشي - ٢٢٠
 الخط النبطي - ٢١٦
 الساميون - ١٧٦
 الشمس، عبادة - ١٠٢
 العبرانيون - ٣٥٢
 العمالق، دولة - ٢٨، ١٢
 الغساسنة، دولة - ٢٨
 الفلسطينيون - ٣٥٢
 الفنيقيون - ١٥٦، ٢٨
 القومية العربية - ١٧٦
 كنعان - ١٥٥
 الكنعانيون - ٢٨، ١٩٩، ٢٨٧
 ٣٥٢، ٢١٣
 اللغات السامية - ١٧٧، ١٢٢
 المدينيون - ٣٥٢
 المسيحية - ٣٥٨
 الموآبيون - ٣٥٢
 الهجرات - ٣٥٢، ١٥٥
 هيكل بك - ١٠٢
 الوثنية - ٣٥٨
 اليهودية - ٣٥٨، ١٩٩
 سوقطرة - ٢٨٠
 سومطرة
- البوذية - ٩١
 السوموريون
 الآثار - ٥٥
 الآرميون - ٢٥٤
 الجرهميون - ٢٣١
 الجزيرة العربية - ٢٦٥
 الحضارة - ١٥١
 الساميون - ١٢٩
 الشعر - ٢٣٢
 العراق - ٢٣٧، ٢٨٨، ٢٦٥
 ٣٤٥
 عصر ما قبل الطوفان - ٥٥، ٥٤
 اللغة العربية - ١٤٨
 العمالق - ٢٥٤
 مصر - ١٥٧
 الملاحة - ٢٧٣
 الموت - ٢٤٥
 النحاس - ٣٠٦
 سومير، دولر
 الأسرة الحاكمة - ٦٣
 سيلان
 البوذية - ٩٤
 سيناء
 الآرميون - ١٠٤
 الخط القرشي - ٢١٨
 قوم شمود - ١٠٤
- ش
- الشاسو - ١٦٥
 الشام
 آرام - ١٧٥
 الخط القرشي - ٢١٨
 العاديون - ١٦٧
 العمالق - ١٦٧
 اليعقوبية - ١٠٧
 الشعر
 السوموريون - ٢٣٢
 العراق - ٢٣٢
 الفراعنة - ٢٣٢

- الشعر السومري - ٢٣٢
- العراق - ٢٩
- مصر - ٢٩
- شعيب
- العصر الجاهلي الثاني - ٩٢
- القرآن الكريم - ٩٨
- مدين - ١٠٨
- الشمس
- الآلهة - ١٠٢
- ازوريس - ١٠٢
- عشتار - ١٠٤
- الفلك ، علم - ٣٩
- الشفري
- الشعر العربي - ٢٣٨
- الشهرستاني
- الأديان - الجزيرة العربية - ١٠٥
- الشهور
- الكلدان - ٦٦
- شيث - ٩٧، ٥٣، ٤٩

ص

- الصائفة
- الأديان - ١٠١
- الصايء ابو اسحاق - ٤٩
- صايء بن ملكين اخنوخ - ٤٩
- صالح - ١١
- الأديان - ٩١
- التوراه - ٩٨
- الشموديون - ٢٥٤
- الحجر - ١٠٨
- العصر الجاهلي الثاني - ٩٢
- القرآن الكريم - ٩٨، ١١
- قوم صالح - ٩٨
- وادي عسفان - ٢٢٢
- صان الحجر - ٣٦٣
- الصفويون - ١٤٢
- الكتابة - ١٤٣
- الهجرات - ١٤١

- الشعر السومري
- الشعر العربي - ٢٣٣
- الشعر العربي
- احمد شوقي - ٢٣٨
- الأعشى - ٢٣٤
- امريء القيس - ٢٣٨، ٢٣٣
- بن ثابت ، حسان - ٢٣٨
- بن كلثوم ، عمر - ٢٣٨
- الشموديون - ٢٣٩
- الجدسيون - ٢٣٣
- الجرهميون - ٢٣٣
- الحجاز - ٢٣٣
- الحمداني ، ابو فراس - ٢٣٨
- الرصافي - ٢٣٨
- الرضي ، الشريف - ٢٣٨
- زهير - ٢٣٤
- الشعر السومري - ٢٣٣
- الشعر الفرعوني - ٢٣٣
- الشعوبية - ٢٣٢
- الشفري - ٢٣٨
- الطائي ، حاتم - ٢٣٣
- طرفه - ٢٣٤
- العاديون - ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩
- العبيسي ، عنتره - ٢٣٨
- العرب - ٢٣٢
- العرب البائدة - ٢٣٩
- العرب العاربة - ٢٣٧
- العصر الجاهلي - ٢٣٨، ٢٣٤
- ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢
- العماليق - ٢٣٩، ٢٣٤
- ليبد - ٢٣٤
- اللغات السامية - ١٣٧
- المتنبي ، ابو الطيب - ٢٣٨
- المعلقات - ٢٣٨
- المهلل - ٢٣٤
- النايعة - ٢٣٤
- النقوش - ٢٣٤
- الشعر الفرعوني
- الشعر العربي - ٢٣٣
- الشعوبية
- التاريخ العربي القديم - ٩، ٣٠

العليبيون .

التاريخ العربي القديم
٠٣٠٠٩

صنعاء

بنو قحطان - ٢٦٤

الصين -

البوذية - ٩١

ض

الضحاك - ٥٣

ط

الطائي ، حاتم - ٢٣٣

الطبري ، ابن جرير - ١٠٧

الجاهلية الاولى - ٥٤

الشعر العربي - ٢٣٤

طرفة -

الشعر العربي - ٢٣٤

الطرق .

الجزيرة العربية - ٢٤٨

الطمسيون .

الجزيرة العربية - ٢٤٥

الحضارة - ٢٨٧

الخليج الاسلامي ، شواطئ -

٣١٤

الدولة - ٢٥٩، ٢٨

الهجرات - ١٧٦

اليعمامة - ٢٥٩

الطوفان - ٥٠

بنو فابيل - ٥٣

العراق - ٣٣٤

عصر ما قبل الطوفان - ٤٨

ع

العاديون - ١١

الآداب - ٢٣٦

الآثار - ٥٩

الانقاف - ٣٢١

الاديان - ٩٠، ٨٩

ارم - ١٦٩، ١٦٧

ارم ذات العماد - ٣٠٣

الجزيرة العربية - ٢٤٥

٣٠١

الحجاز - ١٦٧

الحضارة - ٢٣٩، ٩٨، ٨٢، ٥٩، ١٥

٢٨٧، ٢٥٠

الخط الشمودي - ١٨٧

دهرهم - ١٦٩

الدولة - ٢٥٩

الريح الصرصر - ٣٢٢

الشام - ٢٣٩، ٢٣٧، ٢٣٤

العراق - ١٦٧

العرب العاربة - ٩٣

القرآن الكريم - ٩٨، ١٠

٣٠٦، ٢٣٦، ٢٣٥

اللسان المضرى - ١٣٧

مصر - ١٦٧

المعينون - ٣٢٢، ١٦٥

نجد - ١٦٧

الهجرات - ١٧٦

هود - ٣٢١، ٢٥٤

وادي القرى - ٩٠، ٥٦، ١٢

٣٢١، ٢٥١، ٢٢٢

الوشنية - ٣٢١

اليمن - ٢٥١، ١٦٧، ١٢

عامر

الخط الحيري - ٢١٥

الخط القرشي - ٢١٢

عامر .

اللغات السامية - ١٤٨

اللغة البابلية - ١٤٨

العبرانيون .

سوريا - ٣٥٢

العيسى ، عنره .

الشعر العربي - ٢٣٨

عبل .

الجحفة - ٢٥٩

اللسان المضرى - ١٣٧

- عبل (يتبع ما قبله)
المدينة - ٢٥٩
العدنانيون
العصر الجاهلي - ٦٧
العراق
الآثار - ٣٠٦، ٧٤
آشور، دولة - ٢٨
الاشوريون - ٣٣٨، ٣٣٧، ٢٨
الآلهة - ٣٤٧
ابراهيم - ٩٤
أجادة، أسرة - ٣٣٨
الأجناس البشرية - ٥٤
ادريس - ٤٨
الأديان - ٢٤٥
الارميون - ١٠٤
التاريخ - ٣٣٧
الحضارة - ١٤٧، ٨٢، ٥٥، ٤٩
٣٤٦، ٣٣٢، ٣٣١، ١٥١
الحضر، دولة - ٢٨
حمورابي - ٣٣١
الحمورابيون - ٣٣٩، ٣٣٧
الخطوط - ٢٠٦، ١٧٠، ١٤٧
٢٢٠
الساميون - ١٧٦، ١٢٩، ٥٩
٣٣٨
سرجون - ٣٣٨، ٣٣٧، ٢٢٨، ١٤٧
السريانيون - ٢٠٦
السوموريون - ٢٦٥، ٣٣٧
٣٤٥، ٢٨٨
الشعر - ٢٣٢
الشعوبيون - ٢٩
العاديون - ١٦٧
العصر الفارسي - ٢٩
عصر ما قبل الطوفان - ٨٨
قبيلة آباد - ٢٥٢
قبيلة قضاة - ٢٥٢
القومية العربية - ١٧٦
الكتابة - ٣٣٢
الكلدانيون - ٣٤٥، ٣٣٨، ٢٨
كلديا - ١٥٦
الخميسون - ٢١٧، ٢٨
اللغات - ١٧٧، ١٤٨، ١٢٢
٢٠٦، ١٧٨
- اللهجات - ١٣٣
المجوسية - ١٠٧
المناذرة - ٢١٣
الهجرات العربية - ٣٣٧
الوثنية - ٣٤٥
العرب
الاشوريون - ١١٣
الأجناس البشرية - ٥٣
الارميون - ١١٣
تاريخ قديم - ٩
الساميون - ١١٣
الشعوبية - ٩
الصليبيون - ٩
العصر الجاهلي - ١٠٦
الفنيقيون - ١١٣
القرآن الكريم - ٩
الكلدانيون - ١١٣
الملاحاة - ٢٧٧، ٢٧٥، ٢٧٤
٢٨٠
النصرانية - ١٠٦
الهكسوس - ١١٣
الوثنية - ١٠٣
العرب البائدة - ٩٢
تاريخ - ١١
الحضارة - ٣٠٦
الخليج الاسلامي - ٧٧
الدولة - ٢٥٨
الشعر العربي - ٢٣٩
اللغة العربية - ١٣٥، ١٢٤
٣٣٨، ١٣٦
المدنية المنورة
مكة المكرمة
وادي القرى
العرب الحمورابية، دولة - ٦٤
العرب العاربة
الشموديون - ٩٣
الجرهميون - ١٢
الشعر العربي - ٢٣٧
العاديون - ٩٣
العمالق - ٩٣، ١٢
اللغة العربية - ٢٣٨، ٢٣٧
العرب المستعربة
بنو اسماعيل - ١٢٣

- العرب المستعربة (يتبع ما قبله)
العرب المستعربة - ٢٦٤
لغة العرب البائدة - ١٢٣
اللغة العربية - ١٢٦
العرف القبلى - ٦٣
العروض
الجزيرة العربية - ١٧٦
الخليج الاسلامى - ٣١٤
العصر الحجرى - ٥٦
الحزى - ٣٢٢
عشتر - ١٠٤
العصر الاشورى
الشعوبية - ٢٩
العصر الاسلامى
الجزيرة العربية - ٣٥
اللغة العربية - ١٢٩
العصر الجاهلى - ١٠٦، ٢٨
الادب الجاهلى - ٢٤٠
الانبياء - ٩٢
الثالوث الالهى - ١٠٤
الجاهلية الاولى - ٥٣، ٥٤
الجزيرة العربية - ٨٣، ٢٨
الشعر الجاهلى - ٢٤١
الشعر العربى - ٢٤٠، ٢٣٨
العدنانيون - ٦٧
القحطانيون - ٦٨، ٦٧
قوم نوح - ٩٢
اللغة العربية - ١٢٩
نزار - ٦٨
النقوش - ٢٠٧
الواد - ٢٥٦
العصر الجليدى
الجزيرة العربية - ٧٠، ٢٨
العصر الحجرى
الجزيرة العربية - ٥٧، ٥٦، ٧٧
عصر ما بعد الطوفان - ٧٥
الجزيرة العربية - ٩٧
الوشنية - ١٠١
عصر ما قبل التاريخ - ٧٣
بابل - ٥٥
- التماثيل - ٦٧
المؤرخون - ٥٤
عصر ما قبل الطوفان - ٦٣
الاشار - ٥٤
الاجناس البشرية - ٥٤
الاذيان - ٨٨
الاسر الحاكمة - ٦٤، ٦٣
الانبياء - ٩٧، ٨٩، ٨٨
بنو شيث - ٥٣
بنو قابيل - ٥٣
الجزيرة العربية - ٦٩
الجن - ٥٤
حضارة بابل - ٤٩
الجاهلية الاولى - ٥٣
الدول - ٦٧، ٦٤
السوموريون - ٥٥، ٥٤
العراق - ٨٨
اللغات - ١١٩
المجتمع - ٨٨
الملوك - ٦٧، ٦٥
الوشنية - ١٠١
العصر النحاسى
عمان - ٥٦
العقائد
الجزيرة العربية - ١٠٦
عكاظ
اسواق العرب - ٧
الاعلا
الاشار - ٢٤٨
الخطوط - ٢١٦، ٢١٢
المعينون - ١٦٦، ١٠٤
وادي القرى - ١٦٦
على بن ابي طالب - ٢٦٠
العماليق - ٦٩
الاذيان - ٩١
تاريخ - ١٢
الجزيرة العربية - ٢٤٥
الحجاز - ١٦٧، ١٢
الحضارة - ٢٨٧، ٥٩
الحمورابيون - ٣٤٠
الخطوط - ٢٢٣
سورية - ٢٨، ١٢

العماليق - (يتبع ما قبله)

- السومريون - ٢٥٤، ١٢
- الشام - ١٦٧
- الشعر - ٢٣٩، ٢٣٤
- العرب العاربة - ٩٣
- عمان - ١٦٧
- الغراعنة .

فلسطين - ١٢

القبائل - ٧٥، ٧٤

الكنعانيون - ١٦٧

اللسان المعزى - ١٦٨

المدينة - ٢٨٧، ٢٥٩

مصر - ٣٦٢، ٣٦١، ٢٥٤، ١٦٧

٣٦٣

مكة المكرمة - ٢٨٧، ٢٥٩، ١٢

النحت - ٢٤٧

الهجرات - ١٧٦

الهلال الخصيب - ٢٥٤

وادي القرى - ٧٥

اليهود - ٧٢٢، ٢٥٩

عمان .

التاريخ القديم - ٧٤

التعدين - ٥٨

الحفارة - ٣١٥

العصر النحاسي - ٥٦

العماليق - ١٦٧

قطر - ٢٧٩

اللغات السامية - ١٢٢

النحاس - ٣٠٦، ١٤٣

عمليق - ١٦٨، ١٦٧

عمو - ١٤٨

عمورو - ١٧٥

العهد الحمورابي - ١٢٩

العهد الخزاعي - ١٠٣

العهد الكنعاني - ١٢٩

عيسى - ١٠٧

العصر الجاهلي الثاني - ٩٢

القرآن الكريم - ٩٨

مصادر التاريخ اليونانية

٩٨

المستشرقون - ٨٩

المسيحية - ٩٦

عيلام ، دولة .

- الأسر الحاكمة - ٦٣
- الخط المسماري - ١٤٩
- الساميون - ١٤٧

غ

الغزو البختنصري - ٧٦

غسان

النصرانية - ١٠٦

اليقونية - ١٠٧

الفسانة

سورية - ٢٨

ف

فارس .

الساسانيون - ٢٥٢

المجوسية - ١٠٧

فتاح - ٣٦٩

فحا .

نوح - ٥٥

فدك .

اليهود - ١٠٧

الغرات الأوسط ، دولة

الأسر الحاكمة - ٦٣

الغراعنة - ٩٥

الاراميون - ٢٥٤

الاديان - ٨٩

باب المندب - ٢٩٥

الجرهميون - ٢٣١

الحفارة - ٨٢

سارة - ٩٥

الشعر - ٢٣٢

العماليق - ٢٥٤

الموت - ٢٤٦

موسى - ٩٥

نوح - ٩٥

اليمن - ٢٩٤

يوسف - ٩٥

الفرس .
التاريخ العربى القديم -
٣٠
تدمير
الخط المسمارى - ١٤٩
الفشداية
الأسر الفارسية الحاكمة
٦٨ -

فلسطين .

ابراهيم - ٩٤ ، ٩٥٠
الاذيان - ٩١
الاشياء - ١٠٨
الخط المسمارى - ١٤٩
العمالق - ٣٠٠ ، ١٢
كنعان - ١٥٥
اللغات - ١٣٠ ، ١٧٧
المجتمع - ٩١
اليهود - ١٠٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧
١٩٨ ، ٣٥٨
الغلسطينيون .
سوريا - ٣٥٢
الغلك ، علم - ٣٩
ارسطو - ٣٩
الاغريق - ٤٠
التوقيت - ٤٣
التوقيت البابلى - ٤٠
ديودوروس - ٣٩
سترايون - ٣٩
الشمس - ٣٩
القمر - ٤٠
الكلدانيون - ٤٠ ، ٣٩
العراصد الهرمية - ٣٩
النجوم - ٣٩
هيروdotس - ٣٩
وادي الفرات - ٣٩
الفنيقية .
الارجوانية - ١٥٥
الفنيقية .
الاثار - ٢٥٠
الايجدية الفنيقية - ١٦٨
سورية - ١٥٦ ، ٢٨

ق

الخليج الاسلامي - ٧٧
الشعوب العربية - ١١٣
الكنعانيون - ١٨٠ ، ٣١٣
لبنان - ١٥٦
الهجرات - ١٥٦
الوثنية - ٣٥٨
قابيل .
بنو قابيل - ٥٣ ، ٩٧
القرآن الكريم - ٩٨
القارات .
المدينيات المفقودة - ٥٦
القبائل - ٦٣
الشموديون - ٧٤
الجرهميون - ٧٤ ، ٧٥٠
الجزيرة العربية - ٧٤ ، ٨٢
٨٣ ، ١٧٥ ، ٢٨٨
العرف القبلى - ٦٣
العمالق - ٧٤ ، ٧٥٠
القبائل الارمية - ١٧٧ ، ٣٠٥
سام - ١٧٥
قبائل اياد .
الدولة الفارسية - ٢٥٢ ، ٢٦٥
القبائل السامية .
الاديان - ١٠٠
القبائل العربية - ١٣٢
قبائل قضاة - ٢٦٥
القبائل الكنعانية - ٧٤
١٥٥
قبائل هذيل - ١٣٤
قبيلة الاخلاف - ٢١٥
قبيلة الاوس - ٢١٦ ، ٢٥٩
قبيلة تميم - ٢١٥
قبيلة تنوخ - ٢١٥
قبيلة حمير - ٢١٥
قبيلة خزاعة - ٢٥٩
قبيلة الخزرج - ١٦ ، ٢٥٩
قبيلة ربيعة - ٣٥٨ ، ٣٣٣

الاسلام - ٣٠
 الحيرة - ٢١٧
 الخط النبطي - ٢٢٤
 السياسة الخارجية - ٢٥٢
 الوشنية - ٢٥٢
 اليهودية - ١٠٧
 القرين
 الحضارة - ٣١٣
 القصائد
 التاريخ العربي القديم
 ١٧
 قصر النمارق - ٢٠٧
 القصص المتنقلة - ١٧
 القصور
 قوم عاد - وادي القرى
 ٥٦ -
 قطر - ٢٧٢، ٣١٣
 القلم الشمودي - ١١٦
 القلم الصفوي - ١١٦
 القلم اللحياني - ١١٦
 القلم المسند - ١١٦
 القمر
 ابريز - ١٠٢
 الفلك، علم الكلدانيون
 ٤٠ -
 ود - ١٠٤
 قمة الجماد
 النقوش - ١٠٧
 قوافل الاموريين - ٩٥
 القوافل التجارية - ٧٥، ٣١
 ٢٨١، ٢٨٠
 الجزيرة العربية - ٧٥، ٣١
 ٢٨١، ٢٨٠
 المعينون - ٢٨١
 قوم آزر
 الاضنام - ٩٣
 قوم ادريس
 الالهة - ٦٧
 الاديان - ٩٩
 الحضارة - ٥٥
 قوم اسماعيل - ٩٢، ١٠
 قوم صالح - ٩٢، ٥٨، ١١

قبيلة الصفويين - ١٤١
 قبيلة طي - ٢١٥
 قبيلة العباد - ٢١٥
 قبيلة القساسنة - ٢١٦
 قبيلة قريش - ٢٥٩
 قبيلة قضاة - ٢٥٢، ١٠٦
 قبيلة مذبح - ٢١٤
 قبيلة مضر - ٢٥٨
 قبيلة النبط - ٢١٥
 قنبان، دولة - ٣١٥، ٢٨
 قحطان - ٦٨
 القحطانيون
 صنعاء - ٢٦٤
 العصر الجاهلي - ٦٧
 هود - ٣٢١
 القدس
 اليبوسيون - ٣٥٢
 القرآن الكريم - ٩٢
 الالهة - ١٠٢
 الاذيان - القصص - ٨٩
 ارم ذات العماد - ١٠
 اصحاب الاخدود - ٩٨
 الانبياء - ٩٨
 التاريخ العربي القديم -
 ١٠، ٩
 التماثيل - ٦٧
 الشموديون - ٢٣٦، ٢٣٥، ٩٨
 الجزيرة العربية - ٢٤٦، ٥٧
 الحكماء - ٩٨
 الخلق - ١٠٥
 صالح - ٩٨، ١١
 العاديون - ٢٣٥، ٩٨، ١٠
 ٣٣٦، ٣٠٦
 القصص - ٩٨، ٣٤
 النار ذات الوقود
 نوح - ١١
 هود - ١١
 الواد - ٢٥٧، ٢٥٦
 الوشنية - ١٠٢
 وادي القرى - ١٦٨، ١٦٧
 القرشيون
 الالهة - ١٠٣

- التوراه - ٨٩
- القرآن الكريم - ٨٩
- كدر لاعومر - ٩٥
- كعب الاحبار - ٢٩٥
- ارم ذات العماد - ١٠، ٢٩٩
- كعب بن زهير - ١٢٦
- الكعبة المشرفة
- الاصنام - ١٠٥
- تبع - ١٠٧
- الكسوة - ١٠٧
- الكلدانيون
- الاديان - ٨٨
- التقويم الزمني
- التقويم الشمسي - ٦٦
- التقويم القمري - ٦٦
- الحساب الفلكي - ٦٦
- الحساب المدني - ٦٦
- الحضارة - ٨٢
- الدولة - ٦٤
- سارا-الوحدة الزمنية - ٦٥
- الشعوب العربية - ١١٢
- العراق - ٣٤٥، ٣٣٨
- الفلك، علم - ٤٠، ٣٩
- الموحدون - ٤٩
- كلديا
- الابجدية - ١٤٤
- العراق - ١٥٦
- كنانه
- اليهودية - ١٠٦
- كنده
- الخطوط - ٢١١، ٢١٣
- كنعان - ٩٥
- حوري - ١٥٥
- سوري - ١٥٥
- فلسطين - ١٥٥
- الكنعانية
- الارجوانية - ١٥٥
- الكنعانيون - ٦٩
- ابجدية الكتابة المختزلة
- ١٥٧ -
- الاحساء - ٣١٣
- الاسماعيليون - ٣٦٣

- قوم صالح (يتبع ما قبله)
- التوراه - ٩٨
- النحت - ٩٨
- قوم موسى
- الاديان - ٨٩
- قوم نوح - ٩٧، ٦٩، ١١
- الالهة - ١٠١
- الاديان - ١٠٠، ٨٩
- التمثيل - ٦٧
- الحضارة - ٨٩، ٥٥، ٤٩
- العصر الجاهلي - ٩٢
- قوم هود - ٩٢، ٥٧، ١٢
- الاديان - ٨٩ - ١٠١
- التوراه - ٩٨
- المعینون - ٢٢١
- القومية العربية
- البيت الحرام - ٢٥٥
- الحجاز - ٢٦٤
- دولة تدمر - ١٧٦
- سورية - ١٧٦
- العراق - ١٧٦
- الفتح الاسلامي - ١٢٨
- مصر - ١٧٦
- نجد - ٢٦٤

ك

- الكتابة
- بنو المحسن - ٢١٢
- العراق - ٣٣٢
- الكتابة التصويرية
- مصر - ٣٦١، ١٥٧
- الكتابة الشمودية - ١٤٣
- الكتابة الصفوية - ١٤٣
- الكتابة للحيانية - ١٤٣
- الكتابة المسندية - ١٤٣
- الكتابة المعينية - ١٦٥
- الكتب السماوية
- آدم - ٤٨
- الانجيل - ٨٩
- التاريخ العربي القديم -
- ٣١، ١٧

- الكنعانيون (يتبع ما قبله)
البحرين - ٣١٣
بلد كنعان - ٧٧
الجزيرة العربية - ٢٢
الحفارة - ٢٨٧، ١٢٢، ٥٩
٣١٣
الخطوط - ٣١٣، ٢٨٧، ١٥٧
٣٤٦
دلون - ٣١٤
سورية - ٣١٣، ٢٨٧، ١٩٩، ٢٨
٣٥٢
العماليق - ١٦٧
الفنيقيون - ٣١٣، ١٨٠
القبائل - ٧٤
اللغات - ١٧٦، ١١٨، ١١٥
الملاحه - ٢٧٨
الهجرات - ١١٩، ١١٨
اليمامة - ٣١٣، ٢٨٧
اليهود - ١٩٩
الكواكب
الاذيان - ١٠٢
آور - ١٠٢
بابل - ١٠٢
برج نمرود - ١٠٢
التماشيل - ١٠٢
الثالوث الكوكبي - ١٠٢
مصر - ١٠٢
الكويت
التاريخ القديم - ٧٤
الحفارة - ٣١٣
دلون - ٣١٤
كيومرت
آدم - ٥٣
- ل
- لبنان
الفنيقيون - ١٥٦
لبيد
الشعر العربي - ٢٣٤
للحيانيون - ٢٨
الحجاز - ٢٥٢
- الكتاب - ١٤٣
اللغة العربية - ١١٨
الخمى، ربعة بن نصر - ٢١٧
الخميون
الخط الحيري - ٢١٥
العراق - ٢١٧
اللسان المعزى
أبناء سام - ١٢٣
الارميون - ١٦٨
الشموديون - ١٣٧
الجدسيون - ١٣٧
العاديون - ١٣٧
عبل - ١٣٧
العماليق - ١٦٨
غائر - ١٣٧
اللغات
ادريس - ٤٨
الاشارة - ١٤٢
الاضوات - ١٤٢
عصر ما قبل الطوفان - ١١٩
الكنعانيون - ١١٥
نوح - ١٢١
اللغة الاشورية
اللغات السامية - ١٢٢
اللغة الارامية - ١٥٨، ١٢٥
١٩١
الابجدية الكنعانية - ١٤٣
الابجدية المعينية - ١٤٣
الالفاظ الرومانية - ١٧٨
الالفاظ اليونانية - ١٧٨
التطور - ١٧٠
حران - ١٧٨
الخط المسماري - ١٣٥
الرباطة اليونانية
والرومانية - ١٧٠
الساميون - ١٧٧
العراق - ٢٠٦، ١٧٨
فلسطين - ١٧٧
اللغات السامية - ١٧٧، ١٢٢
٢٠٦
لغات الشرق الادنى - ١٧٩
اللغة الامهرية - ١٧٨

- اللغة الآرامية (يتبع ما قبله)
 اللغة السريانية - ١٧٨
 اللغة السريانية - ٢٠٦
 اللغة العبرية - ١٧٩، ١٧٨، ١٩٨
 اللغة المعينية - ١٧٨
 اللهجات - ١٧٨، ١٠٣
 النبطيون - ٢٠٤
 الهلال الخصيب - ٢٠٥، ١٧٨
 اليهود - ١٧٧
 اللغة الأمهرية
 اللغة السامية - ١٨٥
 اللغة الآرامية - ١٧٨
 لغة أور
 اللغة العبرية - ١٩٩
 اللغة الأوسانية
 اللغات السامية - ١٨٥
 اللغة البابلية
 الأبجدية الكنعانية - ١٤٣
 الأبجدية المعينية - ١٤٣
 عامو - ١٤٨
 اللغات السامية - ١٢٢، ١٧٧
 اللغة العربية - ١٤٩
 اللغة الكنعانية - ١٥٦
 اللغة المعينية - ١٣٦
 اللغة البربرية
 اللغة العربية - ١٤٨
 اللغة التدمرية
 اللغات السامية - ١٢٢
 اللغة التمودية
 اللغات السامية - ١٢٢، ١٨٥
 اللغة العربية - ١٢٦
 لغة جرهم الأولى - ١٢٦
 اللغة الجزعية
 دولة اكسوم - ٢٠٠
 القلم المسند - ٢٠٠
 اللغات السامية - ٢٠٠، ١٨٥
 اللغة الحضرية
 اللغات السامية - ١٨٥
 اللغة الحميرية
- الأبجدية الكنعانية - ١٤٣
 الأبجدية المعينية - ١٤٣
 اللغة العربية - ١٣٢
 اللغة الرومانية
 اللغة العربية - ١٣٠
 اللغة السامية - ١١٤، ٥٩، ١٣، ١٢٠
 أفريقيا - ١٣٢، ١١٦
 التوراه - ١١٧
 الجزيرة العربية - ١١٣
 الحجاز، شمال - ١٣، ١٢٢
 الخليج الاسلامي - ١٣، ١٢٢
 الساميون - ١٢١، ١١٣
 سورية - ١٧٧، ١٢٢، ١٣
 الشعر العربي - ١٣٧
 العراق - ١٧٧، ١٢٢، ١٣
 عمان - ١٢٢، ١٣
 فلسطين - ١٧٧
 اللغة الآشورية - ١٢٢
 اللغة الآرامية - ١٧٧، ١٢٢، ٢٠٦
 اللغة الأمهرية - ١٨٥
 اللغة الأوسانية - ١٨٥
 اللغة البابلية - ١٧٧، ١٢٢
 اللغة التدمرية - ١٢٢
 اللغة التمودية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة الجزعية - ٢٠٠، ١٨٥
 اللغة الحضرية - ١٨٥
 اللغة السبئية - ١٨٥
 اللغة الصقوية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة العبرية - ١٩٦، ١١٣
 اللغة العربية - ١١٤، ١١٣
 ١٨٥، ١٣٦، ١٢٩، ١٢٢
 اللغة القتبانية - ١٨٥
 اللغة الكنعانية - ١٢٢
 اللغة الليمانية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة المعينية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة النبطية - ١٢٢
 اللهجات - ١٥٦
 المستشرقون - ١٤١
 مصر - ٣٦١، ١٢٢، ١١٦، ١٣
 اليمن - ١٢٢، ١٣

- اللغة السبئية.
- الابجدية الكنعانية - ١٤٣.
- الابجدية المعينية - ١٤٣.
- اللغة السامية - ١٨٥.
- اللغة الارامية - ١٧٨.
- اللغة السريانية - ١٢١.
- الخط القرشى - ١٢٣.
- اللغة الارامية - ٢٠٦.
- اللغة السومورية.
- العراق - ١٤٨.
- لغة الشرق الادنى.
- اللغة الارامية - ١٧٩.
- اللغة الصفوية.
- اللغة السامية - ١٨٥، ١٢٢.
- لغة عاد. - ١٢٦.
- اللغة العامية - ١٣٣.
- اللغة العبرية - ١١٣.
- اسفار العهد القديم - ١٩٩.
- التوراه - ٢٠٠، ١٩٩.
- خير - ١٢٠.
- فلسطين - ١٣٠.
- اللغات السامية - ١٩٦، ١٢٣.
- اللغة الارامية - ١٩٨، ١٧٨.
- لغة اور.
- اللغة العربية - ١٩٨، ١٣٠.
- اللغة الكنعانية - ١٥٨.
- ١٦١.
- المزامير - ١٩٩.
- المصنفات الاسرائيلية - ١٩٩.
- وادي القرى - ١٣٠.
- يثرب - ١٣٠.
- لغة العرب البائدة - ١٢٣.
- لغة العرب العاربة - ١٢٦.
- اللغة العربية - ١٩٥.
- آدم - ١٢١.
- الاشوريون - ١١٣.
- الابجدية الجنوبية - ١٤١.
- الابجدية العربية - ١٦٠.
- الابجدية الفينيقية - ١١٥.
- ١٤١.
- الارميون - ١١٨، ١١٣.
- الاسلام - ١٢٩، ١٢٨.
- اسماعيل - ٢٣٧.
- الاسماء الاعجمية - ١٣٢.
- ١٣٥.
- الاوس - ١٢٦.
- البابليون - ١١٨.
- بطرا - ١٣٠.
- البيئة والتطور - ١٣٠.
- تدمر - ١٣٠.
- الشموديون - ١١٨.
- الجزيرة العربية - ١٣٠.
- ١٣٦، ١٣١.
- الحج - ١٢٧.
- الحجاز، شمال - ١٣٥، ١٢٦.
- الحيرة - ٢١٩.
- الخزرج - ١٣٧، ١٢٦.
- الخط القرشى - ٢٢٧.
- الخط المسماري - ١٥١.
- الخطوط - ١٣٥، ١٣.
- الدولى، ابو الاسود - ٢٢١.
- السيثيون - ١١٨.
- سورية - ١٢٩، ١٢٥.
- السوموريون - ١٤٨، ١٢٩.
- سبوية - ٢٣٢.
- العراق - ١٤٨، ١٢٩، ١٢٥.
- العرب البائدة - ١٣٥، ١٢٤.
- ٢٣٨، ١٣٦.
- العرب العاربة - ٢٣٧، ١٢٦.
- العصر الجاهلى - ١٢٩.
- غطفان - ١٣٧.
- الفيروزابادى - ٢٣٢.
- الفنيقيون - ١١٣.
- القبائل العربية - ١٣٤، ١٣٢.
- قريش - ١٣٧، ١٢٦.
- الكنعانيون - ١١٨.
- الكلدانيون - ١١٣.
- الليثانيون - ١١٨.
- اللغات السامية - ١١٤، ١١٣.
- ١٨٥، ١٣٦، ١٢٩، ١٢٢، ١٢١.
- اللغات العامية - ١٣٣.
- اللغة البابلية - ١٤٩.
- اللغة البربرية - ١٤٨.
- اللغة الحميرية - ١٣٢.
- اللغة الشمودية - ١٢٦.
- لغة جرهم الاولى - ١٢٦.

- اللغة العربية (يتبع ما قبله)
 اللغة الرومانية - ١٣٠
 لغة عاد - ١٢٦
 اللغة العبرية - ١٩٨، ١٣٠
 لغة العمالق - ١٢٦
 اللغة المضرية - ١٣٢
 اللغة المعينية - ١٣٧
 اللغة اليونانية - ١٣٠
 اللهجات - ١٢٥، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ٢٢٦
 اللهجات الامهرية - ١٣٢
 اللهجات التركية - ١٣٣، ١٣٤
 اللهجات الدخيلة - ١٣٠
 اللهجات العربية - ١١٦
 المجامع اللغوية - ١٢٩
 المستشرقون - ١٣٥، ١٤٩
 مصر - ٣٦١
 المصطلحات، تعريب - ١٢٩
 المفردات - ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠
 المؤثرات الخارجية - ١٣٥، ١٣٧، ١٤٨، ١٤٩
 النبطيون - ٢٠٤
 نجد - ١٣٥
 نقش أم الجمال - ٢١٩
 النقوش الشمودية - ١٢٤
 النقوش العربية - ١١٥
 النقوش المعينية الشمالية - ١٢٤
 الهجرات - ١٢٧، ١٣١، ١٣٢
 الهكسوس - ١١٣، ١١٨
 هوزان - ١٣٧
 اليمن - ١٢٥، ٢٣٧
 لغة العمالق - ١٢٦
 اللغة الفينيقية - ١٦١
 اللغة القتبانية - ١٨٥
 اللغة الكنعانية - ١٦١
 اللغات السامية - ١٢٢
 اللغة البابلية - ١٥٦
 اللغة العبرية - ١٥٨، ١٦١، ١٩٨
 اللغة الفينيقية - ١٦١
- اللغة العبرية .
 اللغة الكنعانية - ١٩٨
 اللغة الليثانية .
 اللغة السامية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة المضرية القديمة .
 اللغات السامية - ١١٦
 اللغة المعينية - ١٣٦
 اللغة المضرية - ١٣٢
 اللغة المعينية .
 اللغات السامية - ١٨٥، ١٢٢
 اللغة الارمية - ١٧٨
 اللغة العربية - ١٣٧
 اللغة البابلية - ١٣٦
 اللغة المصرية القديمة
 ١٣٦
 اللغة النبطية .
 اللغات السامية - ١٢٢
 اللغة اليونانية .
 اللغة العربية - ١٣٠
 لقمان
 القرآن الكريم - ٩٨
 اللهجات .
 الجزائر - ١٣٣
 العراق - ١٣٣
 اللغة الارمية - ٢٠٣، ١٧٨
 اللغة العربية - ١٢٥، ١٢٨
 ١٣٠، ١٣٤، ٢٢٦
 اللهجة الامهرية - ١٣٢
 لوط .
 الاذيان - ٩١
 العصر الجاهلي الثاني
 - ٩٢
 القرآن الكريم - ٩٨
 لويكة كرمه .
 اللهجات - ١٣١
- م
- مآب .
 الوشنية - ١٠٤
 ماجان - ٢٧٧

- مالك بن زهير .
الحيرة - ٢١٤ .
مانو .
نوح - ٥٥ .
مانيثون - ٣٦٦ .
المبشرون .
الجزيرة العربية - ١٠٧ .
متحق الاشموليان - ٦٣ .
المتنبى ، ابو الطيب .
الشعر العربى - ٢٣٨ .
مجالس انو شروان - ٣٠ .
مجالس وجدوده - ٣٠ .
المجامع اللغوية .
اللغة العربية - ١٢٩ .
المجتمع - ٨١ .
آدم - ٩٧ .
الجزيرة العربية - ٩٩ ،
١٠٨ .
عصر ما قبل الطوفان - ٨٨ .
فلسطين - ٩١ .
مجنة .
أسواق العرب - ٧ .
المجوسية .
تميم - ١٠٦ .
الجزيرة العربية - ١٠٧ .
العراق - ١٠٧ .
فارس - ١٠٧ .
المزدكية ، مذهب - ١٠٧ .
محمد - ١٠٨ .
الاذيان - ٩٧ .
الاسلام - ٩٧ .
السنة المحمدية - ٩٢ .
المحيط الهندى - ٢٧٦ .
مخا ، مدينة .
اللهجات - ١٣١ .
مدائن صالح .
الاثار - ٢٤٨ .
الشموديون - ١٦٧ .
النحت - ٥٩ .
النقوش - ٥٩ .
المدن .
ادريس - ٤٨ .
مدنى امين .
- اسرته - ٣ .
الباحث - ١٠٧ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٦٠ ،
١٩ .
المدنى ، محمد محمد - ٧ .
مدين .
الخطوط - ٢١٣ .
شعيب - ١٠٨ .
المدينة المنورة .
الاثار - ٧٤٧ .
الارميون - ٢٨٧ .
الخطوط - ٢١٦ .
الدولة - ٢٦٧ .
عبيل - ٢٥٩ .
العرب البائدة - ٧٧ .
العماليق - ٢٥٩ ، ٢٨٧ .
القبائل - ٢٥٩ .
قمة الجماد ، جبل - ١٠٧ .
اللغة العبرية - ١٣٠ .
المعينيون - ١٦٦ .
اليهود - ١٠٧ ، ١٠٤ ، ٢٥٩ .
المدنيون .
الحفارة - ٢٨٧ .
الدولة - ٢٨ .
سورية - ٣٥٢ .
المرأة .
التاريخ العربى - ٢٥٦ .
الجزيرة العربية - ٢٥٨ .
عصر ابراهيم - ٢٥٥ .
الواد - ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
المراسد الهرمية .
الكلدانيون - ٣٩ .
مرامر .
الخطوط - ٢١٢ ، ١٢١٥ .
المزامير .
اللغة العبرية - ١٩٩ .
المزدكية ، مذهب - ١٠٧ .
المستشرقون .
الابجدية العربية - ٢٢٦ .
الاذيان - ٨٨ .
الاسلام - ٣٠ .
التاريخ العربى القديم -
٢٩ .
الجزيرة العربية - ٢٤٦ ، ٢٩٦ .

أوزريس - ١٠٢
 ايزيس - ١٠٢
 التاريخ العربى القديم - ٨١
 ٣٦٥، ٣٦١
 الحديد - ٢٧٨
 الحفارة - ٣٣٢، ٨٢، ٨١، ٥٥
 ٦٣، ٣٦١، ٣٤٦، ٣٣٣
 الخط المسمارى - ١٥٠
 الرعاة - ٣٦٦، ٢٨
 السوموريون - ١٥٧
 الساميون - ٢٥٤، ١٧٦، ٥٩
 ٣٦٢، ٣٦١
 الشاسو - ٢٨
 الشعوبية، غزوات - ٢٩
 العاديون - ١٦٧
 العمالق - ٢٥٤، ١٦٧، ٢٨
 ٦٣، ٣٦٢، ٣٦١
 القومية العربية - ١٧٦
 الكتابة التصويرية - ١٥٧
 ٣٦١
 الكواكب، عبادة - ١٠٢
 اللغات السامية - ٣٦١، ١٢٢
 اللغة العربية - ٣٦١
 المسيحية - ٣٧٠
 الملاحة - ٢٧٩
 موسى - ١٩٧، ١٢٣، ٩٥
 نوح - ٩٥، ٩٤
 الهكسوس - ٣٦٣، ١١٦، ٣٠، ٢٨
 يعقوب - ١٢٣
 اليهود - ١٩٧
 يوسف - ٩٥
 المعابد
 الجزيرة العربية - ٢٤٣
 المعادن
 الجزيرة العربية - ٧٧، ٣٠
 معاوية بن ابي سفيان
 ارم ذات العمد - ١٠
 معد
 عبد الله بن عبد المطلب - ٧٦
 الغزو البختنصرى - ٧٦
 المعلقات
 الشعر العربى - ٢٣٨

المستشرقون • (يتبع ما قبله)
 الخطوط العربية - ١٤١
 اللغات السامية - ١٤١
 اللغة العربية - ١٤٩، ١٣٥
 المؤلفات المعربة
 المستعمرات المعينية - ١٦٦
 المسجد الحرام
 انظر - البيت الحرام
 المسلمون
 ابراهيم - ٩٣
 المسيحية
 انظر - النصرانية
 مصادر التاريخ - ٤١، ٤٠
 ما قبل التاريخ - ٦٦
 المؤرخون - ٤١
 المؤلفات المكتوبة - ١٧
 مصادر التاريخ الاسرائيلية -
 الساميون - ١٢٠
 اللغات - ١١٩
 الهلال الخصيب - ٩٨
 اليهود - ١٩٧، ١٩٦
 مصادر التاريخ الاسلامية - ١٠٣
 مصادر التاريخ العربية - ٧٦
 ابراهيم - ٧٦
 الساميون - ١٢٠
 اليهود - ١٩٧
 مصادر التاريخ العربى القديم
 المستشرقون - ٣١
 المؤلفات العربية المتأخرة
 - ٣٤
 مصادر التاريخ اليونانية
 عيسى - ٩٨
 الهلال الخصيب - ٩٨
 مصر
 الآثار - ٣٦١، ٨٣، ٧٤
 الالهة - ٣٧٠، ٣٦٩، ١٠٢، ٣٠
 ابراهيم - ٣٦٥، ٩٤، ٧١، ٦٦
 ادريس - ٤٨
 الاذيان - ٩١، ٨٩
 الارميون - ٣٧١، ٢٥٤
 الاسلام - ٣٧٠
 الاسلحة الحربية - ٣٦٣

دولة خزاعة - ٢٨٠
 دولة كنانة فقريش - ٢٨
 العرب البائدة - ٧٧
 العمالق - ٢٨٠، ٢٥٩، ٢٨٧
 القبائل - ٢٥٩
 المجتمع - ٢٦٨
 الوثنية - ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥
 الملاحة
 الجزيرة العربية - ٢٧٥
 ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣
 الخليج الاسلامي - ١٤٣، ٢٧٩
 السبئيون - ٢٨٠
 السومريون - ٢٧٣
 العرب - ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧
 ٢٨٠
 الكنعانيون - ٢٧٨
 المصريون - ٢٧٩
 المعينون - ٢٧٩، ٢٨٠
 الملايكة - ١٠٠، ١٠٦
 ملوخة - ٢٧٧
 الملوك - ٦٣
 انطيوخوس - ٦٥
 عصر ما قبل الطوفان - ٦٣، ٦٤
 ٦٥، ٦٧
 مادي ، دولة - ٦٤
 ملكيصادق - ٣٥٢
 ابراهيم - ٩٥
 مملكة بلقيس السبئية
 الحجاز - ٢٥١
 المناخ
 الجزيرة العربية - ٥٨، ٧٠
 المناذرة
 الحيرة - ٢١٣
 العراق - ٢١٣
 المهلهل
 الشعر العربي - ٢٣٤
 المورخون
 برسفال ، كوسان دي - ١٨
 بزوس - ٦٣، ٦٤
 يورخان - ١٨
 التاريخ العربي القديم - ١٨
 دفرجي - ١٨

معين ، دولة - ٢٨
 المعينون - ٣١٦
 الابجدية المسندية - ١٦٨
 الابجدية المعينية - ١٦٨
 الاضنام - ٣٢٢
 الثالوث الالهى - ١٠٤
 الجوف - ١٦٥
 الحجاز - ١٠٤، ٢٥٢
 الحصون - ١٦٦
 الخط المسند - ١٦٥، ١٦٨
 الخط المعينى - ٢٢٤
 دادان - ١٠٤
 ديدان - ١٦٥
 سبأ - ٣١٧
 السبئيون - ١٦٥، ١٦٦
 سفر الأخبار الثانى - ١٦٥
 العاديون - ١٦٥، ٣٢٢
 العلا - ١٠٤، ١٦٦
 عمالقة العراق - ١٦٥
 القحطانيون - ١٦٥
 القوافل التجارية - ٢٨١
 قوم هود - ٢٢١
 الكتابة المعينية - ١٦٥
 الملاحة - ٢٧٩، ٢٨٠
 النقوش المعينية - ١٦٦
 وادى عسفان - ٢٢٢
 وادى القرى - ١٠٤
 يشرب - ١٦٦
 اليمن - ١٠٤، ٣٢٢
 المكتبات
 مصادر التاريخ - ٤٠
 مكة المكرمة
 آدم - ٥٨
 ابراهيم - ١٠٨
 الاذيان - ٢٥٣
 الارميون - ٢٨٧
 الاضنام - ١٠٣
 بن كلاب ، قصى - ٢٦٨
 بنو اسماعيل - ٢٦٤
 الجرهميون - ١٢، ٢٨٠، ٢٥٩
 الخطوط - ٢١٤، ٢١٦
 الدولة - ٢٥٩

المؤرخون (يتبع ما قبله)

- روكلو - ١٨٠
- ريشر - ١٨٠
- سيسلاسي - ١٠٤
- شيرنجر - ٩٦
- عصر ما قبل التاريخ - ٥٤
- الكلدانيون - ٩٨
- ليبيون ، غستاف - ١٨
- مانزرنى - ١٨
- منيبور - ١٨
- المصادر التاريخية - ٤١
- نيوفراست - ٦٤
- هيرودوتس - ٦٤
- الموابيون
- سورية - ٣٥٢
- الموانىء
- الجزيرة العربية - ٢٧٨
- الموت ، (اله) - ٣٧٠
- الجرهميون - ٢٣١
- السوموريون - ٣٤٥
- الفراعنة - ٣٤٦
- موسى
- الاديان - ٨٩
- حمورابى - ٣٤٧
- العصر الجاهلى الثانى - ٩٢
- الفراعنة - ١٩٧٠، ١٢٣، ٩٥
- القرآن الكريم - ٩٨
- المستشرقون - ٨٩
- اليهود - ١٩٧٠، ٩٦
- مولى آل مخزومة - ٢٣٦، ٢٣٥
- ميناء - ٢٨٩
- ميناء جده - ٢٧٨
- ميناء الحوراء - ٢٧٨
- ميناء العقير - ٣١٤
- ميناء لويكة كومة - ٢٤٩
- ٢٧٨
- ميناء مدين - ٢٧٨
- ميناء ينبع - ٢٧٨

ن

- النايعة
- الشعر العربى - ٢٣٤
- النار ذات الوقود
- القرآن الكريم - ٩٨
- النبطيون
- الأردن - ٢٠٤
- ارم - ١٦٧
- أرمان - ١٧٥
- بطرا - ٢٠٤
- الحيره - ٢١٤
- الخط الارمى - ٢٠٥، ١٩٠
- الخط المسند - ٢١٢
- الدولة النبطية - ٢٠٤
- اللغة الارمية - ٢٠٤
- اللغة العربية - ٢٠٤
- الوشية - ٢١٦
- النجار ، عبد الوهاب - ٩٤
- نجد
- الأثار - ٢٥٠، ٢٤٨
- الأضنام - ١٠٥
- تاريخ - ٧٧
- الشموديون - ٢٨
- جبل طيىء - ٧٧
- الجدب - ٨٣
- الجدسيون - ٢٨
- الجزيرة العربية - ١٧٦
- جغرافيا - ٨٣
- الخطوط - ٢٢٢، ٢٢١، ٢١٤
- ٢٢٨، ٢٢٤
- العاديون - ١٦٧، ٢٨
- العصر الحجرى - ٥٦
- القومية العربية - ٢٦٤
- الليثانيون - ٢٨
- اللغة العربية - ١٣٥
- المعديون - ٢٨
- اليهودية - ١٠٦

التاريخ العربي القديم - ١٧
 الجزيرة العربية - ١٠٧
 تدمر - ٢٠٤
 الشعر العربي - ٢٣٤
 العصر الجاهلي - ٢٠٧
 مدائن صالح - ٥٩
 النقوش السعودية
 اللغة العربية - ١٢٤
 نقوش حجر ثمود - ٢٠٧
 نقوش حران - ٢١٨
 نقوش زيد
 الخط القرشي - ٢١٨
 نقوش طور سيناء
 الأبجدية - ١٥٧
 النقوش العربية
 اللغة العربية - ١١٥
 النقوش العربية الجنوبية
 الأبجدية الفينيقية - ١٥٨
 النقوش الليبية
 اللغة العربية - ١٢٤
 النقوش المسمارية
 سبا - ١٦٧
 النقوش المعينية - ١٦٦، ١٣٦
 النقوش المعينية الشمالية
 اللغة العربية - ١٢٥
 نقوش النماره - ٢٠٧
 الخط القرشي - ٢١٨
 اللهجة العربية الشمالية
 - ٢١٩
 نكرج
 الزهراء - ١٠٤
 نهر خرد - ٣٠٨
 نهر النيل
 البحر الاحمر - ٢٧٨
 نسوج - ١٢٠، ١١
 الاذيان - ٩٣، ٩١، ٨٩
 الارض - ٤٩
 افريديون - ١٣
 ايما - ٥٠
 بابل - ٥٤
 الحضارة - ١٩
 دكليون - ٥٠

نجران
 الاذيان - ١٠١
 الفلك، علم - ٣٩
 النحاس
 الجزيرة العربية - ٥٥، ٣١
 ٧٧، ٥٧
 عمان - ١٤٣، ٣٠٦
 النحت
 الشموديون - ٢٤٧
 العمالق - ٢٤٧
 قوم صالح - ٩٨
 مدائن صالح - ٥٩
 النحل
 الجزيرة العربية - ١٠٦
 ندوة الاصفاء - ٧
 نرام سين - ١٦٥
 نزار
 الالهة - ١٠١
 زعماء العصر الجاهلي - ٦٨
 الغزو البختنصرى - ٧٦
 نسر - ١٠١، ٦٨، ٦٧
 النسطورية
 الحيرة - ١٠٧
 النصرانية
 ابراهيم - ٩٣
 ابرهة - ٣٢٣
 الامبراطورية الرومانية
 ١٠٦
 البيت الحرام - ٩٦
 الجزيرة العربية - ١٠٦، ١٠٧
 ربيعة - ١٠٦
 سورية - ٣٥٨
 عيسى - ٩٦
 غسان - ١٠٦
 قضاة - ١٠٦
 مصر - ٣٧٠
 اليمن - ٣٢٣
 النعمان - ٣٠
 نقش امريء القيس - ٢١٩
 نقش ام الجمال - ٢١٩
 النقوش

الصفيون - ١٤١.
 الطمسيون - ١٧٦.
 العاديون - ١٧٦.
 العراق - ٣٣٧.
 الفنيقيون - ١٥٦.
 العماليق - ١٧٦.
 الكنعانيون - ١٢٢، ١١٩، ١١٨.
 اللخميون - ٢١٧.
 اللغة العربية - ١٣١، ١٢٧، ١٣٢.
 مصر - ٣٦١.
 الهكسوس - ١١٨.
 اليبوس - ١٥٥.
 هذيل برهاط - ٢١٩، ١٠١.
 الهكسوس.
 الشعوب العربية - ١١٣.
 اللغة - ١١٨، ١٧٦.
 مصر - ٣٦٣، ١١٦.
 الهجرات - ١١٨، ١١٦.
 اليهود - ١٩٦.
 الهلال الخصيب - ٨١.
 أذينة - ٢٠٣.
 الارميون - ٢٥٤، ١٦٩.
 التاريخ العربي - ٣٢٧.
 تدمر - ٢٠٣.
 التوراه - ٩٨.
 الخطوط - ٢٠٥، ٢٠٤، ١٥٠، ٢٢٠.
 الزباء - ٢٠٣.
 الساميون - ٢٥٤، ١١٣.
 سرجون - ٢٥٢.
 العماليق - ٢٥٤.
 اللغة الارمية - ١٧٨.
 مصادر التاريخ الاسرائيلية - ٩٨.
 مصادر التاريخ اليونانية - ٩٨.
 مؤرخو الكلدان - ٩٨.
 همدان ببلخ .
 يعوق - ١٠١.
 الهند .
 البوذية - ٩١.

نوح (يتبع ما قبله)
 فخا - ٥٠.
 العراق - ٣٣٤.
 عصر ما قبل التاريخ - ٦٥.
 الفراعنة - ٩٥، ٩٤.
 القرآن الكريم - ٩٨، ١١.
 قوم نوح - ٩٧، ٥٥، ٤٩.
 اللغات - ١٢١.
 مانو - ٥٠.
 نيبال .
 البوذية - ٩١.
 نينوى ، مدينة .
 ادريس - ٤٩.

هـ

هابيل .
 بنو هابيل - ٩٧.
 القرآن الكريم - ٩٨.
 هاجر - ٩٥.
 هارون الرشيد - ٢٦٠.
 هجر .
 الحضارة - ٣١٣.
 السواحل - ٢٧٩.
 الهجرات .
 الارميون - ١٧٧، ١١٩، ١١٨، ١٥٥.
 الاشباط - ١١٨.
 البابليون - ١١٨.
 التدمريون - ١١٨.
 الشموذيون - ١٧٦.
 الجدسيون - ١٧٦.
 الجرجاشي - ١٥٥.
 الجرهميون - ١٧٦.
 الجزيرة العربية - ١٤١، ١٥٥.
 الحوي - ١٥٥.
 الساميون - ١١٩، ١١٨، ٥٩.
 ١٧٧، ١٤٧، ١٤٣، ١٢٢.
 سورية - ٢٥٢، ١٥٥.

الوادي المبارك.
 الجرهميون - ٧٥.
 العماليق - ٧٥.
 وادي مكة.
 ابراهيم - ٩٥.
 وادي اليمامة.
 الحضارة - ٥٩.
 وبار - ٣١٤.
 الوثنية.
 الاصنام - ٩٦، ١٠١.
 بلادمايين النهرين - ١٠٤.
 بن لحي - ١٠٣، ١٠٤.
 البيت الحرام - ١٠٤.
 الشموديون - ١٠٤.
 الجزيرة العربية - ١٠٠، ١٠١.
 ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ٢٥٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٥.
 الحجاز - ١٠٣، ٢١٦.
 سورية - ٣٥٨.
 العاديون - ٣٢١.
 العراق - ٣٤٥.
 عصر ما بعد الطوفان - ١٠١.
 عصر ما قبل الطوفان - ١٠١.
 الفينيقيون - ٣٥٨.
 القرآن الكريم - ١٠٢.
 القرشيون - ٢٥٢.
 مآب - ١٠٤.
 مصادر التاريخ الاسلامية - ١٠٣.
 مكة المكرمة - ١٠٣، ١٠٤.
 ١٠٥.
 النبطيون - ٢١٦.
 الواد - ٢٥٨.
 اليمن - ٣٢٢.
 ود - ٦٧، ٣٢٢.
 الشموديون - ١٠٣.
 القمر - ١٠٤.
 قوم نوح - ١٠١.
 الوديان.
 الجزيرة العربية - ٥٦.

هود - ١١.
 الاخفاف - ١٠٨.
 الاذيان - ٩١، ٨٩، ٣٢١.
 التوراة - ٥٨.
 العاديون - ٢٥٤، ٣٢١.
 العصر الجاهلي الثاني - ٩٢.
 القحطانيون - ٣٢١.
 القرآن الكريم - ١١، ٩٨.
 قوم هود - ٩٨.
 وادي عسفان - ٢٢٢.

و

الواد.
 العصر الجاهلي - ٢٥٦.
 قبيلة ربيعة - ٢٥٨.
 قبيلة مضر - ٢٥٨.
 القرآن الكريم - ٢٥٦، ٢٥٧.
 الوثنية - ٢٥٨.
 وادي عسفان.
 المعينون - ٢٢.
 وادي القرى.
 الاشار - ٢٨٧.
 الارميون - ٢٨٧.
 الثقافة - ٢٣١.
 الشموديون - ١٢، ٧٥.
 الجرهميون - ١٢، ٧٥.
 الحضارة - ٥٩، ٢٨٧.
 الدولة - ٢٥٩.
 العاديون - ١٢، ٥٦، ٩٠، ٢٢٢.
 ٢٥١، ٣٢١.
 العرب البائدة - ٧٧.
 العلا - ٧٥.
 العماليق - ٧٥.
 قرح - ١٦٧، ١٨٦.
 اللغة العبرية - ١٣٠.
 المعينون - ١٠٤.
 اليهود - ١١٤، ١٠٧.

- الشموديون - ١٦٧، ١٢
الجرهميون - ١٢
الجزيرة العربية - ١٧٦
الحضارة - ٣٠٨، ٣٠٢، ٣٠١
٣١٦، ٣١٧
الحيوانات المستأنسة - ٥٥
الخط الحيري - ٢١٣
الدول - ٧٥
دولة ابن ذي يزن - ٧٥
دولة اوسان - ٧٥
دولة حمير - ٧٥
دولة سبا - ٧٥
دولة قتيان - ٧٥
دولة معين - ٧٥
دولة النجاشيين - ٢٠٠، ٧٥
٢١٧،
الزراعة
الزهراء، عبادة - ١٠٢
العاديون - ٢٤١، ١٦٧، ١٢
الغراعة - ٢٩٤
اللغات السامية - ١٢٢
اللفة العربية - ٢٣٧، ١٢٥
المعِينون - ٣٢٢، ١٠٤
النصرانية - ٣٢٣
الوثنية - ٣٢٢
اليهودية - ٣٢٣، ١٩٥، ١٠٧
اليهود - ١٩٦
ابراهيم - ٩٣
البيت الحرام - ١٠٧، ٩٦
تيماء - ١٠٧
التيه - ١٩٧
خير - ١١٤، ١٠٧
سورية - ١٩٩
العماليق - ٢٥٩
فدك - ١٠٧
فلسطين - ١٩٨، ١٩٧، ١٩٥
الكنعانيون - ١٩٩
اللفة الارمية - ١٧٧
المدينة المنورة - ١٠٧،
٢٥٩، ١١٤
المصادر الاسرائيلية - ١٩٦،
١٩٧
- اليابان .
البوذية - ٩١
اليبوسى .
الهجرات - ١٥٥
اليبوسيون .
القدس - ٣٥٢
يشرب .
انظر المدينة المنورة
يعقوب .
بنو اسرائيل - ١٩٦
مصر - ١٢٣
اليعقوبية .
الشام - ١٠٧
غسان - ١٠٧
نجران - ١٠٧
يعقوب - ٦٧
قوم نوح - ٦٧
همدان ببلخ - ١٠١
يفغوت - ٦٧
بنو غطيف - ١٠١
قوم نوح - ١٠١
اليمامة .
الاشار - ٢٨٧، ٢٥٠
الاضنام - ١٠٥
تاريخ - ٧٧
التعدين - ٢٣١
الجدسيون - ٢٥٩
الحضارة - ٣١٣، ٢٨٧
الطمسيون - ٢٥٩
الكنعانيون - ٣١٣، ٢٨٧
اليمن .
الاشار - ٢٩٦، ٨٢، ٧٥
الاجازعة - ٢٠٠
الاديان - ٣٢١
ارض النيط - ٣١٦
الاستعمار الفارسي - ٧٥
التاريخ القديم - ٨٢،
٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤
الثالوث الالهى - ١٠٤

- اليهود (يتبع ما قبله)
- المصادر العربية - ١٩٧
- مصر - ١٩٧
- موسى - ١٩٧، ٩٦
- الهجرات - ١٩٥
- الهكسوس - ١٩٦
- وادي القرى - ١١٤، ١٠٧
- يعقوب - ١٩٦
- اليمن - ١٩٥
- اليهودية
- الاخدود - ٣٢٣
- الارميون - ٣٢٣
- الامبراطورية الرومانية -
- ١٠٧
- الاولس - ١٠٧
- بنو الحارث بن كعب - ١٠٦
- التباعية - ١٠٦
- تبع - ٣٢٣
- الجزيرة العربية - ٣٢٣، ١٠٦
- الحجاز - ١٠٧
- الخزرج - ١٠٧
- سورية - ٣٥٨
- العماليق - ٣٢٣
- فلسطين - ٣٥٨، ٣٢٣، ١٠٧
- قريش - ١٠٧
- كنانة - ١٠٦
- نجد - ١٠٦
- اليمن - ٣٢٣، ١٠٧
- يوسف
- العصر الجاهلي الثاني - ٩٢
- الفراعنة - ١٩٦، ٩٥
- القرآن الكريم - ٩٨

إصدارات إدارة النشر بتامة

الكتاب العربي السمودي

صدر منها :

الكتاب

المؤلف

- | | |
|------------------------------------|---|
| • الجبل الذي صار سهلاً | • الأستاذ أحمد قنديل |
| • من ذكريات مسافر | • الأستاذ محمد عمر توفيق |
| • عهد الصبا في البادية | • الأستاذ عز يز ضياء |
| • التنمية قضية | • الدكتور محمود محمد صفر |
| • قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا | • الدكتور سليمان محمد الغنام |
| • الظلم : | • الأستاذ عبد الله جفري (مجموعة قصصية) |
| • الدوامه | • الدكتور عصام خوير (قصة طويلة) |
| • غداً أنسى | • الدكتور أمل محمد شطا (قصة طويلة) |
| • موضوعات اقتصادية معاصرة | • الدكتور علي بن طلال الجهني |
| • أزمة الطاقة إلى أين ؟ | • الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ |
| • نحو تربية إسلامية | • الأستاذ أحمد محمد جمال |
| • إلى ابنتي شيرين | • الأستاذ حمزة شحاتة |
| • رفات عقل | • الأستاذ حمزة شحاتة |
| • شرح قصيدة البردة | • الدكتور محمود حسن زيني (دراسة وتحقيق) |
| • عواطف إنسانية | • الدكتور مريم البغدادي (ديوان شعر) |
| • تاريخ عمارة المسجد الحرام | • الشيخ حسين باسلامة |
| • وقفة | • الدكتور عبد الله حسين باسلامة |
| • خالتي كدرجان | • الأستاذ أحمد السباعي (مجموعة قصصية) |
| • أفكار بلا زمن | • الأستاذ عبد الله الحصين |
| • علم إدارة الأفراد | • الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع |
| • الإبحار في ليل الشجن | • الأستاذ محمد الفهد العيسى (ديوان شعر) |
| • طه حسين والشيخان | • الأستاذ محمد عمر توفيق |
| • للتنمية وجهاً لوجه | • الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي |
| • الحضارة نعد | • الدكتور محمود محمد صفر |
| • عبر الذكريات | • الأستاذ طاهر الزمخشري (ديوان شعر) |
| • لحظة ضعف | • الأستاذ مراد صادق مفتي |

• الرجولة عماد الخلق الفاضل

• نمرات قلم

• بائع التبغ

• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة

• النجم الغربد

• مكانك عمدي

• قال وقلت

• نبض ..

• نبت الأرض

• السعد وعد

• قصص من سومرست موم

• عن هذا وذاك

• الأصداف

• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز

• أفكار تربوية

• فلسفة المجانين

• خدعتني بجها

• نفر المصافير

• السبورا

• التاريخ العربي وبدايته

تحت الطبع :

• رسائل إلى ابن بطوطة

• تأملات في دروب الحق والباطل

• قصص من طاغور

• أيامي ..

• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)

• مدارسنا والتربية

• دوائر في دفتر الزمن (مجموعة قصصية)

• جسور إلى القمة

• هكذا علمني وردزورث

الأستاذ حمزة شحاتة

الأستاذ محمد حسين زيدان

الأستاذ حمزة بوقري

الأستاذ محمد علي مغربي

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ أحمد محمد جمال

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عبد الله جفري

الدكتورة فاتنة أمين شاكر

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ عزيز ضياء

الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

الأستاذ أحمد قنديل

الأستاذ أحمد السباعي

الدكتور إبراهيم عباس نتو

الأستاذ سعد البواردي

الأستاذ عبد الله بوقيس

الأستاذ أحمد قنديل

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ أمين مدني

الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي

الشيخ عبد الله عبد الفتي خياط

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عزيز

الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

الأستاذ سباعي عثمان

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

(مسرحية)

(ديوان شعر)

(مجموعة قصصية)

(ديوان شعر)

(قصة طويلة)

(ديوان شعر)

الأستاذ عزيز ضياء
الأستاذ حسن عبد الحفي نراز
الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
الشيخ . حسن عبد الله آل الشيخ
الشيخ حسين باسلامة
الشيخ حسين باسلامة
الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
الأستاذ محمد حسين زيدان
الأستاذ محمد علي مغربي

• عام ١٩٨٤ لجوج أورويل
• مشواري مع الكلمة
• وجيز النقد عند العرب
• لن تلحد
• خواطر جريئة
• تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها
• الإسلام في نظر أعلام الغرب
• قضايا .. ومشكلات لغوية
• كلمة ونصف
• ملاح الحياة الاجتماعية في الحجاز

الكتاب الجامعي

صدر منها :

الدكتور مدني عبد القادر علاقي

• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية

الدكتور فؤاد زهران

• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق

الدكتور عدنان زهران

(باللغة الانجليزية)

الدكتور محمد عيد

الدكتور محمد جيل منصور

• التومن الطفولة إلى المراهقة

الدكتور فاروق سيد عبد السلام

• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

الدكتور عبد المنعم رسلان

• النفط العربي وصناعة تكريره

الدكتور أحمد رمضان شقيلة

• الملاح الجغرافية لدروب الحجيج

الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

• علاقة الآباء بالأبناء

الدكتورة سعاد ابراهيم صالح

(دراسة فقهية)

الدكتور محمد ابراهيم أبو العينين

• مبادئ القانون لرجال الأعمال

الأستاذ هاشم عبده هاشم

• الاتجاهات العديدة والتوعية للدودانات السعودية

الدكتور محمد جيل منصور

• مشكلات الطفولة

الدكتورة مريم البغدادي

• شعراء التروبادور

الدكتور لطفي بركات أحمد

• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين

الدكتور عبد الرحمن فكري
الدكتور محمد عبد الهادي كامل

• النظرية النسبية تحت الطبع :

الدكتور أمين عبد الله سراج
الدكتور سراج مصطفى زقروق

• أمراض الأذن والأنف والحنجرة

• الأدب المقارن

(دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)

الدكتور عبد الوهاب علي الحكيم

الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

الأستاذ نبيل عبيد الحفي وضوان

• هندسة النظام الكوني في القرآن

• الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية



مطبوعات
PUBLICATIONS

• صدر منها :

الأستاذ صالح إبراهيم

الدكتور محمود الشهابي

الأستاذة نوال قاضي

• حارس الفندق القديم

• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية)

• التخلف الإملائي

• ملخص خطة التنمية الثالثة

• للمملكة العربية السعودية (باللغة العربية)

• ملخص خطة التنمية الثالثة

• للمملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية)

الدكتور حسن يوسف نصيف

الشيخ أحمد بن عبد الله القاري

الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي

• نسالي

• مجلة الأحكام الشرعية

(دراسة وتحقيق)

الأستاذ إبراهيم سريبي

الأستاذ علي الخرجي

الدكتور عبد الله محمد الزيد

• النفس الإنسانية في القرآن الكريم

• خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية)

• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية

(باللغة الانجليزية)

الدكتور زهير أحمد السباعي
الأستاذ محمد منصور الشقحاء
الأستاذ السيد عبد الرؤوف

* صحة العائلة في بلد عربي متطور
* مساء يوم في آذار
* النيش في جرح قدم

تحت الطبع :

الدكتور حسن محمد باجودة
الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
الأستاذ محمد اسماعيل جوهري
الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
الدكتور جميل حرب محمود حسن
الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
الدكتور اسماعيل اغنيباوي
الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
الأستاذ محمد أمين ساعاني
الأستاذ صلاح الكري
الأستاذ عبد الله باقازي
الأستاذ محمد علي قدس

* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف
* الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية
* الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك
* ألوان
* عطر وموسيقى
* أضواء على نظام الأسرة في الإسلام
* وللخوف عبون (مجموعة قصص)
* سوانح وخطرات
* الحجاز واليمن في العصر الأبوي
* نقاد من الغرب
* ماذا تعرف عن الأمراض
* جهاز الكلية الصناعية
* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام
* القرآن .. ودنيا الإنسان
* الموت والابتسامة
* مواسم الشمس المقبلة

رسائل جامعية

صدر منها :

الدكتور بهاء حسين عزي

* صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية

تحت الطبع :

الأستاذة أميرة علي المداح
الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
الأستاذة ثريا حافظ عرفة
الأستاذة فوزية حسين مطر
الأستاذ رشاد عباس معتوق
الأستاذ عبد الكريم علي باز

* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
* القصة في أدب الجاحظ
* الحراسانيون ودورهم السياسي
* تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
* نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
* اقتراءات فليب حتى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي

كتاب للأطفال

للأستاذ يعقوب اسحاق

لكل حيوان قصة

صدر منها :

- | | |
|------------|-------------------|
| • القرد .. | • الحمامار الأهلي |
| • الضب | • الفراشة |
| • الثعلب | • الخروف |
| • الكلب | • الفرس |
| • الغراب | • الدجاج |
| • الأرنب | • البط |
| • السلحفاة | • الغزال |
| • الجمل | • الحمامار الوحشي |
| • الذئب | • البيغاء |
| • الأسد | • الوعل |
| • البغل | • الجاموس |
| • الفأر .. | • الحمامة |

كتاب للناسئين

وطني الحبيب

صدر منها :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

* جدة القديمة

تحت الطبع :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

* جدة الحديثة

الأستاذ عزيز ضياء

* حكايات للأطفال

الأستاذة فريدة فارسي

* قصص للأطفال

English Books Published By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
By F. M. Zahran
A.M.R. Jamjoom
M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
Dr. Amin A. Siraj
Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
By Dr. Bahha Bin Hussain Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.

